

و محمد العيد الخطاروي

أسيرة الولدي المبجل

١٣٧١ هـ - ١٣٩٥ هـ

في الميزان



© مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخطراوي، محمد العيد
أسرة الوادي المبارك (١٣٧١هـ - ١٣٩٥هـ) في الميزان / محمد العيد الخطراوي
الرياض، ١٤٢٦هـ
٤٥٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٩ - ١٧ - ٧٠٨ - ٩٩٦٠
١- القبال العربية - تاريخ أ. العنوان
ديوي ٩٢٩.٢ ١٤٢٦/٦٠٢٤

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٦٠٢٤
ردمك: ٩ - ١٧ - ٧٠٨ - ٩٩٦٠

حقوق النشر محفوظة لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض
المملكة العربية السعودية
ص.ب. ٨٦٤٨٦ الرياض ١١٦٢٢
هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٩١١٣٠٠ فاكس ٠٠٩٦٦١٤٩١١٩٤٩
الموقع الإلكتروني: www.kapl.org.sa



جميع الحقوق محفوظة، ولا يجوز إعادة نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تعريبه أو ترجمته في جهاز للاسترجاع، أو نقله بأي صورة أو وسيلة، سواء إلكترونية أو ميكانيكية أو بغير ذلك، دون الإذن المسبق من مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

أُسْرَةُ الْوَلَدِيِّ الْمُبْرَكِ

١٣٧١ هـ - ١٣٩٥ هـ

فِي الْمِيزَانِ

د. محمد العيد الخطراوي 

المحتوى

١	تصدير
٣	تقديم
٥	النشأة والميلاد
٤١	اسم الأسرة
٧٣	عمرها
٧٩	أعضاؤها
١٩٩	مقرها
٢٠٥	المناخ الثقافي
٢٠٨	أدباء من خارج الأسرة
٢٦١	العلماء والأشياخ
٢٧٤	الروافد الثقافية
٢٧٦	أهدافها ومبادئها
٢٧٧	منجزاتها وإسهاماتها
٢٨٠	أثرها على الواقع الأدبي
٢٨١	توجهاتها الأدبية
٢٨٢	اتجاهاتها الفنية
٢٩٠	الأسرة والمرأة
٢٩٦	الأسرة والعامية
٣٠٨	الأسرة والأنشطة الرياضية
٣١٠	الأسرة والنشاط المسرحي
٣١٧	الأسرة والنشاط الموسيقي
٣٢٤	أمراء المدينة في العهد السعودي والأسرة
٣٢٧	الأسرة في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين
٤٠١	الأسرة بين جيلين
٤٤٥	خاتمة

تصدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

خطت المملكة العربية السعودية خطوات واسعة في سبيل النهضة والتقدم والاستفادة من المرتكزات والدعامات الأساسية التي شهدتها على مرّ تاريخها؛ وكان الدور الديني والتاريخي والمكانة الجغرافية والحضارية للمملكة وثقلها الثقافي والأدبي، دعامة ومنطلقاً لمسيرتها المظفرة.

كما استطاعت أن تتواصل مع الرصيد الإنساني الزاخر بالأدب والمعارف الإنسانية؛ وأضافت المملكة أرسدة جديدة في سجل الإنجازات، حيث شهدت نهضة ثقافية كبرى على كافة الأصعدة الأدبية؛ ما أتاح ظهور المبدعين الجدد؛ وتوكيد مكانة المبدعين الكبار بفضل الله تعالى ثم بما وفّرت القيادة الرشيدة من أجواء ثقافية وتنويرية مشجعة على الإبداع.. حيث أرض المملكة الخصبه بالمواهب الواعدة؛ وطبيعتها التي تعد أفقاً مفتوحاً وملهماً للعديد من الشعراء والأدباء.

وكان عماد هذه القفزات الهائلة، النهضة الفكرية والثقافية والعلمية، حيث اتسم المشهد الثقافي والأدبي السعودي بـ(التطور) (والتفاعل)؛ (والحرّاك) الملحوظ والمستمر في مجال الأجناس الأدبية: الشعر أم الرواية، أو القصة القصيرة؛ أم المقال.. إلخ؛ فكانت لأدباء المملكة مكانتهم المتميزة على الصعيدين العربي والدولي..

وقد تكوّنت في مراحل مختلفة من مسيرة المملكة الناهضة جماعات أدبية، تناظر شبيهاتها الأدبية العربية التي تكونت وذاع صيتها في غير قُطر عربي؛ وظهرت فيها جهود رجالات الأدب؛ أثروا الساحة الأدبية والفكرية بالندوات الثقافية والمحاضرات الفكرية والمجالس المنتظمة التي غشيتها المفكرون والمثقفون والمهتمون بالأدب والثقافة والمشتغلون بها..

وكانت أسرة الوادي المبارك (نسبةً لوادي العقيق) واحدة من تلك الأسر الأدبية والمجالس الثقافية الجادة في الاضطلاع بحركة التنوير، ونشر الثقافة والتواصل مع العديد من العلماء

والمفكرين، والمثقفين والأدباء في المملكة والعالم الإسلامي، الذين كانوا يزورون المدينة المنورة – التي حبها الله تعالى، مُهاجر رسوله الكريم محمد ﷺ – ويلقون محاضرات لذلك، وتوجت جهود هذه الأسرة الأدبية بتأسيس النادي الأدبي الثقافي بالمدينة المنورة عطفاً على ما أقامته من نشاطات وفعاليات كانت جزءاً من الحياة الأدبية والثقافية في طيبة الطيبة.

وتواصل مع دورها التنويري في الحياة الثقافية والأدبية السعودية؛ تقدم مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض هذا الكتاب: (أسرة الوادي المبارك ١٣٧١ - ١٣٩٩هـ في الميزان)؛ وفاء لهذه الجماعة الأدبية؛ وإبرازاً لجهود هذه الكوكبة المتميزة من رجالات الأدب البارزين في المدينة المنورة، الذين أخلصوا في إثراء هذا الجانب، وحملوا على عاتقهم التواصل مع رواد النهضة الأدبية والثقافية العربية؛ وتعريفاً بإبداعاتهم وثمار جهودهم للأجيال المقبلة...؛ وعرفاناً للتاريخ الفكري الشامخ لهذه الجماعة الأدبية، تصدى لإجلاء دورهم وتقويمه أحد أبناء المدينة المنورة، الأستاذ الدكتور محمد العيد الخطراوي.

والله نسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص في القول والعمل، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض

تقديم

كان التأريخ لـ **إِسْتِزْةِ الدَّيْرِ النُّورِيِّ** بالمدينة المنورة، حلمًا يراود أعضائها، وأملًا يداعب أجفان بنيتها، وبخاصة حينما تلقف الموت مؤسسيتها واحدًا بعد الآخر، ولم يبق منهم إلا أقل من القليل، وقد طالبني الأخ محمد هاشم رشيد أن أقوم بهذه المهمة، وألح علي أيا إلهام، لكن ذلك وإن لم يتم في حياته فقد تيسر بحمد الله عقيب وفاته رحمه الله. وتلتقي الكتابة عن الأسرة بحركات علمية وأدبية سابقة، وأخرى لاحقة، وقد بدأت الفكرة رغبة في إكمال حلقة مهمة من تاريخ المدينة المنورة الأدبي، نذكرها في المناسبات المختلفة، ونشير إلى كونها حركة أدبية ممهدة لنادي المدينة المنورة الأدبي، ثم تبلورت معي لتتحول إلى مقالة في مجلة، ثم محاضرة في نادي أبها الأدبي بدعوة من رئيسه المفضل الأستاذ محمد الحميد، ثم أشار علي بعض الزملاء بتحويلها إلى كتاب، فاستصوبت إشارتهم، واستطعت بحول الله أن أغطي فترة نشطة من تاريخ المدينة المنورة الأدبي.

أما عن ما يبدو من كثرة إيراد النماذج، فإنني أراه أمراً ضرورياً لنجاح الدراسة، وقد بذلت جهداً في التجميع وبناء الكيان، ودرس الوقائع، كما أكون بما قدمت قد أرخت لجمع من الأدباء والعلماء يستأهل كل منهم دراسة خاصة به. وقد تحريت الصدق فلم أغمط أحداً أو أضيف إليه ما ليس له، أما أولئك الذين يحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا، فإنني لم أبه لقولهم، ولم أبال بموقفهم، لأنهم فطروا على التسلق، واغتياح جهود الآخرين، وقد جدوا كثيراً في محاربة الخطأ وامي وأمثاله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

والذي يهمني في المقام الأول هو إجلال الدور الأدبي لـ **إِسْتِزْةِ الدَّيْرِ النُّورِيِّ**، وأحسب أنني قد وفقت بإذن الله، وحققت أحلامي وأحلام صحتي، وأنني أسهمت بهذا الكتاب وغيره في خدمة تاريخ المدينة المنورة الأدبي، وأملني أن يرضى الله ورسوله عن عملي، فإنني رجل فطرت على حب المدينة المنورة وكل ما يتصل بها، وأؤمن بأن خدمتها والكتابة عنها بما يتقرب به المرء إلى الله، فاللهم أحيينا بها وأمّتنا فيها، وابعثنا منها صحبة النبي وصحابته وآل بيته، إنه مجيب الدعاء..

النشأة والميلاد

فتحنا أعيننا حين عرفنا القراءة، وبدأنا رحلة العذاب الأبدي مع الحرف في السبعينات (أي السنوات الآتية بعد الستين، والمكونة لعشرة السبعين - ٦١-٦٢-٧٠) على أسماء لامعة، ورواد بارزين، من كتاب الشعر والنثر، كالعقاد والرافعي، والزيات وأنور المعداوي، وجبران ونعيمة ومارون عبود، وغيرهم. ووصلت إلى أيدينا مجلات رائعة، كالرسالة، والكتاب، والأديب، ثم الأداب، وتعلقت أحلامنا بجماعات أدبية راقية، كان في مقدمتها: (الرابطة القلمية) التي أنجبت أمثال جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبي ماضي. و(العصبة الأندلسية) التي كان من أبرز أعضائها فوزي المعلوف صاحب ملحمة (بساط الريح)، وشفيق معلوف، وإلياس فرحات. وكان تعلقنا أكثر ما يكون بالجماعات التي نشأت داخل الوطن العربي، وبخاصة التي أنشأها شباب أعمارهم قريبة من أعمارنا، أو أنها لا تحجر على من في سننا المشاركة فيها، سواء ما كان منها في الشام أم مصر والعراق وتونس، أذكر منها (أسرة الجبل الملهم) في الشام، وكان منها بدوي الجبل، والبدوي المثلث، وهي التي جاء على وزانها اسم: إتية البدوي و(جماعة الأدب الحديث) بمصر، كان منها السحرتي، وعبد الحميد ربيع، و(رابطة الأدب الجديد) بمصر أيضا، وأحسب أنه كان من أبرز أعضائها عبد القادر القط، وسعد دعيبس، وكمال نشأت. و(رابطة القلم الجديد) بتونس التي كان من أعضائها البارزين: (الشاذلي زوكار، ومنور صُمادح، ونور الدين صمود، وأبو القاسم سعد الله. وقبل ذلك وبعده (جماعة أبولو) التي كانت ذات تأثير طويل وعريض على شباب الأدب والشاديين فيه، وكان شعراؤها بحق ذوي تأثير كبير على شعراء الرومانسية داخل مصر وخارجها، ومن أبرز شعراء هذه الجماعة علي محمود طه، وإبراهيم ناجي، ومحمود حسن إسماعيل، وأحمد زكي أبو شادي، وأبو القاسم الشابي، وإبراهيم العريض، والتيجاني بشير، وإلياس أبو شبكة، وغيرهم، ومن أراد أن يتأكد مما قلته، فليبحث عن مظاهر تأثيراتهم في شعر طاهر زمخشري، وحسن عبدالله القرشي ومحمد هاشم رشيد، ومحمد حسن فقي، وأمثالهم، ولئن فعلت ذلك لتجدن لغتهم وصورهم وأنفاسهم ماثلة أمامك في كل صوب، وليس التأثر في حد ذاته عيبا بل يعدّ وجوده حالة صحية، وإنما العيب أن يظل الشاعر مستوطنا خيمة الآخرين، مرتديا عباءتهم، لا يكاد يخرج منها إلا ليعود إليها، دون إرادة منه.

والذي أردت الإشارة إليه هنا هو حالة الإعجاب التي كانت تتملك جيلنا إزاء هذه النماذج المشرقة اللامعة، وكان بالمدينة المنورة شباب متوهج العواطف، متصل بالثقافة العربية القديمة والحديثة، متواصل أيضا مع الأدب الغربي عن طريق المترجمات، وقد عادت الطريق إلى ذلك بعض ترجمات محمد عالم أفغاني، وأحمد رضا حوحو في مجلة (المنهل)، متطلع لإثبات وجوده الأدبي، متابع دقيق لما يصدر هنا وهناك، متفاعل مع ما يقرأ، نهم للقراءة لا يشبعه شيء. لم تكن هناك مكتبات عامة للقراءة، كما هي الحال اليوم، ولم تكن مكتبات للبيع ذات شأن، غير مكتبة ضياء ومكتبة النمنكاني، ويعتمد الشباب في قراءته على تبادل الكتب، والاشتراك في شراء الكتاب الواحد أحيانا، وينقسم هؤلاء الشباب على أنفسهم وفقا لعشقهم لما يقرأون، من مؤيد لهذا، ومنكر لذاك من أدباء العروبة في كافة الأقطار، وبخاصة مصر والشام والعراق، والمهجر، وتتحفظ أشعارهم وأثناهم، ونرفع بها رؤوسنا وأصواتنا في المجالس، وما يزال بحمد الله بعضها عالقا بجدران الذاكرة، من نثر الزيات والرافعي وجبران، ومحمد البشير الإبراهيمي، وشعر شوقي ومحمود غنيم، ومن شعر الشابي، وبشارة الخوري، وإيليا أبي ماضي، وعلي محمود طه، ومحمود حسن إسماعيل، وإبراهيم ناجي، ونحفظ أحيانا للشباب مثل كمال نشأت، وبدوي الجبل، ونزار، والسياب، وغيرهم.

وننقسم في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة إلى مناصرين ومنائين، فمننا العقاديون، ومننا الطحسنيون، ومننا المهجريون، إلى غير ذلك من التقسيمات التي كانت أكثر ما كانت في الجيل الذي سبقنا أمثال محمد حسن عواد، وحمزة شحاته، وأحمد عبد الغفور عطار، ومحمد حسين زيدان، وحسين سرحان، وعزيز ضياء، وغيرهم من الرواد. كانت تستهويننا هذه الأنساب الأدبية، والاندماجات الفكرية: (من أسرة كذا)، أو (من رابطة كذا)، ومن هنا كانت تجري الأحاديث الثنائية بين الشباب المتأدب بالمدينة المنورة بهذا الخصوص، وشاء الله أن يكون شرف تأسيس **إتحاد الأدباء العرب** الأدبية لثلاثة لأربع لهم، وهم الإخوة: محمد العامر الريمي، ومحمد هاشم رشيد، وحسن مصطفى صبري. وذلك سنة ١٣٧١هـ، أما بقية الأعضاء فقد انضموا إليها بعد ذلك على فترات متفاوتة، وكان انضمامهم إليها بمثابة التأسيس الحقيقي لها، فقد دعموها حسيا ومعنويا، وأسهموا في تطويرها، وحولوها من مجرد حلم يعيش في الأذهان إلى واقع يعيش ملموس بالبنان. ولقت أعضاؤها الأنظار بنشاطهم الأدبي وإسهامهم في التعبير

الكثير من الأشعار والأناثر بالصحف المحلية، وبعضها كان يمثل معارك أدبية، كما هو الشأن في كتابات عبدالعزيز الربيع، الذي اشتبك مع محمد حسن عواد بخاصة، وكذلك حين التزم بعض أعضائها بتذييل أسمائهم بعبارة (من إتيرة التلاوة)، وحين كان بعض الصحفيين يجرون اللقاءات الأدبية مع بعض الأعضاء، أو بصفة جماعية في صفة حوارية، ومن ذلك الاستطلاع الذي أجرته مجلة (قافلة الزيت). وهكذا بدأت تترسخ صورتها، وتتحدد معالمها، وأحسّت بأن عليها واجبا أدبيا تجاه الوطن يجب أن تؤديه، ودورا ثقافيا يجب أن تقوم به، وأن عليها مسؤولية القيام بمهمة المدينة المنورة الأدبية التاريخية، فقد كانت هذه المدينة بحكم الموقع والموضع، ثم بحكم قيادتها الدينية، ذات شأن كبير في دنيا الفكر والأدب بالجزيرة العربية، فكان لها شعراؤها الكبار في العصر الجاهلي أمثال قيس بن الخطيم، وأحيحة بن الجلاح، وأبو قيس بن الأسلت، وعمرو بن الإطنابة، وعمرو بن طلة وغيرهم، وتفردت بتحمل مسؤولية الحياة العربية بجمع فروعها في صدر الإسلام، وكلنا يعرف من حسان وابن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم، فمنها الإيراد والإصدار، وعليها تدور جميع شؤون الحياة، ومنها تبدأ كل إرادة وتعود.

وشارك أبنائها في جميع العصور بعدد جيد في الشأن الثقافي والأدبي على مر التاريخ، ومن منا لا يستحضر في ذاكرته الأدبية أمثال الأصوص، ونصيب، وابن ميادة، وأرطاة بن سُهَيْة، وأبو قُطَيْفَة؟ وزورات شعراء أمثال الفرزدق وجريز والخطيئة، وجميل، وكثير، وغيرهم. وكلنا يعلم العقيق وشعراء العقيق في العصر الأموي، وأنها كانت محجة جميع شعراء العراق والشام، وكل شعراء الحواضر والبادي، وفيها نبتت المدارس الفقهية والحديثية والتاريخية وحتى النحوية والصرفية وغيرها.

وهذا التاريخ الأدبي والفكري الشامخ يلقي على أكتاف أبنائها في كل جيل مسؤولية النسب الذي يكلف كما يشرف، ويتطلع إلى أن يكون هؤلاء الأبناء فيه مثل آبائهم وأجدادهم، وأكثر. • فإذا نظرنا إلى التاريخ القريب السابق لجيل أسرة الوادي المبارك، وجدنا رجلا أمثال: عبدالقدوس الأنصاري، وعزيز ضياء، وحسين زيدان، وعلي حافظ، وعثمان حافظ، وأحمد الحيارى، وعمر بري، والأسكوبي، وحسن بصنوي، وأمين مدني، وعبيد مدني، وغيرهم، ووجدنا محاولات سابقة لتكوين لجان ثقافية أدبية منها الحفل الأدبي، ونادي المحاضرات.

إذن نستطيع أن نرجع أسباب ظهور هذه الأسرة إلى مجموعة من العوامل، أهمها :

١- الإحساس بمسؤولية التركة الثقافية والأدبية التي تصدت لحمل أعبائها المدينة المنورة - كما قلنا - في مختلف العصور، فلا يحب أدباء هذا الجيل أن يكونوا بمنقصة عما كان عليه الآباء والأجداد، ولا يطيقون أن يكونوا أقل شأنًا، بل يحاولون أن يتقدموا بالركب خطوات وخطوات، ولسان حالهم يقول مع الشاعر العربي:

لسنا وإن أحسابنا شرفت يوما على الأحساب نتكل
نبنينا كما كانت أوائلنا تبني، ونفعل مثلما فعلوا

٢ - وإذا كان جيل عبدالقدوس الأنصاري قد قام بواجبه ، وقدم لدنيا الفكر والثقافة بالقدر الذي ما يزال نفتخر به ونباهي، فإن الواجب يلبي علينا أن نخلفهم بما يسرهم ويؤنسهم، وبكل ما يكفل مسيرتهم الاستمرار والنمو، وكم كان سرور الأدباء بنا حين كتب لنا أن نجتمع بنخبة منهم في مكان واحد، وذلك في مكة المكرمة، في أثناء إقامة المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، لأنهم أحسوا أن المسؤولية الأدبية بالمدينة المنورة في أيد أمينة، ومن ثم انطلقوا يتطلعون إلى يوم يؤسسون فيه أندية أدبية.

٣- روح المنافسة التي كانت سائدة بين مدن الحجاز الثلاث (المدينة المنورة - مكة المكرمة - جدة) فمدرسة الفلاح، والمدرسة الصولتية وغيرها بمكة المكرمة وجدة، يقابلهما بالمدينة المنورة مدرسة العلوم الشرعية، ومدرسة دار الأيتام، ومدرسة دار الحديث، والحركة الصحافية في جدة ومكة، تقابلهما حركة صحافية في المدينة: مجلة المنهل، وجريدة المدينة المنورة.

ويكتب حمزة شحاته من جدة قصيدته الشهيرة (جُدَتِي) التي مطلعها:

النُّهى بين شاطئيك غريق والهوى فيك حالم ما يفيق

فيطلب أهل مكة المكرمة من شاعرهم الكبير محمد حسن فقي أن يكتب قصيدة ماثلة عن مكة المكرمة، فيكتب قصيدة (مكتي) التي مطلعها:

مكتي أنت.. لا جلال على الأرض يداني جلالها أو يفوق

وحين يكتب شاعر مكة المكرمة الكبير أحمد إبراهيم الغزاوي قصيدة بمناسبة عودة الشباب السعودي الذين أتموا دراسة الطيران بإيطاليا، إلى أرض الوطن، مطلعها:

حي بالإعجاب أحفاد الصقور وأشد بالفخر، قل: حان النشور
وأتخذ من كل قلب صيغة بالتهاني، وانتظم دُرَّ النحور
نرى شاعر المدينة الكبير أحمد العربي يكتب قصيدة في نفس الموضوع، فيقول:

أهلاً بقاتنا النُشور طليعة العهد النضير
الرافعين لسواء مجد بلادهم فوق الأثير
المنتضين عزائما أمضى من السيف الطرير
أهلاً بمفخرة الحجاز ورمز سؤده الخطير

فهذه المدن، وإن كانت تمثل في مجموعها النهضة الأدبية بالحجاز كله، في ذلك الحين، وتقف في الميدان مثلة لنفسها ولغيرها، فإن كل مدينة تنافس أخواتها في هذا التمثيل، وترغب أن يكون لها منه الجانب الأوفى، وأن تكون منه في موقع الصدارة، وأن تكون فيه متميزة، ولا شك أن تأسيس جمعية أدبية يعد مفخرة يحق لمن يظفر بها أن يفاخر الآخرين.

وإذا حق لمكة المكرمة أن تتباهى بجمعية الإسعاف الخيري رغم عمرها القصير، فإنه يحق للمدينة المنورة أن تفخر بأسرة الوادي المبارك التي امتد عمرها ربع قرن من الزمن تقريبا، وأن تعترف بإنتاج أبنائها من الشعراء والقاصين والروائيين والمسرحيين والنقاد، فمرحى لأبناء المدينة حين ينطلقون ويتبعثون.

٤- الإعجاب بالخرجات الأدبية في البلاد العربية الأخرى، وبخاصة في مصر والشام والعراق وبلاد المهجر، ومحاولة الاقتداء بهم، والتشبه بمنجزاتهم، وكانت تلك الفترة وما قبلها زخرة بالأدباء، مضيئة بالأسماء اللامعة، مزدحمة بالرابطات والجماعات، فكم من أمثالنا من مضى يتخذ لنفسه لقباً أو رمزا يتستر من ورائه، كفتى سلع والمأسور، ومنا من تافت نفسه إلى تكوين جماعة أدبية يحلم من خلالها إلى تحقيق ذاته وطموحاته، وما أروع أن تحمل هذه الجماعة اسماً رائعاً كاسم (أسرة الوادي المبارك).

٥ - روح التسامح التي كان يتسم بها رجال المطبوعات في تلك الآونة ، مما مكّن الأدباء الشباب من الاطلاع على أكثر المطبوعات الجديدة في العالم العربي، وأسهم الشحّ في توافر الكتاب في دفع الشباب إلى أن يشارك بعضهم بعضا في التداول، والحرص على الاستيعاب، وكان ذلك حافزا على الاعتماد على التثقيف الذاتي، ودافعا مرة أخرى إلى التجمع في أسلوب جماعات قارئة أو كاتبة .

٦ - ولعل اجتماع أبناء المدينة المنورة على حب مدينتهم لا يضارعه حب، أو هكذا نحن نزعم في المدينة المنورة على الأقل، وهذا الحب يجعلهم على استعداد دائم أن يقدموا لها شيئا، رغم إحساسهم بالإقلال في العدد والعدة، ويمثل شعر هذا الحب الكبير، من ديوان الشعر المديني، المساحة الكبرى التي تتأبى على التحديد، وكأنك إزاء ملحمة حب متواصلة الحلقات، جمة الوثبات والإشراقات، ابتداء من شعر الأوس والخزرج ووصولا إلى شعر أبنائها الشباب اليوم، من أمثال عبدالمحسن حليت ، وبشير الصاعدي، وحسين عبيان، ومحمد الصفراني، ومجدي نصر خاشقجي، وعيد الحجيلي، وخالد نعمان، ويوسف الرحيلي .

ولعل من المناسب أن نورد بعض نماذج من ذلك الحب المتمثل في أشعارهم:

١ - يقول حسان بن ثابت في رثاء رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بطيبة رسم للرسول ومعهده منيرٌ، وقد تعفو الرسوم، وتهمدُ
ولا تتمحي الأيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وهي من خمسة وأربعين بيتا.

ولاميته التي مطلعها:

لك الخير، غصني اللوم عني، فإنني أحب من الأخلاق ما كان أجملا
والتي يقول فيها:

فنحن الذرى من نسل آدم، والعري تبرع فينا المجد حتى تأثلا (١)
بنى العزّ بيتا، فاستقرت عماده علينا، فأعيا الناس أن يتحولوا

(١) العري: جمع عروة، وهي أصل الشجرة الباقي.

وإنك لن تلقى من الناس معشراً أعزَّ من الأنصار عزا وأفضلاً
وأكثر أن تلقى، إذا ما أتيتهم لهم سيّداً، ضخّم الدسيعة، جحفلاً (١)
وأشيب ميمون النقيبة، يُبتغى به الخطر الأعلى، وطفلاً مؤملاً
وأمرّد مرتاحاً، إذا ما ندبته تحمّل ما حملته، فتربّلاً (٢)
وعِداً خطيباً لا يطاق جوابه وذا أربّة، في شعره متنخلاً (٣)
وأصيد نهّاضاً إلى السيف، صارماً إذا ما دعا داع إلى الموت أرقلاً (٤)
وأغيد مختالاً يجرّ إزاره كثير الندى، طلقّ اليدين، معذلاً (٥)
لنا حرّة ماطورة بجبالها بنى المجد فيها بيته، فتأهلاً (٦)
بها النخل والأطام، تجري خلالها جداول، قد تعلق رفاقاً وجرولاً (٧)
إذا جدول منها تصرّم ماؤه وصلنا إليه بالنواضح جدولا
على كل مفهاق خفيف غروبها تُفرّغ في حوض من الصخر أنجلاً (٨)
له غلّ، في ظل كل حديقة يعارض يعبواً من الماء سلسلاً (٩)
إذا جئتها ألفت في حجراتها عناجيج قُباً، والسوام المؤبلاً (١٠)
جعلناها أسيفنا ورماحنا من الجيش والأعراب، كهفاً ومعقلاً

(١) ضخّم الدسيعة: ضخّم المائدة الكريمة. الجحفل: السيد العظيم القدر.

(٢) تربّل: عظم.

(٣) العدد: الماء الدائم الذي لا ينقطع، شبه تدفق الخطيب في كلامه بتدفق هذا الماء. أربة الشعر: شدته وإحكامه.

(٤) الأصيد: الذي يرفع رأسه كبرا.

(٥) المعذل: الذي يلومونه لكثرة كرمه.

(٦) ماطورة: محاطة. تأهل: اتخذ أهلاً.

(٧) الرقاق: الأرض الصلبة المستوية. الجرول: الموضع في الجبل كثير الحجارة.

(٨) المفهاق: البئر الكثيرة الماء. الخسيف: البئر التي تحفر في الحجارة فلا ينقطع ماؤها. الأنجل: من النجل وهو السعة.

(٩) الغلّ: الماء الذي يجري بين الشجر. العجوب: النهر. السلسل: الماضي في جريه.

(١٠) حجراتها: نواحيها، مفرداً حجرة. العناجيج: جمع عنجوج، وهو الفرس الجواد. القب: الضامرة البقون، واحدة: أقب.

السوام: الأبل الراعية. المؤبل: المقتنى.

إذا جمعوا جمعاً سمونا إليهم بهنديةً تسقى الذعاف المثلاً (١)
نصرنا بها خير البرية كلها إماماً، ووقرنا الكتاب المنزلاً
٢ - وقال الشاعر عمرو بن الوليد بن عقبة الأموي المعروف بأبي قُطَيْفَة يتشوق في منفاه بالشام
إلى المدينة:

ليت شعري وأين مني ليتُ؟ أعلى العهد يلبَنُ فبرام؟ (٢)
أم كعهدي العقيق أم غيرته بعدي الحادثات والأيام؟ (٣)
وبأهلي بُدِّلْتُ عكاً ولحماً وجُذاماً، وأين مني جذام؟
وتبدَّلْتُ من مساكن قومي والقصور التي بها الأطامُ
كلُّ قصر مشيد ذي أواس يتغنى على ذراه الحمام (٤)
أقر مني السلام إن جئت قومي وقليل لهم لدي السلام
ويقول:

أقطع الليل كله في اكتئاب وزفير فما أكاد أنام
نحو قومي إذ فرقت بيننا الدار وحادث عن قصدها الأحلام
خشية أن يصيبهم عنتُ الدهر وحرب يشيب منها الغلام
فلقد حان أن يكون لهذا الدهر عناتباعد وانصرام
ويقول:

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جَيرون (٥)

(١) الذعاف : السم القاتل . النخل : الذي قوي بمادة تزيد فعله .
(٢) يلبَنُ : قلت عظم بالنقع من حرة سليم ، على مرحلة من المدينة (المرحلة ٤٥ كيلا) . برام : جبل عند الحرة قرب المدينة ، تصب شرائعه في المدينة .
(٣) هذه أسماء قبائل خالطها بالشام .
(٤) ذي أواس : ذي بروج .
(٥) القصر : يقصد قصر عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان أعظم قصور المدينة في عهده ، على مقربة من بئر عروة قبل جماء تضارح . والجماء : في المدينة ثلاث جماعات ، والمقصود هنا جماء تضارح ، وهي قريبة من بئر عروة ، وهي الجبل الذي على يمينك منهما إلى أبار علي اليوم . جيرون : من أسماء دمشق القديمة ، أو هي إحدى قرأها .

إلى البلاط فما حازت قرائنه دورٌ نزحن عن الفحشاء والهون (١)
قد يكتنم الناس أسراراً فأعلمها ولا ينالون حتى الموت مكنوني
ويقول:

ليت شعري هل البلاط كعهدي والمصلّى إلى قصور العقيق (٢)
لامني في هواك يا دار طه من مبین بغشه وصديق
ويقول:

ألا ليت شعري، هل تغير بعدنا جُبوب المصلّى أم كعهدي القرائن ؟
وهل أدور حول البلاط عوامر ؟ من الحيّ، أم هل بالمدينة ساكن ؟
إذا برّقت نحو الحجاز سحابة دعا الشوق مني برقها المتيامن
فلم أتركها رغبةً عن بلادها ولكنه ما قدر الله كائن
أحن إلى تلك الوجوه صبايةً كآني أسير في السلاسل راهن

٣ - وللشاعر: أبي محمد عبد الله بن أبي عمران البسكري . (من بلدة بسكرة الجزائرية، توفي بالمدينة المنورة سنة ٧١٣هـ). قصيدة بعنوان: « دار الحبيب »:

دار الحبيب أحق أن تهواها ونحن من طربٍ إلى ذكرها
وعلى الجحفون إذا هممت بزورة يا ابن الكرام عليك أن تغشاها
فلأنت أنت إذا حللت بطيبة وظللت ترتع في ظلال ربها
مغنى الجمال من الخواطر والتي رسلت قلوب العاشقين حلاها

(١) البلاط : سوق أو شارع مبلط بالحجارة كان حول المسجد النبوي ، وربما دخل بعضه الآن بالمسجد .

(٢) المصلّى : هو مسجد المصلّى ورحابه (يعني مسجد الغمامة) وهو الآن يتأرجح بين الموت والحياة . وقصور العقيق : يقصد مجموعة قصور بين أمية التي كانت مقامة على ضفاف العقيق ، ومنها : قصر عاصم ، وقصر غروة ، وقصر خارجة ، وقصر ابن عون ، وقصر عنة ، وقصر مروان ابن الحكم وغيرها ، وقصور غيرهم أيضا من أهل المدينة .

لا تحسب المسك الذكي كترتها هيهات أين المسك من ربها!
 طابت فإن تبغ التطيب يا فتى فأدم على الساعات لثم ثراها
 وابشر ففي الخبر الصحيح مقرر أن الإله (بطيبة) سماها
 واختصها بالطيبين لطيبها واختارها ودعا إلى سكنها
 لا كالمدينة منزل، وكفى بها شرفاً حلول محمد بفناها!
 خصت بهجرة خير من وطئ الثرى وأجلهم قدراً وأعظم جاها
 كل البلاد إذا ذُكرن كأحرف في اسم المدينة لا خلت معناها
 حاشا مسمى القدس فهي قرية منها، ومكة إنها إياها
 لا فرق إلا أن ثم لطيفة مهما بدت يجلو الظلام سناها
 جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاز ذات المصطفى وحوها
 ونعم لقد صدقوا، بساكنها علت كالنفس حين زكت زكا مأواها
 وبهذه ظهرت مزية (طيبة) فغدت وكل الفضل في مغناها
 حتى لقد خُصت بروضة جنة الله شرفها بها وحبها
 مابين قبر للنبي ومنبر حياً الإله رسوله وسقاها
 أرض مشى جبريل في عرصاتها والله شرف ساحها وحماها
 هذي محاسنها فهل من عاشق كلف شجي، ناحل بنواها
 إني لأرهب من توقع بينها فيظل قلبي موجعاً أوأها
 ولقلما أبصرت حال مودع إلا رثت نفسي له وشجاها
 فلكم أراكم قافلين جماعة في إثر أخرى طالبين سواها
 قسماً لقد أكسى فؤادي بينكم جزعاً وفجر مقلتي مياها
 إن كان يزعجكم طلاب فضيلة فالخير أجمعه لدى مثواها

أَوْ خَفْتُمْ ضَرّاً بِهَا فَتَأْمَلُوا
أَفْ لِمَنْ يَبْغِي الْكَثِيرَ لَشَهْوَةٍ
فَالْعِيشَ مَا يَكْفِي وَلَيْسَ هُوَ الَّذِي
يَا رَبُّ أَسْأَلُ مِنْكَ فَضْلَ قَنَاعَةٍ
وَرِضَاكَ عَنِّي دَائِماً وَلِزُومَهَا
فَأَنَا الَّذِي أُعْطِيتَ نَفْسِي سَوْءَ لَهَا
بِجَوَارِ أَوْفَى الْعَالَمِينَ بِذِمَّةٍ
مَنْ جَاءَ بِالْآيَاتِ وَالنُّورِ الَّذِي
أَوْلَى الْأَنْامَ بِخُطَّةِ الشَّرَفِ الَّتِي
إِنْسَانُ عَيْنِ الْكُؤُنِ سَرَّ جُودَهُ
حَسْبِي فَلَسْتُ أَفِي بِبَعْضِ صِفَاتِهِ
كَثُرَتْ مُحَاسِنُهُ فَأَعْجَزَ حَصْرُهَا
إِنِّي اهْتَدَيْتُ مِنَ الْكِتَابِ بِآيَةٍ
وَرَأَيْتُ فَضْلَ الْعَالَمِينَ مُحَدِّداً
كَيْفَ السَّبِيلَ إِلَى تَقْصِي مَدْحٍ مِنْ
إِنْ الَّذِينَ يَبَايَعُونَكَ إِغْثَا
هَذَا الْفَخَارَ فَهَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِهِ
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا فَبِذَلِكَ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ غَيْرَ مَقِيدٍ
وَعَلَى الْأَكَابِرِ آلِهِ سِرْجُ الْهُدَى
وَكَذَا السَّلَامُ عَلَيْهِ ثُمَّ عَلَيْهِمْ

بَرَكَاتٍ بَقَعْتَهَا، فَمَا أَزْكَاهَا!
وَوَرَفَاهَةٍ لَمْ يَدْرُ مَا عَقْبَاهَا
يَطْغِي النُّفُوسَ، وَلَا خَسِيسَ مَنَاهَا
بِيسِيرِهَا، وَتَحْصُنَا بِحِمَاهَا!
حَتَّى تَوَافِي مَهْجَتِي أُخْرَاهَا
فَقَبِلْتَ دَعْوَاهَا فَيَا بَشْرَاهَا
أَعِزُّ، أَعَزُّ مَنْ بِالْقَرَبِ مِنْهُ يَبَاهِي
دَاوَى الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى فَشَفَاهَا
تَدْعَى الْوَسِيلَةَ خَيْرَ مَنْ يَعْطَاهَا
يَاسِينَ، إِكْسِيرَ الْمُحَامِدِ، طَه
لَوْ أَنَّ لِي عِدَدَ الْوَرَى أَفْوَاهَا
فَغَدْتُ وَمَا تَلَقَى لَهَا أَشْبَاهَا
فَعَلِمْتُ أَنَّ عِلَّاهُ لَيْسَ يَضَاهِي
وَفَضَائِلُ الْمُخْتَارِ لَا تَتَنَاهِي
قَالَ الْإِلَهِ لَهُ وَحَسْبُكَ جَاهَا!
- فِيمَا يَقُولُ - يَبَايَعُونَ اللَّهَ
وَاهَا لِنَشَاتِهِ الْكَرِيمَةِ وَاهَا
تَهْدِي النُّفُوسَ لِرُشْدِهَا وَغَنَاهَا
وَعَلَيْهِ مِنْ بَرَكَاتِهِ أَنْهَاهَا
أَكْرَمَ بَعْتَرْتَهُ وَمَنْ وَالَاهَا
وَعَلَى صَحَابَتِهِ الَّتِي زَكَّاهَا

أعني الكرام أولي النهى أصحابه فثة التقى ومن اهتدى بهذاها
والحمد لله الكريم وهذه نجزت وظنني أنه يرضاها
٤- وللشاعر: عبد الرحمن سليمان رقه، من مواليد المدينة المنورة عام ١٣٣١هـ، من ديوانه
(جداول وينايع)، قصيدة بعنوان: « قالوا فلان قد سلاك » .

أتراك ليلى قد نسيت لقاءنا في روضةٍ مخضلةٍ الأغصان
وليالياً مرت بنا في موكبٍ تغشاه منا فرحةُ الجذلان
والبدر يحدو سيرنا بضياؤه فنرى الوجود وجودنا في آن
ونرى السماء، فما نرى من كوكبٍ إلا كواكب صدرك الظمآن
فأمد كفي نحوه فتردها أنفاس صدرٍ ناهدٍ نشوان
عبثت به خمر الشباب ونشوةٌ قادت فسؤادي نحوه بعنان
كل الكؤوس شربتها لكنها من كف ذات تفيءٍ وحنان
وعلو شأن في الوجود، ومحتدٍ هيهات يبلغ شأوه ذو شان
قالوا فلان قد سلاك ، وما دروا أن السلو تنكُر الخلان
هيهات يسلو من أبى وجدانه وأبت عليه كرامة الإنسان
ذات الصيان وحرةٌ في خدرها عز الأباة على مدى الأزمان



ليلاي لا تدعي العذول يصدني فالعاذلون حبايل الشيطان
ليلاي لا تذري الوشاة تخيفني فلقد علمت مكانهم ومكاني
ليلاي إني قد عرفتكَ حرةً تأبين وصل ملطخ الأردن
فأنا أنا ذاك الذي عاصرتَه جلدُ الفؤاد ، وواثقُ بجناني

فلديّ منك كما لديك مودةٌ وعهودُ حُرٍّ صادق الإيمان
 تا الله ثم الله ليلى ما التوى جيدي لغيرك لحظةً في شان
 تا الله ليلى واليمين معظّم ما خنتُ عهدكٍ أو ربعت لشاني
 أو قلت قد هرم الزمان وأنت في وجه الزمان مثيرة الأحزان
 ليلاي لا يكبو الجواد بساقطٍ لم يغش يوماً ساحة الميدان
 كلا ولا تؤذي الرياحُ ثمامةً لم تستطع إبصارها عينان
 ليلاي ذكرى ما فقدت بخاطري هيهات يحوظلّها الملوان
 ليلاي إن ألوى الزمان عنانه وعدا عليك بمخلب وبنان
 فلسوف يلقي بالجران مصافحاً من لم تزل في حرمة وأمان
 من لم تزل ضرأتها من خلفها يمشين خلف قناعها المنصان
 صانته عن عبث الشباب وطيشه وأبست تكون مباءة الأدران



ليلاي يا كلّ الوجود، ومن لها يرنو الوجود بناظرٍ هتّان
 مازلت في وجه الزمان مضيئةً وعليك من نور السمانوران
 تهفو القلوب إذا ذُكرت لعاشقٍ أغراه منك تلطّف الوجدان
 أغراه تاريخُ كتبت حروفه بالنور، نور عقيدة الإيمان
 فلديك ألفيت الكرامة كلها ولديك عشت موطّد الأركان
 ولديك تأبى أن تطأطيء هامتي لمنافقٍ ومذبذب ومهان
 ليلاي عاصرت الزمان جميعه وشهدت فيه تقلب الحدثان
 وشهدت معركة الحياة قويةً وحملت فيها راية الإيمان

فخرجت ناصعة الجبين أبيةً لقنت كل مغامرٍ خوآن
ولبت درعاً كان عزمك صاغه ليكون درع وقاية وأمان
وصنعت للأجيال قادة أمة لم ينس فضل نضالها الملوان
أرضعتهم ثدي الأبا، فتمردوا لا يركعون لقوة الطغيان
قولي لمن نسي الجهاد ولم يزل تعميه عنك خبيثة الأضغان
انظر تجذني في الكتاب لكي ترى ما في الكتاب هدية الرحمان
انظر إلى القرآن واسأل صنوه ينبئك أني مآرز الإيمان
واستنشق الأرواح عند هبوبها يحلو الرواح براحة الأبدان
فلسوف تهديك الشذا من عطرها عطر العذارى باهظ الأثمان



أنا في سمائي كم بدا متألّقاً نور الأمين وحامل القرآن
أنا من أنا فلتسألوا تاريخكم سيقول: إني أكرم الأوطان
أنا واحدة في هُضْبها وجبالها هبط الأمين بأعظم التبيان
أنا جنة في خلدتها ورياضها وحلّ الحبيب بأكرم الأكفان
فضمته ضمّ الرؤوم وليدها وبه شرفت على مدى الأزمان
أنا منهلّ عذب الرّوى، متدفّق في شاطئيه تشقّف العُمران
وعلى ضفافني كم جثا من عالم يُروي غليل فؤاده الظمآن
ولربّ مقترف ذنوباً خالهاً قد أوقفته على شفا النيران
جاء الغداة لروضة في ظلّها رفع الأكفّ لساحة الديان
ومضى يناجي ربه متضرعاً بالدمع.. دمع المشغل الحيران

عادت به آماله موفورةً بالعفو عفو الواحد المنان



أنا من صنعت لذا الورى تاريخه وكتبته بفصاحةٍ وبيان
وملأتُ أسماع الدناقرآنه فانقادنحوندائه الرنآن
أنا من أقامت دولةً أركانها هذا الكتاب وسنةً العدناني
أنا من أقامت دولةً أركانها عدل يطير بذرة الميزان
وبنت بناءً شامخاً في ظله عاش الورى في غبطةٍ وأمان
أنا من طبعت على الزمان ببصمةٍ ستظل فوق جبينه عنواني
ونظمت عقد فضائل في جيده ونسجت حُلةً مجده ببناني
هذا صنيعي فاذكروه بقوةٍ للجيل جيل دعاية وأغاني
أنا من صنعت من الشباب جحافلاً نزلت بكسرى من سما الإيوان
وبقيصر الروم العظيم وجيشه في الشام بين مفاوز وجنان
فارتد يلحق من دماء جراحه خلف الحدود، محالفَ الأحزان
ينعي بلاداً لم يعد أبناؤها يمشون خلف مواكب الصلبان
ويعدل لأفق البعيد بطرفه فيرى السيوف على ذرى لبنان
ويرى الصواهل فوقها فرسانها كالأسد تزار زارة الحردان
تبغي الجهاد وفي الجهاد فخارها حيث الجهاد بصارم وسنان
وعزيمة لا تنثني في موقف فيه السيوف منابر الشجعان
يتخاطبون وليس ثمة غيرها لغة تذوب على شبا المران
أنا يا أهيلي لا أخال مناقبي يطغى عليها جائر النسيان

٥- وللشاعر: حسن مصطفى الصيرفي ، المولود في المدينة المنورة ، ١٣٣٦هـ، من ديوانه: دموع وكبرياء. قصيدة بعنوان: « أمجاد المدينة » .

وقف الناس ينظرون مناري كيف شُع الهدى على كل نجد
أنا دار الإيمان والمثل العد يا ورمز الخلود في كل مجد
أنا إن بدَّد الزمان شعاعي لن ترى النور هذه الأرض بعدي
أنا خير البقاع كرمني الله بخير الأنعام في خير لحد
أنا قابلته بأرحب صدر ثم أودعته حشاشة كبدي
أنا لا أملأ البلاد ضجيجاً خادعاً كالسراب ليس بمجد
أنا فيما مضى صنعت كثيراً وسيبني الجديد لا بدّ زندي
في رحابي ترعرع العلم طفلاً ومشى حارساً جحافل أسدي
دوخوا قيصرًا وطاحوا بكسرى ومضوا يتبعون هنداً بسند
لم ترعهم جيوش (لذريق) لما جاوزوا البحر في طلائع جرد
ومضى (طارق) ببعض ألوف يتحدّى بعزمهم أي عد
سهم (موسى) ويا لهمة (موسى) أنا أرضعتها بالبان نهدي
في (سويسرا) له مآثر فتح (وفرنسا) وسهلها الممتد
ذاك لو لم يذده أمر مطاع ما توانى في فتحه دون قصد
الأثير الذي به يتباهو ن لقد كان لي كأطوع عبد
وجيوش السماء يوم (حنين) نصرت معشري بأكرم جند
والأعاصير والرياح (بسّلع) مزّقت شمل قاصدي بالتعدي
أنا هذا الذي ذكرتُ، فمن ذا يرفع الرأس بعد هذا التحدي؟

إن يكن عَقْنِي البنون فإني لا أبالي وقد وفيت بوعدِي
أو أكن حطَّم البغاةُ جناحي جبر الكسر بعد ذا (صقر نجد)
لم يزل يصنع الكثير إلى أن عاد نبع الحياة في سفح (أُخذ)
فإذا بالشباب يسعى حثيثاً مبعداً عن حنان أمٍّ وجَدٍّ
ينهل العلم حيث كان ليأتي ذات يوم به يجدد بُرْدِي
سدّد الله للصواب خطاه إنه يسمع الدعاء ويهدي

٦- وللشاعر : محمد هاشم رشيد ، قصيدة بعنوان : « الحسناء الموعودة » . يقول فيها :

وعدوها
وهي في فجر صباها
بينابيع العطور
تتلاقى حول إيقاع خطاها
بابتسامات الزهور
نبض حبٍّ وحنين في رباها
بغدٍ تهفو للقياء العصور
في ثراها
وهو أشواقٌ، وأحلامٌ، ونور



وعدوها
وعدو أحلى صبيّة

بالكنوز العسجدية
بالينابيع السخية
بمواعيد اخضرارٍ ... أبدية
تلتقي الدنيا على أفيائها
وتُغني الشمس في أضوائها
وعلى آفاقها يشدو القمر
وهو حبٌ ، وابتسامٌ ، وخضر



وعدوها ...
وعدوها بمقاصير النجوم
في مداها الأرحب
وتسابع الدوالي والكروم
في ثراها الطيب
وصلاة النخل في كل مكان
حيث تلتف الجنان
أذرعاً ... تمتد في كل اتجاه
هي نجوى ، وابتهاجٌ ، وصلاه



وعدوها ...
وعدوا أحلى حبيبة

وهي في فجر صباها
بالنطاق الأخضر الرفاف ، بالسوح القشبية
تتغني في حماها
بالعصافير... بشلالات نور
في مغانيها... تدور
بأباريق الضياء
وهي سحر، وأزدهاء، وانتشاء



وعدوها...
وعدوا (طيبة) بالعهد البهيج
بالعشيات الوضاء
بالليالي البيض في حضن الأريج
بأساطير اللقاء
وبأحفاد كأسياف القضاء



وعدوها بسنى الفجر الأنيق
حول شطآن العقيق
بترانيم السماء
في العوالي . وقباء
وبسوح الشهداء

ومشت في موكب التاريخ تهفو للصباح
من رأى في مقلب الليل حمامة
حطموا منها الجناح
فاشرأبت... ترقب الفجر بروح مستهامة !



من رآها... والقرون
تتخطاها... وتمضي
وبعفניה سنى الصبح الحنون
يتراءى دون ومض ؟!
من رآها ، وهي في مأساتها
منذ أجيال ، وأجيال بعيدة... ؟
عاش مثلي في سنى هالاتها
وهي تزهو بمغانيتها الجديدة



وتخطتها قرون... وقرون
لا الدجى أغفى ، ولا الفجر استفاق
قبل أن يشرق من خلف الدجون
والليالي السود ، ومض الانطلاق !



وأطلت.. ترقب الفارس من خلف الدموع
وهي ، شوق ، وحنين ، ونزوع

عرفته .. هو من أولادها
وبنوه الصيد من أحفادها
والجنود السمر من أجنادها
وعلى الرايات .. رايات الفخار
دعوة الحق .. تعالت كالنهار
تنشر الخير على كل الديار ..
هللت (طيبة) من أعماقها
بأبي الفرسان، وابن الفارس
ومشت والبشر في أحداقها
فوق أشلاء الظلام الدامس



مزقت عنها دياجير الظلام
ويدها في يدي (عبد العزيز)
وغدا الإسلام في ظل الإمام
وهو في حرز من المولى ... حريز



عرفت طعم الأمان
والعشيات النديّة
وابتسامات الزمان
في الليالي القمرية
والكنوز العسجدية

والينابيع السخية
والنطاق الأخضر الرفاف والسوح القشبية
والثريات على كل الدروب
مثل حبات القلوب
كعقود اللؤلؤ المنضود في جيد الحببة



وعدوها
بصروح العلم ينهل الضياء
من كواها
رحمة تمحو دياجير الشقاء
حيث تاها
منطق الفكر، ودعوى الفلسفة
فإذا العلم ضلال، وسفه
وإذا الإنسان منبوذ، شريد
ضائع، يبحث عن أفق جديد
وهنا الأفق الذي يهدي الحيارى
ويحيل الغيب الداجي .. نهراً



وعدوها...
وعدوها بانطلاقات الغد

في ظلال المسجد
حيث ينداح وتنداح المدينة
الرحاب الطُّهر.. والسوح الأمانة
والأغاريد النديّات بشطآن السكينة
والهتاف الأخضر السَّمح بأعماق المآذن
سكبت أصداءه... « أمُّ المدائن »
ورؤى في ظلها يغفو الخيال
مستهماً.. يتصباه الجلال
وهو يجثو في فراديس الجمال
عاد للإسلام في أرجائها
صوته عذب الرواء
واستظلّ العلم في أفيائها
واستعزّ العلماء
وتغنى الشعر فيها وتباهى الشعراء
وتلاقى من جديد في حماها
كل ما قد عرفته في صباها
من ينباع الهدى والمكرمات
وشآبيب الغواصي المغدقات
وغدت في مفرق الشمس منارة
تزدهي الأقداس فيها والحضارة

إنها (طيبة) والكفُ الخصيبة
والحبيب (الفهد) والأم الحبيبة
حقق الفهد لها ما ترتجيه
ومضى يحنو عليها .. كأبيه
ورعاها .. فحباها .. بأخيه
فازدهت في فرحة اللقيا وغنت من جديد
ويداها في يدي .. عبد المجيد



فعلى المختار أركى الصلوات
رحمة تغمر كل الكائنات
بالرضا والصفح من ماضٍ وآتٍ

٧- وللشاعر: د. محمد العيد الخطراوي قصيدة بعنوان: قبلات مدينية.

مسرح القلب (طيبة) وهواه وسواها مفاوِزُ وطلول
تمرح العين في غلائلها الخضر، ويصبو لوجهها التأويل
وتعيش الأحلام عبر هواها قبساتٍ يزكو بهن الغلول
فعلى صدرها تطيب الأماني وعلى زندها يلذُّ الذلول
وأنا في تائم الحب أحيا ما اشتفى خاطري العيي العليل
هائم زُداه التوجُّس والشوْق، يحث ركابه التأميل
كل يوم يزدداد حبي فيها وفؤادي عن حبها لا يحول

كم تمنيت أن أكون تراباً في ثراها، أو صخرة لا تزول
 تربها عنبر، ومسك فتيت وأوت المصطفى، وألقت إليه
 ثم ضمته للحشا، وطوته من يديه استقت، فعمّ نداها
 وعلى ثغرها تبسّم ذاك مجد لا تدّعيه بلاد
 كل شبر من أرضها يتغنّى فكثير لغيرها أي شيء
 في حماها ترعرع المجد طفلاً وابتنى العزب بيته، فذراه
 فعليها من عزمهم قسما وبها أشرقت شمس المعالي
 هي دار الأيمان، وهي صباه لتكاد الأمجاد فيها تنادى
 فهنا ظل آية وحديث وسنى غزوة تؤوب منها
 وكأنني بالصحب خلف رسول الله وكأنني بجند ربك ترى
 وكأنني وماتفيد كأنني في ثراها، أو صخرة لا تزول
 ما ج فيه التكبير والتهليل بمقاليدها، فعز المثل
 بين أضلاعها، فنعم الخليل وبأنواره استمر الهطول
 عبر آفاقه استبان السبيل وفخار أثنى به التنزيل
 وقليل لتربها التقبيل ببقايا من ذكريات تطول
 وتوالى على ثراها الصهيل من بنيتها، وسيفه التنويل
 تتلاقى على صداها الفصول لم يشبها من بعدهن أفول
 وهي تاريخه الجميل الخليل لك، ويزهو على خطاك الخميل
 ومصلّى يرجى لديه القبول حمحمات تضج منها الخيول
 به يمضون أين يمضي الرسول تدفع الخيل للوغى، وتصول
 والهوى لا هبّ بصدري يجول

فاكتبيني قصيدةً فيك تُتلى ونشيداً تحار فيه العقول
وأعذريني إذا صدعت بحبي فأنا العاشق المحب البتول

٨ وللشاعر السيد علي حافظ قصيدة في الحنين إلى طيبة، وهي:

سقاك الله يا تلك المغاني بطيبتنا فما أحلى رباها
وباكرها النسيم بكل عطر يفوح شذى وينمو في ثراها
فما أحلى المقيّل بسفح سلع وفي وادي العقيق وفي قراها
وفي وادي قناة لنا رفاقٌ كزهر الروض بلّله نداها
وما تلك العيون سوى عيون بها تجري بنفسي في فضاها
وكم لي بالمناخة من لقاء تألق بالأحبة في سماها
ولي في الساحة الحمرا حديثٌ طريفٌ باسمٍ عبر الشفاها
خذوني للعوالي ثم عوجوا لقربان وما أثهى قباها
فيا شوقي لطيبة كل شبرٍ يضيء بها ويرفل في سناها
ويا شوقي لطيبة كل نفسٍ تودلوانها نالت رضاها
ويا شوقي لطيبة كل قلبٍ يطير لها ويخفق في لقائها
ويا شوقي لطيبة كل شخصٍ يحنُّ لها ويحرص أن يراها
ويا شوقي لطيبة زمّلوني بتربتها لأنعم في حشاها
دعوني ألثم التراب احتراماً لما في التراب من طهر تناهى
أحن إلى المدينة إن فيها محمد بالهدى والدين باهى
نبيُّ شق للإسلام نهجاً وعبدٌ وأحكمه اتجاها
ودكٌ معاقل الأصنام دكاً ودمرها ودمّر من بناها

وأعلى راية التوحيد حقاً وثبتها وثبتت من رعاها

٩- وللشاعر: الدكتور بهاء بن حسين عزي ، من ديوانه «عاشق من جبال السروات» قصيدة بعنوان «أول حب في المدينة» .

عجبت لشوقي لا يرقُّ لحالي وإن رقَّ يوماً يستجمُّ لتالي
ينابيعه قلبي الذي اشتد خفقه لأول حب واكتفى بمنال
تعلّقها حوراء يزدان طرفها بما شاء الخلاق خير جمال
حبيبة أهل لا تداني معزّة لديّ، ولا تُقلّي بأية حال
إذا حان لي وصل تجلّت بحسنها فأدنو أناجيها لأجل نوال
وإن عزّ منها الوصل من فرط بُعدها يقربها طيفاً بديعُ خيالي
وشيمة أهل الحب صبرٌ على الجوى سواء لوصل عزّ أو لدلال
ويا صاح لا تحسبني همتُ فيها من الجوى بهيفاء في ثوب يروق لخال
ولكنّ بي شوقاً عظيماً لبقة تفوق بحب الربّ أي مثال
إذا كان ربُّ يصطفّيها لمصطفى فأني مقال بعد ذاك لقال
على عرشها فذّ عميدٌ لأهلها سلام على فذّ ثوى بكمال
وأل لهم ود وصحب أجلة تساموا بتقواهم وطول نضال
تتبه بها الأملاك تاجاً للملكها وترنولها الدنيا بكل جلال
إذا جثت تجلو ما أفاضت على الدنا رأيت فيوضاً كنّ ضرب محال
يشع سناها ملهماً كل ذي حجى يروم ذرى الدنيا وخير مأل
لها صنوة كبرى تسامت بكعبة معظّمة .. تجتّب كل ضلال
تشاركها التنزيل والوحي والهدى وكلتاها في القلب حيث فضال

(وطيبة) أُمِّي قد ولدت بحضنها
سقيت على تحنانها كل حبها
فكنت بصحبي سائلاً عن فراقنا
فأمضيت من عمري السنين بغربة
فيا أم ، إن عشنا زماناً بفرقة
لحبك يجري ملهماً في حشاشتي
أواليك في سعد الليالي وهمها
وإني لأرجو الله عمراً يمهده

ومن أمه أُمِّي يتيه بآل
لست سنين ثم جاء فصالي
وحتى منامي لا يجاب سؤالي
وما كنت أسلوها ولست بسالي
فذاك زمان أذن بزوال
وقلبي وأفكاري وجد فعالي
وكل محب تلهمين يوالي
وأقضيك حقاً عز فيه مقالتي

١٠- وللشاعر: عمر محمد كردي، من ديوانه «محبوتي» ص ١٥-٦٥، قصيدة بعنوان «محبوتي» .

طال الحنين فعانقي مضناك
طال الحنين فداعبي وجدانه
طال الحنين فذكّريه وذكّري
هذا «محمد» قد أتاك مهاجراً
ووهبته الحب الكبير وصافحت
وأويته ونذرت كل كريمة
وعرفت نور الحق في تبيانه
وتتابعت صور الحياة بخاطري
فذكرت مسجدك العظيم وقبلتي
وذكرت «جدي» داعياً ومصلياً

وخذيته مشتاقاً إلى مغناك
فلعل ما أشجاء قد أشجأك
أهليك ما جادت به يمينك
فنصرته وفرشت طيب ثراك
قدماه في تطوافها مسراك
لوصاله فتبسّمت دنياك
وجعلت حسن خصاله سيماك
«والذكريات صدق السنين الحاكي»
وتنافس الخطباء في نجواك
بل قاضياً مترعباً بفنائك

وذكرت داري والصحاب أجبتي
 صورُ تراءت كالخيال تطوف بي
 وأعيش في ماضي الزمان وحاضري
 وأقول يا ليت الزمان يعود بي
 بل ليتني قد عدت أرض «مناختي»^(١)
 فأرى ربعمك زاهراً في فجره
 وأرى هناك على المدى «عينيتي»^(٢)
 وقباء لاحت روضة جناتها
 وأرى العيون الجاريات مناهلاً
 ويلوح من حولي «العقيق» مباركاً
 هذي رباك تناثرت مجلوةً
 وأجول في دنياك صباً هائماً
 «أحد» تراءى عبرة وحديثه
 وهناك «سلع» تزدهي في سفعه
 إني أراك اليوم أجمل ما أرى
 كم مرَّ عهدٌ كنت في أحضانه
 واليوم أنت كما بدوت قريرة
 وعليك من ثوب الفخار مزية
 رسمت على الأفق الفسيح تحية
 والإخوة الأبرار من أبنائك
 فأضمها وتضمني أرجاك
 فتظلني بجمالها أفيك
 طفلاً يروض الإبل في مرعاك!
 أرنسو إلى دنياك من شبابي
 وأراك أنت بحسبك الفتاك
 في سوقها تزهو بمن وافاك
 وزهورها تهمني بعطر زاكبي
 للخير ما شحت تزيد غناك
 يمتد منبسطاً إلى أقصاك
 يا طيب أيام زهت برباك
 فأرى الجبال تطل من أعلاك
 يبقى على الأيام في ذكراك
 ذكرى أبي بكر وقد ناجاك
 فأقول «يا عذراء» ما أحلاك
 ثكلى وحولك ألف قلب باكي
 بالعيش ما فاز الذي باراك
 تومي إليك وضيئةً ببهاك
 تزجي لمن بالحب قد هاداك

(١) المناخة : هي مناخة الإبل ، ويمثل غالبيتها النفق الحالي .

(٢) شارع العينية : كان أوسع شارع في المدينة ، واصلاً بين المناخة وباب السلام .

«عبد العزيز» وقد أتاكَ بركبه
وتتابعت فيك المفاخر تزدهي
حتى أتى «فهد» فكانت طلَّة
أرسي بها نهجاً ، وعمرٌ مسجداً
فتجمَّلت فيك الرؤى وتزيَّنت
وغدت منائرُك العظام شواهداً
هذي دناكَ فحدثني «محبوتي»^(١)
«عبد المجيد» أمير كل كرمة
فخذي يديه إلى يديك فإنه
وامضي به حيث الذرى يا روضتي
يا طيبتى لولاك ما كان الجوى
أنت الحبية باسمها وبروحها
أنت التي كانت وتبقى بيننا
ولأنت أرض الله بيت رسوله

فتألقت مزهوة عيناك
ببنيه فازدانت بها دنياك
لليمن حياها جميل سنالك
وأشاد صرحاً شامخاً لعلاك
وتطاول العمران في أنحاك
من مثلها بجماله باهاك؟
عمَّن أطل مفاخرأ بدنالك
للعزِّ والمجد الرفيع دعاك
ما خاب من مست يديه يداك
من للذرى بسموقها إلّاك
بل ما عرفت طريقه لولاك
للحب حسُّ صاغه معنالك
دار الرسالة روضة النسّاك
بوركت أنت وبوركت أسماك!

١١- وللشاعر: عبد المحسن بن حليت مسلم قصيدة بعنوان: «سيدة الدنيا»

كفكفتَ عن خدي الدمع الذي انهملا
وعدت من خلف أناتي تدلّني
لكم سهرت على جرحي تضمّده
بكيت قلبك أعواماً.. ولا أحد

ورحتَ تلقى عليه الشوق والقبلا
وسرتَ تزرع في أعماقي الأملا
وكم عرضت عليّ الدرّ والحلّلا
بكى عليّ ولا عن أدمعي سألا

(١) المحبوبة : من أسماء المدينة المنورة .

والحسن زار شقيقتي وأغفلني
وما شكوت إلى من سوف ينصفني
فكم فرحت به لما تقلدني
وجئت أنت فولى الحزن منهزماً
الحب قادك نحوي.. جئت تتبعه
أنا المدينة من في الكون يجهلني؟
تتلمذ المجد طفلاً عند مدرستي
فتحت قلبي لخير الخلق قاطبة
وصرت سيّدة الدنيا به شرفاً
ومسجدي كان.. بل مازال أمانة
فكل مغترب داويت غربته
وفي هواي ملايين تنام على
تنافسوا في غرامي.. أرسلو كتباً
أنا المنورة الفيحاء ذا نسبي
ها أنت ما بين عشاقني تقبلني
صرت الأمين على حسني وصرت يداً
فكن على فقرائي رحمة.. فلقد
وكن رفيقاً إذا عاقبت مذنبهم
وابطش بكل يد تمتد عابثة
كفكفت دمعي فخذ قلبي.. لقد سألوا
ما مريوماً على بابي ولا نزلاً
ولا شكوت الذي من أضلعي أكلاً
وكم دعوت عليه عندما «عزلاً»
وكان فيّ يسمّى فارساً بطلاً
وحين أسقيتني من كأسه رحلاً
ومن تُراه درى عني وما شغلاً؟!
حتى تخرج فيها عالماً رجلاً
فلم يفارقه يوماً منذ أن دخلاً
واسمي لكل حدود الأرض قد وصلاً
تجبو إليها قلوبٌ ضلّت السبلاً
مسحت دمعته.. حولتها جذلاً
ذكرني.. وتصحو على طيفي إذا ارتحلاً
وأنفقوا عندها الركبان والرسلاً
إذا البدور رأتنني أطرقت خجلاً!
تطارد الهم في عيني والمَلَلَا
ترش مائي على وردي إذا ذبلاً
أمست ديارهمو من بؤسها طللاً
بعض العقاب إذا ضاعفته قتلاً
وابعث بحزمك في أعصابها الشللاً
عنه فقلت: لقد أعطيته رجلاً!

١٢- وللشاعر: بشير سالم الصاعدي، قصيدة بعنوان: «قبلات على جبين طيبة»:

يا طيبة الفيحاء أنت مدينتي ومدينة الإطراء حين أقول
أنت الجفون لمقلتي حبيبتني من ذا يباعد بيننا ويحول؟
أولم تري يوم الرحيل تباطؤي عند الذهاب وفي الإياب عجل؟
يا أرض أحبائي ومهد طفولتي مهما نأى قلبي إليك يؤول
يا أقدس الأقطار حبك مورق في خافقي لا يعتريه ذبول
يا غرس حب في الصدر ترعرعي فلك القلوب المؤمنات حقول
يا مأرز الإيمان حسبك رفعة حين اصطفى فيك المقام رسول
شُرِّفت حين أتى إليك مهاجراً وأتاه فوق ترابك التنزيل
قدسية النفحات جئتك شاكياً فالقلب بعدك للهموم مقل
يغتالني همي ويمطر أدمعي وعلى ثراك النائبات تزول
حين التقينا يا حبيبة مهجتي أحسست أنني في السما محمول
وأغرورقت عينا من فرط الهوى فالدمع سيل والحدود مسيل
قبَّلت أرضك في اشتياق مقيم حتى شكا من لهفتي التقبيل
أطوي دروب العشق ما أن تنتهي إلا ويبدو في هواك سبيل
حبي لك الشمس التي إشراقها للعاشقين على الدروب دليل
أنا في هواك وجدت فيض سعادتي والصب مكلوم براه نحول
أرسلت إنشادي يبلغك الهوى لكن شعري عاد وهو خجول
هلا عذرت فإن وصف مشاعري هم على قلب البيان ثقل
لا تسألني عن حيرتي فقصائدي ما عندها لتلعثمي تعليل

ما كان شعري لوبغيرك عادة أنا مولع لو تعلمين هزيل
أصف الجمال فيستدقُّ جليلُهُ وأدقُّ حسنٍ فيك أنت جليل
يا آية في الحسن إن شفاها في مدح حسنك خانها الترتيل
أمضيت أعواماً أغني للهوى فإذا الغناء لما سواك عويل
حسنا عذب الشعر إن ناديته يعنو إليك الشعر وهو ذليل
المجد يخجل من شموخك فاهنئي وعظيم مدحي في علاك ضئيل
يا درة الدنيا ومفرق هامها لعلاك عزَّ على النجوم وصول
تقطع الأنفاس دون بلوغه ويضيع ممن يحلم المأمول
سارت بإثرك أنجمٌ فتعشرت والغيط في مقل النجوم يجول
جاوزت يا شمس البسيطة شمسنا أفلتْ ، ونورك ما طواه أقول
أدمى فؤاد الشمس حسنك غيرة وعلى محيا البدر منك ذهول



يا ربة الحسن الذي لا ينتهي الحسن بعدك في الحسان طلوع
تبقين ما بقي الوجود مدينتي تهفو إليك خوافق وعقول
أنا عند هذا الحد عذراً ينتهي شعري ودرب الأمنيات طويل

١٣- وللشاعر خالد النعمان قصيدة بعنوان (من تلکم الحسنا..؟):

من تلکم الحسنا ترفل في الذرى أسرت ذوي الألباب من بين الورى
سكنت قلوب العاشقين صبايةً من ذا تراها تلکم ؟ من ذا ترى ؟
في وصلها هجر الكثير ديارهم بخسوا النفيس لأجلها والجوهر

ورضوا بمسجد أحمد وترابها أرأيت حبا مثل ذا متجذراً؟
 نافت على كل المدائن رفعةً مذ حلّ فيها خير من وطئ الثرى
 قد شرفت بقدومه ، ورسالة ومضى لها فخرٌ على كل القرى
 حيث الحبيب ثوى بقية عمره فيها ، وضمّ بحضنها تحت الثرى
 هذي حروف بداية من سفرها والسفر أعظم أن يحيط به الورى
 أو بعد هذا قد أعيد تماؤلاً ؟ من تلکم الحسنة ترفل في الذرى ؟

١٤- وللشاعر مجدي نصر خاشقجي قصيدة بعنوان «المدينة المنورة»:

شوقي إلى بلد الرسول كبير والشوق يبعثه النوى فيثور
 من لي إلى ملء العيون بطيبة قلبي بلا جنح يكاد يطير
 أين الجبال الشامخات بنورها أين الخيام وأين أين العير ؟
 أين النخيل الباسقات بعزّها أين المنار وأين ذاك النور؟
 فالقبة الخضراء يعلو نورها فيضاء منها سهلها والدور
 والروضة الغراء فاح أريجها ينبيك عن عطر الرياض عبير
 والوحي ما بين الستور مجلجلّ والهدي والتنزيل والتنوير
 جلّ المكان وجلّ من أهدى الورى نوراً وهدياً للأنام ينير
 والخصوة الحمراء شاهد عزة حتى حمام الأيك جاء يزور
 الله أكبر يا مدينة أحمد بك طول عمري إنني لفخور
 قد طفت في شرق البلاد وغربها ما للمدينة في البلاد نظير
 لا لن يطيب لي المقام بغيرها مهما تلاقى السير والتيسير
 يا سيد الرسل الكرام تحية يرجى بها عند الصراط عبور

في موقف الخشر العظيم نبينا هولاء البرية شافع ومجير
اشفع تشفع يا محمد قالها رب كريم بالعباد غفور
ولم يقف الحب بالشعراء من أبنائها عند التيمن باسمها وجعلها عنواناً لهذه القصيدة أو تلك،
بل يظننى هذا الحب على مشاعرهم ، ويملك عليهم نفوسهم فيصرخون مع الشاعر:
أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدننا

ومن هنا أطلقوا اسم المدينة على بعض مجموعاتهم الشعرية ، فهذا علي حافظ يسمي ديوانه
(نفحات من طيبة) ، وكذلك فعل الشاعر السفير عمر كردي ، حيث سمي أحد دواوينه
(محبوتي) ، وهو يعني المدينة ، إذ إن من أسمائها (المحوبة) ، وسمى الخطراوي ديوانه الأخير
(على أعتاب المحبوبة) ، كما سمي الشاعر الصفراني أول ديوان له (المدينة) ، وكتب الشاعر
خالد نعمان منظومة في تاريخ المدينة أربت على الألف بيت .

أما العامة من أبنائها فقد عبروا عن حبهم بطرق شتى ، لعل من أهمها تسمية مؤسساتهم
التجارية والتعليمية والاجتماعية وغيرها بأسمائها المختلفة كطيبة والمحبوبة ، ودار الهجرة ، ودار
الإيمان ، والمدينة ، وربما سموا ببعض أجزائها كأحد وقياء والعوالي والعقيق وغيرها .

وسمى القاص حسين علي حسين إحدى مجموعاتهم (رائحة المدينة) ، وقبل ذلك كله سمى
آل حافظ الجريدة التي أنشأوها : (المدينة المنورة) ، وذلك سنة ١٣٥٦هـ .

وعلم المسؤولون صدق نيات هذه الفئة من الشباب والكهول من أعضاء الأسرة ، ومنهم مدير
التعليم ، والمدرسون والمربون والمشفرون على المطبوعات بوزارة الإعلام ، فغضوا النظر عنها ،
وعملت الأسرة دون ترخيص ، فكانوا بحمد الله ، كفاء ثقة المسؤولين وثقة القراء والمواطنين ،
فتخرج فيها شباب أمثال علي حسون ، وحسين علي حسين ، وحسين شقراني . بمن احتكوا
بها من قريب أو بعيد ، ومن أمثال عبدالمؤمن نعمان ، وخالد نعمان ، وفؤاد تراز ، وسعود الحجام ،
وسعود قطان .

وما إن حل عام ١٣٩٥هـ ، حتى أصبحت - وقد شئت عن الطوق - حديث القاصي والداني ،
وفي ردهات المؤتمر الأول للأدباء السعوديين كانت الأحاديث حول الأسرة تطول وتطول ، والغيرة
تدب إلى صدور الزملاء في كل مدينة من مدن المملكة ، والسؤال دائما كان : لماذا لا يكون لنا
نحن أيضا جمعية أدبية ؟ ثم جاء الجواب من أمير الشباب آنذاك صاحب السمو الملكي الأمير

فيصل بن فهد بن عبد العزيز رحمه الله: لماذا لا تحيي الرئاسة العامة لرعاية الشباب (سوق عكاظ) لتنطلق منه الرئاسة إلى خدمة الأدب والثقافة، وهكذا تم عقد الاجتماع لهذا الغرض بمجموعة من كبار الأدباء، حيث تمخض الاجتماع عن فكرة تأسيس الأندية الأدبية، فكان على الأسرة أن تسلم الراية إلى نادي المدينة المنورة الأدبي، الذي تم الإذن بتأسيسه إلى ستة أشخاص، يتولون أمره، ويديرون شؤونه، واعتبرهم الإذن الرئاسي الأعضاء المؤسسين للنادي على أن يكون مجلس الإدارة منهم، أقول هذا لمعشر حاولوا أن يقحموا بغير علم أشخاصا آخرين ليسوا في العير ولا في النفير، ولفتة أخرى تصر على لباس نفسها ثوب شرف التأسيس، وما هم في ذلك من شيء، وليرجع من أراد إلى كتاب (مسيرة النادي في ١٢ عاما) وسيجد صورة البرقية الفاصلة، وللأهمية أذكر أسماء الأشخاص الستة وهم:

١- عبد العزيز الربيع .

٢- حسن مصطفى صيرفي .

٣- محمد هاشم رشيد .

٤- عبد الرحمن الشبل .

٥- عبد الرحيم أبو بكر .

٦- محمد العيد الخطراوي .

وفتح النادي بعد ذلك باب العضويات المختلفة حسب اللوائح للراغبين (عضو منتسب - عضو عامل - عضو متعاون - عضو للجنة الفلانية - وهكذا) فدخل الناس في هذه العضويات زرافات ووحدانا .

ونظرا لمكانة الأستاذ عبد العزيز الربيع الإدارية، فقد اختارناه رئيسا للمجموعة، واختير الأستاذ حسن الصيرفي وهو أكبر المجموعة سنا: نائبا للرئيس.

ورأى هذا المجلس الإداري المؤسس أن ينتدب بعض العاملين في التعليم، وأسند إليهم القيام ببعض الشؤون الإدارية، وحرص أن يكونوا من ذوي الخبرة، كان أهمهم الأستاذ ناجي الأنصاري، والأستاذ فوزان الحجيلي، والأستاذ محمد الجبالي.

ولا ننسى في هذا الصدد جهود بعض الصحفيين الشباب الذين كان لهم نشاط ملحوظ في أواخر عهد أسرة الوادي المبارك وأوائل أيام نادي المدينة المنورة الأدبي وهم محمد صالح البليهني وفلاح الجهني ومالك درار.

اسم الأسرة

اسمها **بَنِي الْوَادِي الْمُبَارَكِ** ، فما هذا الوادي المبارك ؟ وكيف حلت البركة فيه ؟ .

• إنه وادي العقيق ، وفي الجزيرة العربية سبعة أعقَّة ، هي في أصل اللغة أودية عالية شقتها السيول ، كما ذكر الفيروزبادي في (المغام المطابة) .

قلت : لكن أشهرها عقيق المدينة ، وهو الذي ينصرف إليه الذهن عند الإطلاق ، وكذلك اشتهر في العصر الحديث عقيق منطقة الباحة ، وبه يقع مطارها في مدينة تحمل نفس الاسم ، فإذا سمعت الفنان محمد علي سندي يغني :

على العقيق اجتمعنا نحن وسود العيون

فاعلم أنه إنما يريد عقيق المدينة المنورة .

وينقسم عقيق المدينة إلى أعقَّة :

- ١- العقيق الأصغر : وهو الذي عُقَّ عن الحرة ، أي قطع ، وفيه تقع بئر رومة .
- ٢- العقيق الكبير : وفيه بئر عروة ، وهو في عمومه واقع بين الحرة والجماء .
- ٣- العقيق الأكبر : وفيه أيضا بئر تاريخية ، وهو من بلاد مزينة ، أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المزني ، ثم أقطعه عمر بن الخطاب الناس .
- ٤- العقيق (الوادي المبارك) : وهو الذي ببطن ذي الحليفة .

• وقد قيلت في عقيق المدينة أشعار كثيرة ، ورويت عنه أخبار غزيرة ، وخصه المتقدمون بمؤلفات مفردة ، منها :

- ١- أخبار العقيق للزبير بن بكار ، ذكره محمود شاكر في المفقودات .
- ٢- العقيق ، لأبي علي هارون بن زكريا الهجري .
- ٣- كما خصه السمهودي في تاريخه عن المدينة بفصول .

وفي العصر الحديث ألف فيه الأستاذ محمد حسن شرّاب كتاباً بعنوان (أخبار الوادي المبارك) قدّم له ونشره الدكتور محمد العيد الخطراوي في سلسلة دراساته عن المدينة المنورة .

وفي دنيا الشعر صدر لشعراء المدينة في العصر الحديث :

١- (على ضفاف العقيق) للشاعر الراحل محمد هاشم رشيد .

٢- (ليالي العقيق) للشاعر الراحل محمد هاشم رشيد .

٣- (ثرثرة على ضفاف العقيق) للشاعر محمد العيد الخطراوي .

• وما قيل في العقيق من أشعار قول الشاعر عبد السلام بن يوسف بن محمد الجماهيري،

الدمشقي، البغدادي (المغانم المطابة):

على ساكني أرض العقيق سلام وإن أسهروني بالفراق ، وناموا
حظرتهم عليّ النوم وهو محلّلٌ وحلّلتُم التعذيب، وهو حرام
إذا بنتُم عن (حاجرٍ) وحَجَرْتُم على السمع أن يدنوا إليه سلام
فلا ميّلت ریحُ الصبا فرعَ بانه ولا سجت فوق الغصون حمام
ولا قهقهت فيه الرعود ، ولا بكى على حافتيه، بالعشيّ غمام
فمالي، ومالالربع قد بان أهله وقد قوّضت من ساكنيه خيام
ألا ليت شعري، هل إلى الرمل عودة وهل لي بتلك البانتين لمّام ؟
وهل نهلة من (بئر عروة) عذبةٌ أداوي بها قلباً براه أوام ؟
ألا يا حمامات الأراك إليكم فمالي في تغريدكنّ مرام ؟
فوجدي وشوقي، مسعدٌ ومؤانسٌ ونوّحي ودمعي ، مطربٌ ومُدام
وقال شاعر آخر :

إني مررت على (العقيق) وأهله يشكون من مطر الربيع نزورا
ما ضرّكم إن كان (جعفر) جاركم أن لا يكون عقيقكم معطورا

وقال سعيد بن سليمان المساحقي يتشوق إلى العقيق ، وهو ببغداد ، ويذكر غلاما اسمه زاهر ، ابتلي بمحدثه :

أرى (زاهرا) لما رأي مسهدا وأن ليس لي من أهل بغداد زائر
أقام يعاطيني الحديث، وإننا لمختلفان، حين تبلى السرائر
يحدثني مما يجمع عقله أحاديث منها مستقيم وجائر
وما كنت أخشى أن أراني ناظراً يعللني بعد الأحبة (زاهر)
وبعد (المصلّى) و(العقيق) وأهله وبعد (البلاط) حيث يحلو التزاور
إذا أعشبت قرياته، وتزينت (عراص) بها نبت أنيق وزاهر
وغنى بها الذبان تقرو نباتها كما واقعت أيدي القيان المزاهر

• والعراص : جمع عَرَصَة ، وهي في الأصل كل حومة متسعة ليس فيها بناء ، سميت بذلك لاعتراض الصبيان فيها ، أي لعبهم فيها ، ومنها باحة الدار .

وفي العقيق عرستان رئيسان ، قالوا : هي من أفضل بقاع المدينة ، وأكرم نواحيها ، وأنزه أصقاعها ، وقد استغرقتها الآن المباني الضخمة والعناصر الشاهقة ، والدارات المزدانة بالحدائق الوافرة .

وفي عرصة العقيق الكبرى كان يقع قصر سعيد بن العاص أحد أمراء المدينة في بدايات العصر الأموي ، وكانت في العرصتين أيضا قصور أخرى مشيدة ، ومناظر رائعة ، وأبار عذبة — كما وصفها الفيروزبادي — وحدائق ملتفة ، ثم خربت ودثرت ، ولم يبق منها إلا آثار وأبار .

قلت : وقد أدركت بعض تلك الآثار ، وبثر عروة ما تزال موجودة تصارع الموت ، وكان سعيد ابن العاص ابنتى قصره في سرّة العرصة ، واحتفر بها بئرا ، واغترس النخل والبساتين ، وابتنى مروان بن الحكم قصره في العرصة الصغرى ، (سميت بذلك لأن العقيق الكبير يكتنفها من أحد جانبيها ، وتكتنفها عرصة البقل من الجهة الأخرى) .

وبما قاله سعيد بن سليمان المساحقي إلى صديقيه بالعراق : عبد الأعلى بن عبد الله ، ومحمد بن صفوان الجمحي ، يذكر لهما طيب العقيق ، والعرصتين أيام الربيع :

ألا قل لعبد الله إماماً لقيته وقل لابن صفوان على القرب والبعد
ألم تعلم أن (المصلّى) مكانه وأن (العقيق) ذو الأراك، وذو المرّد (١)
وأن رياض (العرصتين) تزيّنت بنوآرها المصفرّ ، والأشكال الفرد (٢)
وإن بها - لو تعلمان - أصائلاً وليلاً رقيقاً مثل حاشية البرّد
فهل منكما مستأنس فمسلمٌ على وطن، أو زائرٍ لذوي الرّد؟
فأجابه عبد الأعلى :

أتاني كتاب من (سعيد) فشاقتني وزاد غرام القلب جَهْداً على جهد
وأذرى دموع العين، حتى كأنما بهارمداً عنه المراد لا تجدي
بأن رياض (العرصتين) تزيّنت وأن (المصلّى) و(البلاط) على العهد
وأن غدير (اللابتين) ونبتة له أرجُ كالمسك، أو عنبر الهند
فكدتُ بما أضمرت من لاجع الهوى ووجد بما قد قال: أقضي من الوجد
لعلّ الذي كان التفرق أمره بمن علينا بالدنو من البعد
فما العيش إلا قريكم وحديثكم إذا كان تقوى الله منا على عمد

وكان العقيق وعراصه منتزه أهل المدينة في كثير من العصور ، وبخاصة في عصر
بني أمية ، وعلى ضفافه قامت حياة من اللهو البريء المصون بالعفاف ، وقد حفل
كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، بالعديد من تلك المشاهد ، وأخبار الشعراء
والغنين والنقاد ، وقد قال بعض المدنيين (المغانم المطابة ٢٥٨ حمد الجاسر) في ذلك:
وبالعروة البيضاء إن زرت أهلها مهأ مهملاًت، ما عليهن سائس

(١) المرّد : ثمر الأراك .

(٢) الأشكال : الأحمر .

خرجن لحب اللهو من غير ريةٍ عفائف، باغي اللهو منهن آيس
إذا الحرُّ أذاهن لذن بحرةٍ كما لاذ بالظلُّ الظباء الأوانس

فوادي العقيق إذن واد موصول منذ القدم بالأدب والفن والشعر، وقد كان قصر سعيد بن
العاص يفتح أبوابه للشعر والشعراء، والعلم والعلماء وكبار القوم ووجهائهم، حيث كانوا يؤمنونه
تقديراً لشخصيته الأدبية والإدارية، وتجري في أثناء تلك اللقاءات حوارات ومنافسات بين
الشعراء، ولعل من الاتفاقات الحسنة في العصر الحديث أن قام نادي المدينة المنورة الأدبي
بعرصة العقيق الكبرى في حضن حرة الوبرة حرة بني سلمة، قوم الشاعر المخضرم والصحابي
الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه، في مقابل قصر سعيد بن العاص.

ولأهمية وادي العقيق في المدينة المنورة، فإن بعض الشعراء يطلقونه عليها، وبخاصة إذا ضاق بهم
الوزن، يقول الشاعر البغدادي الوتري في وترياته التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ولم يكن العقيق في شعر المعاصرين من أبناء المدينة المنورة، أقل شأنًا مما كان عليه في شعر
تبدئى فقلنا: البدر أم وجه (أحمد) تجلَّى لنا بين (العقيق) و(مكة)
الأسلاف، بل زاد تعلقهم به والتفافهم حوله، فلأستاذ عبيد مدني قصيدة في قصر سعيد بن
العاص الواقع في إحدى عرصات العقيق نشرت بالمنهل (م ٧/ج ١١-١٢/ص ٧٤):

(طلل) عليه روعة وجمال رغم البلى، ونضارة وجمال
لم تُسِفِه هوجُ الرياح، ولا عفى آثاره المتدفقُ الهطال
قطع السنين ولم يزل متماسكاً تعبى به الأكار والأصال



قف عنده واذكر سنا تاريخه وأصخ لما توحى به الأطلال
لغة الطلول الخرس أفصح منطقاً مما تحوَّكُ فصيحه الأقوال
إن المآثر للرجال صحائف تتلى، فتعرف عندها الأعمال
قَصَص تَضَمَّنَ كُلُّ معنى حافل سارت به الأخبار والأمثال

والمجد ما ضمن الزمانُ خلوده إن زال أهلوه وحال الحال
واذكر (سعيداً) وهو في أبهاء يزهى فتحدق حوله الأموال
ما أمه ذو حاجة أو فاقة إلا وهش له القرى والسمال
أو طارق وصل السرى بهجير وأتاه إلا انحل عنه عقال



يا قصرُ حدث عن (سعيد) نستمع مهما أطلت ، ويحسن الإيغال
هل أنت إلا للرجاء مثابة بجدى الأمير ، ولليتم ثمال
حكم (المدينة) فاستقام بحكمه فيها الأمان ، وفاضت الأفضال



(وادي العقيق) وما حوى تاريخه سفرٌ يفيض وصفحةً تختال
ماذا يقول الواصفوه وهل لهم من بعد ما وصف الرسول مقال ؟



يا ايها (الوادي المبارك) إن في حصباك أي خواطر تنهال
ما إن أتيتك مرة إلا انجلت عن ذكرياتك هذه الأحوال
متمثلاً ماضيك وهو حقيقة وكأنه مما اعسراه خيال
أين الألى عمروك فانبثقت بهم هذي الربوع وزانت الأدغال ؟
أين الألى ملأ المجالس فضلهم فعنالها الإكبار والإجلال ؟
أين الحدائق كالجنان فهذه حو الرياض وذلك السلسال
أين (القصور) وأين (عروة) قبلها ما شأن (عنيسة) ؟ أزال وزالوا ؟
أين (ابن عائشة) وما أصواته (يوم القليب) يزيناها الإدلال

أَيْنَ (الغريض) ومادهى أوتاره والفن خصبٌ والشباب صقال
أخفت أمية فوقهم نعماءها فحواهم الترفيه والإقبال
والله لا أدري أتلك خديعةٌ جارت عليهم ، أم هي الأجيال ؟
طُبِعُ السياسة قَلْبٌ وسيلُها فيما تريد معقد ختال
بسماتها عطبٌ، وخفضُ جناحها غَرَّرَ ، وَلَيْنُ جناحها قتال
تلهي ضحيتها ليفرخ روعه وإذا استكان استأسد المحتال
وتدرُ أسباب الرخاء غزيرةً وبطيَّها النكبات والأهوال



ما أحزم الفاروق في تقسيمه إياك لما قَلَّ عنك (بلال) !
عدت الخطوب عليك بعد وقوفها حيناً، وهجران الخطوب وصال
ما أزهرت مدنية وتناولت إلا اعترأها بعد ذاك كلال
لكن لها بعد التراجع وثبة ولها من الماضي قوى ومجال
تبقي معالمها سدى لبناتها بعد التداعي والحياة سجال
إن التطور للشعوب طبيعةٌ لا بد منها والزمان نضال
لم لا تعود كما بدأت خمائلاً والأرض أرض والرجال رجال ؟

وللأستاذ عبد الرحمن عثمان قصيدة لمحمد الحافظ بن موسى يقول فيها:

ودار بالحجارة قد بناها على الطرز القديم بكل فخر
جلسنا مجلساً منها مُطِلاً على وادي العقيق بُعيد عَصْرِ
يظللنا بذا أو تلك قصرٌ تقاصر عنه حسناً كل قَصْرِ
نتيه على الملوك به، ولم لا نتيه وتحتنا الأنهار تجري ؟

يمر به النسيم شذى علينا
 ونذكر للحضارة ثم عصراً
 بنو العباس فيه بنوا قصوراً
 بها الفتيان والفتيات تسلي
 فذلك ضيغم يحمي عريناً
 أضاءت في الدجى شرقاً وغرباً
 وسار بذكرها الركبان يحدو
 وطاب بها الحديث بكل ناد
 وحل بنو أمية فيه حيناً
 مرابع تصدر الأحكام منها
 مشى فيها النعيم بكل فج
 حنت صيفاً عليهم أو شتاء
 قضوا حتى قضوا فيها ليالي
 فلا والله أنسى ما حباني
 كساني حلة للعز تبقي
 وفجر أنهر العرفان مني
 وأشهرني وبارك في وجودي
 ولا والله أنسى فضل يوم
 فقد أهدى سنه لي بياني
 نظمت جمانها عصماء حلت
 غدوت بها الغنى وكنت قبلاً
 فنسكر من شذاه بغير خمير
 يفاضل في النضارة كل عصر
 ببيض من مكاسهم وصفر
 هواة الحسن عن شمس وبذر
 وتلك غزالة تساوي الحذر
 لهدي الناس في بر وبخر
 به حاديهم في كل قطر
 بأية قرية وبساي مصر
 بجنان سقاها السعد، خضر
 على الأفاق من نهى وأمر
 وعم البشر منها كل شبر
 فلا يشكون من حر وقر
 وأياماً خلت من كل شر
 به الوادي المبارك طول عمري
 على مر السنين بقاء دهري
 وفي أفق النباهة شق فجر
 فآلف من سني الناس شهري
 به شعري سما عن كل شعر
 معاني لم أكن من قبل أدري
 من الأدب المقفى خير صذر
 يضيق بي الفسيح لعظم فقري

فصُحِّتُ وَكُنْتُ فِي قَوْمِي عِيًّا أَصْرَحُ حَيْثُ أَحْسَبُنِي أُورِي
وَحُلَّتْ عَقْدَةٌ عَاقَتْ لِسَانِي عَنِ التَّعْبِيرِ فَاسْتَوْحَيْتُ سِحْرِي
فَهَا أَنَا يَشْهَدُ الشُّعْرَاءُ صَدَقًا فَرِيدَ الْعَصْرِ فِي نَظْمِي وَنَثْرِي
فَمَا لِلْبَحْتَرِيِّ وَلَا جَرِيرٍ مَكَانِي ذُو بَلْغَتُ، وَلَا الْمَعْرِي
فَمَنْ ذَا مِنْهُمْ اسْتَغْلَى عَلَوِّي وَحَلَّقَ نَشْرَهُ فِي جَوْ نَسْرِي...؟
وَمَنْ ذَا زَفٍّ لِلْأَيَّامِ مِنْهُمْ عَرُوسًا وَجَنَّتَاهَا مِثْلَ بَكْرِي...؟
فَقَدْ أَنْشَأَتْهَا فِي الرُّوَضِ حَسَنَى تَشْوِقُ، وَسَقَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَهْرٍ
نَشَرْتُ بِهَا الْخَضَارَةَ أَيُّ نَشْرٍ؟ فَهَبَّتْ حَيَّةً مِنْ كُلِّ قَبْرِ
تَرْوِجُ بِرَبْوَةِ الْوَادِي وَتَغْدُو عَلَى الْأَحْبَابِ زُورًا بَعْدَ زُورٍ
تَدِيرُ عَلَيْهِمُ الْكَاسَاتُ مَلَأَى تَشَعُّ فَيُثْمَلُونَ بِغَيْرِ وَزْرِ
بِرَاحٍ لَمْ تُثَبِّبْ بِالْمَاءِ، كَلَّا وَلَا امْتَدَّتْ لَهَا رَاحٌ لِعَصْرِ



سَأَلْتُ اللَّهَ يَجْمَعُنَا بَعْدَ ذَنْ وَإِنْ عَدْنَا إِلَيْهِ بِغَيْرِ أَجْرِ
بِرَحْمَتِهِ وَجَاهٍ أَعَزُّ حُرٍّ لِعَزَّتْنَا أَتَى مِنْ ظَهَرِ حُرٍّ
مُحَمَّدٍ الَّذِي شَرَفَتْ مَعَدُّ بِهِ، وَسَمَتْ بِهِ سَادَاتُ فَهْرٍ
وَأَفْضَلُ مَنْ أَتَى بِالْأَيِّ تُتْلَى وَأَوْجَهُ شَافِعُ يَوْمِ الْمَفَرِّ
عَلَيْهِ، وَآلِهِ وَالصَّحْبُ صَلَّى وَسَلَّمُ ذُو الْجَلَالِ، وَكُلُّ حَبِيرٍ

وفي قصيدة (على ضفاف البيان) للخطراوي - ديوان (على أعتاب المحبوبة ص ٣٢) :

وَكَأَنِّي بـ (معبِدٍ) و(غريضٍ) سَرَقَا النَّوْمَ مِنْ عَيُونِ الْغَوَانِي
بِغَنَاءٍ مَوْقَعِ عِبْقَرِيٍّ فِي عِرَاصِ (العقيق) دُونَ عِنَانِ

فـ(العقيق) العريق عادت إليه صبواتُ الشباب والعنفوان
أين (جَيروُن) منه إمّا تلاقت أمنيأتُ الأَلف والخالنُ...؟
وفي قصيدة (الزغريد) يقول (على أعتاب المحبوبة ص ٧٥) :

لن الهتاف اليوم يصعد موقظاً (وادي العقيق)، منمنم الأطواء
شطآنه انتفضت، وراحت تنتضي أكفانها، وتنيه في استعلاء
وتسائل الأهل الكرام بفرحة: ماذا جرى...؟ ماذا يتم إزائي...؟
هل عاد لي شرخُ الشباب وسحرُهُ الـ فيأض بالأشذاء والأنذاء...؟
أكذا يكون (البعث)...؟ إني شمته فلق الصباح يشيع في أرجائي
أنا ذلك الوادي العريق توسدت كفاي رحل المجد والعلياء
قومي بُناةُ المجد، ما وهنوا، ولا ناموا على ضيم، ولا استخذاء
قومي همُ آوُوا، وهُم نصروا الإ سلام فافتخروا على النظراء
من هاهنا شعَّ الهدى، فتمزَّقت سحب الغواية والقوى الرعناء
حسبي فخاراً في الوجود على الورى ما بارك (المختار) من أجزائي...!

وفي قصيدة (أنا في طيبة) يقول (على أعتاب المحبوبة ص ١٩):

وتمطَّى (العقيقُ) يسأل (سَلْعاً) عن صدى اللحن في غناء القماري
ما الذي حلَّ في (قُبَاءٍ)...؟ وماذا شعَّ منها على الرُّبا والحرار...؟

وفي ديوان الشاعر محمد هاشم رشيد: (في ظلال السماء) ص ٢١، منشورات نادي المدينة
المنورة الأدبي، نجد قصيدة له بعنوان (أصدقاء العقيق) يقول فيها :

أنا في الطريق

أمشي على خطو القمر

والأفق ينبض بالصور

والليل يهمس بالذكر

ويقول لي : هذا المقر



فهنا العقيق

هذا ثراه .. ألا تراه ..؟؟

والطيب ينفع من رياه

وهنا تضمك ضفتاه

لتغوص في سر الحياة

وأنا غريق

أطفو على موج القرون

وتهيم بي لجح الظنون

حيرى فأصرخ : من أكون ؟

أنا في مدى الوادي الحنون .. !!



أملني بريق

لم يبق منه سوى ضباب

ورؤاي مهزلة السراب

وهوأي أوهام الشباب

وأعود أصغي للعباب

فإذا العقيق

يروي على سمع الصخور

أمجادنا عبر العصور

فيضمني طوفان نور

ورؤى غدٍ عذبٍ ظهور

حلو البريق

مثل العقيق ..



ولا يرى هذا الشاعر العاشق لوادي العقيق، أنه يمكن أن يروي ظمأه إلى واديه الخالد بقصيدة أو قصيدتين ، لذا فهو يسمي أحد دواوينه (على ضفاف العقيق) على اعتبار أن كل ما جاء في الديوان، هو من نبضات العقيق وإحياءاته على شكل من الأشكال، وربما استخلص دارس الديوان أن قصائده تمثل حالة حب متكاملة، متواصلة الحلقات، متوالية الفصول، فهي من العقيق وإلى العقيق وعلى العقيق ، فيه نبئت وترعرعت ، وحلا منها الثمار والقطاف، وسنكتفي بإيراد مقدمة الديوان والقصيدة الأولى منه ، بقول الشاعر في المقدمة:

«هنا إلى الغرب من (مدينتنا) الحبيبة.. يمتد (وادي العقيق).. هذا الوادي الجميل ، الذي وُثِّتَ به الخالق العظيم بأرق الصور ، وأبدع المفاتن ، وأروع الألوان .

وهنا على صدره الخالم حيث تضطجع الرمال، شاخصة بأبصارها إلى الأفق، الأفق الساحر الذي يتشح بالغيوم، ويتسم بالنجوم ، ويتهلل بالترانيم السماوية العذراء..

هنا حيث غنى ابن سريج، ومعبد، وابن عائشة ، وترنم ابن الدمينه، والدارمي، وابن أبي عتيق، والأحوص، في أجمل وازهى عصور التاريخ، وأروع أيام العقيق..! أيامه النشوى، حين تتراقص الرمال تحت أقدام الموج، وتترنح الأعشاب بين أحضانها، وتترجرج أطياف الغيوم والجبال والتلال على إشعاعه الفضبي البديع ..

هنا رفر ف الحب بأجنحته الشفقفة النشوى ، وضم قلففنا .. ومضفنا ..

ومضفنا على الضفاف ، نحاول أن نرسم بالرفشة الإنسانفة المأدودة القدرة ، أفاق الكون ..

ونصور بالموهبة البشرفة المتواضعة ، ما وراء الشعور ، ونأفل أصداء (العقفق) الخالدة - معجزة الحفة - إلى كلمات .. وصور .. وأنغام .. »

وفقول فف قصفدته التي أففتح بها الدفوان صه بعنوان (على ضفاف العقفق) :

فف شاطفك عرفف سر وفجودف وفبست من ألق السماء نشفدف
ووقفت فف ثفج الرؤف .. أرنو إلى رقص السنف .. فف موجك العربفد
وأهفم فف دنفا الخفالف ، وسأره متأطراً .. فف ظلّه المأمدود
وصدف أطاك على الرمال ، ملاحن تنساب بالأفراح ، ملء البفد
وفداف أأأضن الصأور ، فترقمف فف لهفة التأشوق المأمود
وعلى هوأدف الموج ، رعشة شائف أأنفه للمعشوق ، لفة عفد
أنف نظرت إلى السماء ، رأفها فف ضفّففك ، مشوقة التورفد
ورأفست أطفاف الأفبال ، ترافقت نشوف ، بأفقااع الصدف الفرفد
والعشب رنّأه رأقفك ، فانتشت أعطافه ، فف الشاطف المنضود
وهوف .. تتمم بالصلاة ضلوعه وفلوح فف الأوراق ومض سآود
فشاطف الأنغام .. والأألام .. والأفراح فف سر الهوف .. بقصفدف
أم ذا وقفت على ضفافك ، والرؤف فف أضلعف .. مسأورة الفرفد
ومضفف أفأأأم الففوب ، وأأففف أطاوافك العألف على الأفلمود
أمشف .. وأعدو .. والأصفل شعاعه متأوّد الأعطاف ، زاهف الأفد
والشمس تسبأ ففوف صأرك .. مثلما تترافقص الأفأاف ففوف العود

أخطو على الشط البعيد .. وفي يدي غصن .. ترفُّ عليه بعض ورود
وبعمق قلبي، عالم، متموج مخضوضرٌ، ألقٌ، كصدر الغيد
ولكم جلست على الصخور .. وفي دمي شوقٌ .. إلى فردوسك الموعود
ووددت لو أحياء، بلجك موجةً تنساب في الأباد .. دون قيود
يا شاطئ الأنغام .. والأحلام .. والد أفراح، يا سر الهوى .. بقصيدي
إن لم أكن أسري بصدرك موجةً تروي صدى الأعشاب عبر البید
وتسير للأفق البعيد .. فإنني في شاطئك عرفت سر وجودي
وعلمت أنني شعلنة، مشبوبة خفقت بأغوار الليالي السود
لتفجر الأصباح في قلب الدجى وتضم كل محطّم مفئود
وفي الأعمال الشعرية الكاملة (٣٦٠/١) لعبد السلام هاشم حافظ بعنوان (وادي العقيق)،
يقول:

رق النسيم وطاب مجلسنا هنا نتلمّس الأحلام في وادي العقيق
والبدر في عليائه مرح السنا يرنو إليه راقص الضوء الطليق
وعلى جوانبنا البطاح لها فتون

نهفو بأشواق المحبين الألى هاموا بأفاق الجمال بعروة
ونرى الطبيعة سمحةً رفاةً وعطورها تهدي الهوى للنسمة
فتحس في أحضانها معنى الحنين

وإذا العقيق تدفّقت أمواهه وتراقصت نشوى على هذي الرمال
غنّت به العرصات ، وارتعش الدجى وتردّدت ألحانه بين الجبال
وتجاوبت مع ذكريات الأولين

بِالله يا وادي العقيق الخالد حدث لنا عن أمسياتك والذكر
كم فيك من حلم ومن نجوى غفت في شطك الخاني تقصُّ على الشجر
أسرار صحبتك العريقة للقرون

يا للجلال وأنت تزحف هادراً وتشقُّ دربك صاعداً عبر الحياة
والوج يلحق بعضه متهادياً ذهب الأصيل عليه لوَّنها شفاه
تروي لعروة مجد أيام فنين

همساتها تبقى تهدهدها الربا وتعانق الرمل العتيد مع الظلال
والحبُّ والأشواق تصدح حولها وتجدد الذكرى ورفات الخيال
ومعالم التاريخ تغتال القرون

هذي الربوع الباسمات كم التقى فيها لنا صحب وجمع شملنا
نهوى التأمل وانطلاقات الحجا وتتوق للماء المحب نفسنا
نروي ويهني بالعقيق لنا خدين

هذي حمانا قرب طيبة والمنى يزهو بها ركب الحضارة والعرين
من قلبها نبض الحياة سما بنا وصحا على أضوائه الكون الحزين
فإذا الوجود الرحب دنيا لا تهون كم في حناياها غرسنا من فنون
حتى بلغنا قمة المجد المكين بعلمونا وجهادنا السامي الأمين

ويحتل العقيق مساحات شاسعة من شعر حسن صيرفي، نختار منه القصيدتين التاليتين، قال
في ديوانه (دموع وكبرياء) بعنوان (ليالي العقيق) ص ٨٤:

التقينا !!!

وانتهينا...!!

ونفضنا...؟؟

ما تبقى من ديننا...!!

وبكىنا...!!

ذلك الماضي بكينا...!!

رحمة الله عليه وعلينا...!!



يا ليالي الصيف في عروة في حضن المسيل

و(السواني) تنعش السمار باللحن العليل

والنسيم العاطر المغمور في النور الضئيل

من كوى الغيم تدفق

يتفرق

كلما البدر حبا واختلسا

لمحة من عاشقين التمسا

موقعاً للسمر

كأنما للخبر

خلف تل شرفا

حين أمسى كنفا

لحبيب طاهر

ومحب شاعر

ذلك الوادي وهاك المسيل

كم قضينا فيه أوقات الأصيل
نرقب الشمس التي مالت على
قمة الجماء تومي للرحيل
والدنا جادت بما تملكه
وهبتنا كل ما تدركه
نصنع البهجة من خاماتها
والذي فيه قذى نتركه .. !!



الربيع الضاحك الفتان

تدعونا رياه

والليالي البيض

والضفة في وادي قناة

والسواني

هتكت ستر حناني

فلماذا لا نلبي ؟

إنها مأساة حبي !



يا ضنيناً .. !!

ما الذي ضلّ لدينا

كيف حرّمت هدى الحب علينا ؟ !

ما جنينا ؟ !
أي شيء جذب البؤس إلينا ؟ !
فرضخنا !
ومضينا !
ننقل الخطو الهويني !
وفراشات الوداد ؟ ؟
جثث فوق يدينا !



مات حبي في الربيع
غسلوه بالنجيع
مات والزهر جمال يتبسّم !
مات والطير طليق يترنّم !
مات والغدران بالأحباب تنعم !
مات في عرس الحياة الفاتنة !
وانتفاضات الشباب الماجنة !



سلب الموت الحياة !
كيف سلّتها يداه ؟ !
من ربيع في حماه !



الأغاني جمدت فوق الثغور !!

والأمني ..

في دياجير القبور

لم لا أبكي عليها ؟؟

رحمة الله عليها ..

دفنت عروس أحلامي بمشتل غرس أياامي
وأهرقت عليها الدمع، أسقيها بالآمني
تحلل عنصر الأفرح بمزرعة من الأتراح
فلما أنبتت وردا تبرعم نادي الأجرح

هنا في شاطئ نائي تعالي نصرم العمرا
تعالي إن للإغراء في أرجائه سرّاً
تعالي نصنع الأحلام والأحلام والسحرا

تعالي نرقب الأمواج كيف تعابث الضفء
تداعبها وتلثمها كلثم (الشفة الشفة)
وتفنى فوق مبسمها ضحية هذه الرشفة
تعالي كم رmqناهم هنيئين بضدئين
وذلك عندما كنا نرجع لحن ثغرين
بقرع شفاههم طرْقاً على أبواب قلوبين

فما برحا أن انفتحا

ولاح طريق روحين تسلل روحك الغريد منطلقا إلى قلبي
تستل روحك الغريد منطلقا إلى قلبي طففي قلبك (يستخبي)
وما رجعا فقد زرعا

بمشتل غرسة الحب بصفوه هواك من أغواك ؟
كيف نسيت أيامي ؟؟ ألم يأن لنا نسمع قرع شفاها ثاني ؟
تعال

أحقا تناسيت ذاك الرفيق ؟! وحلو أحاديثه في الطريق
ومجلسنا في مغاني قبا ومجلسنا عند وادي العقيق
بمنعطف ضمّه في حنان وعانقه عند ذاك المكان
فكان لقاء سمعنا به تهدج أنغام لحن الزمان
أنسيتني ؟؟

أعرضت حين لقيتني !! أتكون أننت نسيتني ؟
أعرضت حين لقيتني من بعد ما أعطيتني
شهد الهوى وسقيتني أعرضت حين لقيتني
ومحبتني

أتري صرمت محبتي ؟

وبصحتني !

ماذا صنعت بصحبتني ؟ بالنار أجعل لعبتي
حتى أفوز برغبتني

أسمعتني ؟

قل لي.. أأنت سمعتني

وغدرتني

من بعد ما طمأنتني ألا تخون وخننتني

حطمتني

يوم ارتعشت لدى لقاءك

وفهمتني

لما وقفت بلا حراك ! عينا ي يغشاها سناك !

لا شيء تبصره سواك !

وتركتني !!

ومشاعري تقفو خطاك !

أرحمتني

لو كان ذاك سألتني وعرفت كيف ظلمتني

ومن الهلاك (نشلتني) ! اذهب فأنت قتلتني.. !

يا خيبة الآمال واحيرتي ! إني سئمت العيش في وحدتي !

والبلبل الصداح يهفو إلى أليفه الحنان في الروضة

ترتل التسبيح الحانه ويغمر المألوف تحنانه

قد كان لي إلف ولكن مضى وبعشر الحلام هجرانه

يا حبيبي كفا ! طال هذا الجفا !

أين ذلك الصفا ؟ وليالي السعيق

أَيْنَ لَحْنِ السَّوَانِي وَحَنَّانِ الْأَغْنَانِي
وَانْبِشَاقِ الْأُمَانِي وَانْطِسْوَاءِ الطَّرِيقِ
بِعِدْطِي اللَّيَالِي بِعَفِيفِ الْوَصَالِ
سَمَاءِ رَحْمَاكَ حَالِي وَبِكَانِي الصَّدِيقِ



ذَكَرِيَّاتِ الْأَمَاسِي أَتَرَعْتَ سَمَّ كَاسِي
وَالرَّجَا وَالتَّنَاسِي مِنْهُمَا لَا أَفِيقُ



يَا إِلَهِي شَقِيتُ وَبِدَمْعِي ارْتَوَيْتُ
وَبِهَذَا اكْتَفَيْتُ أَهْدِنِي لِلطَّرِيقِ



أَهْ عَلَى حَبِّ ظَلِيلِ الْفُرُوعِ دَفَنْتَهُ لِمَا قَضَى فِي الضَّلُوعِ
وَرَحْتَ أَسْقِيهِ بِمَاءِ الدَّمُوعِ تَهْمِي عَلَى جِثْمَانِهِ الطَّاهِرِ



قَلْبِي فَوَّادِي الْجَرِيحِ أَمْسَى لِحَبِي ضَرِيحِ
يَضُمُّ ذَاكَ الذَّبِيحِ مَسْتَصْرِخًا مَنِي



تَدْبُ فِيهِ الْهَمُومُ كَمَا تَدْبُ السَّمُومُ
وَيَنْدُبُ الْأَفْرَاحُ وَالْفَهْ الصَّدَاحُ
فِي مَآتِمِ الْفَنِّ

طعنت ذاك الفؤاد وخنت عهد الوداد
وصادك الصياد فكنت سهل القياد
لعمابر يجنني



لا ارتضي التدنيس ولا أحب الخمس
أذهب فلن أرضاك ولا أريد هواك
يا خيبة الظن



أه علي قتلت نفسي وبحثت عن حتفي بفأسي
وشربت كأس لي للحثا لة رغم ألامي وحسي
ويئست من بعد ارتيا بي واحتضنت خضوع يأسي



يا ليالي القمر يا ليالي القمر
أين طيب السمر في ضفاف العقيق
عند سفح الجبل



نصحب مذياعنا يسحر أسماعنا
يهزاضلاعنا بلح لن (ثومه) الرقيق
ومغريسات القبل



ونسمة كالحرير فاحت بأزكى عبير
مرت بصدر الغدير فهدجته بريق
وألبيسته حلل



تنكر لي طبع صفو الحياة وأتسع كاسي من العلقم
أخاف من الليل واحسرتا ه لن بات يسرح في الأنجم
وأخشى ضجيج النهار المنر فزل للشاعر الساهم الملهم
وأنت كفى!! أنت هل تجهل سي، شقائي حنانك أو تعلمي
سلام على بسمات الحيا ة دلفت لميقاتها المظلم

وقال في ديوانه (شبابي) بعنوان (أمسيات العقيق) ص ٩٠ :

على ربوة عانقتها الزهو ر وحاك الربيع لها حاشية
ودبَّ العقيق على راحتيه ليلثم أقدامها اللاهيه
وراح يلفُّ على خصرها ذراعيه في رقبة حانية
ويهضُّرها في هيام وشغف ويضغظ أطرافها النادية
ويجهش وهو القوي العتيُّ وأعينه ثرة جارية
وببكي ويعرب عما يكن وفي صدره رعشة عاتية
فحرك ما لمست من حنان براكين أيامها الماضية
ونام على ثغرها ثغره فمصّت سلافته الحاليله
فعرى فيها أريج الزهو ر من الفلِّ والورد والفاغية
ومازجه السيسبان الغيو ر مع النفل الصارخ الطاهيه

وفاحوا بعطرٍ يُهيج المشا
 فهيجها الطيب فاستلمت
 فغضت ذكاء حياء وأل
 سداه خيوط الأصيل العلي
 فصرن نقاباً حجب الشعا
 فلفهها في وشاح رقي
 وأضفى جمالاً يهز الشاعر
 وقفت بها ساعة من مسا
 وأسرح في نجم وادي العقيق
 وأذكر ظبياً عفيف الثياب
 أنيس الصبا ورفيق الشباب
 لنا كل يوم هنا أو هناك
 نصعد في جبل تارة
 ويهصرنا الدرب في ضيقه
 وتعلو (بلوتن) أماننا
 وتسرح في النجم أحلامنا
 نكاد نرى في الحصى والرمال
 ونبت القبا في صدور الجبال
 وفي النجم غطى سفوح الجبال
 وفي سدره النبى روح وكرم
 عري حنوده العود والغالية
 لقبضة محبوبها الداهية
 قمت خماراً على الفتنة العارية
 ليل ولحمته القمم العالية
 ع وألقين ظلاً على الرابية
 ق يشف عن التحفة الغالية
 يسحر من عينه رانية
 ء أرودت متاهات أياميه
 وفي سفح جمائه العالية
 كريم النجار من الضاحية
 وروعة أيامنا الفانية
 مواقف أذكأرها باقيه
 ونهبط في وهدة هاويه
 وتوسعه الأنفس الصافية
 على موجة بعدها ثانية
 وترعى أشعته الزاهية
 ل حياة تموج بها راقيه
 ل وهاماتها حلل ضافيه
 زرابي من سندس ناميه
 قطوف عناقيده دانية

وفي لمسات النسيم الغصون (كمان) بألحانها شادية
ونلتقط النبق في لهفة ونجمع حباته الحالية
نبني القصور ونحيي العصور ونسبح في الأنهر الجارية
ونقتات بالعلم والأمنيات نُهيء أسبابها الواعية
ونرفل في ثوب تيه الشباب وصارخ ألوانه القانية
سلام على ربوة في العقيق وفي حزن جمائه الجاثية
وعروة مهد الهوى والغرام وكل المراتع في الضاحية

• ولشاعر آخر من شعراء (المنهل) أحسب أنه عبد القدوس الأنصاري:

وقف الشاعر في وادي العقيق في أصيل كالعقيق الذهبي
وإذا الشاعر يهمني بعقيق مسبل من ماطرات الحب



مالذا الوادي البهيج الفاتن قد بدا عطلاً من الحلي البديع ؟
أقفرت أطامه من شادن كان يوحى بهجة حين الطلوع
وخلت أرجاؤه من لاحن يرسل اللحن كأطيّار الربيع
جلّ حكم الله في (دار العقوق) إذ براها عرضة للنوب
فخيال الشؤم في لمع البروق ونذير الرعب طي الرغب



أي وادٍ مثل ذا الوادي الجميل لم يتوجّ هامه بالشجر ؟!
أي وادٍ مثل ذا الوادي الصقيل لم تكلّل حافه بالزهر ؟!
أي وادٍ مثل ذا الوادي البليل لم تمجّ أحياؤه بالسمر ؟!

يا عقيقي أنت مهضوم الحقوق ولذا يا (شعر) فيه انسكب !
وإذا قومك ما منهم شفيق فلنذب شوقاً لماضي الحقب !



حينما كنت تعي من (معبد) صوته المشجي البديع الخالدا
وترى من أنس هذا البلد ما شأ الطارف فيه التالدا
في حياة أترعت بالسؤدد واكتست منه جمالا سائدا
فترى القوم إذا حان الغبوق كشيأ فوق نضار الكشب
فغروب الشمس معناه الشروق وشروق الشمس مجلى العجب



كم قصور شيدت زاهية فيك تشو (جلقاً) في الرونق
وعيون نبئت جارية في ربا واديك هذا الخلق
وبدور أوريت سابية في حمى تربك هذا المشرق
وشباب ضمخوا منك الخلق نجب من نجب من نجب
عصف الدهر بهم عصف المحيق وبدوا لي في ثراك الطيب



وترى (عروة) في هيبتة ووقار العلم والخلق النضير
يستدر الرزق من تربته فيجود الترب بالتبر الوفير
وإذا عروة في جنّته ملك يحسده الملك الكبير
يتلقى الركب في هذا الطريق في ابتسام داعيا للرحب
وإذا كل ورود وطروق (مذيع) الشكران للمحتسب



عروة الفضل نحا في صنعه بجنوب الواد نحو الوالد
 فالزبير الشهم في مربعه بشمال الواد مثوى الوافد
 قد روى التاريخ عن مزرعه إن شاماً غمرت بالزائد
 حي قوماً فردهم يسمو الفريق في علا همتهم للشهب
 مذ قضوا يعلو من الدنيا الشهيق أسفاً من عزمهم والرتب
 وللشاعر الدكتور أسامة عبد الرحمن قصيدتان في العقيق في ديوانه "شمعة ظمأى، تهامة،
 (٣٠٤١) الأولى بعنوان وقفة على العقيق وقد أهداها لخاله الشيخ محمد الحافظ وفيها يقول :

قف بالعقيق.. وعرج في نواحيه وجُل بطرفك في أرجاء واديه
 واخفض جبينك إجلالاً.. لما حملت من عاطر الذكر والذكرى أراضيه
 في كل مرتفع.. أو كل منخفضٍ شيء يحدث عن أمجاد ماضيه
 وفي النسيم.. إذا هبَّ النسيم به همسٌ على مسمع الأيام تلقيه
 يا شعر.. كم لك في واديه من نغم قيثارة المجد.. مازالت تغنيه
 فاسأل عن الحب أطلالاً مبشرةً واسأل لياليه.. ما ضمت لياليه
 هناك.. كان الهوى صفواً منابعه هناك كان الهوى.. صفواً مجاريه
 وكم شدت بعيون الشعر.. أفئدةً فانساب لحناً شجياً من شواديه



ما أعظم الدين والدنيا إذا اجتمعا فحقاً الخلد في أسمى معانيه
 لله ماضٍ له مازال يذكره سقرٌ من المجد.. والأيام تحكيه
 حيّ العقيق.. فكم حيته أفئدة تذوق حلو الأماني.. إذ تحييه
 واستشرق الحب صفواً.. فوق رابيةٍ هل يخفق الحب.. إلا في روايه

واستشهد المجد فيها وهو ذا ألق تجد بقايا من الأطلال ترويه
طوبى.. لمن ربط الماضي بطارفه بما بناه.. وأحيا من مبادئه
سيذكر الدهر ما أحياه مفخرة جليلة.. وجميل الذكر يكفيه
ألم يجدده مجدداً كاد يذثره مرُّ العصور.. وكاد الدهر يفنيه



يا روضة يحضن الوادي خمائلها مثل الحبيبين.. يسقيها وتسقيه
بساطها السندسي اللون ذو خفر والبدر في ظلمات الليل يديه
تخاله ومجاري الماء تشطره كأن جنة عدن أنزلت فيه
وكم تجول بها الأطراف سابعة فتجمع الحسن.. قاصيه ودانيه
وتحتة.. لو همت للغيث هامية نهرٌ من الخلد بالكافور يسقيه



أطرقت والأمس في عيني قافلة والشعر ينظم في الماضي قوافيه
وصفحة المجد مثل الشمس ساطعة وقصر «عروة» في زهو وفي تيه
والليل يكتب فوق البدر أغنية ما أجمل الليل يهدينا أغانيه
ما أجمل الحب تعلق فيه رايته ما أجمل الشعر يسبي في نواديه
ما أجمل المجد مثل الشمس ما صدئت سطورهِ البيض.. أو لانت مواضيه

والقصيدة الثانية بعنوان وادي العقيق، ويقول فيها:

يا أيها الوادي.. أب الأمجاد قم.. حدث الدنيا.. عن الأجداد
مجد الكماة على صعيدك قد علا تحميه قافلة.. من الأساد
والحب فيك جداول.. من كوثر وقصائد.. نبتت.. بلا ميعاد

فيك الرعود.. إذا دعا داعي الوغى ومع السلام.. فبهجة الأعياد
الحرب فوقك.. والسلام.. تألفا أرايت كيف.. تألف الأُسُداد؟
كم في لياليك الجميلة.. أنصتت تلك الربى.. لروائع الإنشادِ
والشعر.. قد هتفت به مشغوفةً تلك النجوم.. وحلقت بالشادي
والمجد.. والشرف الرفيع.. تطاولا متعالين.. كشامخ الأطوادِ
أرايت أطلالا.. هناك تناثرت تحكي بقايا المجد للروادِ
يا أيها الوادي.. لجدك صفحة كالشمس لم تحفل بأي سوادِ
مازال في التاريخ.. اسمك لامعاً مازال ضوء سراجك الوقادِ
ويحي على الدنيا.. إذا ما أدبرت جعلت صروح المجد.. كوم رمادِ
كم أطبقت فوق العيون.. وأغفلت في الذكر.. حتى طارق بن زيادِ
وكم استبدت بالكريم.. وكم لوت عنق الشجاع.. وكم كبت بجوادِ



يا أيها الوادي.. لماذا تبتئس ولديك أنت ذخيرة الأمجادِ
ستظل تذكرك القلوب.. وترتوي مما لديك.. فهل يضمن الوادي!؟

• أما كيف حلت البركة في هذا الوادي: فقد ذكر الفيروزبادي:

١- أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان سَلَمَة بن الأكوع الأسلمي رضي الله عنه يصيد
الظباء، فيهدي لحومها لرسول الله صلى الله عليه وسلم جفيفاً وطرياً، ففقد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال: يا سلمة، ما لك لا تأتيني بما كنت تأتيني به؟، فقال: يا رسول الله، تباعد عنا
الصيد، فإنما نصيد بَيْتَب، وصدور قناة (شمالي المدينة)، فقال صلى الله عليه وسلم: أما أنك لو
كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا ذهبت، وتلقيتك إذا رجعت، فإني أحب العقيق.

٢- وعن زكرياء بن أبي إبراهيم، قال: بات رجلان بالعقيق، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أين بتما؟ قالوا: بالعقيق، قال صلى الله عليه وسلم: لقد بتما بواد مبارك.

٣- وعن عامر بن سعد رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام بالعقيق، فقام رجل من أصحابه يوقظه، فحال بينه وبينه رجل من أصحابه، وقال: لا توقظه، فإن الصلاة لم تفته، فتجاذبا، حتى أصاب بعض أحدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأيقظه، فقال صلى الله عليه وسلم: مالكما؟ فأخبراه، فقال: لقد أيقظتmani، وإني لأراني بالوادي المبارك.

وقد بارك الله ورسوله الكثير من الأماكن والأزمنة والأعمال، فطوبى للمباركين من الناس والأشياء، ونحن إننا نلمس البركة ونتقوى مواقعها وآثارها.

• فتيما بهذه البركة الممنوحة لهذا الوادي والتي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه المحبة الخاصة له، نبت فكرة الاعتزاز بهذا الاسم، والاعتزاء لهذا المسمى. وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: احصوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الوادي المبارك أي العقيق، أي اجلبوا له من الحصباء، تعرضا لتلك البركة، (الحصباء: صغار الحجارة).

وكان الشاعر المدني عبد الرحمن عثمان (١٣٢٨-١٤١٠) في العصر الحديث من أوائل من تنبه إلى تسمية العقيق باسم الوادي المبارك، ولا ندرى إن كان فعل ذلك تأثرا بالأحاديث الواردة فيه أو تأثرا باسم أسرة الوادي المبارك أو بهما معا، يقول في تخميسه للقصيد الوترية (انظر كتابنا ((عبد الرحمن عثمان مبدع الشعر ومنجب الشعراء))) رما به إلى المدينة:

به فاسقني يارب أهنا شربة بها أبدا أروى وتروى أحبتي
وعجل إلى (الوادي المبارك) أوتبي

(ترى تجمع الأيام شملي بطيبة لأسكب في تلك الأماكن عبرتي)

وقال في قصيدة له بعنوان (من قصيدة إلى الشيخ محمد الحافظ موسى):

فلا والله أنسى ما حباني به (الوادي المبارك) طول عمري

كساني حلةً للعزّ تبقى على مرّ السنين بقاء دهري
وفجّر أنهرَ العرفان مني وفي أفق النباهة شقّ فجري
ولكن الشاعر عبید مدني ینافسه على هذه التسمية ، مشیرا إلى أنه یتأسى في ذلك بوصف
الرسول صلى الله عليه وسلم له :

(وادي العقیق) وما حوى تاريخه سفرٌ یفیض وصفحة تختال
ماذا یقول الواصفوه وهل لهم من بعد ما وصف الرسول مقال ؟
یا أيها الوادي المبارك إن في حصباك أي خواطِرِ تنهال

عمر الأسرة

قد يكون من الظلم للمؤسسات والعلماء والمبدعين وأمثالهم، أن نقيس أعمارهم بالسنين فقط، علما بأن الزمن هو عطاء الله الأزلي الذي لا ينضب معينه ، ونعمته التي لا تزول ، فبدخله تتم كل المنجزات العظيمة، وبدخله تدبر كل الموبات الأثيمة ، وبدونه لا تقوم للناس قائمة، ولا تستمر لهم حياة ، ولا تنهض لهم حضارة . لكننا إذا أردنا أن نكون منصفين حسينا أعمار الناس والأشياء بمدى ما حققوه من منجزات ، وما قدموه من خدمات في حقولهم ، وفي محيط تخصصاتهم ، ومجالات حياتهم ، فأنت بمقدار ما تقدمه من إنجازات ، لا بما تعيشه من سنوات، وكم من أناس كان يمكن من وجهة نظرنا المحدودة أن ينسأ في آجالهم حتى يفيدوا البشرية ! وكم من أناس - من وجهة نظرنا الضعيفة- كان الأجدى على البشرية أن تختزل أعمارهم، وأن تصادر منهم أوقاتهم التي درجوا على إدارها وبعثرتها هنا وهناك ، والشيء الأكيد بالطبع هو أن الله سبحانه عن أوقاتنا ، فيم قضيناها وبذلناها ، إن الوقت نعمة من الله، ومن حق المنعم أن يضرب على يد العابثين بنعمائه ، وإنما أسست أسرة الوادي المبارك بغية تحقيق طموحات أعضائها وفق نظرتهم للحياة ، ورؤيتهم للوجود ، حيث يعمرن بتلك المنجزات سني حياتهم ، ويجعلون لها طعما ولونا مغيرا لما كانت عليه.

ولذا نرى أنه لا يكفي في تحديد عمر الأسرة أن نقول : إنه ٢٥ سنة تقريبا (١٣٧١-١٣٩٥هـ) (١٩٥١-١٩٧٥م) بل نذكر عمرها بما استطاعت أن تنجزه من خلال أعضائها ، وقد خصصنا لمنجزاتها فصلا خاصا في هذا البحث، ولعلنا هنا نجد الفرصة سانحة لإيراد بعض المفهراس لمؤلفات بعض الأعضاء، لتتخفف من ذكرها عند الترجمة لهم ، ولأنها تمثل العمر الحقيقي للعضو، والعضو يمثل العمر الحقيقي للأسرة.

١- فهرس مؤلفات عبد السلام هاشم حافظ:

١- سيرة نبي الهدى والرحمة .

٢- المدينة المنورة في التاريخ .

- ٣- الإمام ابن تيمية .
- ٤- الرافعي ومي .
- ٥- الصيام عبر التاريخ .
- ٦- رمضان والناس .
- ٧- قلوب رحيمة (قصص) .
- ٨- اهرب من المرأة (قصص) .
- ٩- فاطمة وقصص أخرى .
- ١٠- سمراء الحجازية (قصص) .
- ١١- ترانيم الصباح (شعر) .
- ١٢- أنوار ذهبية (شعر) .
- ١٣- عبير الشرق (شعر) .
- ١٤- وحي وقلب والحنان (٣ دواوين شعرية) .
- ١٥- كلمات حب إلى المدينة المنورة (شعر) .
- ١٦- من ثمرات المكتب .
- ١٧- نحو مجتمع أفضل .
- ١٨- ثورة الجزيرة - دراسة تاريخية
- ١٩- حواء عارية - دراسة تحليلية .
- ٢٠- أفضل الدعاء .
- ٢١- الأحكام النبوية في الصناعة الطبية - تحقيق وتقديم .
- ٢٢- الأعمال الشعرية الكاملة ج ١ .
- ٢٣- الأعمال الشعرية الكاملة ج ٢ .
- ٢- فهرس مؤلفات عبدالعزيز الربيع :
- ١- ذكريات طفل وديع .

٢- الخلق الفاضل في الإسلام .

٣- رعاية الشباب في الإسلام .

٣- فهرس مؤلفات محمد العيد الخطراوي:

١- الرائد في علم الفرائض، دار الفكر دمشق ١٩٦١ م .

٢- شعراء من أرض عبقر (دراسة لمجموعة من الشعراء السعوديين - جزآن) نادي المدينة المنورة الأدبي ١٣٩٩ هـ .

٣- شعر الحرب في الجاهلية بين الأوس والخزرج (دراسة)، مؤسسة علوم القرآن بيروت ١٤٠٠ هـ .

٤- المدينة المنورة في العصر الجاهلي (الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية - دراسة)، مكتبة دار التراث بالمدينة ١٤٠٤ هـ .

٥- المدينة المنورة في العصر الجاهلي (الحياة الأدبية - دراسة)، مكتبة دار التراث بالمدينة ١٤٠٤ هـ .

٦- المدينة المنورة في صدر الإسلام (الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية - دراسة)، مكتبة دار التراث بالمدينة ١٤٠٤ هـ .

٧- المدينة المنورة في صدر الإسلام (الحياة الأدبية - دراسة)، مكتبة دار التراث بالمدينة ١٤٠٤ هـ .

٨- مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، والموقع التاريخي الرائد، دار التراث بالمدينة ١٤١١ هـ .

٩- أدبنا في آثار الدارسين، بالاشتراك، النادي الأدبي الثقافي بجدة ١٤١٢ هـ .

١٠- البنات والأمهات والزوجات في المفضليات وأشياء أخرى، نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤١٩ هـ .

١١- أسد بن الفرات ومسرحيات أخرى، الناشر : المؤلف ١٤١٩ هـ .

١٢- في الأدب السعودي، النادي الأدبي بحائل، ١٤١٩ هـ .

١٣- آفاق وأنفاق (مجموعة مقالات)، نادي مكة الثقافي والأدبي ١٤٢٢ هـ .

- ١٤- متابعات ومبادآت (مجموعة مقالات)، نادي أبها الأدبي ١٤٢٢هـ .
- ١٥- نبات ونبات (مجموعة مقالات)، الناشر : المؤلف ١٤٢٣هـ .
- ١٦- محمد عالم أفغاني من رواد المقالة والقصة والترجمة بالملكة العربية السعودية نادي جدة الثقافي والأدبي ١٤٢٣ هـ .
- ١٧- محمد سعيد دفتردار مؤرخا وأديبا، نادي المدينة الأدبي ، ١٤٢٤هـ .
- ١٨- في محاوره النص ، تطبيقات وتأويلات ، ١٤٢٥هـ .
- ١٩- عبدالرحمن عثمان مبدع الشعر ومنجب الشعراء - نادي المدينة الأدبي ، ١٤٢٥هـ .
- ومن تحقيقاته :
- ٢٠- الفصول في سيرة الرسول للحافظ ابن كثير (بالاشتراك مع زميل)، ١٤٠٠هـ .
- ٢١- المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية ، للحافظ أبي القاسم علي بن لبنان المقدسي (بالاشتراك)، دار التراث ودار ابن كثير ١٤٠٣هـ .
- ٢٢- عارف حكمة - حياته ومؤثره - وهو (شهري النعم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكيم) لأبي الثناء الألويسي، دار التراث بالمدينة ١٤٠٣هـ .
- ٢٣- ديوان محمد أمين الزُّلّلي، دار التراث ١٤٠٥هـ .
- ٢٤- ديوان عمر إبراهيم البري، ١٤٠٦هـ .
- ٢٥- المرور بين العلمين في مفاخرة الحرمين لنور الدين الزُّرندي، دار التراث ١٤٠٧هـ .
- ٢٦- المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي للحافظ السخاوي، دار التراث ١٤٠٩هـ .
- ٢٧- المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي للحافظ السيوطي، ١٤٠٩ هـ .
- ٢٨- ديوان إبراهيم الأسكوبي، دار التراث بالمدينة ١٤٠٩هـ .
- ٢٩- ديوان فتح الله بن النحاس، دار التراث بالمدينة ١٤١١هـ .
- ٣٠- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير للحافظ أبي الفتح محمد بن سيد الناس اليعمري، بالاشتراك مع زميل، دار التراث بالمدينة ودار ابن كثير ١٤١٣هـ .

ومن دواوينه الشعرية :

٣١- أمجاد الرياض (ملحمة شعرية في حياة الملك عبدالعزيز)، شاركت في طباعته داره الملك عبدالعزيز ١٣٩٤هـ.

٣٢- غناء الجرح، نادي المدينة المنورة الأدبي ١٣٩٧هـ.

٣٣- همسات في أذن الليل، نادي المدينة المنورة الأدبي ١٣٩٧هـ.

٣٤- حروف من دفتر الأشواق، نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤١٠هـ.

٣٥- تفاصيل في خارطة الطقس، نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤١١هـ.

٣٦- مرافئ الأمل، النادي الأدبي الثقافي بجدة ١٤١٣هـ.

٣٧- تأويل ما حدث، نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤١٨هـ.

٣٨- أسئلة الرحيل، دار البلاد للطباعة والنشر، الناشر : المؤلف ١٤١٩هـ.

٣٩- في دائرة الغبار، نادي جازان ١٤٢٤هـ.

٤٠- ثروة على صفاف العقيق (مختارات من شعره) ١٤٢٤هـ.

٤١- على أعتاب المحبوبة، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٢٥هـ.

وسيصدر له قريبا وهو رهن الإعداد والطبع :

١- الشيب في الشعر العربي القديم - دراسة وتقييم

٢- مدخل إلى علم ثلاثيات القرآن الكريم (توصيف وتأصيل) .

٣- الأفاسير وأشياء أخرى .

٤- قراءة في دفاتر بعض الحمير .

٤- فهرس مؤلفات حسين علي حسين :

١- الرحيل - مجموعة قصصية - صدرت عام ١٩٧٨ .

٢- كبير المقام - مجموعة قصصية - صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة عام ١٩٨٧ .

٣- ترنيمة الرجل المطارد - مجموعة قصصية- .

٤- طاہور المیاء الحدیدیة - مجموعة قصصیة- عام ١٤٠٥هـ .

٥- رائحة المدینة - مجموعة قصصیة-

٥- فهرس مؤلفات علی حسن :

١- حصة زمن - مجموعة قصصیة- صدرت عام ١٣٩٦هـ .

٢- حوار تحت المطر - مجموعة قصصیة - صدرت عام ١٤٠٤هـ .

٣- الطیبون والقاع - رواية - صدرت عام ١٤٠٤هـ .

یضاف إلى هذه القوائم من المؤلفات ، ما كان الأعضاء یشترون به فی الكتابة لبعض الصحف ، وما كانوا یسعون إلى إضافة بعض الشخصیات الأدبیة التي كانت تأتي إلى المدینة، من الزوار والهجاج .

أعضاء الأسرة

سبق أن أشرنا إلى أن الأعضاء المؤسسين كانوا ثلاثة ، هم : حسن مصطفى صيرفي ، ومحمد هاشم رشيد ، ومحمد العامر الرميح ، الذي أجبرته ظروف عمله على مغادرة المدينة ، وفيما يلي نذكر أعضاء الأسرة مع تعريف العضو تعريفا يسيرا لا يتعدى السطور المحدودة :

١- محمد العامر الرميح :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٤٨هـ ، وبها درس ، وفي القسم العالي من مدرسة العلوم الشرعية تخرج ، وذلك سنة ١٣٦٧هـ ، واشتغل بعدها ببعض الأعمال الحرة ، وفي عام ١٣٧٧هـ ترك ذلك إلى الوظائف الحكومية ، فعين مديرا لمكتب المطبوعات بالدمام ، ثم بمطبوعات الرياض سنة ١٣٧٩هـ ، ثم بالمديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر بالرياض أيضا .

وهو عضو مؤسس لأسرة الوادي المبارك ، لكنه اضطر لمغادرة المدينة بحكم عمله ، وانقطعت علاقته الفعالة بها ، وقد نشر أكثر إنتاجه بالمجلات الأدبية في البلاد العربية ، كمجلة الأديب البيروتية .

أثاره :

١- جدران الصمت - ديوان شعر - ١٧٠ صفحة من الشعر الرمزي - صدر في بيروت سنة ١٣٧٤هـ .

٢- قراءات معاصرة - ٢٤٠ صفحة - في النقد - صدر ببيروت سنة ١٩٧٢م .

وذكر له ابن سلم في الموسوعة كتابين آخرين لم أرهما ، وهما :

١- أنا / ديوان شعر

٢- الليلي الحمراء / مجموعة قصص قصيرة .

أما ناشر كتابه (قراءات معاصرة) فقد كتب على الغلاف - بموافقة المؤلف بالطبع - ما يلي :

- محمد العامر الرميح ، أديب وشاعر سعودي مرموق ، طالما كتب عنه الأدباء والنقاد ، وهو من مدينة (الرس) في منطقة القصيم ، في المملكة العربية السعودية ، وقد ولد ونشأ في المدينة المنورة .
 - يعمل حالياً في السلك الدبلوماسي ، وقد عمل لمدة خمس سنوات ملحقاً صحافياً في السفارة السعودية في دولة الكويت ، كما يتولى حالياً المنصب نفسه في السفارة السعودية في لبنان .
 - وتربطه علاقة صداقة قوية بكبار الأدباء والشعراء من البلاد العربية والمهجر .
 - تصدر له قريباً مجموعته الشعرية (جدران الصمت) وتضم قصائده من الشعر الرمزي ، كما يعد للطبع مجموعته الثانية (قصائد صبي مراهق) وتضم غرامياته .
 - ويعكف على إعداد كتابه المنتظر (دراسة في الأدب السعودي المعاصر) وهو دراسة تحليلية للأدب السعودي المعاصر على ضوء مناهج النقد الحديث .
- قلت: لقد أهداني - رحمه الله - نسخة من كتابه (قراءات معاصرة) الذي قسمه إلى ثلاثة محاور : (دراسات - مراجعات - نقد) ، وكنت أمتلك نسخة من ديوانه ، لكنها ضاعت مني ، فلجأت إلى الصديق العزيز الدكتور حسن بن هويل ، عله يسعفني بصورة من نسخته ، ومضت الأيام ، ولم يعثر على البغية ، لذا فإن اختياري لنماذج من أعماله سيكون من كتاب (قراءات معاصرة) .

♦ قال بعنوان (وظيفة الناقد الأدبي) ص ١٥ :

«كل إنسان بطبيعة تكوينه ، منذ طفولته ، يمارس بالغريزة عملية النقد ، نقد ذاته أو نقد من حوله، وتصرفات (الغير) دائماً ، مهما كانت نوع تلك التصرفات ، تثير فينا غريزة الانتقاد وتلمس نواحي الخطأ والصواب فيها ، وما الأدب والشعر والغن إلا أساليب من تصرفات الإنسان المختلفة ، والنقد ذاته ما هو إلا أحد هذه التصرفات .

والنقد أنواع عدة: هناك مثلاً النقد الأدبي وهناك النقد الذاتي الخ... ولكل شكل من أشكال النقد أصول ومناهج ومقاييس ، وينبغي على كل ناقد ، مهما كان مجال نقده وموضوعه ، أن يكون على قدر كبير من الإنصاف والحياد ، وعلى قدر كبير من الثقافة والمعرفة ، وخاصة بما

يتصل بعمله كناقد ، وما يتصل بالأثر الأدبي أو الفني الذي يتعرض لنقده .

وللناقد الأدبي بصورة خاصة ، رسالة ضخمة من الضروري أن يكون أميناً لحملها ولتأديتها . ومن أهم مستلزمات الرسالة أن يكون متجرداً في نقده من جميع الرواسب الشخصية والمآرب الخاصة ، كأن يكون بينه وبين صاحب العمل المنقود خصومة أو سوء تفاهم . فيحاول عن طريق تأدية رسالته كناقد تعرية خصمه وتشويه عمله الأدبي والاكتفاء بإظهار العيوب والأخطاء وإغفال المميزات الحسنة .

إن أي ناقد يسخر قلمه ، ويوظف رسالته الأدبية كناقد أدبي في مثل هذه الأغراض الشخصية هو بمثابة من يرتكب خيانة عظمى في حق الأدب والنقد .

ويجب على الناقد الأدبي أن يتفهم بعمق (نفسى) صاحب الأثر الذي يقوم بنقده ، ويتعرف إلى العوامل الأساسية التي أملت الأثر المنقود ، سواء أكانت تلك العوامل نفسية أو عاطفية أو اجتماعية .

وأنا في ذلك أختلف رأي (أوسكار وايلد) الذي يقول : إن النقد الأصيل ما هو إلا التعبير عما يختلج في نفس الناقد وليس التعمق في العمل الذي ينتقده . إن (أوسكار وايلد) برأيه هذا يهدم الأسس الحقيقية التي يجب أن يقوم عليها النقد الأدبي ، فمتى أصبح الناقد يسخر آراءه النقدية حسب ما تمليه عليه روايته النفسية يكون قد خان وظيفته كناقد أدبي وأهمل أهم مقومات أسس النقد وهي التعمق في العمل الأدبي ودراسة نفسية صاحبه ، شاعراً أم أدبياً أم روائياً ، والدخول إلى ما وراء العمل الأدبي وسبر أغواره ، وليس الحكم عليه من الخارج ومن خلال ما يختلج في نفس الناقد كما يقول (وايلد) .

وأعتقد أن معظم النقاد العرب الذين يمارسون النقد في هذه الأيام يصدر عن أحكامهم من خارج الأعمال الأدبية التي يقومون بنقدها ، ولذا نجد كتاباتهم تتميز بالنظرة الضيقة ، لأنهم يعالجون الأعمال الأدبية من خارجها ومن خلال القشور ، ويهملون الناحية المهمة ، وهي التعمق في ما وراء العمل الأدبي واكتشاف المقومات الأساسية في المضمون ، ولعل هذا من أهم الأسباب والعوامل التي ساعدت على قوقعة الأدب العربي المعاصر وانطوائيته وتخلفه عن آداب الأمم الأخرى ، وجعله أدباً محلياً غير قادر على اكتساب صفة العالمية .

ولعل من أصعب المشاكل في النقد الأدبي هو اختلاف ذوق ناقد عن ذوق ناقد آخر ، مما يجعل (الأحكام) على الأثر الأدبي تختلف باختلاف أذواق النقاد وتباين أمزجتهم وآرائهم ، وهناك آثار أدبية كثيرة ، قديمة وحديثة ، تناقضت آراء النقاد فيها وأحكامهم .

والمعروف أنه من خلال تطور حركة النقد الأدبي في مصر ، في الأربعينات والخمسينات ، سجل التاريخ الأدبي لتلك الفترة (حالات) لا حصر لها ، للتخبط والتناقض في الأحكام عند النقاد ، من أمثال العقاد والرافعي وسعيد العريان وسيد قطب ، كما اختلفت آراء وأحكام النقاد في تلك الفترة وما بعدها بقليل تجاه شعر علي محمود طه وإبراهيم ناجي وأحمد زكي أبي شادي وغيرهم ، وقد سبقت ذلك بسنوات حالات مماثلة تجاه شاعرية شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران وعبد الرحمن شكري .

ولا شك أن الأمور التي ساعدت على تخبط آراء النقاد وتناقضها هو أن النقد الأدبي في مصر كان يقوم آنذاك على (الاجتهاد الشخصي) وليس على أسس ومناهج نقدية ذات أصول وقوانين ومفاهيم علمية .

وفي رأيي أن النقد الأدبي الجديد الذي ظهر فيما بعد تلك الفترة وكان مبنياً على أسس صحيحة ومفاهيم علمية حديثة ، بدأ على أيدي طائفة من الأدباء الشباب في مصر ، ومن بينهم : أحمد خلف الله ، وعز الدين إسماعيل ، ومصطفى السحرتي ، وأنور المعداوي ، ومحمد مندور ، ومحمود أمين العالم ، ورجاء النقاش ، ورشاد رشدي وغيرهم .

وأصبحت توجد هناك عدة مدارس نقدية أكثرها تعتمد الطريقة الجديدة في النقد ، المبنية على علم النفس ، وأصبح أكثر النقاد على اطلاع واسع على أصول وقواعد النقد الأدبي في العالم ، وخاصة في بريطانيا وفرنسا وأمريكا ، وبدأت (النظريات النقدية) في العالم العربي متأثرة إلى حد بعيد بالنظريات النقدية الأوروبية والأمريكية ، والتي تتمثل أكثر شيء في إنتاج ت . إس . إليوت . وسانت بيف ، وغيرهما من نقاد الأدب الحديث .

ولقد أدرك النقاد الجدد في العالم العربي اليوم أهمية إيجاد قواعد وأسس حديثة للأعمال النقدية ، فظهرت - بالفعل - محاولات جادة تبلورت أكثر شيء في المقالات والدراسات النقدية التي تنشرها مجلة (الأدب) البيروتية وتحدثت في معظمها وظيفة الناقد الأدبي كما

يجب أن تكون ، وقد توفق نقاد عديدون إلى تسجيل أعمال نقدية باهرة فيها .

♦ وقال بعنوان (المفهوم المباشر للشعر) ص ٢١ :

«كما أن الشعر موهبة وليس اكتسابا كذلك (فهم الشعر) ، والذي أعنيه بالفهم المباشر للشعر هو ارتباطنا بالشاعر وتقمصنا لروحه ومعيشة تجربته ، أما الفهم غير المباشر فهو كوننا نتلذذ بموسيقى أوزان القصيدة وبإيقاعات قوافيها فحسب ، مع أن أكثر الناس - حتى الأميين- يتلذذون ويتميلون طربا من سماع الشعر الموسق ، حتى لو كان شعرا أجوف ، ولكنهم يقفون بعيدا جدا عن (الجو الداخلي) للقصيدة ، تماما مثلما نكون قد استمعنا إلى أغنية لا نفهم معانيها ، كأن تكون أغنية أجنبية لا نتكلم لغتها ، إنا بالفعل نستمع ونتلذذ بموسيقاها وبلحنها الجيد ولكننا نجعل (الصوت الداخلي) فيها . كذلك يستحيل على أي إنسان أن يفهم فهما مباشرا الصوت الداخلي للشعر ما لم يملك القدرة والموهبة على الفهم المباشر للشعر أو لأي أثر أدبي أو فني .

وزيادة في الشرح أقول : يصدف -على سبيل المثال- أن يجتمع ثلاثة أشخاص أحدهم يقرأ في قصيدة ما . واثان يستمعان إليه ، الأول منهما يتلذذ بصوت زميله الذي يقرأ القصيدة وبحركات الكلمات على لسانه ، بينما يجذب الشخص الثاني إلى ما وراء الحركات والكلمات ، يجذب بكل حواسه الشعورية إلى (الصوت الداخلي) في القصيدة ، ويعايش الشاعر في تجربته وفي معاناته وتقمص روحه كما لو كان يقوم بعملية مشاركة في ولادة القصيدة ذاتها ، هنا نجد الشخص الأول مفتقرا إلى موهبة الفهم المباشر ، بينما توفرت عند الشخص الثاني ، ولا شك أن (الموهبة) وحدها لا تكفي فلا بد من توفر ثقافة واسعة أيضا .

إذن فالصلة التي تربط بين الشاعر والمتلقي أو القارئ هي صلة (الفهم المباشر) من المتلقي أو القارئ ، يقابلها بالضرورة صلة (التأثير) و(صدق التجربة) و(وضوح الصوت الداخلي) للشاعر في قصيدته ، وإذا لم تتوفر كل هذه (الحالات) هنا وهناك ، تبقى المواءمة بينهما مهزوزة وباهتة ، وتبقى المزاوجة باطلة وغير صحيحة .

ولا شك أن العقل الباطني والعقل الواعي معا لدى قارئ القصيدة أو لدى متلقيها ، يجب أن يكونا منفتحين بـ(شهية) لتفهم الأبعاد الخلفية للصوت الداخلي في قصيدة ما ، ليتمكن من

خلالها استقطاب هذا الصوت الذي هو صوت الشاعر أصلاً .

وإذا أردنا أن نحكم على قصيدة ما بالقوة أو بالضعف فإن حكمنا يصدر تبعاً لقوة أو ضعف الصوت الداخلي للقصيدة ومدى تأثيره فينا ، في شعورنا وحواسنا وفي انفعالاتنا ، ومدى تجاوبنا مع الشاعر عن طريق ما نسميه بالعقل الباطني والعقل اللاواعي .

ولا شك أن قدرة (الفهم المباشر) لدى الناس تختلف من شخص إلى آخر ، من حيث القوة والضعف ، بحسب مستوى كل شخص ، وبحسب درجات مواهبه ومؤهلاته الفطرية وثقافته وذكاؤه أيضاً ، وبالتالي حسب تكوين ذهنيته ، فهناك من يملك قدرة الفهم المباشر للشعر وثان للموسيقي ، وثالث للرسم ، وقد تجتمع كل هذه القدرات أو المواهب لدى شخص واحد ، وهناك شخصيات أدبية وفنية وعلمية توفرت عندها قدرة الفهم المباشر في عدة مجالات .

ويختلف الشعر عن أي شكل من الأشكال الأدبية أو الفنية كونه أفضل أدوات التعبير للإنسان ، ولكنه أصعبها إطلاقا ، فليس كل إنسان يستطيع أن يعبر عن تجاربه واختبراته النفسية والشعورية بصدق ووضوح رؤيا بواسطة الشعر ، لأن الشعر موهبة قبل كل شيء وليس صنعة مكتسبة ، وبما أن الشعر أصعب أدوات التعبير للإنسان ، كذلك فإن فهم الشعر فهما مباشرا ليس عملية سهلة إطلاقاً» .

٢- حسن مصطفى صيري :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٣٦هـ ، وبها درس ، ومن أساتذته في المسجد النبوي الشيخ الطيب العقبى ، والطيب الأنصاري . تقلد عدة وظائف كان آخرها وظيفة (مدعي عام) بشرطة المدينة المنورة ، وهو من رواد الرياضة البدنية بالمدينة المنورة ، وعمدتها ، ومن مؤسسي كثير من أنديةها في وقت مبكر ، ومن رعاة الفنون الشعبية فيها ، كما له اهتمامات بالتراث الغنائي والكسرات وأصول المقامات والألحان ، وهو من طلائع شعراء المدينة المعاصرين ، وهو - كما قلنا - عضو مؤسس لأسرة الوادي المبارك ، وكذلك عضو مؤسس لنادي المدينة المنورة الأدبي ، وقد حنّ بأخوة منذ سنوات إلى أرواح الأم (أسرة الوادي المبارك) وأشدائها ، فأنشأ صالونا خاصا ، يعتقد كل يوم ثلاثاء ، وتغشاه نخبة من رجال الرعييل الأول ومن الشباب ، وبخاصة أنه قد كبر ، وقلب له بعض رفاق الدرب ظهر المجن . ومن دواوينه الشعرية :

١- دموع وكبرياء : - طبع في وقت مبكر - وظهرت طبعته الثانية عن نادي المدينة المنورة الأدبي .

٢- شبابي - من منشورات نادي المدينة الأدبي - سنة ١٤٢٤هـ .

♦ ومن ديوانه الأول ص ١٠٣ بعنوان (يا ليل) :

يا ليل هل بَيَّتْ أمرا ؟ أين الصباح مضى وفرا ؟؟
يا ليل من أغراك بي حتى كأنك نلت أجرا
أتلفتني .. رفقا .. أأنت نذرت بي للبؤس نذرا ؟؟
أين المفر وقد أحطت علي من لأواك بحرا ؟
نزَّ الأسى من قلبي المكبول في الأصفاد أسرا
وتسرَّبت نفسي مع الدمع الذي قد سال نهرا
وتهاطلت نغم الحياة تخصني صوباً وقطرا
والنوم ، إن شبراً دنوت له يفر النوم مترا
يا ليل عسفك لا يطاق وإنني بالعطف أحرى
أرعى نجومك سارحاً أقتات طعم الموت صبراً
ماذا جنيت كذا (تمرمر) عيشتي ، يا ليل صبراً...!!
خدِّي على كفي، وحيناً باليدين أدقُّ صدرا
وعلى الجبين أبث أصابع راحتي أن تستقرأ
تغدو وترجع ، وارتعاش أناملتي يزداذا ذعرا
وتعود (تنقره) لتوقظ إن غفت في الرأس ذكرى
فإذا عييت وخلت إعيائي يقود النوم قسرا

ألقي بجسمي في السرير ورغم ذاك أهب قهرا
لأطوف في بيتي وأهجر غرفتي لأحل أخرى
فأعد (مرتبتي) وأطفئ (لمبتي) وأكن نذرا
وألف نفسي بالدثار متمماً سُوراً وذكراً
متقلباً ذات اليمين موالياً شفعاً ووتراً
وفرائشي المقرور يلذعني فألقى منه نكرا
ويلوح لي وجه الحبيب يبعثر البسمات سحرا
فأهب من عبثي ، وأوقد (لمبتي) ، وأظلم أقرا
وأقلّب الأوراق ، لم أقرأ من الصفحات سطرا
فأفتر للسطح الرحيب لعلّ فيه يكون خيرا
وأعود للغرف الكثيبة هكذا مداً وجزرا
أه على عهد العقيق وضفة صغرى وكبرى
والسيح ، والجسر الذي قد كان في الأصال وكرا
والقصر ، والجُماء ، والفجر الندي يفوح عطرا
وأنا وأنت وعالم نفث الغرام عليه سحرا
نبني أمانينا ونرفع من ذرى الأحلام أخرى
أه عليه! خدعتني وطعنتني في الظهر أخرى
فعليك مني لو أسأت تحيةً كالمسك تترى
يا ليلٌ أذنت الديوك وهذه يا ليل بشرى
ها قد بلغت رذيل عمرك بعد ما لا قيت عسرا

الآن توشك أن تموت وكم جنيت علي وزرا
سأكون خصمك عند من جعل القضاء عليك فجرا

وقد ترجمت له بتوسع في كتابي (شعراء من أرض عبقر) ج ١ .

٣- محمد هاشم رشيد :

ولد بالمدينة المنورة ١٣٤٥ هـ وتوفي بها سنة ١٤٢٣ هـ ، وتخرج في القسم العالي من مدرسة العلوم الشرعية ، تقلب في العديد من الوظائف الحكومية ، كان آخرها وأهمها عمله في المطبوعات بوزارة الإعلام بالمدينة .

وهو عضو مؤسس لأسرة الوادي المبارك ، وعضو مؤسس لنادي المدينة المنورة الأدبي ، وثاني رئيس له ، وهو من أهم أعلام الشعر الرومانسي بالمملكة العربية السعودية ، وقد نشرت له مجموعة من الدواوين ، أهمها :

١- وراء السراب ، صدر بالقاهرة عام ١٣٧٣ هـ .

٢- على دروب الشمس ، عام ١٣٩٧ - النادي الأدبي بالمدينة المنورة .

٣- في ظلال السماء ، عام ١٣٩٨ - النادي الأدبي بالمدينة المنورة .

٤- على ضفاف العقيق ، عام ١٣٩٩ - النادي الأدبي بالمدينة المنورة .

٥- على أطلال إرم ، عام ١٤٠٠ - النادي الأدبي بالمدينة المنورة .

♦ ونورد له قصيدتين الأولى من ديوانه (في ظلال السماء) بعنوان (أصدقاء العقيق) ص ٢١ :

أنا في الطريق

أمشي على خطو القمر

والأفق ينبض بالصور

والليل يهمس بالذكر

ويقول لي : هذا المقر

فهنا العقيق
هذا ثراه .. ألا تراه ..؟؟
والطيب يتفح من رباه
وهنا تضمك صفتاه
لتغوص في سر الحياة
وأنا غريق
أطفو على موج القرون
وتهيم بي لجج الظنون
حيرى فأصرخ : من أكون ؟
أنا في مدى الوادي الحنون .. !!



أملئ بريق
لم يبق منه سوى ضباب
ورؤاي مهزلة السراب
وهوأي أوهام الشباب
وأعود أصغي للعباب



فإذا العقيق
يروى على سمع الصخور
أمجادنا عبر العصور

فيضمني طوفان نور

ورؤى غد عذب ظهور

حلو البريق

مثل العقيق ..

♦ والثانية بعنوان (جبل أحد) ص ١٠٤:

لقيت كنز الحنان في صدرك الأرجواني

يا رمز مجد من بلادي انتشر

يا جبلا .. يورق فيه الحجر

ويصدق الشوك به والزهر

با جبلا أشعر في قربه

بأنني أسكن في قلبه

وأنتي أترع من حبه

كأسي وألقى الأمانى في صدره الأرجواني

إذا التقينا وطواني العبير

وعشت في الحلم الكبير .. الكبير

أحس يا أحد بقلبي يطير

على ربوع المجد والمكرمات
على مغاني الشوق والذكريات
على الربي الخضر بوادي قناة
على سطور الزمان في صدرك الأرجواني



تضم يا (أحد) بلاد النبي
من شرقها تمتد للمغرب
على شمال البلد الطيب
وكل معنى الحنان في صدرك الأرجواني



هنا على السفح المديد... المديد
ينام في ظلك أزكى شهيد
وحوله .. كل همam .. مجيد
رأى طيوفَ الجنان في صدرك الأرجواني
فانقض في عنفوان لكي ينال الأماني

وقد ترجمت له بتوسع في كتابي (شعراء من أرض عبقر) ج ١ .

٤- عبد السلام هاشم حافظ :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٤٧هـ، وبها توفي سنة ١٤١٥هـ، وهو من أعضاء أسرة الوادي المبارك البارزين الجادين، وعضو منتسب لنادي المدينة المنورة الأدبي، له نشاط كبير، ودأب واستمرار في الكتابة الصحافية، ولا عجب في ذلك فهو من أسرة صحافية أنشأت جريدة المدينة المنورة، خلف وراءه أكثر من أربعين مؤلفاً، بين شعر، وقصة، ومقالة، وبحث. ويعتبر خير مثال للكفاح

الشخصي ، والتحصيل الذاتي .

وقد تم طبع أكثر مؤلفاته أيام الأسرة ، منها :

- ١- المدينة المنورة عبر التاريخ .
- ٢- آل سعود والعصر الذهبي ١٣٧٤هـ .
- ٣- الأنوار الذهبية، شعر ١٣٨٧هـ .
- ٤- سمراء الجزيرة، قصة طويلة ١٣٧٦هـ .
- ٥- العذراء السجينة، جمع فيع بين الشعر والنثر ، اقتداء بجبران وأمثاله -
- ٦- مذيح الأشواق، شعر ١٣٧١هـ .
- ٧- قلوب كلمية، قصص ١٣٧٤هـ .
- ٨- راهب الفكر، ملحمة شعرية ١٣٧٤هـ .

وانظر فهرس مؤلفاته في (عمر الأسرة) .

♦ ونورد له هنا قصيدتين ، الأولى بعنوان (حديث أم) المجموعة الكاملة ج٢ ص٣٥:

بُنِيَّ .. ماذا عرى أحياءنا الخضرا بستاننا والبيوت البيض والنهرا ؟
ما ذا رأيت من الشباك يفزعنا ؟ ماذا عرفت من العدوان ، واستشرى ؟
بني مهلا .. فلإني اليوم راوية لك الأعاجيب مما كان أو مرا
فأنت لم تشهد المؤسسة طاعنة إخواننا والربا والحقل والزهرا
وقد تمادى العدو الوغد في النقم



ما ذا تحدث عن أدواره الخطره في شرقنا اليوم من أعماله القدره
ففي فلسطينا (صهيون) عابثة من نصف قرن بها العلات منفجرة
الإنجليز أحلوا أرضنا فئة شريرة تستبيح القتل مستعرة

في كلِّ يومٍ لهم في الغدر حادثة حتى أضاعوا أهالينا وكالسحرة
ظلموا بمجوننا بالقهر والوخم

بنيَّ كم قد بكينا وارتحبنا الغدا لم يأت فجر يغنينا ويحي الغدا
فثار فينا وليد الأمس وانفجرت أعماقنا بلهيب الحقد تفري العدا
هيا بنيَّ وأن الكل في ثقة نعيد موطننا.. من غيره يقتدى؟
كل الشباب فدائيون.. انطلقوا بل شبية، ونساء نحن أهل الفدا
نقدي فلسطينا بالروح والهمم

بنيَّ لم نستفد بالصبر والأمل لا لن تعود أراضينا مع المثل
إلا بحربٍ ضروري لا مهادنة فيها وإلا فقد عدنا إلى الخطل
عدونا شرس.. والحق يدفعه للظلم والقتل والتدمير بالحيل
خمسون عاماً يعاني من صلاته الناس والوطن الغالي، فوا خجلي
كيف استنمنا على الأحداث والظلم

بنيَّ كن واقعاً للواقع العجب احمل بنفسك عبء الحرب والنصب
فالمراد العربي اليوم أنت له رمزٌ يناضل بالإيمان واللهب
عليك أنت أمانينا يترجمها إخلاصك الحق ، حتى تنجلي كربى
ويعحق الله (إسرائيل) يغرقها في ذلها.. ليعود الأمن للعرب
حتى فلسطينا تحيا مع الأمم في موكب السلم والأحرارا والذم
غداً قريباً سيزهو فوقها علمي

♦ والقصيدة الثانية بعنوان (إلى أين يا قدسنا؟) المجموعة الكاملة ج ٢ ص ٣٨ :

وعام مضى ما أمراً خطاه ويا شقوة الروح يسقي دماه
يجول الظلام إلى كل عين فلا تبصر اليوم إلا رؤاه
ومدمعها للزمان اشتكى جفاف الجفون وظلم الحياه
وزمجر في النفس في ثورة ودمدم في كل عرقٍ لظاه

وعام مضى بالهوان النزيل وفي القدس تعبت تلك القلول
شياطين (صهيون) والمجرمون أحالوا البلاد لسجن مهول
هناك نسيناهُ بالجَولان بنابلس بالناصره بالخليل
قلوب تئن لعظم البلاء وفي كل دربٍ جراحٌ تسيل

وعام تدجى علينا بشؤم مضى.. ليت له لم يكن عام سقم
هو الليل في حضنه القدس تبكي وتعوي الدروب بحزن وهم
تجوب بهاللمعدور زايبا خطاه بوحل وغدرٍ وإثم
فوا سواتاه.. قوى البغي تبقى بأرض البطولات تفني وتصمي

مضى العام أشباح ليل حزين ثقيلاً ممراً على المسلمين
تدور رحاه بأكبادنا ويضرم فينا سكير السنين
هو الثأر يذكو بأحقادنا على الظالمين على المعتدين
هو اليقظة اليوم في كل قلب يثور لحق الحياة المهين

فلا بد من محو تلك الذكر وإشعالها للغد المنتظر
نعيش بأوطاننا سادة يروع فيها العدو القذر
ندمر أبناء صهيون حتى فلسطين تشدو الصباح الأغمر
بعود الديار لأصحابها ونصرتنا في جهاد الخطر
ونحيا الوجود الكريم الأثر

٥- ماجد أسعد الحسيني :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٤٢هـ، وتوفي سنة ١٤١٨هـ، تخرج في مدرسة العلوم الشرعية، وأول عمل له بوزارة الداخلية، ثم التحق بوزارة الإعلام منذ سنة ١٣٩٠هـ، عضو غير منتظم في أسرة الوادي المبارك، وذلك بحكم انتقال عمله إلى الرياض، وله من الدواوين :

١- تسالي، طبع سنة ١٣٧١هـ .

٢- حيرة، طبع سنة ١٣٨٦هـ في بيروت .

٣- ضياع، طبع سنة ١٤٠١هـ في نادي الرياض الأدبي .

وهو من الشعراء الرومانسيين المعدودين، وقد كتبت عنه بتوسع في (شعراء من أرض عبقري ج ١).

♦ ونورد له هنا نصين من ديوانه (ضياع)، الأول بعنوان (أطياف) ص ١٧، وقد قدم لها بقوله:
لم أكن نائما، ولكنني لم أكن مستيقظا، وكل ما أذكره أنني ألقيت بنفسي على الفراش،
وقالوا : إنني قلت هذا يوما :

مررت الأطياف في موكبها سابحات بين أضواء القمر
كيف ضلّت عن دنا، كوكبها في صميم، من دنا الخلد الأغمر
قلت: يا أطياف أضللت الطريقا وتهاويت إلى دنيا العدم
قلن: (طيّف) ضلّ في الكون غريقا نحن نستجليه في هذي السدم

قلت: ما عندك من أوصافه؟ فتفرَّسن، وأهوين إلي
قلن: مه، إنَّك في أعطافه وتدانين لأخذي من يدَي

قلت: إنَّي بشرٌ أصلي التراب قد خُدِعتن فخلُوني لحالي
شاعرٌ يحيا بدنيا من سراب وأمانٍ وشجونٍ وخيال

قلن: هذا النور ما بين جبينك قد عرفنا فيه سرَّ الشاعر
والرؤى تلمع في دنيا عيونك وعلى ثغرك همس الساحر

ويك، يا أطياف، قد قلتِ عجبا إنمّا غيري ذياك الحلم
أنا (طيفُ) جاء للدنيا غربا حائراً يهتف ألحان الألم

قلن: كنت الأمس فيما بيننا وافتقدناك فقالوا: غرقا
راح للشاطئ يهفو مُوهنا فطواه اللجُ لما زلّقا

قلت: لا أعلم عن ذا الساحل وهنا أرضي وهذا عالمي
عشت عمراً بين هذا الأهل لم أكن في عمري بالواهم

قلن: هل أنسيَت شط الأبدية وطواك اليوم مقياس الزمن...؟
وتناسيت المجالي السرمدية يوم أن واروك في هذا البدن

قلت: خليني لدنياي وروحي أنا لا أعلم عن ماضي حياتي
لا تزيدني جراحاً في جروحي لا تعيدني لماضي الذكريات

كلما أذكر عن ماضيّ أني كان لي ماضٍ ولا أعلم أينما
 في صميم الغيب قد أضمر عني يتوارى كلما قلبت عينا
 في دمي منه شعورٌ مبهمٌ وحنينٌ لست أدري منتهاه
 مثلما راود قلباً حلمٌ ذهبي ، ومضى الصبح طواه
 قالت الأطياف: يا شاعر مهلا فلقد ضيعت بالأرجاس قدسك
 وتبدلت عن الأنوار ، ثقلا من يد الأرض فلا تذكر أمسك
 ضعتَ في دنيا زمان ومكان وبقياسهما قدّرتَ عمرَكَ
 لم تذكر عن تلك المغاني وتناسيتَ مع الأكدار قدرَكَ
 إن دنياكَ إلى آخرها لحظةٌ في خطوات الأبدية
 والمقاييس لدى عابرها لا مقاييس لأفق السرمديّة

♦ والثاني بعنوان (وجهة نظر) ص ٥١ :

قالوا: النزاهة، قلت: قد جرّبتهما فلقيت ما يلقي اللديغ وآلم
 وبقيت حيث أنا وقد فاز الألى سلكوا مع الورّاد حيث تيمّموا
 قالوا وتسأمها إذاً، لا والذي سمك السماء ومن يديه الأنجم
 هي في دمي لا أستطيع فراقها حتى تفارقني الحياة أو الدم
 قالوا: وتصبر، قلت كم من لذةٍ في الصبر لو تدرون عنه أنتم

قالوا: ستحيا هكذا أولا ترى أن التغافل كان فيه المغنم
أنا هكذا، قالوا: ستحيا معدما مهلاً فأشرف ما يكون المعدم

قالوا الصراحة، قلت : قد مارسها فلقيت منها ما يجلى ويعظم
كلُّ يحاول أن أسير برأيه وأخو الرئاسة في الرئاسة يحلم
قالوا: وتسأمها، فقلت: أجلها أنا بالصراحة مفرم ومتم

قالوا: ستبقى هكذا أو لا ترى أن القليل من التجمل ألزم
أنا في الصراحة لا أخالف ذمة أو أضرم الأخلاق أو أتهم
أأدور الحقَّ الصراح لغاية لرضى الرئيس أو الصديق فألجم
قالوا: ليرحمك الإله ومن سوى رب الخلائق من يعزُّ ويرحم

٦- عبد العزيز الربيع :

ولد في المدينة المنورة سنة ١٣٤٨هـ ، وتوفي سنة ١٤٠٢هـ ، وعمل في حقل التربية والتعليم
مفتشاً ، ثم مديراً للتعليم بمنطقة المدينة المنورة ، ثم مستشاراً .

كان من أعضاء أسرة الوادي المبارك البارزين ، بل كثيراً ما كانت تعقد اجتماعاتها في بيته ، وهو
عضو مؤسس لنادي المدينة المنورة الأدبي ، وكان أول رئيس له ، وله جهود فعالة في النهضة
التعليمية بمنطقة المدينة ، وله مجموعة من المؤلفات الأدبية والتربوية ، منها :

١- ذكريات طفل وديع .

٢- الخلق الفاضل في الإسلام .

٣- رعاية الشباب في الإسلام .

وقد نشر نادي المدينة المنورة الأدبي مقالاته في النقد الأدبي في ستة مجلدات بإشراف الأستاذ
محمد صالح البليهشي .

♦ ونختار له نصين ، الأول من (ذكريات طفل وديع) بعنوان (فندق الأدباء) ص ٢٤٦ :

« وليس للأدباء فندق ، ولكنه فندق كان يطل عليه أوتيل المدني وهو مبنى يحتوي على عدد كبير من الغرف يبدو أنه بني ليكون فندقا فعلا ، ولست أدري ما إذا كان قد استعمل فندقا قبل الفترة التي أُنحِدت عنها أم لا ، ولكن الذي أعرفه أن هذا المبنى الكبير كان خاليا باستثناء غرفتين أو ثلاثا ، وكان يشغل أحد هذه الغرف شاب من نوع فريد فهو شاب أديب على مستوى طيب من الثقافة يكتب القصة ويجيد الفرنسية ويحسن العزف على العود ويتمتع بأفاق واسعة ، فكانت غرفته ملتقى هواة الأدب والفن والموسيقى من الشباب ، وكان هو يخلقه السمع وثقافته الواسعة وأريحته العربية محور هؤلاء الشباب يجذون في مجالسته غذاء الذهن ومتعة الروح ومباهج الوجدان .

كان طالبا في مدرسة العلوم الشرعية جاء من الجزائر ليدرس العلوم الشريعة والعربية ، ومع ذلك كان له دور كبير في تحرير مجلة المنهل منذ إنشائها إلى انتقال بها صاحبها إلى مكة أو قبل ذلك بقليل ، إنه الأستاذ المرحوم أحمد رضا حوحو ، وقد عاد إلى الجزائر بعد انتهاء دراسته^(١) وأصدر عددا من المؤلفات ومات شهيدا في أثناء الثورة الجزائرية .

كان أديب آخر يشغل غرفة من غرف الفندق الكبير هو الشاعر خالد رجب وهو طراز فريد من الشعراء ، كان آية في خفة الظل وسرعة البديهة وقوة العارضة وجودة الطبع وكثرة المحفوظ ، كان شاعرا مطبوعا وكان بوهيميا ، فمجلسه حافل بالأدب والشعر والطرائف والذوق الرفيع ولذلك كان عامرا بألوان من الشباب .

وكان لخالد رجب صديق عزيز عليه لا يكاد يفارقه ، وكان مثله أديبا شاعرا كريم النفس خفيف الروح هو صديقنا الأستاذ عبدالسلام العمري وقد كان إلى عهد قريب رئيس تحرير مجلة الحفصي .

كانت جميع البوادر تشير إلى المستقبل الكبير الذي ينتظر خالد رجب في دنيا الشعر ولكن لأمر لا أدريه ترك المدينة إلى بلد آخر ثم تزوج وانطوى على نفسه انطواء عجيبة غير منتظرة ثم انتقل منذ سنوات قليلة إلى جوار ربه .

(١) عمل فترة من الزمن مدرسا بمدرسة العلوم الشرعية. الخطراوي

وقد ترك عددا طيبا من القصائد الشعرية لدى بعض أصدقائه كما ترك كثيرا من الذكريات الحلوة لدى صاحبه وعارفه وبعضها تتصل بالفندق الذي تتحدث عنه ومداعبته مع بواب الفندق والحيل التي كان يلجأ إليها للوصول إلى غرفته عندما يعود متأخرا في الليل وقد أقفل باب الفندق ونام الحارس وأصبح من المتعذر الدخول من الباب .

هذا هو فندق الأدباء . ولو كتب تاريخ هذا الفندق في الفترة التي أعرض فيها وسجل ما دار فيه من محاورات ومناقشات وما نظم فيه من أشعار ، وما وقع فيه وحوله من طرائف ونكات ثم ما ترك من آثار في الشباب والأدب والثقافة ، لو كتب وسجل ذلك لكان محصولا ثقافيا وتاريخيا حيا .

والواقع أنني لم أعاصر طويلا هذه الفترة لأنني قضيت سنوات المرحلة الثانوية في مكة ولم أكن أزور هذا الفندق إلا في فترات الإجازة الصيفية .

وانني لأذكر من القصائد الإخوانية بيتا من قصيدة موجهة إلى خالد رجب :

خالدٌ في وفائه ومقيمٌ ذو صفاتٍ معشوقةٍ مرضيةٍ
وأذكر بيتين في قصيدة موجهة إلى الأستاذ عبدالسلام العمري :

أخي عبدالسلام إليك مني تحايا كالصبا أو كالنسيم
وهبتكها كراموزٍ صحيحٍ لإخلاصي وشكري والنظيم

• والنص الثاني من كتاب (مقالات وتعليقات) بعنوان (الأدب السعودي والذبوع) ص ٢٠٦ :

« أردت ذات مرة أن أكتب بحثا فيما يتصل بالشعر في المملكة فرجعت إلى مكتبتي أبحث عن دواوين شعرائنا فما وجدت فيها غير جزء يسير منها ، رغم أنني من المهتمين بجمع الكتب وتكوين مكتبة متكاملة .

ولذلك أنحيت على نفسي باللائمة واعتبرت نفسي مقصرا تجاه المؤلفات السعودية ، وتساءلت : لماذا لم أشتري منها عددا كافيا ؟ وكان علي لا بد أن ألتمس بغيتي عند المكتبيين ، وأتدارك خطئي بشراء كل مؤلف سعودي تقع عيني عليه عندهم ، ولشد ما كانت خيبتني شديدة ،

حيث لم أجد من تلك المؤلفات ما يطفي ظمأ أو يشفي غليلا ، لم أجد غير كتاب أو كتابين لا صلة لهما بموضوع بحثي ، ولكنني اشتريتهما عملا بمذهبي الذي صممت عليه ، وهو شراء كل مؤلف سعودي مهما كان موضوعه ، ثم طرأت على ذهني فكرة حسبت أن عندها الحل لمشكلتي فقممت بزيارة بعض المكتبات العامة ، ومن المؤسف أنني لم أجد فيها أيضا ما يغنيني في موضوعي ، فقلت في نفسي : لعل كتابنا وأدباءنا ينهجون في نشر كتبهم منهج بعض الدول الحديثة التي تعيش في شراهة للعملة الصعبة فتعتمد إلى بعض منتجاتها الهامة التي يحتاجها أفراد شعبها فتصدرها خارج البلاد وتبيعها لدول أخرى فيكتب اسمها في كتب الجغرافيا ضمن الدول المصدرة ، وتوفر لها العملة الصعبة ويجوع شعبها ، فجعلت أردد قول الشاعر القديم :

كالعيس في البداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

ولكن بعد المتابعة الشخصية لهذا الموضوع وجدت أن المؤلفات السعودية المعروضة للبيع في دكاكين المكتبيين بالبلاد العربية قليل جدا وتصل إلى حد الندرة ، وإن عجبني لحد الآن لم ينته من هذه الظاهرة ؟؟

هل الأمر عائد إلى قلة النسخ المطبوعة ؟ أو إلى عدم إقبال القراء على مؤلفاتنا فلذلك لا يتاجر فيها المكتبيون ؟ أو هو راجع لسوء التوزيع من الجهة الناشرة ؟ إن التأثير الأكبر فينا يبدو لي يرجع للافتراض الأخير فالمؤلف السعودي يفتقر بحق إلى دور نشر تتحمل مسؤولياتها الوطنية والتاريخية والثقافية فتجمع بين الربح المادي وأداء الواجب ، وفي تجربة لنا مع بعض المطابع وجدنا أن سعر طبع الكتاب في الداخل يصل إلى ثلاثة أمثال طبعه في إحدى البلاد العربية مع الاختلاف في الجودة والإخراج أحيانا وهذه عقبة أخرى في وجه الكتاب السعودي ، فحذا لو خفضت المطابع أسعارها واكتفت بالربح المعقول بدلا من هذا الربح الخيالي ، لتسهل بذلك في البناء الثقافي لهذا البلد الكريم وتسهل خروج الكتاب ووصوله إلى أيدي القراء .

إن الأدب السعودي من خلال معاشتي الطويلة له يحمل في داخله كل عناصر الشهرة والذيع ، وهو لا يقل في مستواه عن مستوى الأدب في أي مكان آخر ، وهو قادر على شق طريقه إذا ما أتاحت له الفرصة وأزيلت من طريقه العقبات ، فكم من كلام فارغ يصلنا في شكل كتب من خارج البلاد فنسارع إلى اقتنائها وقراءتها .

إن الأدب السعودي أدب مظلوم بين أهله وذويه وذلك بالإعراض عنه، والتطلع إلى غيره، لا لعب فيه ولا لنقص في مستواه، ولكنها عقد الاستيراد وعدم الإيمان بالذات، ومظلوم من المطابع الداخلية بفرضها الأسعار الباهظة التي تجعل الأديب يحجم عن نشر إنتاجه، أو ترغمه على وضع سعر مرتفع للكتاب يصد الناس عن شرائه، ومظلوم مرة أخرى لعدم وجود دار نشر قادرة على إيصاله إلى كل مكتبة في مدننا وقرانا الكبيرة، ولولا التشجيع الذي يلتفتاه من الحكومة في صورة إعاز للوزارات والجهات المسؤولة بشراء كميات مناسبة من مطبوعات الأدباء - أقول لولا مثل هذا التشجيع لما تجرأ أحد على المجازفة بطبع إنتاجه، على أن هذه التشجيعات خاضعة للارتفاع والانخفاض، حسب قدرة المؤلف على الدبلوماسية والإقناع.. فمتى يظهر الكتاب السعودي يحظ أوفر، فيصل إلى الأسواق وينتشر في الأفاق ويمضي في طريق الحياة والخلود؟..

٧- محمد سعيد دفتردار :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٢٢هـ، وتوفي عام ١٣٩٢هـ، كان أول معتمد للمعارف بالمدينة المنورة، وعمل بالتدريس في المرحلة الثانوية أيضا، له مجموعة مؤلفات بين منشور ومشعور، منها :

١- قصة الأفندي، صدرت عن دار مجلة المنهل في وقت مبكر

٢- المجيدي الضائع، قصة طويلة، دار قریش، عام ١٣٨٩هـ .

٣- الحاجة فلحة قصة طويلة، دار قریش، عام ١٣٨٩هـ .

٤- ديوان شعر مخطوط، لم يفرج عنه أبناؤه إلى الآن .

وقد كتب عنه محمد العيد الخطراوي كتابا بعنوان (محمد سعيد دفتردار مؤرخا وأديبا) ننصح بالرجوع له . وجاء في غلاف الكتاب :

«لقد كان رحمه الله شعلة من النشاط لا تهدأ، قضى حياته في خدمة العلم والفكر، فهو الإداري المحنك، والمربي الخبير، والمعلم القدير، وهو المؤرخ البار، والناقد الفارع، والموسوعي الذي لا يشق له غبار، والشاعر الرقيق، والقصص النافذ البصيرة، والباحث المدقق، وليس على الله بمستغرب أن يجمع العالم في واحد، فكل ذا في يراعة الدفتردار، كما كل الصيد في جوف

الفرا ، غير أنا اخترنا أبرز وصفين فضمناهما العنوان ، وهما : (المؤرخ و الأديب) وذلك طلباً للاختصار ، ولانضواء أكثر الصفات فيهما ، وكذلك أقمنا الكتاب عليهما ، وقسمناه على أساسهما ، وأوردنا النماذج أيضاً تبعاً لهما ، وعلفنا باختصار عقب كل مادة أو قبلها حسب ما يقتضيه المقام .»

• وفيما يلي نورد له قصيدتين ، من دراسة الخطراوي عنه ، الأولى بعنوان (شوق ووفاء) ص ١٢١ :

عابوا وفائي لدار المصطفى طه وعيروني على عيني ومبكاها
رأوا ولائي لها مني مجازفةً يا ويحهم جهلوا نفسي ومرماها
بيني وبين بلادي أن أناجيها سرُّيلجَمُ أسمعاً وأفواها
لا تأمرنْ بسلوٍ لستُ أسمعُه ما قولة السوء تصبيني بمغزاها
قالوا : لنفسك حقٌ ، كيف تجهدُها ؟ يا ويحهم ، مَنْ هدى نفسي وسواها...؟
اللهُ بارئُها ، اللهُ مالِكها له هداها إذا ضلت وتقواها



أكاد والشوق تحدو بي ركائبه أشاهد النور من أُخذ تجلأها
أكاد والوجد ينحو بي لروضتها أشتَمُ طيباً لها ، يا طيب رَيَّاها...!
أكاد ألثمُ ترِباً تحت أرجل من مروا بطيبة إجلالاً لذكرها
أكاد ألثمُ أخفاف المطيِّ إذا ما الوجد جدُّ بها والسيرُ أضناها
أكاد ألثمُ ومض البرق من شغفي وأوقف الراكب الساري لمجلاها
أكاد ألثمُ ما ضمَّت ثيابكمُ يا من أتى طيبةً الله حيَّاها...!
أكاد ألثمُ عطراً من معاطفكمُ وأستطيب بما ضمَّت حناياها
أكاد ألثمُ ترِباً من مناسمها معطراً بزكي من سفاياها

أكاد أُلثم تريباً تحت أرجل من فازوا بزورتها إذ طاب مسعاها
أكاد أُلثم تريباً تحت أرجل من نالوا السعادة ، والوهَّاب أولاهـا
أكاد أُلثم تريباً تحت أرجل من مرُّوا على روضة الهادي ومغناها
أكاد أُلثم تريباً تحت أرجل من مرُّوا على جدثٍ للعرش قد باهى
أكاد أُلثم تريباً تحت أرجل من مرُّوا بطيبة دار المصطفى طه
أكاد أُلثم تريباً تحت أرجل من ساروا بطيبة روح اللّـه ترعاها
أكاد أُلثم تريباً تحت أرجل من مرُّوا بطيبة إعظاماً لذكراها
أكاد أُلثم تريباً تحت أرجل من مرُّوا بطيبة من شوق لمرأها
أكاد أُلثم تريباً تحت أرجل من نالوا السعادة، يا مرحى لسكناها



إني وقفت على الأطلال أسألها ما كل أرض بلاد الله شرواها
وقد يناجيك ومض من إشارتها وما يناجيك إلا سر معناها
صلى الإله وحيا روح ساكنها والآل والصحب من فازوا بسكناها

• والثانية بعنوان (إلهي) ص ١٢٣ :

إلى بابك المقصود شدت نجائب وألقت رحالاتِ الهمومِ الكتائبُ
فما نجعة الخيرات إلا بروضة يروحُ نفسي نشرها والأطايبُ
وما هي إلا نفحةٌ أحمديّة من الحجرة الفيحاء والحمدُ واجبُ
بمزدحم الأقدام في موقف التقى إذا التحمت خلف الإمام المناكب
وفي الحرمين الأكرمين تواردت لنادعواتٍ واستثيرت رغائب
شهدنا مقاماً للخليل معطراً يصلي به الحجاج والكلُّ طالب

ولما التزمنا الركن بعد طوافنا طلبنا ونرجو أن تُجاب المطالب
وفي المسجد الأقصى تباريح أمة رمتها بكف الغاصبين المصائب
شيوخ وأطفال صغار ونسوة ثكالى لهم من غيرة الله جانب
يكاد يحط الوهن من عزماهم وتحصهم بالقارعات الخواصب
فهىء لهم في مرفأ الغد منقذاً بصيراً، له في جانب العدل مأرب



إلهي تناديك الوفود تضرعاً وقد بادتها بالنكير العصائب
فإن أنت يا مولاي داركت أمرنا ودافعت عنا ، جانبنا المعاطب
ولم يبق فوق الأرض للخوف مسرح ولا من عوادي الحادثات مشاغب
وكيف نخاف الناس والله حزينا ؟ ونحن جنود الله والله غالب
فنسألك الغفران والعفو والرضا فإحسانك الصافي على الخلق ساكب
أنخشى بأن نشقى وبابك واسع..؟ وترضى بأن نضوى وكفك واهب..؟
وحاشا وكلا أن نضام بجيرة لها عائدات في العطا ومذاهب
ولكن هذا الدهر ضاقت صروفه على أمة الإسلام والجهد لاغب
وصل إلى العرش ما رقرق الندى وسالت ببطحاء العقيق المواكب
على سيد الأبرار، من شع نوره على (طيبة) الفيحاء ما لذ طالب

٨- عبدالرحمن سليمان رفعه :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٣١هـ وبها درس، اشتغل في الأعمال الحرة، ثم التحق بوزارة الإعلام
مديراً للمطبوعات في المدينة، ثم ترك العمل الحكومي، وعاد للعمل الحر، وهو من أعضاء أسرة
الوادي المبارك البارزين، وعضو منتسب لنادي المدينة المنورة الأدبي، له ديوان شعر يحمل اسم

(جداول وينابيع) من منشورات النادي الأدبي بالمدينة عام ١٤٠١هـ.

♦ ونختار من ديوانه القصيدتين التاليتين ، الأولى بعنوان (مرائي شاعر) ص ١٨٨ :

أناجي البدر والدنيا أمامي خيالٌ حيث ماضيَّ البعيد
وأرنول للسماء بغير وعيٍ يراعي الفكر في الظلَّ الشroud
مرائي شاعرٍ قد راح يجري وراء الأفق والأمل البعيد
فكم من لحظةٍ مرَّت وكانت بما مرَّت سراياً في الوجود
خيالات تداعبها الأماني وأشباحٌ تحطم للجهود
بذاك العمر قد ولي وولت وراء العمر آمال الخلود
فلا عتبٌ يفيد وقد نضونا ثياب العزم بالكف البليد
شبابٌ حطَّمته يد الأماني بفأس الياس في أسمى العهود
نعافر كأسنا ذلاً مقيتاً ونشرب نخب منتظرٍ بعيد
فلا الدنيا بنيناها لأخرى ولا الأخرى تسامت للمريد
كأننا قد هبطنا شرّاً خلق إلى الدنيا على شرِّ المهود
ولم نحمل من الألباء عرقاً به نسمو إلى سامي الجدود
وأنا قد حملنا الذلّ فرضاً فلانأبى الهوان مع القيود
وإن جدَّ السرى كنا وراء وخلفاً حيث منتجع العبيد
نداري البؤس في آهٍ تندت وتخفي الوجه عن رؤيا الجديد
ونبني بالكلام صروح مجدٍ على الأثباح أو سافي النفود
♦ والثانية بعنوان (صباح ثم ليل) ص ١٩٨ :

علام الليل يطويني بليلٍ وينشرني وقد ولى الضياء؟

ويدفعني إلى الدنيا غريراً كأنني منه واكبنني النماء
وفيم الليل يجعلني خديناً كأنني فيه أغراني البقاء؟؟
وقفت على ذراه بغير وعي أناجي الصبح فارتج الفضاء
بصوت لست أفهمه غريب من الليل المخيف له صداء
ولحن ضجعت الأرواح منه مخافة فيه يدركها الفناء
ختمت على الصباح فليس يبدو بخاتمة لها مني عطاء
فقلت وللصدي نجوى بصدري أليس الكون يحكمه القضاء
صباح ثم ليل ثم صبح وفي الإصباح ينتشر السناء
فهاج الليل مصطحباً أفاعي لها مني ومن مثلي انتماء
وماج بجانبه فخلت بحراً من الظلماء ليس له انتهاء

٩- عبدالرحيم أبويكر محمد :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٥٦هـ، وبها توفي سنة ١٤٠٢هـ، واشتغل بعد تخرجه مدرسا بالمرحلة المتوسطة ثم الثانوية، ثم عين موجهاً تربوياً لمادة اللغة العربية، وتوفي في حادث سيارة أليم في طريق تبوك مسافراً إلى القاهرة بشأن تحضيره للعالمية (الدكتوراة). حاصل على الفاضلية (الماجستير) في الأدب والنقد، وهو من أعضاء الأسرة البارزين، وعضو مؤسس لنادي المدينة المنورة الأدبي، كانت له مشاركات في المنهل، وعكاظ، والمدينة، وأسهم في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ببحث قيم عن شعراء المدينة في العهد التركي والشرقي، وقد نشر له نادي المدينة المنورة الأدبي كتابه المتميز: (الشعر الحديث في الحجاز في الفترة من ١٩١٦م - ١٩٤٨م).

• ونختار بعض فقرات من كتابه (ص ٧) :

« يعود اهتمامي بموضوع الشعر الحديث في الحجاز إلى أيام الدراسة الجامعية حينما كنا ندرس مع بعض أساتذتنا الأفاضل نصوصاً من الشعر العربي المعاصر ونتعرف من خلال تلك الدراسة

على اتجاهات ذلك الإنتاج ، وقد افتقدنا بين تلك النصوص نماذج من الشعر الحديث في قلب الجزيرة العربية عامة وفي الحجاز خاصة ، وعزونا يومها ذلك الافتقاد إلى أن شعرنا الحديث لم يقدم للدارسين والباحثين بطريقة جادة حتى يمكن له أن يجد مكانه بين تلك الآداب الإقليمية التي شددت اهتمام الدارسين والباحثين إليها ، ولم أجد بدا من الاسترسال مع تلك الرغبة بالإسهام في درس شعرنا الحديث حتى كانت هذه المحاولة الأولى على الطريق .

وقد أردت أن أجعل فكرة الإقليمية مجال اختبار في هذا البحث مع مجارة الاتجاه الجامعي في أفراد كل إقليم بالبحث حتى تكمل صورة الأدب العربي الحديث في جميع أقطاره وبيئاته الأدبية .

ثم « إذا كان الدارس للبيئة فأصحابها هم أحق بها وأهلها يمارسون من ذلك ما هو في أنفسهم ومنهم ولهم ، وهم أهدى إليه سبيلا وأقوم فيه قليلا » .

ولعل أول ما يستدعي الوقوف هنا عنوان البحث نفسه ، فأنا أريد بالحدث في هذا البحث مفهوما تاريخيا يمكن تحديده بالفترة التي بدأت فيها مقومات النهضة في الحجاز تكشف عن وجودها ، كما أعني بالحدث أيضا مرحلة حضارية انتقل فيها شعر الحجاز من دور التخلف المقيت الذي كان فيه الشعراء يحجلون في أغلال البديع إلى دور استيعاب مهمة الشعر والشاعر في الحياة والمجتمع ، وأصبح الشعر إلى حد ما يعكس ما وصل إليه من تطور واستجابة لروح العصر .

ثم إنه قد ينشأ تساؤل حول تحديد فترة البحث بهذين التاريخين ١٩١٦م و ١٩٤٨م ؟

وجوابي على ذلك : أن اختيار هذا التحديد نتج عن نظرة موضوعية ، فبالنسبة لعام ١٩١٦م نجد أنه يمثل عام اليقظة العربية وانتفاضتها ضد السلطة العثمانية التركية التي وصلت في عهد (جمعية الاتحاد والترقي) إلى حد التعصب العنصري ضد بقية أجناس ورعايا الدولة العثمانية ، وكبت كل ما لديهم من إحساسات وآمال قومية ، فجاءت حركة عام ١٩١٦م لتحاول رغم أخطائها تحقيق فكرة الدولة العربية الشاملة لولا اصطدامها بالمطامع الاستعمارية الأوروبية التي بددت ذلك الحلم ومزقت أشلاء الوطن العربي في عقب الحرب العالمية الأولى ، ويمكن أن يقال في هذا الصدد أيضا: إن أولئك الباحثين الذين ربطوا بين ذلك الحدث الذي شهده شهر يونية من عام ١٩١٦م و ١٣٣٤هـ وبين تطور الأدب الحديث في الحجاز ، كانوا أقرب إلى استكشاف

الآثار المعنوية لحركة ١٩١٦م وما تلاها في نفوس فئات المجتمع في الحجاز ، وقد أوضحت في
تضاعيف هذه الرسالة بعض مظاهر النهضة العامة التي مر بها الحجاز في أعقاب الحرب العالمية
الأولى ، عسى أن يكون هذا التوضيح كافيا لجعل القارئ على اقتناع بأن يكون هذا التاريخ
منطلقا صحيحا لهذه الدراسة .

أما بالنسبة لتحديد فترة انتهاء البحث بعام ١٩٤٨م ١٣٦٨هـ فلعل بعض الأسباب التي أشير
إليها هنا كقيلة بتأييد وجهة نظر الباحث في هذا الاختيار ، وأول هذه الأسباب أن الشعر
المعاصر في الحجاز أخذ في أعقاب الحرب العالمية الثانية يتطور بجد ويكون ملامح شخصيته
المستقلة بذلك الغيبض من الدواوين الشعرية التي طمح أصحابها إلى مواكبة النهضة الشعرية
الحديثة من ناحية وإبراز اتجاهاتهم الفنية بين طوائف الشعراء المعاصرين في كل فكر عربي من
ناحية أخرى ، فغزارة الإنتاج الشعري في الحجاز إلى جانب تنوع مدارسه واتجاهاته بعد الحرب
العالمية الثانية جدير بأن يفرد بدراسة أخرى خاصة تكون أوسع وأرحب من هذه الدراسة التي
حاولت أن ترصد مرحلة من مراحل تطور الشعر الحديث في الحجاز ، ثم إن عام ١٩٤٨م من
الناحية العامة يمثل في ضمير الإنسان العربي ونفسه جرحا غائرا لا يزال ينزف منذ خمسة
وعشرين عاما ، فهو عام النكبة التي صدمت بل أصمت قلوب ملايين الأمة العربية والشعوب
الإسلامية ، وقد شغلت هذه النكبة - وما زالت تشغل - حيزا كبيرا في ديوان الشعر العربي
المعاصر في شتى بيئاته ، وقد أدرك بعض الباحثين الآثار العظيمة التي تركتها ظلال هذه المأساة
الإنسانية في الشعر العربي الحديث ، فظهرت دراسات تبحث آثار نكبة فلسطين في الشعر
العربي المعاصر ، وهكذا أصبح عام ١٩٤٨م معلما بارزا في حلقات العقود التاريخية المعاصرة
للشعب العربي ، ويمكن أن يكون مرحلة بدء أو انتهاء في أية دراسة للشعر العربي المعاصر ، لأنه
يمثل مرحلة انعطاف كبير في اتجاه هذا الشعر لا يصح تجاهله .

وقد اقتضت مني طبيعة البحث أن أجعله في أربعة أبواب :

الباب الأول : البيئة الحضارية ، وقد أُلِّمت فيها بتطور كيان الحجاز والناحية الاجتماعية والتعليم
والثقافة ووسائلهما فيه .

الباب الثاني : الشعر في العهد العثماني : وهذا الباب - وإن كان جزء منه يتناول فترة زمنية

متقدمة على فترة البحث - لازم لفهم الفترة التالية وتقدير ما حدث فيها من تغيير ، فقد استطعت أن ألقى نظرة على خلفية شعرية يصح أن تكون أساسا من أسس الصرح الشعري الذي قام حين أتيحت له بعض أسباب النهضة ، وبدرس هذه الفترة دلت بالنماذج الشعرية على استمرار الإنتاج الشعري في الحجاز حتى في أحط عهود الركود والخمول والعزلة ، وقد رأيت أن كثيرا ممن كتبوا عن الأدب العربية في القرن التاسع عشر وما قبله لم يتعرضوا لما كان في الحجاز من نتاج شعري ، فكان لزاما علي في هذه الدراسة أن أقف هذه الوقفة عند بعض شعرائنا الذين كانوا بوجودهم الشعري دليلا على استمرار الإنتاج الشعري آنذاك .

وخلصت من ذلك إلى دراسة الشعر في عهد النهضة ، وقد وضح لي تياران أدرت حولهما الباب الثالث والرابع :

الباب الثالث: تيار التقليد والمحافظة .

الباب الرابع: الاتجاه التجديدي .

ولست أرغم أنني أتيت بكل ما يمكن أن يقال في هذا البحث ، لكنني أعتقد أنني بذلت قدر جهدي في اسقضاء المراجع سواء المطبوع منها والمخطوط ونقبت في مجموعات الدوريات المحفوظة في المكتبات العامة والخاصة في الحجاز ومصر ، وحاولت أن أحلل هذه المادة الشعرية وأن أستوضح المؤثرات التي عملت في توجيهها وأضعها في ميزان النقد مقارنا بينها وبين الأعمال الأدبية في غير الحجاز من الأقطار العربية ، فإن أحسنت فذلك توفيق من الله ، وإن كانت الأخرى فعذري أنها المحاولة الأولى أقدمها ، وأنا عاقد العزم على الاستفادة من كل توجيه وملاحظة ، والله ولي التوفيق .»

• ويقول بعنوان (الشعر المرسل) ص ٣٢٠:

« كان المبحث الأول في كتاب الأستاذ موريه بعنوان (الشعر المرسل في الأدب العربي الحديث) وقد تناول فيه قضية هذا الشعر في أكثر من ستين صفحة ، مؤرخا وناقدا ومرجحا ، وقد جاء في هذا المبحث قوله :

« وقد حاول كثير من النقاد أن يكتشفوا أول شاعر عربي استخدم النظم غير المقفى في الأدبي

العربي الحديث ، ففي مقال لدبريني خشبة في الرسالة بعنوان (الشعر المرسل وشعرنا الذين حاولوه) قال الكاتب : إنه لا يستطيع أن يجزم بأن أول شاعر بدأ كتابة الشعر المرسل في مصر والعالم العربي هو عبدالرحمن شكري ، أم أنه محمد فريد أبو حديد (وفي مقال للعقاد في كتابه (يسألونك) حاول أن يجيب عن هذا السؤال الصعب وأكد أن الشعراء ثلاثة : توفيق البكري في قصيدته (ذات القوافي) ، وجميل صدقي الزهاوي في قصيدة نشرت بالمؤيد ، وعبدالرحمن شكري في قصيدته التي نشرت بالجريدة هم أول من حاول كتابته ، ولكن العقاد لم يستطع أن يقرر أي الثلاثة أسبق ، ورجح أن البكري هو أول من فعل ذلك في قصيدته (ذات القوافي) ثم تبعه الزهاوي ، وأخيرا نشر شكري شعره المرسل ، وفي رأبي أن التجربة الأولى في الشعر المرسل كانت قبل بداية القرن العشرين أي قبل أن تظهر هذه التجارب وقد قام بها رزق الله حسون في ترجمته المنظومة للفصل الثامن عشر من سفر أيوب في كتابه أشعر الشعر ».

وقد عنيت بنقل هذه الفقرة من كتاب الأستاذ موريه لأنها ألقت نظرة تاريخية على المحاولات الأولى للشعر المرسل ، وحصرت المحاولة في أوائل القرن العشرين في ثلاثة شعراء ، عراقي ومصريين ، ويخيل إلي أنه يمكن أن يضاف إليهم اسم من الحجاز رابع هو اسم الشاعر محمد حسن عواد الذي كانت له محاولة مبكرة نسبيا في الشعر المرسل هي قصيدته (ثورة محب) التي نشرت في ديوانه (أماس وأطلاس) من بواكير شعره ، ويذكر العواد في مقدمة هذا الديوان أن محتوياته بما قاله قبل سن العشرين أي ما بين عام ١٩١٦ وعام ١٩٢٤ م ، أما قصيدته (ثورة محب) فيقول فيها :

فاجعي في الأبناء كيف تصور ت فؤادي يطيق ذاك ويغضي
نشوة هذه أم العتب والإدلا ل أم تلك كبرياء التجنّي؟
لا ترعني في عزّة النفس يوما فقوم الحياة ذا هو عندي
أيا قيمة لحبك في نفس إذا بددت كرامة نفسي
عزة النفس مظهر الخلق الحي فحاذر مساسها عند حي
وإذا ما رأيت في الناس يوما من يرى حفظ نفسه غير حق

فارمه إن أردت بالنظر الشز ر تجدد وجهه كقطعة نعل
لا تحاول عند الذليل غراماً سامياً فهو واطئ النفس معشي
وانأ عني فإنني بعد أخشى ثورة النفس أن تنالك مني
أنا إن لم أجد حياتي ملأى بالسمو الحري بي كل وقت
فعفاء على الحياة وما فيها وتعساً لشأنها أي تعس

وقد دون الشاعر حاشية تحت هذه القصيدة قال فيها : لم نراع في هذه القصيدة قافية واحدة
فجاءت شاذة عن مألوف النظم متعددة القوافي وهذا وإن كان نادرا جدا إلا أنه سبق أن نظم
به بعض شعراء الجاهلية .

١٠- عبدالرحمن صالح الشبل :

ولد في مدينة حائل عام ١٣٥٥هـ وتخرج في كلية الشريعة بمكة مع الرعيل الأول ، عمل في
حقل التعليم مدرسا بعنيزة ، ثم موجه إداريا بجازان ثم بالمدينة المنورة ، ثم مديرا للتعليم في
العلا، ثم مديرا للتعليم بالرس ، ثم حصل على التقاعد المبكر ، وتفرغ في أثناء عمله مبتعثا
إلى جامعة القاهرة دار العلوم للدراسات العليا ، فحصل على شهادة الماجستير في التفسير ،
وهو من بيت علم وأدب معروف في عنيزة منهم الشاعر محمد سليمان الشبل ، وهو يكتب
الشعر والبحث العلمي ، وكان من أعضاء المنتدى الأدبي البارزين بدار التوحيد بالطائف في
اثناء دراسته بها ، وهو من أعضاء أسرة الوادي المبارك البارزين أيضا ، ومنزله كان أحد المقرات
للأسرة ، وعضو مؤسس لنادي المدينة المنورة الأدبي ، وله مؤلفات مخطوطة لم تر النور بعد ،
لأنه حفظه الله يؤثر الابتعاد عن الأضواء .

• وفيما يلي نماذج من شعره :

لمحتك في الصورة الناطقة ملامح قلبي هنا عالقة
عيونك تحكي بريق العيون وبسمتك الحلوة الصادقة
وحولك طاب لذيد الشذى يضوع بأزهارك العابقة

أشدُّ إليك حبال المنى توثَّق بالعروة الوثيقة
وأنت ولا أدعي سمحةً وأنت ولا أدعي صادقة
إذا الغيد جاءت بكل المنى فأنت بميدانها سابقة
ألفك يا ... في خافقي وأنت بأطيا به غارقة
أضمُّك بالقلب ريحانةً وأحميك في الورد السامقة
أضمُّ إليك أمان الشباب وأحلامه الحلوة العاشقة

♦ ويعنوان (هذا مصيرك) :

بالأمس جئت تراوغي

وبدمعة تتأسفين

لو كنت يا بنت الشباب بلوعتي تتعذبين
ما جئت والأشواق قد زالت.. وودعنا الحنين
وتصوَّحت أفيأؤه.. واستوحشت حقب السنين
حظمته من غير أن.. ترعي الوداد وتحفظين
قولي لماذا جئت؟ عن ماذا بريك تبحثين؟
قصصُ تنائر عطرها.. وعلى الصخور لها أنين
فدعي الحديث فزيفه

لا يبعث الماضي الدفين

كم سرت خلفك تائها.. قلق الملامح والجبين
وجررتني بضراوة.. شواء مثل المجرمين
والروض يسسم خلفنا للعاشقين الخالمين

لو كنت ياعطر الشباب .. وفرحة العمر الضنين
تذكرين

تلك البراعم كنت حتما تدركين
كم عبرت ما ليس تدركه الجواهر بالرنين
وزخارف الفستان زركشة الخداع المستكين
لا تخبريني عن سوارك وهو من ذهب ثمين
أهو الوحيد كما ادّعت .. وأنت دوماً تدعين؟
أم أنه قد ضاع في زمر الأساور كالسجين؟
خدعوك .. بل ياعوك بالأزياء بالتحف الثمينة
بالشذا الباكي الحزين

فنسيتني .. وجريت شاة خلف جزّارٍ لعين
فلتنظري .. هذا مصيرك في ركاب الخائنين
ها أنت هذي تلطمين وتشتمين وتلعنين .. !

١١- محمد العيد الخطراوي :

- ♦ هو محمد العيد بن فرج بن محمد بن عبد الله بن محمد الخطراوي، من أبناء المدينة المنورة.
- ♦ ولد في ١٦/١٢/١٣٥٤هـ ويحمد الله أنه من عليه وعلى والديه بسكنى المدينة المنورة، يحمل ليسانس شريعة وبكالوريوس لغة عربية وآخر في التاريخ، ودكتوراه في الأدب والنقد من الأزهر.
- ♦ بدأ حياته بالتعليم منذ سنة ١٣٧٥هـ، مدرساً بمدرسة العلوم الصربية بالمدينة المنورة، فمدرساً بالمعاهد العلمية الدينية بالجامعة فالرياض، ثم مدرساً فوكيلاً لثانوية طيبة بالمدينة المنورة، فمديراً لثانوية قباء بالمدينة، وبعد حصوله على الدكتوراه عمل أستاذاً مساعداً بالجامعة الإسلامية ثم وكيلاً لعمادة شؤون المكتبات، ثم انتقل إلى كلية التربية - فرع جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة - وتقلد بها عدة مناصب، ونال درجة أستاذ مشارك ثم درجة أستاذ وأشرف على مجموعة من الرسائل، كما ناقش مجموعة أخرى .

♦ من الأعضاء البارزين في أسرة الوادي المبارك ، وعضو مؤسس لنادي المدينة المنورة الأدبي، وحاليا نائب رئيسه ، وكان رئيسا لتحرير إصدارات جامعة الملك عبدالعزيز - العلوم التربوية - بكلية التربية لثلاث سنوات .

♦ رئيس اللجنة الثقافية بفرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، بالمدينة منذ تأسيسه.

♦ شارك في مؤتمر الأدباء السعوديين الأول عام ١٣٩٤هـ بملحمة (أمجاد الرياض) ، وفي عدة مؤتمرات وندوات وشارك بالعديد من المحاضرات وفي عدة مؤتمرات وندوات ، وشارك في العديد من المحاضرات والأمسيات الشعرية في أكثر الأندية الأدبية والمناسبات الوطنية .

♦ رئيس تحرير إصدارات (الأطام) الأدبية بنادي المدينة المنورة ابتداء من عام ١٤١٩هـ .

♦ عضو مؤسس لنادي الأنصار الرياضي .

♦ قدم للتلفزيون منذ إنشائه العديد من البرامج تقدما وإعدادا ، منها : رجال الثقافة، كلمات وأنغام، بين شاعرين، رحلة في كتاب، رحلة في قصيدة، نافذة على الفكر والثقافة (لمدة ثلاث سنوات) أناشيد للأطفال ومسرحيات قصيرة .

♦ وللإذاعة : شعراء من أرض عبقر، عقود الجمان، بين شاعرين، رحلة في قصيدة .

♦ حصل على جائزة أمين مدني في تاريخ الجزيرة العربية عام ١٤١٥هـ.

♦ وحصل أيضا على مجموعة من الدروع التقديرية، منها درع إثنين الأستاذ عبد المقصود خوجة .

وهكذا شملت مشاركاته: الشريعة والتاريخ والأدب، وتفرعت مشاركاته الأدبية لتشمل الشعر والمقالة، والمسرحية، وأناشيد الأطفال، والدراسات الأدبية والنقد .

ونافت مؤلفاته على الأربعين مؤلفا (انظر ثبثا بها في فصل عمر الأسرة) واسمحوا لي أن آخذ فرصتي في إيراد نصين أحدهما شعري والآخر نقدي ، أسوة بغيري من الأعضاء ، أما النقدي فبعنوان (تعقيم النص) من كتاب (في محاور النص تطبيقات وتأويلات ص ١٣٤):

جاء في المعجم الوسيط واللسان ما ملخصه :

العَمُّ والعُمُّ - يسكون القاف ، وفتح العين وضمها - : حالة من داء أو شيخوخة ونحوهما، تحمل بالرجل أو المرأة ، فتمنع من التناسل . وهي على هذا النحو إما حالة مصاحبة للنشأة ، وإما

حالة ناشئة طارئة .

- والوصف منها للرجل : عقيم ، والجمع : عقماء ، وعقام ، كعظماء وعظام . وهي : عقيم ، وعقيمة ، وجمعها : عقام ، كعظام ، وعقم ، وعقم . كصحف . قال تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ الذاريات ٢٩ . الصرة : الجماعة - وتطبيب الوجه من الكراهة . صكت : لطمت . وقال تعالى : ﴿ أَوْ يَزُوجَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمَا وَإِنَّا نَكُونُ لَبَصِيرِينَ ﴾ من يشاء عقيماً ﴾ الشورى ٥٠ . وقد عقت المرأة ، فهي معقومة ، قال أبو ذؤيب الجهمي - وقيل : الحزين الليثي ، بمدح عبدالله ابن الأزرق المخزومي :

نَزَرَ الْكَلَامَ مِنَ الْحَيَاءِ ، تَخَالَهُ ضَمِينًا ، وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سُقْمٌ
مَتَهَلَّلٌ بِ(نَعَم) ، بِ(لَا) مُتَبَاعِدٌ سَيَّانٌ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعُدْمُ
عُقِمَ النِّسَاءُ ، فَلَنْ يُلِدْنَ شَبِيهَهُ إِنْ النِّسَاءُ بِمِثْلِهِ عُقِمَ
(الضمين : المريض) . ويبدو أن مجيئها مع المؤنث مذكرة مشروط بدلالتها على مفعول ، جارية على من هو له .

والدنيا عقيم ، أي لا ترد على صاحبها خيرا ، ويوم القيامة يوم عقيم ، لأنه لا يوم بعده . وعقل عقيم : لا خير فيه . ولا ثمرة منه . قال تعالى ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴾ الحج ٥٥ ، وقال تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ الذاريات ٤١ .

(الريح العقيم : التي لا تحمل مطرا ولا لقاحا ، ولا تنشئ سحابا) ، عادلوا بها ضدها ، وهو قولهم : ريح لاقح ، أي أنها تلقح الشجر ، وتجلب المطر ، وتنشئ السحاب . جاءوا بها على حذف الزائد ، له نظائر كثيرة .

وداء عقام : لا يُبرأ منه ، ومن معاني العقم : القطع . قلت : ومنها القواطع الرملية التي تقام في المدينة المنورة حول البساتين ، وبين أجزاء البستان الواحد ، وتسمى أيضا عندهم : تعقيما .

• والتعقيم عند الأطباء : عملية تؤدي إلى إبادة البكتيريا وغيرها من الكائنات الحية الدقيقة بواسطة الغليان أو غير ذلك ، كتعقيم المعدات الجراحية ، أو الأجهزة البكتريولوجية ، من قولهم : عقم الشيء ، إذا أباد ما فيه من الجراثيم الضارة ، كي لا تتوالد وتتكاثر ، ومن ذلك أيضا

المشروبات المعقمة ، والمناديل المعقمة .

• ومنه تعقيم الإنسان السليم ، أي تحويله طبييا إلى شخص عقيم ، وذلك بوساطة موانع مؤقتة أو دائمة ، تمنع من الحمل ، رغبة في تحديد النسل أو تنظيمه ، أو دفعا لضرر قائم أو متوقع .

ومن أشنع ما يتم في هذا الباب ما تدفع إليه العداوات بين الأفراد والدول ، من محاولات للتعقيم ، قد تنجح وقد تفشل ، ولعل من الحروب التي عرفت ذلك ومارسته حرب إسرائيل مع العرب في القرن الميلادي الماضي ، والتي هي مستمرة إلى اليوم .

وفي المقابل والحمد لله ظهرت جهود مخلصه لمحاربة هذه الوحشية التي يرتكبها الذين ماتت ضمائرهم ضد إخوانهم من بني البشر ، تمثلت في محاولات مستميتة تكملت بالنجاح ، تهدف إلى تحصيب البويضة ، وتنشيط كل ما يساعد على الحمل والولادة : (تناكحوا تكاثروا فإني مباهٍ بكم الأم يوم القيامة) ، وذلك بإزالة الموانع ، وتقوية العضلات المسؤولة ، وبذلك وقف التحصيب بشدة أمام التعقيم ، فهذا متاح اليوم ، وذاك متاح ، والقيمة فيهما تتحدد من خلال المقاصد والغايات ، فإن الإسلام يطرح أمام كل عمل مجموعة من الأسئلة ، من أهمها : ماذا أفعل ؟ وكيف أفعل ؟ ولماذا أفعل ؟ . وقد يحصل العقم بسبب الشيخوخة وبلوغ سن اليأس ، دون أي تدخل خارجي فالأمر يومئذ لله !..

وكما يقع التعقيم والتحصيب في البشر يقعان بشكل أوضح في النبات والحيوان ، وهذا ما تثبته الوقائع التي نعيشها في عالم اليوم ، ونشاهدها هنا وهناك . وما ينطبق على ما قلناه ينطبق على النصوص ، الدينية منها والبشرية ، فإن النصوص وجميع الدوال فيما نحسب من الأحياء ، وليست من الأموات ، بل هي مفتاح الحياة : (كن أو لا تكن !..) . فأصل الحياة نص فاعل : (كن) ، فكان الكون كله ، فأمره تعالى كائن بين الكاف والنون ، موجد للخلق ، منظم للكون ، واضع لكل خطوة قدرها ، راسم لكل مخلوق مساره المفضي به إلى نهايته المحتومة .. نص في منتهى الإيجاز ، ولكنه في أعلى درجات التفاعلية والإنجاز ، نص خصب ثمر ، معطاء ، لا ينضب له معين ، ولا تنتهي روافده ، يحمل أصالته وفاعليته ، من مكوته تعالى ، ومن كينونته ، ومن الكون الذي تحقق به التكوين .

وهكذا تكون النصوص الخصبة الحازمة (حرفان بدلا من ثلاثة + فعل أمري + صادر من أمر

موجه ، لا يعذر تاركه ، بل ولا يملك أحيانا التفكير في الترك + قصر المسافة بين الأمر والمأمور كقصر المسافة بين الكاف والنون) .

وكأنما النصوص في أساسها تولد خصبة قادرة على التخصيب ، فإذا وجد في بعضها عقم ، فهو أمر طارئ وليس بأصيل ، وهو مناقض لأصالتها وطبيعة تكوينها ، يعني أن هناك معقما ما عاق خصوبتها ، وأفقدتها القدرة على العطاء ، وهذا النوع من التعقيم أخو الموت ، إن لم يكن الموت نفسه ، لأنه يسلب الأفراد والمجتمعات وسائل تواصلها وتفاعلها ، ويدفع بها إلى دروب الخواء والهراء ، وليس بعد ذلك سوى الموت الأحمر !..

ونص آخر صغير في مبناه ، كبير في معناه ، تهتز له نفسي كلما هجس بي أو رددته بقلبي ولساني ، ذلكم هو قولنا : (لا إله إلا الله) ..! جودة في الصياغة ، جمال في المعنى ، شرف في المضمون ، وصدق شامل في الرسالة والمرسل ، وادعاء حسن استقبال من المرسل إليه ..! ، فلماذا إذن كان هذا النص في يوم من الأيام ذا فاعلية كبيرة ، نقلت العرب من أمة تعيش في الجيب الخلفي للتاريخ ، إلى أمة تتصدر التاريخ والجغرافيا وكل مواقع الحياة ..؟ ونرده اليوم فلا نرى له أي تأثير على حياتنا ، ولا نستشعر منه أي قوة أو عنفوان ..؟ والمضمون هو المضمون ، والمرسل هو المرسل ، أين نقطة التغير ..؟

إنها بلا ريب في المتلقي ، وهي لعمري سنة الله في خلقه ، وما سماه مالك بن نبي بالقابلية:

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ..

أما أن نلفظ النص ثم نفعل ما يناقضه ، فإنه حينئذ لن يؤتي ثماره إلا حصرما وشوكا ، إن جيل الصحابة حين آمن بأن لا إله إلا الله ، ، عرف القوة الحقيقية المتوخاة والكامنة في هذا الإيمان ، فلا خوف إلا من الله ، ولا رجاء ولا خشية ، ولا لجوء إلا منه إليه ، فهو الرب ونحن عبيده ، وأعلى مستويات العلاقة بين الخالق والمخلوق ، هو مستوى العبودية ، فمن كان عبدا لله اكتسب القوة من هذا الإيمان ، فلم يكن ليرضى أبدا بالعبودية لأي مخلوق ، ولم يكن ل يخضع أو يخضع إلا لسيده الذي خلقه ورزقه وأحياه ، وكلما أوغل في الشعور بالعبودية ازداد قوة وعزا وشموخا أمام المخلوقين . إذن لا يزال هذا النص يملك أصالته ونصاعته وفعاليته ، وما يزال قادرا على صنع الحياة وبناء الأمة وإعادة صياغة الأفراد ، أي أنه ما زال يتمتع بالخصب والتخصيب ، فمن

أين جاء الخلل ؟.. ومن أين دخل عليه العقم ؟.. ومن أصابه بالتعقيم ؟.. إنه جيلنا دون شك ،
الداء يكمن في المتلقي ، فالنص حق ، ومرسله هو الحق تعالى : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن
شاء فليكفر ﴾ الكهف .

إننا في حاجة لإجراء عمليات تخصيب ، تزيل موانع العطاء والبناء والحياة ، وتعيد لنصوصنا
قداستها ووهجها وقدرتها على العطاء والبناء ، فهل نفعل !..

• ونود أن نشير إلى أن التعقيم في الأرحام ، والنصوص وكل الدوال ، كالتكميم في الأفواه ،
فهذا يعطل الكلام وملكانه وأدواته ، وذلك يعطل الولادة والزيادة والدلالة والرشادة والفراة ،
وكلاهما إن كان طارئاً مجتبئاً لدفع ضرر أو تحقيق مصلحة ، أمكن التحكم فيه والسيطرة عليه ،
وإزالته أو تثبيته ، حسب مقتضيات الدواعي ، وكلاهما حينئذ يندرجان في عمل البر ، ويمثلان
الجانب الأبيض للعملة . أما إذا وجهها للإبادة والتشويه ، وسلب القدرات ، وتعطيل الملكات ،
والحيلولة دون الفاعل والمفعولات ، والعمل على إهدار الطاقات ، وتحقيق الفناء والإفناء ، فإنهما
يكونان حينئذ وبالا على الكون أي وبال ، وهو ما يسعى إليه الأعداء من تعقيم للبشر والنبات
والحيوان ، واليابسة والماء ، ومن تعقيم وتكميم وتغميم لكل النصوص والدوال ، بجميع
الوسائل الإجرامية التي يمتلكون ، ليضمّنوا خراب الأحوال ، ونقص الأقوات والأموال ، ونشر
الآفات والأهوال ، ويستمتعوا بفساد العقول ، وموت النقول ، ومن هذا التعقيم المهلك غير ما
قدمنا : تفرغ النصوص الدينية والفكرية ، والدوال العقلية والطبيعية من مضامينها ومعطياتها ،
وخنقها قبل أن تولد ، وذلك عن طريق مجموعة من الوسائل المدروسة المجربة والمبوبة ، والتي
قد يجند لتنفيذها حتى الضحايا أنفسهم من حيث يدرون أو لا يدرون ! فحين تقبل أو نسهم
في تفرغ مناهجنا الدراسية — مثلاً — من فعاليتها الفكرية والإسلامية ، ونبونها حسب ما
يتفق والمجريات العالية تحت أي شعار ، نكون قد قمنا بعملية تعقيم فكري واسع النطاق بعيد
المدى ، أسود الخطى ، لن تقوم بعده للإسلام أية قائمة ، ولن ينبعث من جديد إلا بحبل من
الله ، وبمعجزة بعيدة عن الأسباب المدركة بعقول البشر ، لأن عناصر الفكر الإسلامي ومعادلاته
تضمن معاودة الوقوف ، وتجدد الفاعلية في كل مرة يصاب فيها بكبوة أو سقوط (إن الله يبعث
لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها) ، (والفاض على دينه كالفايض
على الجمر) ، (وطوبى للغرباء) ، (ثلاثة لا تحرم عليك أعراضهم : المجاهر بالفسق ، والإمام

الجائر ، والمبتدع) . (وذروة سنامه الجهاد) ، إن محاولة إزاحة مثل هذه النصوص من طريق الدارسين ، لهو نوع من التعقيم أفك أشر ، ومحاربة علنية لله ورسوله ونصوص الشريعة المطهرة ، وتعطيل لفاعليتها وتأثيراتها ، فأيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بيانات ربانية ، تحمل في داخلها فكرا إسلاميا متكاملا لمواجهة كل مشاكل الحياة ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فلا تحولوا بينها وبين أداء وظائفها الربانية بتحريفها عن مواضعها ، ولي أعناق دلائلها ، أو حذفها من مؤلفاتنا ومقرراتنا ، كما فعل بعض الأقوام بغية التطبيع مع الأعداء ، أو البراءة مما دعوه إزهابا ، أو إصدار القرارات بتحريم الاجتهاد ، وإقفال أبوابه ، سواء ما كان مطلقا أم ما كان مقيدا ، أي إبطال التدبير والتفاعل مع النصوص الذي دعا إليه الإسلام ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ ، وكان الصحابة في هذا الباب لا يقرأون عشر آيات من القرآن حتى يحفظوها ويفهموا ما فيها ، ويعملوا بمقتضاها ، إن إقفال باب الاجتهاد على إطلاقه فيه حجر على العقل ، وتعطيل للنقل ، وإماتة لفاعلية النصوص الدينية الممنوحة لها من الله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

وكما أن للتعقيم محاذيره وله أصوله ودواعيه ، فإن للتخصيب محاذيره وأصوله ودواعيه ، فالاجتهاد الخاص بابه مفتوح لكل مسلم ، لأنه هو المسؤول عن إيمانه ، أما الاجتهاد للأمة ، أي الاجتهاد العام الذي يمثل الفكر الإسلامي ومنهجه وتشريعاته ، فهو مفتوح لمن يملك أدواته وشروطه ، ومن هنا كان يظهر مخصبون وأئمة في كل جيل ، يداوون جراح الأمة الإسلامية ، ويرأبون صدوعها ، ويقضون على دواعي اليأس فيها ، إيمانا صادقا منهم بالقدر ، (فلا تقل : لو كان كذا ، لو كان كذا ، بل قل : قدر الله وما شاء فعل) ، وتبدأ الأمة مسيرتها من جديد متخذة الأسباب المتاحة للتعامل مع الأحداث ، مؤمنة بالقدر المطلق للمسبب الحقيقي ، الذي هو الله جل وعلا ..!

ومن أشد أنواع التعقيم ما كان يفعله العالم كله من القيام بخصي العبيد ، لجعلهم صالحين للخدمة في البيوت ، ومجمعات النساء ، قال في المعجم الوسيط (الخصى ، بضم الخاء : البيضة من أعضاء التناسل ، وهما خُصيتان ، والجمع : خُصَى . وخِصاء ، يَخْصِيه ، خِصْياً ، وخِصاء : سلّ خُصيتيه ونزعهما ، فهو خُصِيٌّ ومَخْصِيٌّ ، ويكون الخُصْيُ أيضا بقطع الذَّكَر ، وجمع الخُصْي : خِصْية ، كعَلْي وعِلية ، وَفَتِي وَفْتية ، ويخطئ الكثير من الخاصة كالعمامة ، فلا يفرقون

بين الخُصِيَّة، بالضم، والخُصِيَّة، بالكسر، والفارق كبير، ولعمري إن هذا النوع من التعقيم لفي منتهى الإجماع والوحشية، وهكذا يفعل أيضا بعض النصوص، حين يؤمن أحدهم ببعض الكتاب ويكفر ببعض، أو حين يقرأ (فويل للمصلين) ويتخندق مع أبي نواس حين قال في خمرياته: إن الله لم يقل (فويل لشارب الخمر) بل قال: ﴿ فويل للمصلين ﴾ ١.

ومن صور التعقيم المميت قول الحجاج: من قال برأسه هكذا، قلنا له بسيفنا هكذا!، وكذلك ما فعله بالصحابية رضوان الله عليهم، حين ختم في المدينة على أرساغهم، مبالغة في إذلالهم. • وهناك نوع من التعقيم الذي ربما رادف التخصيب، فالחסنة بعشر أمثالها إلى ثمانين ضعف، هو نوع من التخصيب.

والمحاولات المستمرة للكشف عن الدلالات المحتملة للنصوص الدينية والأدبية والفكرية والدوال الأخرى، هو نوع من التخصيب، وهو بمفهوم آخر نوع من التعقيم أيضا، لكنه لا يعني الإبادة، بل الزيادة، والتكثيف في الدلالة، وفتح آفاق جديدة للتعبير، والعطاء الأوفر، بحيث يتحول الدال من نص وغيره إلى شيء عقيم، أي لا شبيه له، ولا نظير، كما سبق أن أوردنا قول العرب: إن يوم القيامة يوم عقيم، أي لا يوم بعده، ولا مثل له، وفي العربية أطلقوا على نوع من التشبيهات اسم (التشبيهات العُقم)، قالوا: (وهي التي لم يُسَبِّقْ أصحابها إليها، ولا تعدى أحد بعدهم عليها) (العمدة لابن رشيق، تحقيق محمد قرقران / ١/ ٥٠٤).

فالشيخ الشعراوي رحمه الله أو غيره من علماء المسلمين حين كانوا يكتشفون بعض الحكم الشرعية الخفية، وإن كانت ظنية، يثرون بها مقاصد الشريعة، ويغنون بها وسائل العرض، يكونون قد قاموا بتعقيم النصوص على هذا النحو، وأذكر أول تعلقي بعلم الشعراوي عفا الله عنا وعنه، أنه كان يشرح فروض الوضوء، ويعلل الترتيب بينها وبين سننه، فقال: بما أن الماء الصالح للوضوء لا بد أن يكون طهورا، أي سالما من التغير في اللون والطعم والريح، بدأت أعمال الوضوء بسنة غسل اليدين إلى الكوعين للتأكد من سلامة اللون، ثم بالمضمضة للتأكد من سلامة الطعم، ثم بالاستنشاق للتأكد من سلامة الريح، ثم يكون بعد ذلك البدء بالفروض، وسألت نفسي ذات مرة: لماذا تفضل صلاة الجماعة صلاة الفذ خمسا وعشرين درجة أو سبعا وعشرين درجة؟ واهتديت إلى أن ذلك راجع إلى ما فيها من إعلان عن عبودية

العبد لمولاه ، فهو حين صلي فذا ، يتم ذلك بينه وبين ربه ، ولكنه في صلاة الجماعة كأنه يقول لكل العالم : انظروا إلي ، ها أنا أعفر جيبيني وأنفي خضوعا لله ، فلا عزة إلا بالله ، بهذا يستحق رفع الدرجات ، بنسبة ذلك الفارق الكبير .

لا شك أن هذا الفهم ليس نهائيا ، ولا قطعيا ، ولكنه محاولة لتفسير النص بشكل فاعل ومريح ، واجتهاد في النطاق الخاص والمحدود ، وإثراء لدلالات النص الشرعي ، فنحن لسنا إزاء نص مغلق على نفسه ، بل نحن أما نص مفتوح ، والذي يمنح النصوص هذا التخصيص أو هذا النوع من التعقيم ، هو مداومة الدرس والتأمل ، والموازنة بين النصوص ، والاتصال بفيوض الوجدان وعطاءات الرحمن ومزاوالات الأرواح .

• وعطفا على ما تقدم يهمننا أن نورد بعض نماذج التعقيم التي تتم إزاء بعض الدوال من خارج الحقول اللفظية المنطوقة أو المكتوبة ، من ذلك إشارات المرور ، نحن نقيمها هنا أو هناك بحسن توفيق أو تلفيق ، لكننا لا نحترمها ، وكأنها لم توجد إلا لتخالف ، وكثيرا ما تجد شهوة المخالفة تتملك الناس هنا وهناك ، كما تحس أحيانا أن المسؤولين عن تلك الإشارات يكلفون الناس عنتا من أمرهم ، وهذا في مجموعه يعطل تلك الإشارات ، ويمنعها من أداء فعاليتها ، أي أنه يعوقها عن الإنجاب والقيام بوظائفها الحيوية .

ومثل ذلك ما قد نواجه به بعض الدوال العُرفية ، حيث تعمل بعض الجهات على تقويض بعض الأعراف ، وبالتالي على تعطيل دلالتها وإفقادها أقياما . وهكذا ..! ولكن من التعقيم ما هو تطهير ..! علما بأن الشريعة الإسلامية قد راعت تلك الأعراف في بناء أحكامها ، وما تزال .

وفي ضوء ما أوردنا يمكننا أن نؤسس للتعقيم خمسة معان مختلفة ، جاء التمثيل لمعظمها ، وتناولنا بعضها الآخر بشكل ما دون إيغال أو إمعان ، وهي :

١- **التعطيل** : وهو يعني كما رأينا إفقاد القدرات وإهدارها . وأكثر ما تعاني منه الأفراد والجماعات من ويلات ، إنما يأتي من هذا النوع ، إن هذا التعطيل يؤدي إلى طمس معالم الأمة ، وضياح حضارتها ، وقطع جذورها ، ويفضي بها إلى فراغ قاتل ، ويجعلها تعيش حالة لا متمية ، ويؤهلها دائما للسقوط في أحوال الغير . وإنما جاء إنكار المنكرين لبعض صفات الله من هذا الباب .

٢- **التطهير** : ومنه تطهير الأدوات والأمكنة ، أي إبادة الجرائم التي بها ، وجعلها صالحة

للاستعمال ، وهذا من أرقى أنواع التعقيم ، ومردوده الإيجابي على حياة البشر غير محدود ، علما بأن التطهير كما يقع في المحسوسات ، يكون أيضا في النصوص المفوطة وغيرها ، وذلك بإزالة الشوائب الفكرية الضارة ، واستبعاد كل ما من شأنه الإضرار بالعقول والنقل ، ولذلك نكون في حاجة إلى صيانة فكرية دائمة ، كما هو الحال في صيانة المكائن والآليات ، وذلك عن طريق فتح باب الحوار ، ومراجعة النصوص ودلالاتها ، وتنقيتها من الدخل والدخيل .

ومثال ذلك: ما قد يشوب الإسلام من فكر صوفي منحدر ، وما قد يعلق به من خرافات وشركيات ، وما قد يخالطه من إفراط وتطرف وتجاوز لحدود أوامر الله ونواهيه ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ الكهف ١٠٣ . وإن مهمة هذا التعقيم لشاقة مضنية ، ولكنها ضرورية ، ولا غنى عنها بحال من الأحوال ، فعلى الفرد والجماعة أن تتوقف بين كل فينة وأخرى ، لتقيس المسافة بينها وبين المنطلقات من جهة ، وبينها وبين الأهداف والغايات من جهة أخرى ، فتقلص من هذا وتوسع في ذاك ، وتختير العزائم وتتأكد من فاعلية الوسائل والدرائع . وكل ما نخشاه في هذا الصدد أن يرتكب باسم التطهير موبقات ، فتكتم الحريات ، ويخنق الإبداع ، فيعمد بوساطته أقوام إلى إماتة كل ما لا يروق لهم أو لا يوافق أمرجتهم السوداء .

٣- التهطيل: ونعني به القيام بتكثيف الدلالات بتضمينها النص ، أو الرمز الدال ، أو الرسمة أو النغمة أو الحركة أو الصوت .. إلخ .. ، ويترك جزء من الفاعلية والتحديد للسياق والإيحاء ، ويظل باب الاحتمال قائما ، وقادرا على الأداء والعتاء ، وكأن هذا النوع من التعقيم عين التخصيب ، نعم ، بينهما تشابه كبير ، ولكن الذي يهمننا هنا هو ما يحاوله الناص من تجاوز للسائد والنمطي ، وقطع الطريق على المنافس والمنازع ، والمشابه والنظير ، أي محاولة التكتير والتكثيف الدلالي المنقطع النظير ، فهو إمطار وتهطيل واستحلاب للطاقت الظاهرة والخفية ، ولعل ما يفعله المتعاقبون على فهم النصوص الدينية ، وشرحها وتفسيرها وبيان مقاصدها ، ومحاولة القبض على إشعاعاتها وأقباسها وفتح منافذ التدبر فيها ، وخروجهم من ذلك كل يوم بجديد ، هو ضرب من ذلك القبيل القائم على التوليد . وهذا يعني ان بعض صور التعقيم إنما يتم إنجازها من خلال المتلقي ومستوى فهمه ، فمن المتلقين من هو شر على النص ، ومنهم من يكون منه وبه كل الخير .

وكلنا يعلم أن الفرق شاسع بين لغة الأدب ولغة التواصل المعقول ، يقول محمد العربي الخطابي (عن مجلة المنهل السعودية بتصرف - جمادى الأولى / ١٤١٠هـ) : ” قال ابن أجروم في تعريف الكلام : هو اللفظ المركب المفيد بالوضع ، فراه قد قيد الإفادة بالوضع ، والذي يراد به ان يكون اللفظ مطابقا لمعناه ، فيوضع الأول بإزاء الثاني ، وذلك ليصبح الكلام أداة للتواصل المعقول بين آحاد الناس .

والحقيقة إن قضية الكلام المفيد لا تقف عند حد المواضعة ، بل إنها تتجاوزها إلى آفاق تستشرف قيما جمالية تنبثق من أصالة الفكر ، وقوة الخيال ، وصفاء الحس وشفوف البيان ، فهذا هو الإبداع .

ولنضرب على ذلك مثالا بالتركيبين التاليين :

الكرمة نقيض رحيقا . الكرمة تثمر عنبا حلوا .

فالتركيب الأول مفيد بالإيحاء لا بالوضع ، وفيه استعارة ليست من مألوف الناس ، وأما التركيب الثاني فهو مفيد بالوضع فحسب ، وشتان ما بين أن يقول لك قائل : لقد شاب شعر رأسي ، وأن يتلو عليك آخر : ﴿ واشتعل الرأس شيبا ﴾ فالفرق هو هذا الاشتعال الساكن الذي يخلف رمادا أبيض فوق هامات الشيوخ .

وحينما يقول أبو العلاء :

وقد أغتدي والليل يبكي تأسفًا على نفسه ، والنجم في الغرب مائل
بريح أعسرت حافرًا من زبرجد لها التبر جسم ، واللجين خلاخل

فهو إنما يعطيك من نفسه صورة تتناسق فيها الألوان والظلال ، وتتعاقد الرؤى والأحاسيس ، ولو قال : (وقد أغتدي ممتطيا سهوة جواد أشقر محجل ، خفيف) لما استحق كلامه هذا أن يلتفت إليه ، ولا أن يحفظ ، فالكلام إذن لا يكون بالوضع فقط ، بل بالإيحاء أيضا . فالإيحاء لغة الحكماء ، ومطلب الشعراء ، ووسيلة المبدعين .

٤- التغميم : أعرف أن غَمَّ الثلاثي متعد ، يقال : غَمَّ فلان الشيء ، أي غطاه وستره ، وغَمَّ القمرُ النجومَ : بهرها وكاد يستر ضوءها . وغَمَّ عليه الهلال : حال دون رؤيته غيم أو ضباب ،

وما كان كذلك لا يحتاج إلى التضعيف لينصب المفعول، فلا ينبغي أن يقال: غَمُمْتُ الشيء، تريد أنك غَمُمْتَهُ، بالتخفيف، ولكنني وجدت المجمع اللغوي بمصر قبل دَعَمَ بجانب دَعَمَ، ثلاثية، وأشار إلى أنها محدثة، فلتكن غَمَمَ كذلك، وتذكروا أنها من اليوم محدثة، ومع ذلك قالوا: غيوم مغممة، وبحار مغممة، أي كثيرة الماء. وقد ألف أقوام في باب (أفعل وفعل) كتباً مستقلة .

هذا من الجانب اللغوي، فما المراد بالتغميم فنياً؟ وما علاقته بالتعقيم؟ إن التغميم أشبه شيء بالبرشمة، وهي دق رأس المسمار بعد نفاذه، دقا شديداً، ليتفلطح رأسه، (محدثة). وهذا الإجراء في اعتقادي يمثل لونا من ألوان التعقيم، إذ يحجب ويمنع النفاذ، ويحول بين وصول ووصول، ويعطي الوعاء أو الأداة متانة وصلابة، ويمنع عنها الوضوح والجلاء، ويقطع صلته بغيره بشكل دائم أو إلى حين. وهذا هو ما يفعله الكاتب أو الناطق أو واضع الرمز ونحو ذلك، حين عملي عليه الحاجة ذلك، ويتطلبه الموقف، فالتعمية، والتغمية، والتغميم، وإن شئت أسميته: التغميض، والتشبيح: يقولون: تَبَّجَ الرجل الكلام أو الخط: أي عمَّاهما ولم يبينهما، قد يصبح أمراً لا مفر منه، وأقرب مثال على ذلك: الكتابة بالخبر السري، والتشفير، وقد يولد النص أول ما يولد كذلك، لأن لغة صاحبه اعتادت هذا النمط من التعبير، يدفعها إلى ذلك خوف من شيء، أو على شيء، أو هي تلجأ إلى التغميم طلباً للارتقاء بالنص، فلا يكون الكشف عن مخدراته بهذا اليسر وتلك السهولة، ولا يتمكن منه القارئ إلا بعد مكابدة ومكالأة، إلى غير ذلك من الدوافع، وإما أن يعتمد صاحب النص إلى البرشمة أو التعقيم أو التغميم بعد الفراغ من كتابة النص، ليختزن فيه ما يمكن اختزانه إلى الصفوة والخاصة أو خاصة الخاصة، ولا ضرورة إلى التعامل مع العامة، فلكل مقام مقال، وما يصلح للتمثيل في هذا الباب، ما كان يجربه بعض الشعراء من تحكيك وتنقيح أو إن شئت من برشمتات فنية واجتماعية على قصائدهم لمدة حول أو يزيد، ومن ذلك ما فعله الشاعر مروان ابن أبي حفصة - على ما أذكر - حين مدح أحد أمراء المدينة المنورة في العصر الأموي، ثم عزل هذا الأمير وتولى الإمارة منافسه، فمدحه أيضاً بقصيدة، وتشاء الأقدار أن يعود إلى أمارتها الأمير الأول، فدخل أيضاً بمدحه، فكان مما قاله وهو يرتجف خوفاً:

ولكن سقطة عيت علينا وبعض القول يذهب في الرياح

قالوا : فكان الناس لا يدرون : أي أقواله الذي يذهب في الرياح ، ومات الشاعر والمعنى في بطنه أو قلبه ! إنه تعقيم وأي تعقيم ! .

• ومن أمثلة ذلك ما تفعله الكشافة من إشارات مضللة ، وكذلك يفعل العسكريون لتقرأها الجهة الأخرى بطريقة خاطئة حين تحاول فك رموزها ، لكن التعميم منه المقبول ومنه المرذول ، فهو مشروط بدواعيه الفنية والاجتماعية والسياسية ، ويكونه نتيجة ذكاء وقدرة ، لا غباء وضعف .

• ويؤكد عبد المتعال الصعيدي في (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ج ٣ ، ط مكتبة الآداب بمصر) أن المطلوب في علم البيان هو خفاء الدلالة لا وضوحها ، فكلمة كان الكلام خفي الدلالة ، كانت منزلته أعلى .

• ويقول (جان كوكتو) : « الفن ليس طريقة لقول أشياء بسيطة ، بل طريقة بسيطة لقول أشياء معقدة » .

• ويقول نزار قباني في ديوانه (ثلاثية أطفال الحجارة) : « إنني أعتقد أن أطفال الحجارة ، نقلوا الشعر العربي من حال إلى حال ، ومن مرحلة إلى مرحلة ، كما أعتقد أنهم أدخلوا الشعر العربي إلى حداثة من نوع جديد ، هي حداثة المعاناة والواقعية الثورية ، لا حداثة الغموض ، والتغريب ، والدهاليز الباطنية » .

٥- التفريد : وقد أشرنا فيما سبق إلى ما عرف عند أهل العربية بالتشبيهات العُقم ، وبأنها تعني كل تشبيه تفرد به صاحبه ، فلم يسبقه إليه أحد ، ولا تعده فيه أحد بعده ، وقد مثلوا له بقول عنتر العنسي يصف ذباب الروض :

وخلا الذبابُ بها ، فليس ببارح غرداً ، كفعل الشارب المترمّ
هزجاً ، يحكُّ ذراعَه بذراعَه قَدَحَ المكب على الزناد : الأجذم
أي : كقدح الأجذم المكب على الزناد .

فالتفريد على هذا النحو محاولة دائبة من الناص تهدف إلى التفرد ، أي السبق إلى ابتداع المعنى أو الصورة أو اللفظ والتركيب ونفي التنظير أو الشبيه وقطع الطريق على الآخرين ، والتفوق عليهم ، وقبل ذلك كله محاولة تجاوز السائد ، وكسر حاجز النمطية ، وبالطبع لن يتأتى هذا لكل الكاتبتين والناطقين والرامزين ، كما أنه لا يتأتى في جميع حالات الإبداع ، ولكنها الإيماضات الكشفية والتوقيعات الفنية ، واللحظات الفيضانية ، نتيجة التمرس والإخلاص ، والتلبس والتقمص ، وهذا النزوع الدائب من المبدع للتفرد وابتكار المعاني والصور والتراكيب ، هو نوع من التعقيم ، والرقى بالنصوص ، ولولاها لما تطور أدب ولا أديب ، ومن صفات الفن البارزة تأييه على الحدود ، ورفضه التقلوب والجمود ، لأن ذلك يتناقض مع تكوينه الذاتي ، ومع خصائصه القائمة على الديناميكية والحركة الدائبة ، والخلق والإبداع ، يروى عن إسحاق الموصلي أن المعتصم سأله يوما : أخبرني عن معرفة النغم وبينها ؟ فرد عليه بقوله : إن من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها اللغة .

ولعل خاصية الفكر الأولى تتمثل في هذا التحدي للحدود جميعاً ، وفي هذا يقول مولير (١٦٢٢-١٦٧٣م) : «إن الفكر المستقيم نفور بطبعه من الغلو ، ومن الانحصار في الحدود الضيقة» .

وإذا كان الفكر عصيا على ذلك كل هذا الاستعصاء ، فإن الفن أشد استعصاء وأعظم تمردا على الحدود والمدود .

وهذه المخترعات المنشودة التي يحصل بها تعقيم النصوص ، بمعنى تفريدها ، على ثلاثة أنواع :

١- التعقيم بالفردة عن طريق عقامة المبتدأ : وهي التي لم يسبق إليها قائلها ، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيرها ، أو ما يقرب منها . قال صاحب العمد (٢٦٢/١) : وذلك كقول امرئ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ

فإنه أول من طرق هذا المعنى وابتكره ، ولم ينازعه أحد إياه ، ولكن بعضهم وُلِدَ منه معنى آخر ، دون أن يشركه في شيء من لفظه ، أو ينحو نحوه إلا في لطف الوصول إلى حاجته في خفية ، ذلك هو قول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة :

فاسقَطُ عليها كسقوط النوى ليلةً لا نساها ، ولا زاجرُ

وفي معلة امرئ القيس كثير من المعاني المخترعة، التي تثبت إمامته الفنية، والتي ربما كانت بسبب موقعه الزمني في عمر الشعر العربي ، منها :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحشفُ البالي

قال ابن رشيق : (العمدة ٢٩٠/١) في بيان فضل هذا البيت : (وأصل التشبيه مع دخول الكاف وأمثالها ، أو كأن وما شاكلها : شيء بشيء في بيت واحد ، إلى أن صنع امرؤ القيس في صفة عقاب «وذكر البيت» ، فشبه شيئين بشيئين في بيت واحد ، واتبعه الشعراء في ذلك ، فقال لبيد بن ربيعة :

وجلا السيولُ عن الطلول كأنها زُبرْتُجْدُ متونها أقلامُها

فشبه الطلولَ بالزُبرِّ ، والسيولَ بالأقلام ، بل زاد فشبه جلاء هذه عن هذه ، بتجديد تلك لتلك).

• لاحظ أن كلامهم في بيان الفضل الفني يركز على بنية البيت ، وذلك أمر غلّ الكثيرين عن محاولة الإبداع ، وعوّق طاقاتهم الفنية ، لأن ثقافة البيت الواحد ثقافة استغنائية واحدية، لا تقيم للروح التعاونية أي وزن ، يتجلى ذلك في الحياة العامة ، وفي عالم القصيدة ، ولاحظ أن الأخذ ليثبت حقه في الأخذ لابد أن يقوم بعمل فني يسوّغ له الأخذ ، ويدفع عنه تهمة السرقة، قال ابن رشيق : إن لبيد زاد فشبه جلاء هذه بهذه ... الخ .

قلت : الذي يتبدى لي أن التشبيه في بيت لبيد تمثيلي ، فهو يريد عقد المقارنة بين صورة جلاء السيول للطلول الدائرة وصورة جلاء الأقلام للزبر التي أصابها أثر المحو ، ولذا قال : (تجدّ متونها أقلامها) ، ولم يقل : (أجدت) ، إذ الصورة ما تزال مستمرة قائمة ، ومن هنا حكى عن بشار (العمدة ٢٩١/١) أنه قال : ما قر بي القرار منذ سمعت قول امرئ القيس : (كأن قلوب الطير رطباً ويابساً) حتى صنعت :

كأن مُشار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

• ونحن نعلم جميعاً أنه ليس من باب تشبيه مفردين بمفردين، وإنما هو من باب تشبيه منظر بمنظر، أي أنه تشبيه تمثيل .

• قال : من الاختراع قول طرفة :

ولولا ثلاثٌ هنَّ من لذة الفتى وجدَّك لم أحفل متى قام عُودِي
فمنهنَّ سبقي العاذلاتِ بشريةٍ كُمتِ ، متى ما تُعلِّ بالماء تُزبدِ
وكُري إذا نادى المضاف ، مُحَنِّباً وتقصيرُ يوم الدَّجنِ ، والدَّجنُ معجِبُ
كسيد الغضا ، ذي الطخية المتورد ببهكنة تحت الطُّراف المَعْمَدِ

(المضاف : الخائف الحذر . مُحَنِّباً : الفرس المُحَنَّب ، والأحنَب : الذي بُعد ما بين رجله دون فجع . السَّيد : الذئب . الغضى : شجر من الأثل . خشبه أصلب الخشب ، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ ، واحده غضاة . وأهل الغضى : هم أهل نجد ، وذلك لكثرة الغضى لديهم . الطخية : - مثلثة - الظلمة الشديدة . المتورد : الذي يطلب ورود الماء . الدَّجنُ : ظلمة الغيم الشاملة . البهكنة : البضة الناعمة خفيفة الروح . الطُّراف : الخباء . المَعْمَدُ : ذو العمدة) .

• وقوله يصف السفينة في المعلقة نفسها :

يشق حَبَاب الماء حيزومُها بها كما قَسَمَ التُّرْبَ المَفَايلُ باليد
(حَبَاب الماء : ما يظهر على وجهه من فقايع . حيزومُها : صدرها ومقدمتها . المفايل : اللاعبين بالفتال ، وهو لعبة من ألعاب الصبيان حيث يخبى فريقاً منهم شيئاً في التراب ، ثم يقسمه قسمين ، ويسأل الفريق الآخر عن مكانه)

قال ابن رشيق : وله أيضاً اختراعات أكثرها من هذه القصيدة .

• وما أريد تسجيله هنا أن حالة السبق المرتهن بها اختراع المعاني والصور والتراكيب لا يكاد يحققه إلا أولو العزم من أهل الاختصاص ، وها نحن نكتفي بالنقل عنهم ، وهم بلا شك ثقات، وكذلك الأمر بالنسبة لتحديد موضوع التوليد (وهو أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه ، أو يزيد فيه زيادة ظاهرة) تعطيه أحقية في امتلاكه ، وجدارة في استخدامه ،

وإن لم يكن هو مخترعه ، ولا يعد ما فعله هذا المولّد سرقة ، لكن مَن يعرف بدقة من الأسبق إلى المعنى ؟ أو الصورة ؟ وبخاصة المتعاصرين ، ثم من الذي تخصص في تاريخ المعاني والصور والألفاظ ، هي في اعتقادي محض مصادفات واجتهادات ، وتنظيرات تساعد من شاء على خوض هذا الميدان ، وفتح باب للعراك الأدبي ، والادعاءات الواسعة بين الأدباء ، وهم قوم ينتفشون ويدعون بالحق وبالباطل ، لأن كثيرا منهم وهم في غلواء عبادة الذات يتصور أن العالم يتنفس من خيشومه ، ويتحرك بإشارة من سباته ، وما أتعب أن يتعامل الإنسان مع العالم من خلال بوابة الكبرياء..! لكننا من خلال بعض العراكات الأدبية قد ننظر بأفانين جميلة من الإجلاءات والتجليات الفنية الرائعة ، التي تطرب وتدهش وتهز الوجدان . ونلاحظ أيضا أن أكثر مواقع الاختراعات كانت في المعلقات ، وهذا يعني أن موقعها التاريخي هو الذي أهلها لغناها وثرها بالمخترعات ، كما أن ذلك قد يفسر لنا من جهة أخرى لماذا استحققت الإشادة والتصدير ، وأن تكون معلقات في القلوب والنفوس .

• ومن اختراعات النابغة الذبياني في معلقته أيضا قوله :

سقط النصف ولم تُرد إسقاطه فتناولته وأتقنا باليد
وقوله أيضا :

ولو أنها عرضت لأشمط راهب عبد الإله، صرورة متعبد
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها وخاله رشدا، وإن لم يرشد

قال ابن رشيق (العمدة ١/٢٦٣) عقب هذا : (وما زالت الشعراء تخترع إلى عصرنا هذا وتولد ، غير أن ذلك قليل في الوقت الحاضر) . قلت : إن هذا الشعر المخترع يكفيه منزلة أنه لم يسبق ، ومحاولة التعقيم في الأشعار على هذا النحو ، هو ارتقاء دون شك بمكانتها ومستوياتها الفنية ، يعطي لأصحابها المنزلة العليا بين الأقران والأكفاء . ويجعل الشاعر في حراك دائم وتطلع مستمر إلى السبق والإبداع والخروج من دائرة السائد والمألوف والمستهلك .

• ومن مخترعات جرير يصف الخيل :

يخرجن من مستطير النقع داميةً كأن أذانهما أطراف أعلام

فأخذه منه عديُّ بن الرقاع بعد أن أضاف إلى ذكر القلم إصابته مداد الدواة ، بما يقتضيه المعنى ،
إذ كان القرن أسود ، فقال :

تزجي أغنّ ، كأنَّ إبرة رَوْقه قلمٌ أصاب من الدواة مدادها
ثم جاء العُماني الراجز فقال واصفا الفرس بين يدي الرشيد :

تُخال أذنيّه إذا تشوّفا قادمةً ، أو قلمًا محرّفًا
فزاد في المعنى صفة لم يعرض لها المخترع الأول للمعنى ، وهو التحريف في القلم . (حرّف
الغلامُ القلم : قطّعه محرّفًا ، أي مائلًا)

• ومن مخترعاته أيضًا قوله :

إن العيون التي في طرفها حورٌ قتلننا ثم لم يحين قتلانا
يصرعن ذا اللبّ حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

وزعم أبو العباس الناشئ أن ما قاله في هذا الباب تعدى به قول جرير ، وذلك في قوله :
لا شيء أعجب من عينيك ، إنهما لا يُضعِفان القوى إلا إذا ضَعُفا
مدعيا أن فضله يظهر في الإيجاز والاختصار ، كما أنه يسلم من بعض الاعتراضات الأخرى ،
لكن يظل كلامه هذا مجرد ادعاء ، ويبقى تفوق جرير ظاهرا لكل متأمل .

• ومن مخترع أمية بن الصلت بمدح عبد الله بن جُدعان :

لكل قبيلة ثَبَجٌ وَصُلْبٌ وأنت الرأس أول كل هاد
(الثبج : وسط الشيء إذا تجمع وبرز ، جمعه أثباج وثبوج ، ومنه ثبج البحر ، وثبج الصدر ،
وثبج الأكمة . والصلب الظهر ، وهو هنا على سبيل التصوير) . فقال نُصِيب لمولاه عمر بن
عبد العزيز ، بعد أن تصرف فيه وخطا به خطوات :

فأنت رأس قریش ، وابن سيدها والرأس فيه يكون السمع والبصر
حيث فصل ما كان لدى أمية مجملا ، ثم جاء علي بن جبلة بمدح حميد بن الحميد :

فالناس جسم ، وإمام الهدى رأسٌ ، وأنت العين في الرأس

فبهما جميعاً بما أضافه من ذكر العين موقعاً إياها على مشبه معين ، ولم يفعل نصيب كذلك ، ولكن أتى بالسمع والبصر على جهة التعظيم ، وجاء ابن الرومي بعدهم ، فرتب أيضاً فيه زيادة ، فقال :

عين الأمير هي الوزير وأنت نساظرها البصير

قال ابن رشيق (العمدة ١/٢٦٥) : وأكثر الشعراء المولدين (أي المحدثين في عصره) اختراعاً وتوليداً - فيما يقول الخذاق - أبو تمام وابن الرومي .

• ومن مخترع امرئ القيس في صفة الغيث قوله :

كأن ثبيراً في عرانيين وبله كبير أناس في بجادٍ مزمل

(ثبير : اسم جبل بديار قومه . ويقال : أشرق ثبير كيما نُغير ، وفي الجزيرة العربية أربعة أثيرة : ثبير غيناء ، وثير الأعرج ، وثير الأحذب ، وثير حراء بمكة . وقد يكون المقصود في (أشرق ثبير) . عرانيين وبله : أوائل مطره الغزير ، والضمير العائد إلى السحاب قبله . البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب ، جمعه بُجْد . والترمل : التلفف بالثوب) .
وللبيت روايات أخرى . (قراضة الذهب ص ٢٦)

فأخذه منه طرفة ، فقال في وصف عقاب :

وعجزاء دقت بالجناس كأنها مع الصبح شيخٌ في بجادٍ مقنّع

(عجزاء : أي في عجزها بياض . دقت : دنت في طيرانها من الأرض ، ويروى : دفت : أي حركت . مقنّع : متغشّ به كالقناع . وتابعه النابغة) (قراضة الذهب ص ٢٦) فقال في وصف النصور :

تراهن خلف القوم خزرأً عيونها جلوس الشيوخ في مسوك الأرانب

(خزر : جمع أخزر وخزرء . من قولهم خزرت عينه : ضاق جفناها من حول أو تمديدا للنظر . مسوك : جمع مسك ، بفتح الميم وسكون السين ، وهو الجلد ، وفي حديث علي رضي الله تعالى عنه : ما كان على فراشي إلا مسك كبش . ويقول العرب إذا كانوا خائفين : نحن في مسوك الثعالب . وأنشد المفضل :

فيوماً ترانا في مسوك جياندا ويوماً ترانا في مسوك الثعالب
قالوا : معنى (في مسوك جياندا) : مأسورين في جلود جياندا المذبوحة . ولا ندرى المقصود من
مسوك الأرناب ، ولعله : الحذر والاحتراس من نزول خطب) . ويروى : (في ثياب المرانب)
كما في العمدة ، يقال : (كساء مرنباني : مأخوذ من جلد الأرناب ، ضارب على السواد ، شبه
ألوان النسور بألوان تلك الثياب . قال في العمدة (٢٩٨/١) : وهذا التشبيه عندهم عقيم
(مبتدى) ، إلا أنني أقول : إنه من قول طرفة السابق يصف عقابا .

ومقولة ابن رشيق هذه تؤكد ما قلناه من أن الحكم بالعمق ودرجته نوعيته نسبية ، خاضعة لسعة
اطلاع من نصب نفسه للحكم .

٢- عقامة المبتدأ والمنتهى : وقد نكون أطلنا الكلام في هذا النوع من تعقيم النصوص ، أعني
التعقيم عن طريق عقامة المبتدأ والمنشأ ، وهو باب واسع لا يكاد يستوعبه مبحث صغير فلنكتف
بهذا القدر ، ولننتقل إلى الحديث عن تعقيم المبتدأ والمنتهى .

وخير مثال له قول عنتره في وصف ذباب الروض الذي سبق أن أشرنا إليه . وقول المتنبي
يصف طول وقوفه بالأطلال :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه
وقول امرئ القيس : (قراصة الذهب ص ٢٥) في وصف فرسه :

له أَيْطَلَا ظَبْيِي، وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ، وَتَقْرِبُ تَنْقُلُ
حيث جمع هذه الصفات الأربع من أربعة حيوانات ، لم يجتمع مثلها لأحد قبله ، وحاول بعض
الشعراء أن يأتي بمثله ، فقال :

له قصريا رين، وشدقا حمامة وسالفتاهيتي من الزج أربدا
فلم يصنع شيئا بل قصر كثيرا ، وأسقط تشبيهها .

(القُصْرَيَان : الضلعان ، واحدهما قُصْرَى . والسالفة : أعلى العنق . والهَيْتَى : ذكر النعامة .
والأَرْجَح : الطويل الساقين . والأربد : الذي لونه كلون الرماد)

ومن أمثلة ذلك قول امرئ القيس أيضا من الاستعارة التمثيلية :

وما ذرفت عيناى إلا لتضرمى بهميك فى أعشار قلب مقتل
قال ابن رشيق (القراضه ص ٢٤) : مثل قلبه بأعشار الجزور ، وعينها بهمين من سهام
الميسر ، ولم يعرض له أحد من الشعراء .

• وربما دخل فى هذا النوع من العقامة ما يعرف عندهم بأوايد الشعر ، وهى الأبيات السائرة
كالأمثال ، مأخوذة من أوايد الإبل التى تتوحش لا يقدر عليها إلا بالعقر .

٣- العقامة بوساطة حسن التوليد : وقد يتم التعقيم على يد أخذ من سبقه ، بحسن
إضافة أو إعادة ترتيب بين أجزاء المعنى أو الصورة ، حيث يتفوق اللاحق على السابق ، ويسد
الطريق أيضا على غيره ، ويضربون لذلك المثل بقول سلم الخاسر :

من راقب الناس مات غمًّا وفاز باللذة الجسور
فإنه أخذه من قول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
فإن بشار لما سمعه قال : قاتله الله ، أمات بيتي ، فإنه أخذ منى المعنى وجود فى صياغته بلفظ
أجمل وأسير !.

وقال امرؤ القيس :

يضيء الفراش وجهها لضجيعها كمصباح زيت فى قناديل دُبالٍ
(الذبالة والذبالة ، والجمع دُبال ودُبال أيضا : الفتيلة التى يسرج بها السراج)

فتعاقب بعده عليه الشعراء ولم يفعلوا شيئاً إلى أن جاء عبدالله بن المعتز ، وصرفه إلى الشعر ،
فقال :

ألثمه فى الدجى وبرق ثنا ياه يرينى مواقع اللثم
فارتقى به إلى الغاية ، وأحسن الإتياع والابتداع ، وختمه بختمه .

• وقال عبدالله بن المعتز (البيتمة ٣٢/١) :

فكم عناق لنا وكم قُبَلٍ مختلّساتٍ حذارَ مرتقب

نَقَرَ العَصافير وهي خائفةٌ من النواطير يانعِ الرُّطب

فأخذه منه الأمير سيف الدولة الحمداني بحذقٍ وتفننٍ ، فامتلكه ، وذلك حين قال :

أَقْبَلْهُ عَلَى جَزَعٍ كَشَرِبِ الطَّائِرِ الْفَزَعِ

رَأَى مَاءً فَأَطْمَعَهُ وَخَافَ عَوَاقِبَ الطَّمَعِ

وَصَادَفَ فِرْصَةً فَدَنَا وَلَمْ يَلْتَذْ بِالْجَزَعِ

ومثلوا له أيضا بقول الشماخ (العمدة ٢/ ٢٩١) ، مخاطباً ناقته :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي عَرَابَةً ، فَاشْرُقِي بَدَمَ الْوَتِينِ

أخذه أبو نواس وأحسن فيه وأجاد ، فاستحق ملكيته ، وذلك حين قال :

أَقُولُ لِنَاقَتِي إِذْ بَلَّغْتَنِي لَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنِّي بِالْيَمِينِ

فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِلْغُرَبَانِ نَحْلًا وَلَا قَلْتُ (اشْرُقِي بَدَمَ الْوَتِينِ)

وحين قال :

وَإِذَا الْمَطْيُ بَنَا بَلْغَنَ مُحَمَّدًا فَظَهَوْرَهْنَ عَلَى الرَّجَالِ حَرَامَ

قَرَبْنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فَلَهَا عَلَيْنَا حَرَمَةٌ وَذِمَامَ

• وفي ظل ما تقدم يتبين أن الفردة قد تكون في المعنى ، وأكثر ما قدمناه متصل بهذا النوع ،

وقد تكون في التصوير ، استعارة أو تشبيهها ، ومن أمثلة الاستعارة قول امرئ القيس :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرَ فِي وَكَنَاتِهَا بِمَنْجَرٍ ، قَيْدِ الْأَوَابِدِ ، هَيْكَلِ

فهو أول من قيدها وسبق على هذه الاستعارة البديعة فاتبعه الناس (القراضة ص ٢١) فقال

الأُسُودُ بْنُ يَعْفَرَ :

بِمَقْلَصِ عَيْدٍ ، جَهِيْزٍ شَدَّةٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ فِي الرِّهَانِ ، جَوَادِ

(المقاصص : المشمر . جهيز شدة : سريع العدو) فزاد زيادة كانت بالنقص أشبه ، لأن الرهان

لا يقيد ، وإن استعير لها ذلك فبعيد ، وقال المتنبي :

يَسْتَقِيلُونَ ظِلَالَ كُلِّ مَطْهَمٍ أَجَلِ الظِّلِيمِ ، وَرَبَقَةِ السَّرْحَانِ

فأتى بالمعنى في غير اللفظ ، وزاد زيادة جيدة وإن لم يبلغ صاحب الاختراع .

وقال ابن رشيق أيضا في القراضة (ص ٢٢) : وكقول امرئ القيس أيضا في صفة الليل :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
فاستعار لليل صلباً وأعجازاً ، وجعله كاجمل البارك ، وتعاقب عليه جملة من الشعراء ،
فأصاب بعضهم وأخفق الآخر ، ولا شك أن هذه المحاولات دليل إعجابهم بالنص المعارض ،
وإحساسهم أنه يتحداهم بجمالياته . ومن هؤلاء الشعراء زهير ابن أبي سلمى حين قال :

صحا القلب عن سلمى ، وأقصر باطله وعُري أفراس الصبى ورواحله
فجعل للصبى أفراساً ورواحل ، وذلك تصوير رائع ، غير أنه ناظر فيه لببت امرئ القيس الذي
جعل الليل جملاً . وجاء الشاعر العباسي منصور النمري فقال :

وأهدت له الأيام عنهن سلوةً وعُري من رحل الصبابة غاربهُ
فانقلب المعنى عليه والتبس ، قال : لأنه أوهم السامع أنه كان مطية للصبابة ، وكان حقه أن
يقول : (وعري غرب الصبابة من رحله) .

• ومن أمثلة التشبيه مما تقدم ذكره ، قول امرئ القيس أيضا :

كأن ثبيراً في عرّانين وبُله كبير أناس في بجادٍ مزمل
غير أن طرفة أخذه منه بعد أن نقله إلى وصف العقاب ، فظهر بين يديه بمظهر الجديد ، فقال :

وعجزاء دفت بالجنّاح كأنها مع الصبح شيخٌ في بجادٍ مقنّع
كما تابعه النابغة بعد أن نقله إلى وصف النسر ، فقال :

تراهن خلف القوم خزرّاً عيونها جلوس الشيوخ في مسوح الأرانب
وقال امرؤ القيس أيضا يصف فرساً طردَ عليها الوحش :

ذعرتُ بها سرباً كأن جلوده وأكرعهُ وشي البرود من الخال
كأن الصّوّار إذ تجاهدن غدوةً على جَمَزَى خيلٌ تجول بأجلال

فأخذه شاعر الصحراء ذو الرمة وأجاد ، غير أنه أتى به في ثلاثة أبيات بدلا من بيتين ، فقال :

وَمَوْشِيَّةٌ ، سَحْمُ الصِّيَاصِي ، كَأَنهَا مَجْلَلَةٌ ، حُوٌّ ، عَلَيْهَا الْبَرَاقِعُ
حَزُونِيَّةُ الْأَنْسَابِ ، أَوْ أَعُوجِيَّةٌ عَلَيْهَا مِنَ الْقَهْرِ الْمَلَأُ النَّوَاصِعُ
تَكْشِفْنَ مِنْهَا عَنْ خُدُودٍ ، وَشُمُرَتْ أَسَافِلُهَا مِنْ حَيْثُ بَانَ الْأَكَارِعُ

• قال ابن رشيق في القراضه (ص ٢٩) : ومن باب المجانسة قول امرئ القيس:

فَمَا قَاتِلُوا عَنْ رَبِّهِمْ وَرَبِّبِهِمْ وَلَا آذَنُوا جَارًا فَيُظْعَنُ سَالِمًا

• ومن المطابقة قوله :

مِكَرٌ مِقْرٌ ، مَقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعَا كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطُّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

وقوله :

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نُخْفِيهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الشَّرَّ لَا نَقْعُدِ

• ومن باب المبالغة قول امرئ القيس أيضا يصف حلي امرأة :

كَأَنَّ عَلَى لِبَاتِهَا جَمْرَ مُصْطَلٍ أَصَابَ غَضًا جَزَلًا ، وَكُفًّا بِأَجْزَالٍ

وتجمل المبالغة باصطحابها ما يسوغها من تميم واحتراس أو لفظ مفهم للمقاربة ، قال امرؤ

القيس :

إِذَا رَكَبُوا الْخَيْلَ وَاسْتَلَامُوا تَحَرَّقَتِ الْأَرْضُ ، وَالْيَوْمُ قَرٌّ

فقوله : (واليوم قر) من تميم المعنى ومبالغة في اللفظ شديدة .

وقول طرفة :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرِّبْعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي

وقول زهير :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ ، حَبُّ الْقَنَا لَمْ يَحْطُمْ

وقول حسان :

لو يذب الحَوْلِي من ولد الذرِّ عليها، لأنديتها الكلام

وقول المتنبي :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حرق نطاقا

وهناك مجالات كثيرة تتم من خلالها محاولات التعقيم بأنواعه المختلفة ، وذلك يعني أن النصوص تكمن في داخلها دورات حياتية كاملة تتألق وتتوهج وتتفوق وتحقق ، ويكون ذلك مظهر صحة ، وعلامة رشد وحيوية ، فالنزوع إلى التغيير إذن ومحاولة كسر السائد وتجاوزه إلى ما هو أروع وأجمل ، هو المطلوب ، وما عداه فهو الموت الأحمر للنصوص وأصحابها وأجيالها ، فهيا بنا إلى تعقيم النصوص بالمعنى الذي يطورها ويرقى بها إلى مدارج الخلود .

• ومن النماذج العقم من النصوص الحديثة قول محمود درويش (الأعمال الكاملة ٢٦/١)
في رثاء أبيه :

للمتُ جرحك يا أبي برموش أشعاري
فبكت عيونُ الناس من حـزني ومن ثـاري
عفواً أبي قلبي موائدهم وتـيـمي العـمـاري
ما حيلة الشعراء يا أبتي غير الذي أورثت أقداري !

وقال شاعر المدينة الكبير ضياء الدين رجب (١٣٣٥-١٣٩٦هـ) من ديوانه ص ٣٠٩ في منديل
كوكب الشرق أم كلثوم :

يا من قسوت على المنديل، فاشتعلت أطيأه من شذا، ما ملّ منك يدا
إنني لأحسبُ في المنديلِ معجزةً من السماءِ، فلو أطلقْتِه لشدا

وإذا كانت قضية السباقيين للمعاني والصور والموضوعات قد شغلت حيزا كبيرا في نقدنا القديم، فألفوا من حولها المؤلفات العديدة كالوساطة ، والموازنة بين الطائيين ، والعمدة ، وقراسة الذهب، وردفها في العصر الحديث أمثال الموازنة بين الشعراء لزكي مبارك ، فإن مجالات كثيرة أيضا

مهيئة للكتابة عنها تبديدا وتجديدا ، ولكن أعلاما من الشعراء لا يختلف النقاد في تقدمهم عن غيرهم وفي سبقهم وإمامتهم ، في مقدمتهم بدر شاكر السياب ، وأبو القاسم الشابي ، ونزار قباني ، وعلي محمود طه ، وصالح عبد الصبور ، وأمل دنقل ، وغيرهم ، وحينما نثبت لهؤلاء وأمثالهم السبق والفراة ، لا نمنحهم صك البراءة من الوقوع فيما يقع فيه غيرهم من بعض المحاذير الفكرية ، ولكن ذلك لا يخرجهم من موقعهم في السبق الشعري والفراة الفنية ، وإنه لموضوع جدير بالدراسة والمتابعة .

♦ والنص الشعري بعنوان (مثار العبير) من ديوان (على أعتاب المحبوبة ص ١٢٠) :

و حين وقفت ببابك

واغرورقت بي رحابك

غبت عن الكون

في عبق اللانهاية

ذبت على راحة الظهر

وأحسست أنني امتزجت بأنفاسك القدسية

ضمخت وجهي بكفئك

ثم جثوت .. أقبل أرضاً مشيت عليها

وعطرتها بصلاتك

نورتها حين جئت إليها

وطيبتها حين عدت إليها

وضممتك للصدر بين الحنايا

وفازت بذاك على العالمين



وقفت وفي داخلي يتدافع حبي إليك
وتزخر سيرتك الطاهرة
وكل مغانيك .. كل معانيك
كل شمائلك الباهرة
فما عدت أبصر غيرك
وانجأني عن ناظري كل ستر .. وكل حجاب ..
وعشت كما ليلة القدر .. !
فحشرجت بالدمع
تمتت بالحمد والشكر لله
صلّى عليك الإله ..
وأشرقت الروح بالكاف والنون
وافت بنا السحب مرتبعا الغيث
فأينعت .. أوعبت
أدججت في اللازمان
أبحرت في اللامكان
انكفأت على ذاتي البائسة
فشاهدت مجمع آيات ربك
تجتاب بين يديه كسافة الليل
والخلق تدثر الغيب
عالقة بحبال الرجاء

وربك يصفح عمن يشاء ..
.. وشاهدت حولك جنة عدن
وبين يديك تَفَجَّرُ أنهارها
وتَفَتَّحَ أزهارها
وتَغَرَّدَ أطيارها
وأمواج نور
وباقات حور
فمازلت أركض حتى ركبت إليها
إلى قاب قوسين منكا
وأنت ترحب بالزائرين
على الخوض .. ترأف بالواردين
ومن كفك البرة الطاهرة
شربت .. ارتويت
تحولت طيراً بحجم اليمامة
والطيب يغمر أجنتي
والتساييح ذكرٌ جميل بحوصلتي
ومزامير لم يستمع مثلها في اللحن بشر
ولا قط طافت بقلب بشر
وأنا واقف عند بابك
والمسجدي يدافعني

ويصحح من وقفتي

ويقول : الضراعة لله ..

- لمن يضرع الناس يا سيدي ..؟

إنهم يضرعون لربك

يخشونه .. ويحبونه ..

ومن حبَّ ربك حبَّ نبيك

حبا أشدَّ من الولد ، والمال ، والأهل ، والنفس ..

به ندرك الرتب الفارعه

ونظفر بالجنة العالية



وها أنا ما زلت بين الجموع

ببابك .. نرتقب الأفق

يشرق منه محياك

يطلع كالشمس .. تكسو مفاتنها الكون

تضفي عليه مباهجها من جديد

وأصواتنا تتعثر في المشرقين وفي المغربين ..

وذا دمنا يتناثر في الطرقات

وأشلاؤنا .. تبعثرها الريح أنى تشاء ..

نضيق بها .. ونضيق بنا

ومصاحفنا .. تمرقها أرجل العابثين

وتخفق آياتها في حناجر أبنائنا
ومن ناطحات السحاب تدلّ أوراقها في الفضاء
وتذرو حرائقها في اشتها ..
ونحن نولول .. لا شيء نملك غير الدعاء
ومن بات يوماً بأرض العراق
كمن بات بالقدس وسط العراء
فلله من أمة (فدّة)
تموت سواء ، وتحيا سواء ..
وتجأر لله في خشية
وتسأله - جلّ - لطف القضاء



وأذهل من وقفتي عند بابك
والمسجدي يدافعني
ويسائلني عن مثار العبير
وعن رحلة النور ..
ويرسم بسمه ودُّ على شفّتيه
تقربني منه
تمحو الجفاف الذي بيننا
وتزيل الجفاء
ونكتب أسماءنا في كشوف الحضور

ونغمضي فرادى ونغمضي ثناءً
ونسأل أين جواز العبور / الوصول
إلى الله ..؟؟
- إنه من هنا كان
ومن ها هنا سيكون
إذا ما أردنا البقاء
ويهتز قلب الوجود
فتعود إليه حرارته .. دفئه
ويفضي لكل تواريخه .. وأقداسه .. وأعرافه
فتهب الحياة ..
وأنا واقف ..
ومحاورة تتواصل بيني وبينك
في الحب والعشق
وأنا واقف
تتغشى السكينة نفسي
وتفلت مني مقاومتي لهواك
فتأخذني سنةً
وأكاد أنام ضريحاً من الأرض حرة
وأنا واقف ..
أتملى وجودي

وأكتب قصة ذلّي
هو اني على الناس
وقد كنت في ذروة العز
ولكن إذا لم يكن غضبٌ لا أبالي ..
.. وفي لحظة
تتملكني شهوةٌ للبكاء
فأبكي .. وأبكي ..
وفي غصة أتساءل :
ماذا يفيد البكاء .. ؟
وهل ستردُّ الدموع القضاء .. ؟

١٢- محمد حميدة حميدة :

ولد عام ١٣٤٧هـ ، وأتم دراسته الابتدائية بمدرسة النجاح الأهلية ، والتحق بثانوية طيبة ، وأتم بها المرحلة المتوسطة ، ثم التحق بمدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة .

وفي وقت مبكر اتصل بالشيخ عمر حمدان المحرسي، الملقب بمحدث الحرمين الشريفين، وعاش في كنفه ، لأنه كان زوج أمه، وفتح عينيه على أمهات كتب الحديث والتفسير ، كما قرأ في تلك الآونة مجموعة من الكتب الأدبية ، منها العمدة لابن رشيقي، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، وزهر الآداب للمصري، وقد أجازته الشيخ المحرسي بجميع مروياته .

وبدأ حياته العلمية مدرسا بالمدرسة المنصورية ، فوكيلا للمدرسة الناصرية، فمديرا للمنصورية. وفي عام ١٣٧٤هـ حصل على دورة تدريبية اجتماعية بالجامعة الأمريكية في بيروت ، كما حصل بعدها على دبلوم من مركز التربية الأساسية بمصر ، خلال عامين دراسيين، هيأه للإشراف الاجتماعي بمنطقة المدينة التعليمية ، ثم موجهاً للتربية الاجتماعية، ثم موجهاً للتربية

الإسلامية، ثم تقاعد سنة ١٤٠١هـ بناء على طلبه، ثم أعيد للعمل في الدولة مديرا عاما للتوجيه والإرشاد بالمسجد النبوي، وترتبط به مجموعة من الإدارات من إدارة الوعظ والإرشاد، ومكتبة الحرم، وإدارة: المصاحف، والأغوات، والمؤذنين، كما كلف برئاسة لجنة جرد وتنظيم متحف ذخائر وموجودات الحجرة النبوية الشريفة.

وشارك في التوعية الإسلامية بالحج منذ عام ١٣٩٤هـ حتى عام ١٤٠٣هـ.

وأسهّم في عضوية عدة جماعات خيرية، مثل جمعية تحفيظ القرآن بالمدينة، وجمعية البر بالمدينة أيضا، وعدة جمعيات أخرى.

وهو من أعضاء أسرة الوادي المبارك وعضو منتسب لنادي المدينة المنورة الأدبي، وكثيرا ما كان يدعم جلسات الأسرة بالمحاضرين الزائرين للمدينة المنورة، وكانت له زاوية أسبوعية بجزيرة المدينة المنورة، سماها (أصواء).

ويمتلك مكتبة ضخمة لا تقل - حسب تقديره - عن عشرين ألف كتاب، أوقفها بعد مماته على المسجد النبوي، على أن يتخذ لها مكان خاص بها.

وكان في زاويته المدنية يعمد إلى الاختصار، وإلى معالجة القضايا الاجتماعية، وفيما يلي نورد ثلاثة نماذج مما كان يكتبه:

• المقال الأول نشر بتاريخ ١٤/٣/١٤٠١هـ العدد ٥١١٥ :

اقترح عقد جلسة للقمة الإسلامية في المسجد النبوي الشريف

أحمد الله تبارك وتعالى على أن وفقني فكنت أول من دعا وعلى صفحات هذه الجريدة قبل حوالي أربعة عشر عاما إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي في مكة المكرمة وفي رحاب البيت العتيق .. وأحمد الله الذي مد في عمري وأحياني حتى أشهد عقد هذا المؤتمر وأرى الأمل الكبير الذي حلمت به يتحقق !!

في عام ١٣٨٧هـ وبعد هزيمتنا النكراء أمام إسرائيل كتبت خمس مقالات في هذه الجريدة وفي المقال الأخير منها المنشور في العدد ١٠٤٨ والصادر في ٢٦/٥/١٣٨٧هـ دعوت مؤتمر القمة العربي الذي يعقد اجتماعاته في الخرطوم حينذاك إلى الدعوة لعقد مؤتمر قمة إسلامي في بيت

اللَّهُ وحرمة .. ورغم أنه لم يكن يلوح في أفقنا العربي والإسلامي ما يشير إلى إمكان تحقيق هذا الأمل الكبير إلا أن الجهود الموفقة التي بذلتها مملكتنا الرائدة في دعم مسيرة التضامن الإسلامي حولت الأمل الحلم إلى حقيقة مشهودة نحيها ونباركها ..

ونحن اليوم من طيبة الفيحاء من دار الهجرة من عاصمة الإسلام الأولى ندعو إلى أن تكون جلسة الختام لمؤتمر القمة الإسلامي وإعلان القرارات في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وفي الروضة المطهرة ، وبذلك يجتمع هذا المؤتمر ولأول مرة في تاريخ الإسلام بين شرف افتتاح جلساته في المسجد الحرام واختتامها في المسجد النبوي الشريف .

إن المسجد النبوي الشريف شهد الاجتماعات المباركة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم في رحابه مع صحبه الأبرار لإقامة صرح أول مجتمع مسلم على وجه الأرض في المدينة المنورة وإقامة الدولة الإسلامية الأولى، في المسجد النبوي الشريف عقدت الاجتماعات المباركة التي خطط فيها النبي صلى الله عليه وسلم بدر وأحد والخذقد وفتح وخيبر وفتح مكة .

في المسجد النبوي الشريف عقد أبو بكر وعمر وعثمان رايات الجيوش التي خرجت لفتح الشام والعراق وفارس ومصر وأفريقيا .

إن المسجد النبوي كان هو (برلمان المسلمين الأول) في عهد النبوة الميمون وفي عهد الخلافة الراشدة .

إن اجتماع مؤتمر القمة الإسلامي في المسجد النبوي الشريف وفي روضة من رياض الجنة بين منبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبره الشريف للعمل لإعلاء كلمة الله وتحقيق مطامح الشعوب الإسلامية لتحفه الملائكة وتغشاه الرحمة وتنزل عليه السكينة ، وستجعل المؤمنين يعيشون لا بأجسادهم فقط وغنما بقلوبهم وارواحهم وأشواقهم في هذه البقعة الشريفة التي طالما شهدت اجتماعات النبي صلى الله عليه وسلم بصحبه الأبرار يتدارسون ويخططون ويعلمون لنصرة دين الله وإعلاء كلمة الله ..

إن قرارات يتخذها قادة المسلمين في اجتماعات تبدأ في ظلال الكعبة المشرفة وتنتهي في الروضة المطهرة ، وتعلن من المسجد النبوي الشريف سيباركها الله وسوف تتلقاها الأمة الإسلامية في مختلف أقطارها بالرضا والتأييد وستكون بداية عهد جديد ومنطلقا إلى تاريخ مجيد تبدأ الأمة

الإسلامية مع بداية هذا القرن الذي تتطلع إليه بكثير من التفاؤل والاستبشار ..

• والمقال الثاني نشر بتاريخ ٢٣/١٠/١٤٠٦ هـ عدد ٧٠١٥ :

الشيخ أمين طرابلسي

شيخنا العلامة الكبير الشيخ أمين طرابلسي رحمه الله رحمة واسعة ، كان جامعة علمية تسعى على قدمين ، جمع من العلوم والمعارف ما لم يتم لأحد من علماء القرن الرابع عشر جمعه ، كان عالما موسوعيا متبحرا في علوم كثيرة مع تواضع وأدب رفيع وتقشف وزهد في الدنيا وإعراض عن بهارجها ، كان يقنع من الطعام بالقليل مع كرهه لتنوع المأكولات في مائدة واحدة ، وكان لباسه بسيطا يذكر بلباس الصحابة وعلماء السلف الورعين الزاهدين .

أحاط رحمه الله بعلوم القرآن الكريم إحاطة شاملة ، وكان يقول : من العلوم التي لم أجد لها طلابا علم الرسم - يعني علم رسم المصحف الشريف - فقد تلقى هذا العلم رواية ودراسة - أي دراسة وتطبيقا - عن المشايخ وكان يعرف كل كلمة في المصحف الشريف كيف تكتب وما قاله علماء الرسم فيها .

وكان في علم الحديث الشريف متمكنا عالما ، درس المتون والشروح ، يبهرك حين يقارن بين الموسوعات الحديثية كشرح فتح الباري للحافظ ابن حجر ، وشرح إرشاد الساري للعلامة القسطلاني ، وكان ينصح طلابه بالجمع بين مقدمة فتح الباري وإرشاد الساري ، لما في المقدمة من صناعة حديثية وفي إرشاد الساري من ثروة فقهية .

وكان في اللغة العربية يقارن مقارنة الفاهة العارف بين لسان العرب وتاج العروس اكبر موسوعتين في اللغة وكان رحمه الله يفضل تاج العروس على لسان العرب .

وكان في العلوم الرياضية إماما ومرجعاً بلغ في علوم الحساب والجبر والهندسة درجة الاجتهاد ، وكان يقول رحمه الله : لقد توصلت في علم الحساب على طرق وقواعد جديدة تأتي بنتائج صحيحة ثم تركت هذا العلم لأنه شغلني في صلاتي ..

كان يتمتع رحمه الله بذكاء وقاد وحافظة واعية لا تكاد تنسى شيئا ، وكان إخواننا المصريون من علماء الأزهر ومن الجامعات المصرية الذين كانوا يدرسون في المعهد العلمي في المدينة المنورة

يعجبون إعجاباً لا حد له بعلمه وسعته وتنوعه ومشاركته لكل متخصص منهم في تخصصه مع تفوقه عليه ، فكانوا يرجعون إليه إذا اختلفوا في مسألة من المسائل فكانوا يجدون عنده الجواب ، وكان جوابه دائماً جواب العالم المتواضع : أظن أن الجواب كذا وكذا والله أعلم .. ثم يدلهم على الكتاب الذي يرجعون إليه وربما ذكر أرقام الصفحات فيراجعون الكتاب فيجدون الجواب كما ذكر ، وعند طلابه من العلماء كالشيخ محمد الحافظ والشيخ عبدالمجيد حسن والأستاذ الوزير محمد عمر توفيق والأستاذ محمد العيد محسن الكثير من أخباره المعجبة المطربة .

رحم الله شيخنا العلامة الموسوعي المتبحر الزاهد الورع وأسكنه فسيح جناته

• والمقال الثالث نشر بتاريخ ١٤/١١/١٤٠٦ العدد ٧٠٣٦ :

جمعية للإصلاح الاجتماعي

ما كنت أظن بعد الكلمتين اللتين نشرتا لي في هذه الزاوية أنني سأعود مرة ثالثة للكتابة عن أوضاع الزواج ومشاكله ، إلا أن ما كتبه مدير تحرير هذه الجريدة الأستاذ علي محمد حسون في عدد يوم الثلاثاء الماضي ، ثم ما كتبه الأستاذ عبدالعزيز أحمد ساب في ملحق (الأربعاء) الماضي ، وما كتبه حرم سمو الأمير عبدالمجيد الأميرة سارة عبدالمحسن العنقري في نفس العدد ، وما كتبه الأستاذ سعود عبدالعزيز الحجام في ملحق الأربعاء قبل الماضي دفعني مرة أخرى لمعاودة الكتابة ..

إن إسهام هؤلاء الإخوة الأفاضل في الكتابة عن مشاكل الزواج ومصاعبه دليل قوي على ضخامة هذه المشاكل وفداحتها وما ينتج عنها من أخطار وأضرار ..

إن الإخوة الأفاضل قد أجمعوا - وهم على حق - أن مشاكل الزواج لا يمكن أن تعالج بعمل فردي ولا بكلمة أو كلمات - مهما كانت بليغة أو قوية أو مؤثرة - تنشر في صحيفة أو في مجلة وأنه لا بد من عمل مشترك وجهد جماعي وطرح أسماء إخوة كرام للقيام بذلك .

وأشارت حرم سمو الأمير عبدالمجيد الأميرة سارة في كلمتها إلى أن سمو الأمير عبد المجيد حينما كان أميراً لمنطقة تبوك بذل جهوداً مباركة في علاج تقاليد الزواج المرهقة وعاداته المضنية بين القبائل وأهل المدن وأن سموه حقق نجاحاً مبروراً في هذا المجال .

لذلك فإنني أدعو إلى تكوين جمعية تسمى (جمعية الإصلاح الاجتماعي) تضطلع بدور الإصلاح والتقويم لكثير من أوضاعنا المعوجة وتقاليدنا الخاطئة بالتوعية والترشيد والتوجيه والإسهام العملي في تنفيذ الحلول والاقتراحات ، وتقون هذه الجمعية بجانب مواجهة مشاكل الزواج بحلول عملية بالعمل على حل الخلافات الأسرية وفض النزاعات وإصلاح ذات البين ومحاولة القضاء على البطالة والتشرد ورعاية أسر المساجين والأخذ بيد المساجين بعد خروجهم من السجن ليندمجوا من جديد في مجتمعهم ويسهموا في خدمته ، وتحاول لجمعية أن تستفيد من جميع الخدمات التي تقدمها المؤسسات والمصالح الحكومية وغير الحكومية .

وإنني أدعو سمو الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة حفظه الله والذي عرفنا فضله ونبله وحبه للخير أن يتبنى مشروع هذه الجمعية ويعمل على إبرازها على حيز الوجود في عاصمة البر والخير طيبة الطيبة البلد المبارك الذي شرف بقيام أفضل وأطهر مجتمع على أرضه في عهد النبوة المباركة والخلافة الراشدة ، قام على التراحم والتواصل والتواصي بالحق والخير والفضل ، وإن سموه لفاعل لذلك إن شاء الله ، وفقه الله وسدد خطاه .

١٣- عبدالحق نقشبندي :

من مواليد المدينة المنورة عام ١٣٢٩هـ ، تلقى تعليمه على الطريقة التقليدية وحسب الظروف الضيقة المتاحة ، فقد مر الحجاز والمدينة المنورة بالذات بأيام حالحة السواد ، وسلسلة من الأحداث الجون ، كانت هي أهم أيام شباب شاعرنا النقشبندي ، ففي عام ١٣٣٣هـ وقعت الحرب الكونية الكبرى ، واصطلى أهالي المدينة بنارها أيما اصطلاء ، تبعثر فيها أهلها في البلاد شذر مذر ، وتفرقوا أيدي سبأ — كما يقول المثل العربي القديم — إذ أنه بعد سنة من قيام تلك الحرب ، ترجح لدى الشريف حسين ، الانضمام إلى جانب الحلفاء ، ورفض فكرة الطورانية المجحفة ، فأرسلت إليه دولة الخلافة أحد قوادها المشهورين ، هو القائد فخري باشا ، للقضاء عليه ، والحد من نشاطه ، وبسبب هذه الحرب انقطعت الأرزاق عن المدينة ، وانتشرت فيها المجاعة ، فرأى فخري باشا إجلاء أهل المدينة إلى سورية وتركيا ، لتأمين إعاشتهم هناك ، وكان شاعرنا النقشبندي ضمن المسافرين إلى دمشق (وهذا ما عرف بسفر برلك) وتفشت الأمراض بين المهاجرين ، وبخاصة حمى التيفوئيد ، فمات كثير منهم ، وبعد استرجاع المدينة كان الشاعر

من أهلها الراجعين إليها ، ولكن المدينة ظلت حبيسة عوامل كثيرة من التخلف والضياع ، إلى أن لامستها نفحات العهد السعودي الزاهر الذي تنفياً لظلاله اليوم .

وتعاطى النقشبندي في حياته العملية التدريس في مدرسة النجاح ، وكان من بين زملائه الأساتذة : عمر عادل ، وعبدالرحمن الشيباني (وكيل وزارة الإعلام الأسبق) ، والشاعر عبداللطيف أبو السمح ، والسيد ماجد عشقي ، وغيرهم ، ثم اشتغل بالمحاماة .

وفي عام ١٣٥٨ هجرية ، أقامت وزارة الإعلام بجدة مسابقة شعرية ، وأهابت بالشعراء للاشتراك فيها ، على أن لا تتجاوز أبيات القصيدة عشرين بيتاً ، كما خططت لهم أفكارها ، وكان من بين هؤلاء المشتركين عبدالحق نقشبندي ، وكانت قصيدته ضمن القصائد الفائزة ، وهذه بعض أبياتها :

بني موطني ، يا بني موطني هلمُّوا ، هلمُّوا لمجدٍ سني
فمن يطلب المجد لا ينثني إلى أن ينال رغب المنى

فهبنا يا زهور الشباب نذلُّ بالعلم كل الصعاب
فبالعلم تدرك أقصى الرغاب وبالفن ترتاح أرواحنا

كفانا سباتاً زمانٌ مضى وذا الغرب ماضٍ لغزو الفضا
فجدُّوا بعزم كسير القضا فمن جد في القصد شهداً جنى

ولشاعرنا النقشبندي ولع بالأنشيد ، فقد نظم أيضاً نشيداً آخر بمناسبة اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية عام ١٣٩٤ ، قال فيه :

إن هذا اليوم عيد ماله قطُّ مثيل
حبذا يوم سعيد لن يضاويه بديل

جاءنا باليمن يسمى فأتى الخير الجزيل
كيف لانفرح فيه ؟ ونغني بالهديل
وطنى تفديه نفسى دام فى ظلّ ظليل
هورى حانة روحى كل مسافيه جميل

وفى حفل أقيم لصديقه الشاعر المدينى أحمد العربى بمناسبة إنجائه الدراسة الجامعية سنة ١٣٥٠هـ ألقى قصيدة مطلعها :

أب الخليل المفدى سموه ناءاً ومجداً
أهلاً به من نبيل له المحامد تهدي
قد حاز مجداً وفخراً وبالمعالي تردى

وكذلك اشترك فى البيويل الفضى لمجلة المنهل بقصيدة ، وفى البيويل الفضى لجريدة المدينة المنورة أعد قصيدة لكنه لم يلقها ، وذلك لإلغاء الفكرة ، وذلك عام ١٣٨١هـ ، قال فيها :

لمن الزهور تنسقت فى النادي والبدر يبعث بالشعاع الهادي
وحمام الحرم الأليفة رنمت فوق المنابر بالهديل الشادي
وغدا (العقيق) خمائلاً فينانة تهفو إليه ركائب الورد
هذي (المدينة) فى جلال أديمها تتلى صحيفتها على الأماد
اللّه أكبر، كم أغدّت سيرها تخطو إلى العلياء والأمجاد
مرموقة من كل عين بالرضا محمودة الإصدار والإيراد
ولقد تكامل حسنهما حتى بدا يوسيلها الفضى فى الأعياد

ثم كعادته يخرج من المناسبة للحديث عن أحداث أمته ومشاكل بلاده وتطلعات مواطنيه .

– وفى عام ١٣٩٣ توفى الأديب المعروف عبد الحميد عنبر ، أحد أعضاء مجلس الشورى ، وهو

من أقرباء الشاعر ، وذلك في حادث سيارة، فثابه بقصيدة قدم لها بقوله :

« لقد عشت مع أخي عبد الحميد عنبر في أوائل عمري ، ونشأنا سواء في بيت واحد، ثم كنت معه في الشام أيام الحرب العامة الكبرى ، وقاسينا شدائد العوز والمرض والاغتراب، وبعد رجوعنا للمدينة المنورة واصلنا الدراسة معا ، ثم شق كل منا طريقه في الحياة » يقول النقشبدي :

أبكيك يا عبد الحميد يا أيها الخُلُّ الفريد
قاسمتني السراء والضراء في بؤسٍ وعيد
دالت بنا الأيام في يسرٍ، وفي عسرٍ شديد
ولقد صرّفنا الجهد في طلب العلوم كما نريد
حتى بلغنا غايةً ما كان فيهما من مزيد
قد كنت أوثر أن أرا ك تعيش في عمر مديد
لتسزفَ نعشي أولاً وأكون قبلُ أنا الفقيد
لكن سبقت لدار فر دوسٍ، فيالك من سعيد

وقد كان رحمه من المشاركين في بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين سنة ١٣٩٤هـ، وهو من الجيل السابق لجيل أسرة الوادي المبارك ، لكنه أبى إلا أن يكون له فيها إسهام ، لا يقل عن إسهامه قديما في (نادي جماعة المحاضرات) يوم أن كان شابا .

١٤- علي عمر قاضي :

ولد بالمدينة المنورة في نيف وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية ، وتعاطى العمل الحر ، وتخرج على يد المشايخ والعلماء بالمسجد النبوي الشريف ، ثم التحق بوزارة المعارف مدرسا ، ثم مديرا للمنصورية الابتدائية بالمدينة ، ثم أنس بن النضر ، وكان بعضهم يتهمه بسرعة الانفعال ، وما كان كذلك ، بل كان رجلا فاضلا لا يقبل بما كان عليه بعضهم من عته وهزل ، ويصون كرامته أن تهان في مجالس الرجال ، وكان يحفظ أكثر المعلقات ، وقبلها كان يحفظ القرآن الكريم ، وهو من أعضاء الأسرة غير المنتظمين ، ولكنه كان رجلا كريما ، يدعو الأسرة إلى عقد اجتماعاتها

في بيته ، وتوفي بالمدينة رحمه الله سنة ١٤٠٣هـ ، وكان يمارس كتابة شعر المناسبات بالأسلوب المعرق في التقليد وليس لدينا - مع الأسف - أي نموذج من كتاباته .

١٥- أحمد فالح :

هو أحمد فالح محمد المغامسي الحربي . ولد بخيف الحزامي سنة ١٣٥٦ وحصل على الشهادة الابتدائية في نفس قريته (الخيف) التابعة إدارية وجغرافيا وتعليميا لمنطقة المدينة المنورة ، وكان أول عمله بالتدريس ببدر في المرحلة الابتدائية ، ثم عمل مديرا بها من عام ١٣٧٤هـ ، حتى عام ١٣٨٥هـ ، ثم انتقل إلى المدينة المنورة مديرا للمدرسة انس بن النضر الابتدائية ، حتى عام ١٤٠٨هـ ، حيث حصل على التقاعد .

وكان تعرف الأسرة عليه من خلال مشاركاته في المناسبات المدرسية ببعض قصائده ، وازداد التواصل منذ انتقاله إلى المدينة المنورة إذ كان يحرص على حضور مجالسها وندواتها ومناسبتها، كما كان ينشر بعض أشعاره في جريدة المدينة المنورة ، وفيما يلي نماذج من شعره :

• القصيدة الأولى بعنوان (أم الأمين) قالها في رثاء زوجته :

خليلي قوماً بالبقيع وسلماً وخصاً به قبراً هناك معلماً
ولا تبخلا بالدمع إن سال منكما فعيناي قبل اليوم سالت به دما
وأن تتحفا (أم الأمين) بدعوة فإني لأرجو أن تثاب وترحما
وأن تدعوا لي بالتصبر بعدها فإني لأرجو أن يجاب دعاكما

وما الناس إلا قادمٌ ومودعٌ نسراً به طفلاً ونبكيه قيماً
وما المرء مهما عاش إلا كقدام على قومه ضيفاً وراح مكرماً
ونبني على الأوهام صرحاً مهلهلاً إذا مسه اليوم العصب تهديماً
ولو يعلم الإنسان مقدار عمره لأضرب عن جلّ الأمور وأحجماً
ولكن جهل المرء بالغيب آية بها يستمر المرء في السعي مقدماً

وما كان إيماني ضعيفاً وإنني لأعلم أن الموت كان محتتماً
ولكنني والحزن يعصر مهجتي تمنيت لو كنت الفقيد المقدماً
كأنني وإياها بقلبٍ تقدّمت به حيث أبقتني من القلب معدماً
فقدت بها (ليلى) و(عبلة) قبلها و(عزة) و(البثان) بل صرت أعظماً
ولو أن أقطاب الهواة تجمعوا لأنساهم ما حلّ عما تقدما



ولما رأيت الدار أحلك ليلاً وأعيت من الأكدار أن تتبسماً
توجّهت للبيت العتيق لعلني إذا زرتَه أسقيت للجرح زمزماً
والهوم مع العُمّار إذ كان جمعهم كبيراً، وأنسى الهم مهما تجعّماً
ولكنها كانت رفيقة رحلتي وما فارقت جسمي حلالاً ومحرماً
فلما دنت من ذي الخليفة أحرمت ولبّيت ، كما كنا زماناً تصرّماً
وسرت بها طول الطريق وكلما نزلنا أعدت لي شراباً ومطعماً
وإن طفت حول البيت طافت بجانبي وإن قمت أدعو رددته مترجماً
وإن كنت فوق المروتين توجّهت إلى البيت مثلي تسأل الله مغنماً
لقد زادني الطيف المرافق حسرةً ولم يشهد الجرح العميق تقدماً
فكنت كإسماعيل في ظل دوحهٍ وحيداً، ولما تبصر العين جرهما



وقد عدت يوم العيد - والعيد فرحةً - إلى الدار مهموماً حزيناً مكلّماً
فأنكرتها والدمع يملأ مقلتي فلا مَصْعِداً ترقى ولم ترق سلماً
كأنني إلى سجنٍ أساق بقسوةٍ ورجلاي أبدت في الدخول تبرماً

ولما دخلت الدار كادت رحابها وحيطانها بالحزن أن تتكلما
وأخلدت للذكرى وكانت أليمةً فقد عشت فيها العمر عيشاً منعماً
وكانت لها بالأمس شمساً مضيئة فلما توارت أصبح الحي مظلماً



وأظهرت للأطفال مني تجلدا وكانوا من الشيخ المتيم أحلما
وحاولت قدر المستطاع خلودهم إلى النوم إرفاقاً بهم وترحماً
وأخفيت صوتي بالبكاء فخانني فأيقظت أطفالاً عن الهم نوماً
كأنني وإياهم بمركب لجة أحاطت به الأمواج حتى تحطماً
أطالع للبر البعيد فلم أجد سوى ليل أشباح أناخ وخيماً
فأصبحت والدنيا كأن شموستها عن الكون غابت فادلهم وأعتما



وأوجزت في التعبير رفقا بأهلها وأبنائها ، يبكي به من ترنماً
ولو أنني أودعت فيه مشاعري لأرسلته غضاً طرياً منعماً
وأدميت قلباً قاسياً متحجراً وأبكيته عصماً بالجبال وحوماً
ولكنني أخفيت في الصدر حسرتي وأبديت عنواناً لما كان مبهماً
عليها سلام الله ما قام ذاكرٌ وصلى على خير الأنام وسلماً

• والقصيدة الثانية بعنوان (نداء إلى الأمة الإسلامية) نشرها في جريدة المدينة عدد ١٦٦٠ بتاريخ ١٣٨٩/٦/٨٢ هـ:

يناديكم الإسلام أن تجمعوا أمرا ويدعوكم الرحمن أن تنقذوا المسرى
وتدعوكم الأحداث أن تتجمعوا فقد حورب الإسلام من خصمه جهرا

ووافتكم سوق الكرامة فاغنموا فمن لم يبيع نفساً متى يشتري الأخرى؟
وهذا منادي الحق فيكم فلن نرى لمن يدعي الإسلام في صمته عذرا



أَطْلُوا على أرضٍ تطاول ليلُها بلا أنجمٍ ترعاه ، كونوا لها بدرا
أَطْلُوا على أرضٍ تضاعف ظلمُها وكونوا لها من بعد حالِكما فجرا
تحكّم فيها الظالمون بظلمهم فكم يَتَمَو طفلاً ، وكم وأدوا بكرا..
وكم قتلوا من شبّها وشبابها وكم أخرجوا من دورهم أهلها فقرا..
ونيرانها في القدس يعلو أوارها فصبوا عليها من دم المعتدي نهرا
إذا لم يكن أطفالُها بدمائهم تجرّاً ذاك اللصُّ مرتكباً أخرى



أيغزو دعاة الكفر في الأفق أنجماً ونعجز أن نجتاز في أرضنا شبرا..
أتحكم إسرائيل أول قبلة ونحن لها أهلٌ ونحن بها أخرى..
تناصر أهل الكفر والكفر ملّةً ونحن عن الإخوان في غفلةٍ كبرى
تعاون أهل الشرق والغرب ضدنا فلا نرتجي من غير ملتنا نصرا
لئن صنعوا في الغرب خنجر قتلنا فقد حفروا في الشرق من أجلنا قبرا
ووالله ما بالمسلمين خصاصةً فقد أودع الرحمن في أرضهم خيرا
وتالله ما بالمسلمين غضاضةً من العدّ ، لو عدّوا لما استيسروا حصرا
ولكن أصابتهم ذنوبٌ وجفوةٌ فقد هجروا ما جاء في شرعهم هجرا
فما حكّموا فيما يريد كتابه ولا نفّذوا لله نهياً ولا أمرا
فأضحو غشاء لا يهاب جنابهم يخافون خصماً لا يوازي لهم عُشرا

وصاروا دويلاتٍ لها الخُلف ديدنٌ
يخافون قوماً أهل جبنٍ وذُلَّةٍ
أنخشي بني صهيون واللَّه خصَّهم
فيا أمتي أين العزيمة أينها؟
ورثنا عن الأباء مجد خلودهم
إذا ما ذكرناهم حمدنا فعالهم
جنينا على التاريخ إن لم نكن لهم
ولابد قبل النصر من صدق توبةٍ
ولابد قبل النصر من جمع أمةٍ
وإلا ترامينا إلى نار خصمنا
وحيُّوا جنود النصر في كل بقعةٍ
وحيُّوا الفدائيين حيث تقدموا
أذاقوا العدا شتى العذاب بعزمهم
وهبوا فإن القدس طال انتظارها
وأجلوا بني صهيون من كل موطنٍ
وقودوا لأجل اللّٰه راية نصره
وأعلوا بذكر اللّٰه ساحة قدسه
وخوضوا غمار الحرب من خلف (فيصل)
دعاكم إلى الرحمن من حول بيته
دعاكم إلى الرحمن من خلف (فيصل)
دعاكم إلى الرحمن من حول بيته



١٦- سالم جعفر داغستاني :

ولد في المدينة المنورة عام ١٣٣٥هـ بحي التاجوري ، ونشأ يتيم الأب ، فقد مات والده بمدينة حمص بالشام ، حين كان يعيش بعيدا عن المدينة بسبب سفر برك (التهجير) الذي تعرض له اهل المدينة ايام الحرب العالمية ، ثم عادت به أسرته إلى المدينة .

تلقى تعليمه الأولي في كتاب الشيخ حسين عويضة ، ومن ثم مدرسة العلوم الشرعية ، حيث حفظ فيها أجزاء كثيرة من القرآن في خلال سنتين ، ثم انتقل إلى المدرسة الأميرية (الناصرية) ، ومنها حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٣٥٣هـ ، ثم واصل تعليمه بالمسجد النبوي الشريف حوالي اثني عشر عاما ، فدرس على يد الأعلام من الشيوخ ، ثم عين مدرسا بالمدرسة التحضيرية سنة ١٣٥٥هـ ، واستمر في دراسته المسجدية ، وفي سنة ١٣٥٨هـ حصل على إجازة بالتدريس في المسجد النبوي بشهادة مصدقة من المحكمة الكبرى في تدريس العلوم الدينية والعربية .

ثم عين وكيلا للمدرسة التحضيرية الثانية إلى عام ١٣٦١ حيث ألغيت المدرسة التحضيرية ، فنقل مدرسا من الدرجة الأولى ، ثم مدرسا ممتازا في المدرسة الناصرية (قلت : انظر هذا الترتيب الجميل في ترتيب مراتب المدرسين إنها أشبه ما يكون بدرجاتهم في الجامعات الآن) .

وفي غرة محرم ١٣٦٦هـ انتقل مديرا لمدرسة الصحراء بالمسيجد ، وبقي فيها إلى ربيع الثاني عام ١٣٨٢هـ ، حيث انتقل رئيسا لقسم التعليم العام بإدارة التعليم بالمدينة المنورة ، ثم رئيسا لقسم التوجيه التربوي لما فوق المرحلة الابتدائية ، وهنا تعرفت به عن كثب ، عن طريق الزميل عبدالرحيم أبويكر ، الذي كان موجهها للغة العربية آنذاك ، فكننا نجلس في مكتب الداغستاني بحميمية ، وكثيرا ما يتحول اللقاء إلى جلسة علمية أدبية ، وفي عام ١٣٩٣ عين الداغستاني محاميا لمنطقة المدينة التعليمية وظل فيها حتى تقاعده وتوفي رحمه الله بالمدينة سنة ١٤١٢هـ .

كان لوالدي رحمه الله - والكلام لابنه الأستاذ خليل داغستاني - نشاط صحافي متواصل ، أهمية ما كان ينشر في جريدة المدينة المنورة ، من ذلك سلسلة مقالات تحت عنوان (مذكرات ستة عشر عاما في مدرسة الصحراء) وهي تزيد على ٣٥ حلقة ، كما كتب عن الشيوعية والماركسية والاشتراكية ، وكتب عن اقتصاديات النفط ، وعن مدى فاعلية قطع النفط عن الغرب - إيجابا وسلبا- وكتب أيضا سلسلة مقالات (دفاع عن تاريخ أمة) حول التحدي

الحضاري بين المسيحية والإسلام ، ومقالات طويلة عن تاريخ الطب العربي .

قلت: والذي نعلمه عن الشيخ أنه كان عالما مولعا بالأدب ، وأديبا مولعا بالعلم ، فلذا كان انضمامه لأسرة الوادي المبارك بعد عودته من المسيجيد مكسبا كبيرا ، ومن عوامل تجديد مسيرتها الأدبية .

• وفيما يلي نورد نصين من مقالاته ، الأول بعنوان (كيف صرت معلما ؟) :

« الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، وبعد :

فقد خامرت فكري فكرة أخذت تتغلغل بين شغاف قلبي ، وتخامر عقلي وفكري مدة طويلة من الزمن ، فكرة تأليف كتيب يتناول مراحل حياتي التعليمية وما مر بها من أحداث ، ولقد تهيئت من الإقدام على إخراج هذا المؤلف ، وطال ترددي ، ومرت أعوام تبعثها أعوام وأنا أحجم هن تنفيذ هذه الفكرة ، وكان بعض ابنائي وبعض أصدقائي يلحون علي ويحثونني عل إبراز الفكرة إلى حيز التنفيذ ، وبعد طول تردد عقدت العزم وتوكلت على الله .

اسم الكتاب :

تجبرت في تسمية الكتاب ، عن لي أن أسميه (كيف صرت معلما) ، ولقب المعلم كان يطلق على المدرس والأستاذ ، وكان التعيين أو التكليف يصدر من مديرية المعارف العامة - آنذاك- ولقب معلم تعبير صحيح فصيح يفى بالغرض ويؤدي الصور المطلوبة .

نبذة عن تاريخ التعليم :

كان التعليم في الماضي يبدأ بالكتاب ، حيث يتلقى الملتحق بالكتاب دروسا في الهجاء لتكون عوناً له على فك الحرف - كما يقولون- وبالتالي تكون مدخلا إلى قراءة القرآن الكريم ، وينفرد الكتاب بتعليم القرآن الكريم فقط ، وليس هناك أي نوع من التعليم لغيره ، وكان المسجد النبوي الشريف هو الجامعة التي يرتادها طلاب العلم .

حيث كان يتصدر للتدريس به نخبة من العلماء الأعلام ، وكانت تدرس فيه علوم اللغة العربية، والعلوم الدينية ، بل إن فنونا أخرى كانت تدرس في المسجد النبوي مثل الحساب ، الذي يعتبر ضروريا لعلم المواarith (الفرائض) ولعلوم أخرى كالأدب والعروض والفلك ، و.... نصيب في

المسجد ، وكان لحسن الخط رجاله ، تطوعوا لتعليم الراغب في إتقان الخطوط ، وكان التعليم في الدكان الذي اتخذ منه خبير الخطوط مكتبة ولتدريس الخطوط في الوقت نفسه ، وربما تصدر لتعليم الخطوط في المسجد البعض ولكن هذا كان قليلا .

دور المدارس :

كانت في المدينة المنورة مدرسة حكومية واحدة كانت تسمى المدرسة الأميرية ، ثم سميت فيما بعد بالمدرسة الناصرية ، وهي امتداد لمثيلاتها في عهود ما قبل الحكم السعودي الزاهر ، وكان نظام التعليم إلى ما قبل سنة ١٣٦١هـ ينقسم إلى مرحلتين ، الأولى مرحلة المدرسة التحضيرية ، والثانية المدرسة الابتدائية . والمدرسة التحضيرية هي التي تستقبل الملتحق الجديد - المبتدئ ، وتتكون المدرسة التحضيرية من ثلاثة فصول ، وشطروا السنة الأولى إلى قسمين أطلقوا عليهما - الشعبة الأولى والشعبة الثانية - وقد كانت إدارة المدرسة التحضيرية تختبر الملتحق الجديد فإذا لم يكن قد فك الحرف - كما يقولون - أي : أنه أتى من البيت يلحقونه بالشعبة الأولى ، وإذا قدم من الكتاب وكثيرا ما كان يحدث ذلك يلحقونه بالشعبة الثانية ، وأنا اذكر أنني كنت أدرس في مدرسة العلوم الشرعية ، ورغبت أن ألتحق بالمدرسة الأميرية ، وقد ألحقوني بالشعبة الثانية مع أنني كنت احفظ أكثر من عشرة أجزاء من القرآن الكريم ، وتعلمت مبادئ القراءة والكتابة والحساب .

وإنما يدل هذا على ما بلغه التعليم آنذاك من مستوى يفوق في قوته التعليم الابتدائي الحالي ، والمواد التي كانت تدرس في المرحلة التحضيرية هي القرآن الكريم والتوحيد والفقه والمطالعة والإيماء والحساب والسيرة النبوية والمحادثة وعلوم الأشياء ، وهي شبيهة بدروس العلوم الحالية، كانت مدة الدراسة في المدرسة التحضيرية ثلاث سنوات رسميا ، واصطلاحيا أربع سنوات كما سبقت الإشارة إليه.

• والمقال الثاني بعنوان (في تاريخ الطب العربي - الحلقة العاشرة) :

« شرف مهنة الطب قانون قديم » :

وجد الطب ليكون وسيلة لتخفيف آلام البشرية ، وإنقاذ الأجسام الأدمية المعذبة من براثن عدو الأدمية ، المرض الذي يفتك بالأجساد ، وينهشها نهشا ويطنحها طحنا ، فيحيل عودها

النضر إلى عود ذابل ، يصبح عالة على المجتمع ، بدلا من أن يكون عضوا عاملا في المجتمع ، يؤدي دوره في الحياة ، وجد الطب لهذه الغاية النبيلة لا ليكون أداة تخريب ومصدر تهديد لبني البشر ، ولم يفت هذا كله المشتغلين بعلوم الطب من قديم الأزمان ، ويظهر أن هذه الفكرة قديمة جدا والأخذ بمبدأ أخذ العهود والمواثيق على طلاب الطب مبدأ موروث ومعمول به بين الأوساط في الطب القديم ، فحنين بن إسحاق الذي تقدمت ترجمته في الحلقة الماضية يقف موقفا يحق للطب أن يفاخر به ويباهي به العلوم الأخرى ، وهو في الوقت نفسه يؤيد ما تقدمت الإشارة إليه من قدم القانون المعمول به في كليات الطب في العصر الحديث ، فقد روى الدكتور التجاني نقلا عن القفطي : « أن الخليفة المتوكل طلب مرة من حنين أن يضع له سما يقتل به أحد أعدائه ، فقال حنين : إني ما تعلمت غير الأدوية النافعة ، ولا علمت أمير المؤمنين يطلب غيرها ، فهدده الخليفة بالقتل وهو رافض ، ثم حبسه في إحدى القلاع ، وكان في حبسه مشتغلا بالقراءة والترجمة والنقل دون اكتراث بما هو فيه ، وبعد سنة قضاها في الحبس أرسل إليه الخليفة وقال : إن هذا الفعل لم يكن إلا لامتحانك ، فقبل حنين الأرض شاكرا وقال : يا أمير المؤمنين منعني من ذلك شيئان : الدين والصناعة ، فالدين يأمرنا باستعمال الخير والجميل مع أعدائنا ، فكيف ظنك بالأصدقاء ؟ والصناعة تحذر من الأضرار بأبناء الجنس ، لأنها موضوعة لنفعهم ومقصورة على معاجلتهم ، ومع هذا فقد جعل على رقاب الأطباء عهد مؤكد بأيمان غليظة أن لا يعطوا دواء قاتلا ، فلم أر أن أخالف هذين الأمرين الشريفين ، ووطنت نفسي على القتل فإن الله تعالى ما كان ليضيع من بذل نفسه في طاعته » .

وأحب للقارئ الكريم أن ينظر في إجابة حنين للمتوكل نظرة تأمل مقرون بالإعجاب والإكبار لهذا الطبيب العالم الذي يمنعه الدين والصناعة من الإضرار بالجنس البشري .

ولقد أسدى حنين بن إسحاق إلى العلوم الطبية خدمات تقدم جليلة ، فقد قام بترجمة سبعة كتب من كتب أبقراط إلى العربية ، كما ترجم إلى السريانية خمسة وتسعين كتابا من كتب جالينوس ترجم منها إلى العربية تسعة وثلاثين ، كما ورد ذلك في قائمة وضعها حين رآها أحد تلاميذه وقد عثر عليها في مكتبة جامع أيا صوفيا ، نقل ذلك الدكتور التجاني عن تاريخ التمدن الإسلامي ، كما راجع وأصلح معظم الخمسين كتابا التي كان قد ترجمها إلى السريانية سرجس الراس عيني ، وأيوب الرهادي ، وغيرهما من الأطباء المتقدمين ، وكانت التراجم السريانية

تعمل في الغالب للأطباء وللعلماء النصارى .

ومن آثار حنين الخالدات غير ما ذكر ما أورد الدكتور التجاني نقلا عن كتاب العشر مقالات في العين والفهرست ما نصه: « ونقل أيضا ثلاثة من كتب أورباسيوس خلاف ما نقله من كتب الفلسفة وغيرها لأفلاطون وأرسططاليس ، وقد بلغت تأليفه بخاصة نحو ثلاثين رسم وكتاب ورسالة ، خمسة منها في صناعة الكحل وأمراض العين ، ومن أشهر تأليفه كتاب العشر مقالات في العين ، ويعتبر هذا الكتاب أقدم ما ألف في أمراض العين بطريقة علمية منظمة» ثم يقول الدكتور التجاني: « وقد أصبح الآن هذا الكتاب بفضل المستشرق الدكتور مايهوف الذي كان طبيبا للعيون في القاهرة في تناول القراء ، فقد قام بنشره وشرحه وترجمته» ، وليست هذه كلها أعمال حنين فله نشاط آخر في الترجمة والتأليف ، فقد كان حنين يترجم من اليونانية إلى السريانية ، ويقوم ابن اخت حنين بترجمتها إلى العربية تحت إشراف حنين ، ولربما ترجم حنين من اليونانية إلى العربية رأسا ، ومن أكثر أعماله خلودا قيامه بترجمة كتب التشريح لجالينوس ، والتي فقدت أصول الأجزاء السبعة الأخيرة منها من الجزء العاشر إلى الجزء السادس عشر ، وحفظتها ترجمة حنين ، قال مؤرخ الفرنسي ليكرلك «إن حنين من أشد رجال التاريخ ذكاء وأحسنهم خلقا ، وربما كان أقوى شخصية أعجبها القرن الثالث الهجري» .

عجبا لهذه المواهب تجتمع في هذه الشخصية الفذة ، إحاطة بلغات متعددة ونقل مؤلفات من لغة إلى لغة ، ومن لغة إلى لغات ، وهذه المؤلفات الموضوعة بلغة يونانية ، ويراد نقلها إلى العربية أو السريانية ليست مؤلفات تتناول تاريخ أو آداب تلك الأمة بل إنها موضوعة لعلوم طبية تتضمن نظريات علمية معقدة .

وهل اتسع عمر الرجل لترجمة ذلك العدد الكبير من الكتب ، إلى جانب مؤلفاته العديدة الخاصة ، مع اشتغاله إلى جانب ذلك بالمعالجة والتطبيب . ولم يشأ الرجل أن تنحصر تلك العلوم في شخصه حتى إذا مات انقرضت تلك العلوم بموته وقبرت معه ، فإلى جانب جلال الحالة التي لا علم بها إلا الله كم كانت تأخذ من جهده إلى جانب ذلك كرس بعضاً من جهده ووقته لنشر تلك العلوم بين الناس على قدر الاستطاعة ، فمن تلاميذه الذين نبغوا في النقل والترجمة وخلفوا آثارا خالدة ، وبرعوا في الطب : ابنه إسحاق ، وابن أخته حنين الذي تقدمت الإشارة إليه من أنه كان يقوم بترجمة ما يترجم خاله حنين من اليونانية إلى السريانية ، يقوم

بالترجمة من السريانية إلى العربية ، حتى لقد قيل : من جملة سعادة حنين صحبة حنين ، فإن أكثر ما نقله حنين نسب إلى حنين ولئن كان حنين بن الأعصم ابن أخت حنين ينقل ويترجم تحت إشراف خاله في أغلب الحالات ، فقد انفراد بترجمة بعض كتب جالينوس ، واستقل بنقل كتابين من كتب أبقراط ، كما اشترك مع خاله في أكثر ما نقل وترجم ، أما إسحق بن حنين وتلميذه الذي كادت شهرته أن تطفئ على شهرة أبيه وأجاد واتقن كل ما كان أبوه يجيده من إتقان لعدة لغات ونقل الكثير من آثار الأمم المتمدينة السابقة ، مع التبريز في الطب . أما إسحاق هذا فهو موضع حديثنا في الحلقة القادمة إن شاء الله .

١٧- حامد حسن محمود عبد القادر الأنصاري :

ولد بالمدينة عام ١٣٤٨هـ ، وبها درس ، وتولى وظائف مهمة ، من أبرزها : رئيس المحاسبة بمنطقة المدينة المنورة التعليمية ، حين كانت منطقة المدينة تشمل كل شمال المملكة تقريبا ، ثم التحق إلى العمل بالسفارة السعودية بألمانيا ، وهو عضو غير منتظم بالأسرة ، ومن فاعلياته في الأسرة أنه كان يقابج الأعضاء بالمطبوعات الأدبية الحديثة ، من ذلك مجموعة من التراجم في كتاب واحد لرباعيات الخيام ، منها ترجمة الصاوي شعلان ، وترجمة محمد السباعي ، وترجمة أحمد رامي ، وكنا نجتمع لسماع الترجمات المختلفة ، ونوازن بينها ، جلسنا لهذا الشأن أكثر من جلسة .

١٨- محمد كامل خيجا :

ولد بالمدينة عام ١٣٦٠هـ ، وعمل بوزارة الإعلام ، حتى أحيل إلى التقاعد ، وكان يكتب الشعر والمقالة ، ويؤكد على وجوب الاهتمام بالفكر والثقافة ، فلذلك كان كثير الاطلاع والقراءة ، والمتابعة لما ينشر ، ومن مؤلفاته :

١- أفكار من المدينة المنورة ، طبع بدمشق عام ١٤٠٠هـ .

٢- دور الإعلام الإسلامي في بناء الإنسان المثالي ، منشورات نادي جازان الأدبي ١٤٠٤هـ .

• ونختار له نموذجين أولهما من كتابه (أفكار من المدينة المنورة) ص ٩ :

إن المسألة التي أطرحتها اليوم أمامكم هي في الصميم من حياتنا .. وهي المسألة التي تفرض

نفسها في كل ناحية من نواحي نهضتنا وتطورنا ..

لقد أفادت الأمة العربية بعد إغفاءة طويلة فوجدت نفسها قد أحيط بها .. وضربت حولها السدود ووضعت في أيديها القيود .. وإذا أرضها مقسمة إلى أقطار ودول ، تفصلها الفواصل والحدود ، وتراثها الثمين مغشى عليه بالأطمار والغبار ..

مررت بالمسجد المحزون أسأله هل في المصلى أو المحراب مروان ؟
فلا الأذان أذانٌ في منارته إذا تعالى ولا الأذان أذان

فكانت انطلاقات للدفاع عن الذات عن الأرض والنفس والمال والتراث والعقيدة واللغة والثقافة .. انطلاقات متلاحقة للتحرر من الأجنبي الواغل .. من استعمارهِ واحتلالهِ .. ونفوذهِ وسلطانهِ .. وكان تطلع وجهه للاتصال .. اتصال الأرض بالأرض والحاضر بالماضي .. اتصال في المكان والزمان لوحدة الأرض .. ووحدة الشخصية عبر الزمان .. والآن وقد قطعنا في بناء كياننا أشواطاً في السير نحو بعث تراثنا الإسلامي مراحل سواء من الوجهة المادية أو من الوجهة المعنوية .. في إشاعة الفكرة وبث الوعي وتعميقه في النفس والوجدان .. تواجهنا أسئلة كثيرة ترتسم أمامنا وتقطع علينا الطريق وتلج في طلب الجواب ..

هل بناء كياننا وبعث تراثنا غاية نقف عندها هي قصارى الجهد ومنتهى الأمل ؟ أم أن وراء ذلك أهدافاً بعيدة وغايات أخرى ؟

نحن نسعى بجهدنا لنلحق بركب الحضارة الحديثة ونتدارك ما كنا فيه من تخلف .. فهل منتهى آمالنا أن نكون كإحدى الدول المتمدنة المعروفة ؟ وهل يمكن ذلك ؟ ..

تذكرني هذه المسألة بمسألة رياضية كانت تطرح علينا حين كنا في المرحلة الثانوية : طائرة تطير في الجو والمسافة بيننا وبينها في لحظة ما معروفة يراد إصابتها بقذيفة ، فإذا حسبنا سرعة القذيفة والزمن الذي تحتاجه لقطع المسافة إلى النقطة التي كانت فيها الطائرة في لحظة ما من الزمن .. وجدنا أنفسنا أمام مشكلة وهي أن الطائرة ليست ثابتة بل تكون قد قطعت مسافة جديدة أثناء اختراق القذيفة ، ولذلك يجب أن نحسب الأمرين معا سير الطائرة في اتجاه أفقي متباعد بسرعة معينة وانطلاق القذيفة بسرعة معينة باتجاه صاعد متقدم في اتجاه الطائرة .. والتقاؤهما في نقطة من الفضاء وفي زمن معين .

إن الدول التي نحتذي بها ونتخذها هدفا للوصول ليست ثابتة راكدة بل متحركة تغذ السير وسرعتها متزايدة أيضا .. فإذا سرنا بسرعتها لم ندركها ، فالجسمان المتحركان في اتجاه واحد لا يلحق الثاني منهما الأول إلا إذا كانت السرعة متزايدة غير ثابتة ، هذا إذا لم يتغير اتجاه السير في هذه الحضارة ..

إن من الخطأ بل من العبث أن نبحث عن أنفسنا ونهضتنا وحركتنا بنظرة منعزلة فنحن في مجموعة كبيرة تتحرك كلها ولا بد أن نعرف موقعنا منها وأن نرسم حركتنا ونخطط لها ضمن الإطار العالمي والتخطيط العام .

فما هو موقعنا من العالم ؟ ما هو موقعنا من الحضارة العالمية ؟ أين نضع أنفسنا ؟ وما هي إمكاناتنا لذلك ؟ هل تقتصر القضية على حساب المسافة والسرعة في نظرة كمية ؟ أم أن ثمة عامل الكيفية والنوع ؟ هل اللحاق بالركب أو السبق أمر عادي صرف ؟ أم أن ثمة وجها آخر للمسألة ؟ فقد يكون من الممكن أن نغير الطريق ونخالف في الاتجاه والهدف إذا وجدنا الرائد المتقدم أمامنا قد ضل الطريق وأخطأ الوجهة أو انحرف عن الهدف ..

أليس في الحضارة الحديثة ثغرة لم تسد يمكن أن نتقدم لسدها ؟ وجانب مهدوم لم يلتفت أحد إلى بنائه يمكن أن نتقدم نحن لبنائه ؟ هل عندنا ما تقدمه لهذه الحضارة مما قد ينقصها وهي بحاجة إليه ؟ هل في اتجاه هذه الحضارة وخط مسيرها انحراف يمكن أن نصححه ؟ ولا عبرة حينئذ بالسبق أو السرعة فالسابق المخطئ والمسرع المنحرف لا بد له من الوقوف والرجوع ليصحح الخطأ ويقيم العوج ويستكمل النقص .

لا بد للإجابة على هذه الأسئلة من معرفة هدفنا البعيد وموقعه من الحضارة في مصيرها المتحرك وخط اتجاهها ونوع الحضارة التي نستهدفها ومكاننا من التخطيط العالمي ودورنا المقبل والممكن في تكوين الحضارة ورسالتها فيها .. إن لكل ذلك أثره العميق في أدق التفاصيل وأصغر الجزئيات من تكويننا الحاضر ونهضتنا التي نبنيها فإن من الصعب بل من المتعذر تغيير قطعة صغيرة في أساس البناء بعد أن يقوم البناء بجدرانه وسقوفه وإن انحرافا صغيرا لا يدرك في أول المسير ورأس الزاوية ينتهي إلى انحراف كبير بعد قطع أشواط منه وفي مفترج الخططين ..

وكثير من الناس بل من المثقفين يغفلون عن هذه النظرة الحركية المصيرية التي تتعلق عليها

مسيرنا ومستقبلنا ومستقبل الإنسانية إلى حد كبير .. والإجابة على هذه الأسئلة تقتضيها معرفة مسير الحضارة الحديثة وتركيبها ومكاسبها ومغارمها الحاضرة والمرتبقة كما تقتضيها معرفة إمكاناتنا المادية والمعنوية الظاهرة والكامنة وطريقة تفاعل الأمة العربية مع الحضارة في الماضي .. والحاضر والمستقبل .

إن الحضارة الحديثة التي لا يزال الغرب يحمل مشعلها ليست من صنعه وحده بل هي نتيجة دور حضارات الإنسان منذ بدء الخليقة تناقلتها الأجيال وتناوبت عليها الشعوب ، وكان آخرها الحضارة اليونانية والرومانية والحضارة العربية الإسلامية التي وقفت منذ سبعة قرون وأسلمت قسما كبيرا هاما من تراثها وإنتاجها إلى أوروبا فكان فيها ما سمي عصر النهضة .

إن في الحضارة الحديثة قسما لاشك أنه من مكاسب البشرية المختلفة .. ذلك هو انطلاق العقل في آفاق الكون والطبيعة ينقب ويكتشف ويزيد دائرة المعلوم ويكشف الغطاء عن نواميس الكون وقوانين الطبيعة كما تجري في واقعها ، إن هذا القسم من الحضارة الحديثة إذا جرد مما التصق به من نظريات افتراضية وآراء تخمينية وهي كثيرة ليظل في هذا المجال هو القسم الصلب المتين النافع من هذه الحضارة ، وهو خلاصة جهود البشرية خلال عصور متطاولة ..

ومن مكاسب هذه الحضارة أيضا ما نتج عن معرفة الكون من قدرة على تسخير واستثمار لمنفعة الإنسان وما تولد عنه من اختراع وإبداع كاستثمار الطاقات المتنوعة من حرارة وكهرباء وحركة وضوء واستثمار المادة تحليلًا وتركيبًا ، لقد أدى ذلك إلى توسع الصناعة وارتقائها واختراع الآلة التي تصنع ما كان يعجز عن مثل الإنسان كما وكيف .. وتنقل الإنسان وأخباره وأخبار الكون ولكن هذا القسم من الحضارة ذو وجهين ، فهو نافع ومفيد حين يستخدم لتحسين المعاش والترفيه عن الإنسان وزيادة لذته وتنويعها وتوسيع معارفه وسرعة وصوله إلى أهدافه .. وضار حين يستعمل لإذلال البشر وإضعافهم واستعبادهم وقتلهم والاعتداء عليهم أو حين يصرف جهودهم كلها إلى نوع خاص من ملاذ الحياة الجسدية ، وإلى جمع المال وكثرة الإنتاج .. وحين يفتقر به التنافس والصراع والتكاثر والتفاخر سواء بين الأفراد والشعوب والجماعات .

• والنموذج الثاني قصة نشرها بالمنهل قديما بعنوان (أكبر من الدموع) :

كل المفاهيم لديه كانت واضحة .. نظر إلى النيل الخالد عندما كان في القاهرة فوق متأملا

.. وراح يسير معه سيرا معاكسا إلى المناطق الاستوائية البكر حيث أدغال أفريقيا تتكاثر وتتصالب لتلتف في عناد تتحدى الرياح والشمس والأمطار الغزيرة ..

وفي دمشق .. وهو في السيارة تنحدر به مع ثلة من أدباء العرب امتد بصره عبر الزجاج ليرنو إلى بردى ينساب إلى جانبه .. وفجأة تكبر الرؤى أمام عينيه ، فيرى أدق قطرات الماء في بردى .. الواحدة تتمسك بأختها فيشكل تجمع القطرات سيلاً ربيعياً يروى الأرض ويعطي اخضرار دمشق بهاء ورواء ..

وعاد إلى بلده .. إلى المدينة الطبية التي عاش مع أبنيتها وشوارعها وأطفالها ورجالها .. المدينة التي احبها .. أحب فيها خلودها وقديستها والسفر الخالد الذهبي الذي يرتاح على أبواب مدخلها ، وكل حكايات تاريخها التي تروي الإخلاص لعظيم المرسلين وسيدهم ..

أحب كل شيء في المدينة .. وأحب منها ثلة من الأشخاص منحهم الصداقة والحب وكل الأمنيات .. أراد أن يجد فيهم أشجار أفريقيا الاستوائية المتعانقة عند منابع النيل .. وقطرات بردى الحاملة التي تتلاحق في المجرى الربيعي لتعطي ثماراً وخيراً وأزهاراً جميلة ..

بل أراد أن يجد فيهم حبات غالية من رمال أرض المدينة المباركة ، تتعانق كلها كالعشاق .. لتؤلف الصحراء الشاسعة التي سارت فيا قوافل الأجداد والآباء والأسلاف الصالحين .. حيث تصفو النفس وتسمو .. وحيث يقترب الإنسان من الله ..

ولكنه .. لم يجد في الجميع ما أراد .. وهذا ما حز في نفسه ودفعه لأن ينظر إلى عزب الصداقة بئأس كبير وهو يأسف للمفاهيم الغالية الطبية تدوسها أرجل أنانية ..

ما ظلم الجميع .. ما أراد أن تتبدل الصورة الطبية وأن تصبح هذه الحزمة من الأصدقاء ضفادع تنق في مستنقع .. كان يربأ بهم عن الانحدار إلى دركات دنيا .. كان لا يريد أن يكونوا رمالاً قاسية تذر في العيون .. بل رمالاً طيبة تتعانق كلها كالأحبة لتؤلف الصحراء الشاسعة التي سارت فيها قوافل الآباء والأجداد والأسلاف الصالحين .. حيث تصفو النفس وتسمو .. وحيث يقترب الإنسان بكلية من الله ..

جرى حديث بينه وبين صديق حول هذه المأساة الإيجابية التي يحياها .. كان ساهما يفكر .. بعمق .. بأعمق من الأشياء السطحية الزائفة التي لا تمتاز عن القشور ..

سأله الصديق :

- م تفكر .. يا صديق ؟

- بالدنيا .

- لا تتعب نفسك .. فكثيرون قبلك فكروا في الدنيا ولم يصلوا إلى نتيجة .

- لعلهم كانوا يخافون الدنيا أو صروفها .

- ألا تخافها أنت ..؟

- في الواقع لا .. فأنا أعتبر كل مشكلاتنا الحوية ظاهرات في واقعنا لا بد لنا مواجهتها .

- ولماذا ؟ .. أنت يائس حيالها ؟

- لأنني أريدها إيجابية المبتغى .

- أليس كذلك ؟

- كلا .. مع الأسف ! .. لأن بذور الكراهية تخنق جذور الإيجابية الطيبة .

- بدأت تتفلسف ..

- فعلاً أنا أفلسف الحياة .

- ولكن ألا تعتقد الحياة بهذه الفلسفة ؟؟

- مفهوم فلسفتنا نحن للمظاهر الحوية بسيط يا صاحبي .. بسيط كطيبة إنسان شيخ ترفع عن

إدراك الدنيا .. كبراءة طفل لم يعمل صديقاً الحياة عواطفه البكر ..

- هل أفهم من هذا أنك حاقد على السلبين ؟

- لا أحقد أنا على أحد .. قلب الفنان كبير .. كبير جداً يا صديقي .. أكبر من الإنسانية ..

ولهذا أنا لا أحقد .. أتألم .. والألم أعلى درجات شعور الفنان .

- ولكن هذا المفهوم لا يعترف به في مجتمعات اليوم .. القوى المادية بدأت تسيطر .. فارتفع هذا الوهم .

- لن أجادلك يا صديقي .. كل ما أقوله هو أن العواطف الطيبة الإنسانية هي التي تستطيع أن تظل سامية وترفع إلى مستواها عواطف الناس بعد أن تزيل عنها أدرانها .

ويمضي الصديق ويظل شاعرنا في تأمل كبير .. هل صحيح أنه لا يحقد على أحد .. إن قلبه يؤكد له هذا .. قلب الشاعر الفنان الكبير .. ولكن .. لماذا يقابل بالانكران ؟

وارتسمت في الهواء علامة استفهام ضخمة اهتزت قليلا ثم ما لبثت أن وضحت وعادت تهتز من جديد لتروي ذبذبتها حكاية الناس منذ القديم .. التنكر والحب .. والميل والخذل ..

وشعر الشاعر بأنه يجب أن يبكي .. يجب أن تنحدر هذه القطرات التي تتبلور متحجرة في مآقيه .. يجب أن تكفر دموعه عن أخطاء معارفه المرائين الذين لا يستطيعون أن يفتحوا أعينهم جيدا أمام شمس الحقيقة .

ولكن .. الدمع كان عصيا .. ما أرادت الرجولة في الشاعر أن يذرف رخيصة .. أرادت أن يؤمن بأن قطرة واحدة من دمع الفنان .. أكبر من بحار الدنيا ..

وانفجرت أساريره عن ابتسامة .. ابتسم بثقة كبيرة .. كبيرة جدا .. أكبر من الدموع وأكبر من براءة المكابرين ..

ولاذ بالطرس يروى عليه الملحمة الخالدة .. ملحمة الإنسان ..

١٩- حمزة محمد قاسم :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٤٣هـ ، بدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم ، ودرس على يد المشايخ في المسجد النبوي الشريف ، وتخرج في مدرسة العلوم الشرعية ، ثم عمل بها بالقسم الابتدائي إلى عام ١٣٦٤هـ حيث عمل مدرسا ثم مديرا للمدرسة السعودية الابتدائية ، ثم مديرا لشؤون المكتبات بإدارة التعليم ، ، وأحيل إلى التقاعد عام ١٤٠٢ هـ .

وكان له اهتمامات بالأدب والبلاغة ، بل مارس تدريسهما بالمرحلة الثانوية الليلية ، وهو من

أعضاء (أسرة الوادي المبارك) غير المنتظمين ، وهو الآن من مرتادي صالون (حسن مصطفى صيرفي) الملازمين ، ومن أهم مؤلفاته :

١- (منار القاري في شرح مختصر البخاري) خمسة أجزاء - طبعه في بيروت سنة ١٤١٠هـ .
• وكان يكتب الشعر ولا يهتم بنشره ، وهذه نماذج من شعره :

ذكراك في خاطري دوماً وفي خلدي وفي فؤادي الذي يهفو لمراك
لا زال صوتك في سمعي يذكّرني عهداً مضى فيجيب الدمع ذكراك
قيثارة منك إنني لست أسمعها إلا وفاض الشجى من قلبي الباكي
إنني لأغبط أياماً لنا ذهب ما كنت أذكرها لولاك... لولاك
نجاواك فيها حنين لا يماثله إلا الحنين الذي ضمته عيناك
ما إن شكوت ولا ينتابني ألم إلا وجدت ارتياحاً عند لقياك
كل الحسان ورود لا عبير لها وأنت كل الشذى من طيب ريك
يسلو المحبون إن طال الفراق بهم وأنت ما عشت إنني لست أنساك

• ومن قصيدة له بعنوان (من وحي الروضة المشرفة) :

بك طيبة طاب الوجود وأينعت ثمراته وتفتحت أكمام
أصبحت عاصمة النبي وصحبه والراشدين وصمّت الأقاليم
وهفت إليك جوانح مشبوبة أبداً وفيها لوعة وهيام
يا زائراً حرم النبي ومسجداً يغشاك فيه الفضل والإنعام
أدّ التحية خاشعاً في روضة فيها العشاق الجنان مرام
الخلد فيها والملائك حولها والقرب والفيض العميم يرام
يا أيها المختار أنت هداية للعالمين ورحمة وسلام
أرست للدين الخفيف قواعداً الحق فيها شرعة ونظام

الله قد جمع القلوب على الهدى فإذا الحياة محسبةً ووئام
فاستعرض التاريخ واسمع صوته واقراً سطور المجد وهي عظام
بالأمس دانت هذه الدنيا لنا وتبسّمت وصفت لنا الأيام
واليوم تزداد الخطوب ضراوةً بالمسلمين وتحقق الآلام
في كل قطرٍ للمآسي جولة وبكل قلب طعنةً وسهام
هذي الحقيقة هل ترى من صحوة أم هل ترى يستيقظ النوام
هبوالنصرته سراعاً إنه شعبٌ يخوض الحرب وهي زؤام
ويصد عنا العاديات جسيمةً بالعروة الوثقى له استعصام

٢٠- علي محمد حسون :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٧٠هـ ، والتحق مبكراً بالعمل الصحفي ، محرراً بمكتب جريدة
المدينة المنورة ، ثم مديراً لتحريرها إلى سنة ١٤١٢هـ ، ثم انتقل إلى جريدة البلاد مديراً للتحرير ،
ثم رئيساً للتحرير ، وهو من كتاب القصة القصيرة البارزين الذين نفاخر بهم على مستوى
المملكة ، ومن كتاب المقالة الصحافية المعروفين وهو الذي أسس ملحق الأربعاء الثقافي الأدبي
بجريدة المدينة ، وكان مكتبه بالجريدة حين كان بالمدينة ملتقى جملة من الأدباء ، منهم حسن
صيرفي ، وعبدالرحيم أبوبكر ، والخطراوي ، صدر له :

١- حصة زمن - مجموعة قصصية- صدرت عام ١٣٩٦هـ ، وهي المجموعة الأولى له ، وقد
نشر أكثرها في (دنيا الأدب) الملحق الأدبي بالمدينة ، الذي كان يشرف عليه القاص المبدع
سباعي عثمان ، خلال علاقته بأسرة الوادي المبارك .

٢- حوار تحت المطر ، مجموعة قصصية، صدرت عام ١٤٠٤هـ .

٣- الطيبون والقاع ، رواية، صدرت عام ١٤٠٤هـ .

وما زلت أذكر أول يوم جاء فيه إلى اجتماع الأسرة ، وكان ذلك في منزل الزميل عبدالرحمن

الشبل ، حضر وهو متأبط ذراع الشاعر الكبير حسن مصطفى صبري ، مكتشف الفنانين والأدباء بالمدينة المنورة ، وكذلك فعل الصبري مع القاص حسين علي حسين .

هذا ما كتبه عنه أنا ، أما ما كتبه هو عن صلته بالأسرة فهو ما يلي :

كان ذلك (المركز) في مقهى (الطوال) في (عروة) أو وادي العقيق الممتد من ذلك المكان حتى أطراف (الرحبة) كان ملتقى الخلان والأصدقاء في ليالي الصيف .. لنسماتها العليقة ليتحول ذلك الهجير .. إلى لحظات (مسروقة) من لفتح (السموم) أو الوقوف على أطراف (سيله) الهادر الذي يأتي أيام الشتاء فيتناثر الناس على شاطئيه فرحا .. واستبشارا به .. على المساحة المنبسطة من المباني السكنية حيث تشم رائحة (المعدوس) أو رائحة الشواء .

على ذلك (المركز) في قهوة (الطوال) التقيت لأول مرة وجهها لوجه بتلك (الكوكبة) التي كانت ملى السمع والبصر ، في المدينة المنورة كانوا يشكلون مجموعة من الأصدقاء الذي يجمعهم (هم) المعرفة .. وجمال الكلمة .. عندما ذهبت والزميل الأستاذ سباعي عثمان رحمه الله وكان أيامها يقيم في المدينة المنورة مدرسا في أحد المعاهد الليلية التجارية برفقة أستاذنا وشاعرنا عذب العبارة .. بشعبيتها وبساطتها وسخريتها حسن صبري .. ذهبنا إلى تلك المجموعة (الحلم) بالنسبة لي في ذلك (المركز) وهم الأساتذة عبدالعزيز الربيع ومحمد هاشم رشيد وعبد الرحمن رفة وعبد السلام هاشم حافظ ، وكانوا يطلقون على (مجموعتهم) أسرة الوادي المبارك ، وهي التي تحولت إلى نادي المدينة المنورة الأدبي فيما بعد .

كان الحوار يوما حول كتاب (اللامنتمي) لكلون ويلسون الذي أشبع نقدا .. و(بهدلة) عندنا ، وكان الصديق سباعي يقف في جانب ذلك الكاتب الانجليزي الفذ والذي أخذ شهرة كبيرة في عالمنا العربي لم يحظ بنصفها في بلاده في ذلك الوقت وكان ذلك في بداية الثمانينات الهجرية .

وفجأة انتقل الحوار إلى تلك المعركة التي كانت صاحبة بين الأستاذ الربيع والأستاذ الكبير محمد حسن عواد حول إمارة شوقي للشعر . وأذكر أن أحد الضيوف على ذلك المركز أراد التقرب للأستاذ الربيع بالنيل من العواد ، ولكن الربيع بهدوئه وحيائه المعروفين عنه قال له :

- يا أخي هل قرأت ما كتبه الأستاذ العواد حول الموضوع ؟

فكانت إجابته السريعة : لا ..

عندها قال له الربيع : إذن عليك أن تقرأ ما كتبه أولاً ثم إنني لا أريد أن أسمع شيئاً من هذا الكلام .. فالأستاذ العواد أحد روادنا الكبار واختلافه معي أو اختلافي معه لا يعني أنني أرضى بما تقوله عنه ..

كان اللقاء الثاني مع هذه المجموعة التي تطلق على نفسها أسرة الوادي المبارك في منزل الأستاذ محمد سعيد دفتردار بصحبة سباعي عثمان أيضاً ، وكنت أيامها أتحسس خطواتي في عالم الكلمة ، وكان أستاذنا الدفتردار يومها يكتب سلسلة عن بعض رجالات المدينة المنورة .. وكنت أتوقف داخل نفسي عند بعض ما يقول إما إعجاباً أو احتجاجاً على بعض ما يقول على قصور فهمي في تلك المرحلة العمرية ولا أعرف لماذا هذا الاحتجاج الصامت ؟ فالرجل .. مرب فاضل وكاتب له خبرته ..

كان سباعي هو صاحب فكرة الذهاب إلى أسرة الوادي المبارك لكي يلتقي بأعضائها من جديد بعد أن انتقل إلى الندوة ومن ثم إلى جريدة المدينة وذلك لإثراء صفحته الثقافية النشطة دنيا الأدب بجريدة المدينة المنورة التي برز من أعمدتها الكثير من المواهب القصصية والشعرية .. وهناك التقيت مرة أخرى بكل من الأساتذة : الدفتردار .. وعبد العزيز الربيع .. ومحمد هاشم رشيد .. والباحثة والمؤرخ شكري فيصل رحمهم الله .. وبعض الضيوف من مصر الذين قدموا لأداء فريضة الحج .

كنت أيامها مفتونا بالاستماع إلى هؤلاء الذين كنت أقرأ لهم .. كنت أمني نفسي ولعل قربي منهم يوفر لي مراقبة تصرفاتهم .. هكذا قلت لنفسي ..

وبعد هذا اللقاء انقطع اتصالني بأسرة الوادي المبارك بعض الوقت .. إلى أن كان ذات يوم أصر الأستاذ (الزاهي) بطيبة نفسه حسن الصيرفي أن أذهب معه إلى الأسرة وكان اجتماعها ذلك اليوم في منزل الأستاذ عبد الرحمن الشبل .. وكان هنالك الربيع والخطراوي وعبد الرحمن رفة وهاشم رشيد وعبد الرحيم أبوبكر وعبد السلام هاشم حافظ .. إن لم تخني الذاكرة .

هذه الكوكبة من الأدباء استطاعوا في ذلك الزمن أن يوجدوا مرتكزا أدبيا وفكريا في المدينة المنورة يعتني بالكلمة ويخدم الحرف ويعتني بالمواهب .. بالرغم من محدودية الإمكانيات .. وفقر

ذات اليد الذي ما كان يتناسب مع التطلعات التي كانت تمر في وجدان كل واحد منهم .
أتذكر الآن هذا وقد مضى على اختفاء اسم أسرة الوادي المبارك ربع قرن من الزمان ، بعد أن
تحول إلى مسمى نادي المدينة المنورة الأدبي ، وذلك بعد أن علمت أن دكتورنا (الخطراوي) يقوم
هذه الأيام بإعداد كتاب يرصد فيه جزءا من نشاط تلك الأسرة في هذا الوادي المبارك وعمن
التحق بها في يوم ما .

• وفيما يلي نموذجان من كتابته القصصية ، الأولى بعنوان (غدير البنات) :
« كانت الساعة تشير إلى الواحدة ظهرا.. الشمس رغم عموديتها لم تكن شديدة الحرارة..
فالطائف في هذا الفصل من العام تكون الحرارة فيه أشد.. ولكنها اليوم على غير المتوقع ..
قال لصديقه وهو يحاوره :

- يقولون الطائف قطعة من الجنة طاف بها ملك من الأرض ثم وضعها هنا ..!
لم يجبه صديقه بشيء .. أدرك أن كلامه لم يلق استحسانا لديه ..
كانت السيارة تقطع الشوارع شبه الخالية من المارة وهو يتابع لوحات المحلات التجارية ومسميات
الشوارع والميادين .. لم يأت الطائف منذ زمن طويل .. صوت خافت ينبعث من مذياع السيارة
.. شدة الصوت .. توقف عند الكلمات :

شمس بيني وبينك ..

والا هذا جبينك ..

قوة التعبير .. وجمال الكلمات جعلته يد يده إلى مؤشر المذياع حركه قليلا .. أصبح الصوت
أكثر وضوحا .. أحس أن الشعيرات النابتة على ساعده تشوكت .. افترشت صورتها كل نفسه
.. منذ زمن لم تلتفت اهتمامه أي كلمات مغناة بتلك البساطة :

شمس بيني وبينك ..

والا هذا جبينك ..

كان صديقه مستغرقا في شرح مفصل عن أسماء الشوارع والميادين .. هذه حديقة السداد ،

وهذه حديقة الرُدف ، ومن هنا الذهاب إلى الشُّفا .. ومن هنا الوصول إل غدير البنات .
مسه الاسم كأنه صوت من لهب لسع قلبه .. فجأة تنبه إلى ما يقوله صديقه .. استرجعه إلى ما
يقول متسائلا :

- ماذا قلت ؟

- ايه فين سرحت ؟ لي أكثر من نصف ساعة وأنا اكلمك وانت لست معي .. اين كنت ؟ وكزّه
في كتفه .. وهو يقول : أخبرني ماذا هناك ؟

- أبدا إنتي معك .. فقط أخذتني الأغنية .

تماسك في داخله خشية أن يلمح صديقه ارتبائه أكثر .. فرك كفيه كأنه يجففهما بما أصابهما من
عرق يشعر به عند كل ارتباك .

قطع عليه صديق ارتبائه :

-- ها .. هل نذهب إلى غدير البنات ؟

تمتم ببعض كلمات فهم منها صديقه موافقته .

أخذت السيارة تقطع الشوارع .. ولا زال صوت صديقه يأتيه من البعيد يتحدث عن كل شيء
كان هو يتساءل في نفسه : لماذا هذه التسمية ؟ هل كان ذلك مكانا للبنات يجدن فيه مرتعا في
قديم الزمان ؟ أم كان غديرا للماء يذهب إليه البنات ليملأن جرارهن ؟ تكاثرت الأسئلة في
ذهنه .. ولكنه لا ينكر جمال الاسم .

توقفت السيارة بعد مشوار حسبه طال أكثر من اللازم .. وذلك الصوت المنبعث من المذياع
يتردد صداه في داخله بعنف متشابكا مع صورتها ..

شمس بيني وبينك ..

والا هذا جبينك ..

وقف على (ضفة) الغدير لا شيء يدل على التسمية أمامه لكن شيئا كالرجفة يجري إلى كل
جسمه .

لمح صديقه تغير ملامحه اقترب منه متسائلا :

- ايه مالك ؟

- لاشيء .. فقط إني سعيد كأن السعادة لم تطرق نفسي من قبل .. ألم تر إنسانا سعيدا لا يحتمل كتمان سعادته .

مط صديقه شفقيه مستغريا .. ومستسلما فهو يعرفه تماما إنه لا يبوح عن مكثونه : هل نعود لم يرد عليه .. اقتعد صخرة .. وراح يحدق في البعيد .. تذكر أول مرة شاهدها .. كان يوما مشهودا وغريبا عندما دخلت كاليمامة وهي تفرش جناحيها بتلك الرشاقة ، كان لحظتها يغرس نظراته في صحيفة أمامه .. لم يتعود تدقيق النظر فيمن لا يعرف ، هكذا تعود .. هذه المرة لم يستطع أن يقاوم أكثر ، فراح يسترق النظرات بين الصحيفة وبينها .. راقت له لعبة تحليلها نفسيا فهو ميال لهذا لكثرة ما قرأ في علم النفس ..

اعدادها بنفسها الذي أدركه عليها يعني أنها قادرة على اتخاذ قرارها بسرعة ولكن ليس في تسرع .

بساطتها في الحديث تنم عن ثقة واضحة .. وعن روح شفافة ولكن ليس سذاجة ، لمح بين عينيها ظلال حزن دفين تخفيه ضحكاتها ..

تساءل : ما سبب هذا الحزن ؟

شغله السؤال .. نظر إلى ساعته كانت عقاربها تخطت موعد إقلاع رحلته .. يعرف لحظتها لماذا شعر بالارتياح لذهاب موعد الرحلة !!..

كان يتابعها بركن عينه .. كانت صورة المرأة القادرة على إقناعك بكل شيء فيها .

بدأ فكره يدور بشكل سريع وأسئلته تنثال على رأسه : من هي ؟ وماذا تريد هنا ؟

شعر أنها لن تكون عابرة في حياته .. يعرف هذا بإحساس خاص يدركه ولا يعرف كيف يفسره .. تنمى لو كان شاعرا لكتب أجمل قصيدة في عينيها المسكونتين بظلال الحزن تلك .. أو لو كان رساما لعمل أجمل لوحة أين منها لوحة دافنشي .

كان في كل لحظة يخفض عينيه عنها تعاوده رغبة شديدة لكبح هذه الرغبة .. كان يستمع إليها وهو يشرب كل حرف تنطق به .. لقد كان له طعمه ولونه وعذوبته تزيد لدغتها في حرف الرء جمالا .. عندما تصمت يحزنه صمتها .. لم يجز على حديثها فيردد في صمت ذلك الموشح الذي يقول :

إن كنت عزمت ألا تكلمني

كلم غيري لعلني أسمعك أنا

استغرقه التذكر .. والسيارة تنحدر من الهدا تتلوى بين منحياته قطع عليه صديقه استغراقه عندما قال له :

- إيه .. أين وصلت ؟

- ها .. إنني معك ..

- أبدا أنا أعرفك لك أكثر من ساعة لم تنطق بكلمة عسى المانع خيرا .. قال ذلك وهو يطلق ضحكة خبيثة لم يرد عليه .. خشي أن يفضحه لسانه .. قرر الصمت وتحمل كل غمزات صديقه .

كانت الساعة إلى الثالثة صباحا .. عيناه مسمرتان في سقف الغرفة شغله ذلك الظلال الحزين المدفون بين عينيه .. تذكر قول ذلك المتعوب :

(عيناك .. عيناك ..

نامت في جفونهما مفاتن

أيقظت ليلى وأعصابي !!..

أصد عنها بعين غير صادقة

وبــــــــــــين جنببي

قلب غير كذاب ..)

لفه السكون في هذا الليل الصامت .. تساءل في داخله : هل أنا اطعم في المستحيل ؟

ليس تماما لكن هذا ما يخفق في صدره .. حاول أن يدفن مشاعره في نفسه .. غرس رأسه في الوسادة الخالية بجانبه .. امتدت يده إلى المذياع بجانبه راح يعبث بمؤشرته .. تداخلت الأصوات بين المحطات العديدة .. الغرفة تغرق في ظلام دامس .. عندما أتاها صوت المذياع متأوها :

أه من لقاك في أول يوم

ونظرتك لي بعينك

خاصم عيوني ليلتها النوم

وبت اسأل روحي عليك

يا هل ترى راح يعطف

على فسؤاد متلهف

تقول لي روحي أه

قذف بالغطاء الخفيف المتكوم بين قدميه .. اعتدل في سريره .. عيناه لازالتا مسمرتان في سقف الغرفة المظلمة .. إنه يكاد يرى أن هناك رسوما تتشكل على السقف .. خياله يأخذه إلى البعيد .. والصوت الشادي بجانبه ينساب في رقة ونعومة تارة ، ويشكو ويتأوه تارة أخرى ..

وارجع واسأل عقلي :

هو الزمان حيروق لي ..

امتدت يده مرة أخرى إلى المذياع أقفله .. الصمت الآن أجمل .. اكتفى بصدى صوتها في أذانه ..

كان التمني بنام تحت جفوني .. إلا أن كبرياء الذات يدفعني لأن أقول لك .. إنني لم أفكر فيك .. ولم أؤمن على صمتك .. ولم أنتظر فأننا لست الأنثى التي تحمل بين جنبيها قلبا كقلوب الناس .

عجيبه أن ما في داخلي يقول غير ذلك تماما ..

لم أقصد أن أتذكر لما اشعر به نحوك .. لكنني لست مستعجلة في أمري ..

ابتلع ريقه في صعوبة ..

مد يده كأنه يحتويها بين ساعديه شعر بارتياح يغمره من الداخل .. وأخذ يهمس .. إلى من ولد مع فجري .. ودخل لحظات روائي وعطشي ورفرف كالطيف بين أحلامي وحرقي .. وتمدد في حاضري وأمسي .. إليك أيتها الفارة بزخم كل عطور الأرض .. أين ما شئت أن تسكني مني ؟

كان المذيع يردد هذا الحوار .. الذي استوقفه ..

أقفل المذيع من جديد .. تخيل أن هذا الحوار يدور بينها وبينه .. أغمض عينيه .. تشكل الحوار امامه .. لمحها وهي تضع ذقتها على كفها .. وترسل نظراتها إلى البعيد .. طال صمتها ولكنها تحدث من خلاله عن أشياء كثيرة .. في الصمت تقول اجمل الكلام .

خيوط الشمس المتسللة من بين ستائر الغرفة تعلن عن نهاري جديد ..

عيناه أصابهما الاحمرار .. دخل تحت (الذش) صوت الماء يشعره بالحياة .. وهو يردد في تنغيم:

وبين صورتك وبين طيفك

أعيش والقلب متهني

مش أفضل كل ما أشوفك

أخاف ترجع تغيب عني

لف جسمه (بالروب) ولا زال السؤال يشغله باستمرار عن سر ظلال الحزن الدفين بين عينيها.

• والقصة الثانية بعنوان (الرجل الغريب) :

« كان الليل يتمدد خارج الغرفة .. يتسربل في هذا الرداء الثقيل في الظلام إلا من ومضات تشع في كبد السماء من خلال نجومات متفرقات هنا وهناك .

صوت الريح في الخارج يعلن عن شدة عنف صريه من خلال شقوق النافذة .. وضع المجلة

المهترئة على الأرض .. شبك ما بين أصابعه .. ارتاح وهو يستمع إلى طرقعاتها ، شعر بالانتشاء .. أخذ يحرك أصبع قدمه الكبرى .. لاحظ أن على طرف ظفره بقعة سوداء شحذ فكره لمعرفة اسبابها لم تسعفه ذاكرته ..

سرق نظرة سريعة على الشارع .. من خلال خصائص النافذة لمح في آخر الشارع رجلا طويلا ملفوف الرأس يرق سريعا من الرصيف المقابل إلى الآخر من الشارع .. يده في داخل جيبه كأنه يبحث عن شيء ما في داخلها أو يبحث عن الدفء في هذا الجو البارد .

اختفى الرجل لم يعد يراه .. وهرش رأسه متسائلا :

من هو ؟

أين ذهب ؟

عاد إلى مكانه من جديد قلب صفحات المجلة المهترئة ، وقع بصره على صورة لامعة تتوسط موضوعا كبيرا

الأخلاق

شعر برغبة شديدة بأن يفرغ ما في جوفه على الصورة .. عندما لمح اسم الكاتب أحس بالحزن يملا نفسه .. هذا واحد من أقدر من عرفت .. ويتحدث عن الأخلاق .. إيه يا دنيا ..!

أطلق زفرة شديدة ، طوح بالمجلة .. إلى الشارع .. لفحه الهواء البارد ، لمح الرجل يعود مرة أخرى إلى الرصيف المقابل .. ابتلعت العماراة المقابلة .. تساءل من يكون ؟

إنه يعرف كل سكان العماراة .. شغله السؤال لبعض الوقت .. لكنه سرعان ما غاب في داخله .. ليكن من يكون ..

صافرة العسة المتكوم في ركن الشارع تشعره بالاطمئنان .

وقف من جديد .. ألصق وجهه بخصائص النافذة .. الشارع يغرق في صمته الثقيل إلا من صفير الرياح المختلط بصافرة (العسة) في هذا الليل الشاتي .. عمود النور المواجه لنافذته بدأ يتمایل من شدة الرياح .. عبث في مؤشر الراديو ، أناه الصوت حالما شجيا :

يطولوك يا ليل
ويقصروك يا ليل
من اللي فيهم ..
وانت يا ليل اللي
حارس بيهم
فيهم كبير القلب
والمستألم
واللي كتم شكواه
ولم يتكلم

أخذ يفرق يديه في بعضهما البعض .. وهو يخرج صغيرا منغما مع الصوت الخالم .. وهو يشعر بالانتشاء ..

عيناه مسمرتان على مدخل العمارة المقابلة ، السؤال عاوده من جديد : من يكون ذلك الرجل الذي يدخل العمارة في هذا الوقت من الليل ؟ أخذت جيوش من التساؤلات تهجم على راسه .. طرد كل التساؤلات .. حاول أن يريح تفكيره قال في نفسه :

لا بد من ان تمطر هذه الليلة .. الرياح الشمالية غالبا ما تكون محملة بالأمطار .. عاد إلى الخلف ، قبض بيده على فتحة الثوب الواسع .. كان إحساسه بالبرد يتزايد كلما تذكر ذلك الرجل الذي دخل العمارة المقابلة .

البرد يشتد رغم الدفء الذي يشع في كل المكان .. استرخى على الأرض ، مد قدميه أمامه كخطين متوازيين .. شغلته النقطة السوداء في أصبع قدمه الكبرى ، أخذ يعبث بها .. متسائلا من أين أنت ؟ فاجأته وهي تقف خلفه بصوت متثائب ، قالت له :

- لماذا لم تنم بعد ؟

دون أن يلتفت إليها ويهدوء قال لها :

- النوم على خصام معي الليلة على ما يبدو .

بلا اهتمام قالت متثابة :

- لا زلت تفكر فيها ؟

لم يرد.. أخذ يقلب في الأوراق المتناثرة أمامه ليتفادى الدخول في مشادة يعرف نهايتها مسبقا.

اعطته ظهرها في لا مبالاة .. صفعت باب الغرفة خلفها ..

وهو يبتسم نصف ابتسامة ألقى نظرة سريعة على ضلفة الباب المرجح ، قبل أن يبتلع ريقه فتحت الباب مرة أخرى وهي تقول :

- هل هي في مثل جمالي ؟

ابتسم في داخله .. لم يرد عليها ..

يصوت حاد قالت :

- لو سمحت خفض صوت الراديو ..

أعجبته لعبة الصمت.. خرجت وهي أكثر حنقا.. خمس سنوات ولم تتغير لقد تعود هذا منها.. شعر أن الصداق بدأ يعاوده بشدة.. تناول قرصين من الأسبرين دفعة واحدة لعله يرتاح قليلا.. الصوت الحلم يشع في المكان ..

وانت يا ليل اللي حاسس بيهم

فيهم كسير القلب والمتألم

واللي كنم شكواه ولم يتكلم

ألقى نظرة فاحصة على الشارع .. لا زال شبح الرجل يطارده .. أخذ يللمم الأوراق المتناثرة.. أطفأ النور ..

عندما فتح الغرفة وجدها قد نامت أحس بفرح خفيف يملأ نفسه قال : الحمد لله .. لتمر هذه

الليلة على خير قبل ان يسبح في أحلامه تلك ، انتفضت من جانبه قائلة :

- لا أستطيع صبرا على كل هذا الذي أنت فيه .

- بهدوء قال : ماذا ؟

- تفكيرك الدائم فيها .

- وكيف عرفت كل هذا ؟

وضعت يدها في خصرها وهي تقول :

- وهل أنا لا أعرفك ، كل سنواتي معك ، هذه المدة ألا تجعلني أعرف أين تفكر وفي من تفكر .

وينفاد صبر قال :

- ولكن كل وقتي معك .

وبصوت سافر ردت :

- إني أقول تفكيرك معها .. وليس أنت !

أدرك أنه وقع في قبضة خاسرة .. قرر أن يغادر الغرفة سريعا .. دخل غرفة المكتب .. تمدد على الأرض سحب الغطاء الثقيل على جسمه .. بعد أن أطفأ النور .. طقق أصابع قدميه كأنه يبعث فيهما الدفء .. مرة أخرى امتدت يده إلى مفتاح (الأبجورة) بجانبه .. غرس نظراته في سقف الغرفة الغارقة في راحة (الجراك) والصحف المتراكمة في إحدى زواياها .. صوت تساقط المطر على جهاز التكييف في الخارج يشعره بفرح خفي ..

أدار مؤشر الراديو لا زال الصوت الحالم ينبعث كالنصل :

يطولوك ياليل

ويقصروك ياليل

من اللي فيهم

فيهم كسير القلب .. والمتألم

واللي كتتم شكواه .. ولم يتكلم

أه لأكتم شكواي في هذا القلب الموجوع . ضرب بقبضته على صدره بحرقه .. أشعل نور غرفة المكتب .. كانت السماء تهطل مطرا غزيرا .. صوت الرعد يشق الفضاء الخاوي .. يرقه صوت المطر يشعره بالانتشاء والتجدد .. حبات (البرد) على وجه الأفلت أحالته إلى بساط ابيض يلحمه على وجه البرق المشع الذي ينبلع بين لحظة وأخرى .. واجهات المنازل المغسولة بالمطر تحولت إلى لوحة فنية رائعة .

لا زال الصوت الخالم يتردد :

واللي كتتم شكواه ولم يتكلم

هناك مسافة لا مرئية بين الشكوى والتشكي وفي وسطها تنبت أشياء كثيرة أه .. في هذا الزمن لا بد أن يعرف الإنسان كيف يتعامل مع الآخرين .. يجب أن يكون حذرا .. هذا ما يردده على سمعه كل يوم ذلك العجوز الذي يقدم له الشاي .. ضحك في داخله من هذه الأفكار السخيفة ..

قفز من مكانه كالمسوع .. ألقى نظرة سريعة على ساعة يده .. كانت العاشرة صباحا .. وقف أمام المرأة يعدل من وضع العقال .. ألقى نظرة عبر باب غرفتها أدرك انها لم تصح بعد .. حمد الله في داخله .. وهو يقفز درجات السلم أخذ يقضم حبة التفاح الحريص عليها .. خرج كالعاصفة .. بقايا المياه (تتكور) في الشوارع الطويل مشكلة بركا .. الهواء البارد يوسع صفحة وجهه .. عيناه مسمرتان على العمارة المقابلة ، انتصب في خياله شيخ الرجل الطويل .. استعمره السؤال من جديد :

من يكون ذلك الرجل الغريب ؟

٢١- سعود الحجام :

هو سعود بن عبدالعزيز بن محمد الحجام . ولد في المدينة المنورة عام ١٣٥٩هـ .

يقول : حفظه الله :

« وما أسعد الله به والذي أنه كتب له الانتقال من حائل (إذ أنه يعود إلى سنجارة بطن من شمر) إلى المدينة المنورة ، ليشرف بهذا الجوار العظيم ، وأعتبر نفسي سعيدا بولادتي فيها ، وبها نشأت وتلقيت دراستي الأولى في كتاب السيدة سلمى عابد ، بحوش التاجوري ، وهو الحى الذي كنا نتمتع بالسكنى فيه ، ثم التحقت بمدرسة النجاح الابتدائية ، ودرست المرحلة المتوسطة بمدرسة طيبة الثانوية ، ومن أساتذتي الذين أعز بهم في المرحلة الابتدائية : الأستاذ ماجد عشقي ، الأستاذ محمد الطيب إدريس ، ولي الدين سليمان ، حامد عبدالحفيظ ، محمود إيكيلي ، وفي المرحلة الثانوية : أحمد بشناق ، وصالح محسن الحيدري ، محمود الإسكندراني ، عبد الرؤوف أفغاني .

وكان للرياضة البدنية نصيب مهم في دراستي ، لذلك توجهت إلى دراستها في دروات صيفية بمدينة الطائف ، والإسكندرية وبيروت ، وتخرجت بعدها مدرسا للتربية الرياضية ، وقد حصلت على شهادة تحكيم في ألعاب القوى ، وفي كرة القدم ، ثم عملت موحا في التخصص نفسه ، ثم نقلت خدماتي مديرا لشؤون الموظفين بالعين الزرقاء ، ثم مديرا عاما لمصلحة المياه والصرف الصحي ، وأحلت بعدها إلى التقاعد ، فتوجهت إلى التجارة ، وفي هذه الأثناء دعمت لغتي الانجليزية ، وقد أكرمني الله بالإسهام في عضوية جملة من الجمعيات الخيرية ، منها :

- ١- عضو مجلس إدارة جمعية البر بالمدينة .

- ٢- عضو مجلس إدارة تحفيظ القرآن الكريم بالمدينة .

- ٣- رئيس مجلس إدارة جمعية موظفي الدولة بالمدينة .

وكنيت أعشق القراءة منذ نعومة أظفاري ، وبتشجيع من الأستاذ عبدالعزيز الربيع دخلت عالم الكتابة ، فكتبت في عدة صحف محلية ، وفي عدة موضوعات أدبية - سياسية - اجتماعية ، كان بعضها مداخلات بين العواد والشاعر يحيى توفيق ، وبعضها كان ردودا على محمد حسين زيدان ، وأنيس منصور ، وكتبت كذلك عن محلة (التاجوري) في سبع عشرة حلقة ، تناولت فيها محاور مختلفة ، أرخت للحوش من خلالها ، ذاكرة أصل تسميته ، وإلى من تعود ملكيته ، ورصدت أحوال ساكنيه الاجتماعية ، وأشدت بعاداتهم الطيبة ، والعلاقات الحميمة التي كانت تسود حياتهم ، وتربط بين الأصول والفروع والحواشي ، وكتبت أيضا حلقات عن الشاعر المتنبي ، ولو جمعت ما كتبه لكون مجموعا يمكن إصداره في كتاب لكنني لم أفرغ له .

وشرفت بعضوية أسرة الوادي المبارك قبل مغادرتي حقل التدريس ، بمعية أساتذتنا الأستاذ عبد العزيز الربيع ، ومحمد سعيد دفتدار ، والدكتور محمد العيد الخطراوي وغيرهم .
ونورد نموذجين مما كان يكتبه في ملحق الأربعاء في زاوية (من وحي القلم) وهي مجموعة مقالات بعنوان (حديث عن المتنبي):

• الحلقة الأولى نشرت بتاريخ ٢١/١٠/١٤١٥هـ :

حديث عن المتنبي (١)

بادئ ذي بدء لم أشأ أن أكتب عن أبي الطيب المتنبي وقد ترددت كثيرا في ذلك لا لشيء وإنما لكثرة ما كتب عنه ، إذ أنني لم أجد جانباً أهم بالكتابة عنه إلا وأراني مسبوqa إليه ، وبعد تفكير ودراسة ومراجعة لأكثر الكتب التي تحدثت عنه وجدت أن هناك حاجة إلى مزيد من الكتابة لتوضيح بعض الجوانب في مسيرة حياته ، لا أقول ذلك اتهاماً بالتقصير لبعض من كتب عنه ، وإنما هو لدوي أضيفه إلى دلاء أولئك الذين بذلوا جهداً جهيداً وقضوا وقتاً مديداً حتى أخرجوا لنا تلك الأسفار التي جعلتنا نقف من خلالها على حقيقة ذلك العملاق الذي دانت له القوافي فطوعها وذلل صعايبها .

كيف لا وهو القائل :

والقائل أيضاً :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الناس جرأها ويختصم

وإذا كان لنا أن نبداً الحديث عن المتنبي فلنبدأ بالتعريف به :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

فسار به من لا يسير مشرداً وغنى به من لا يغني مغرداً

فهو أبو الطيب أحمد بن الحسين الملقب بالمتنبي ، أصل آبائه على المشهور من اليمن فأبوه جعفي وأمه همدانية ، ولد في الكونة بحلة كندة فنسب إليها ، وليس من قبيلة كندة على الحقيقة ، وقد زعم بعض الرواة أن أباه يسمى عبدان وأنه كان فقيرا ، وكان يسقي الماء ، وليس في شعر المتنبي ما يشير إلى شيء من ذلك .

نشأ أبو الطيب في الكوفة وبها تعلم القراءة والكتابة في صباه ثم خرج إلى البادية وخالط فصحاء البدو فأخذ عنهم اللغة ، وعاد إلى وطنه بدويا قحاً ، ثم لازم الوراقين وقرأ كثيرا من الكتب فكان علمه من دفاترهم .

هذا بعض ما قاله أبو البقاء العكبري في كتابه المسمى بالتبيان في شرح الديوان أي ديوان أبي الطيب المتنبي .

وكان للعكبري في هذا الكتاب وجود ليس له حدود وذلك فيما قام به من شروحات تناول فيها ما جاء في الديوان من شعر تناول تعرض فيه للغريب من الكلمات بعد أن أتى على معانيها فلم يترك شاردة ولا واردة إلا أحضرها للغة نحواً وصرفاً وإعراباً ، كما لم يفته الاستشهاد بشعر كثير من فحول الشعراء .. وكأني به وهو يبذل هذا الجهد ليبرهن لنا على وجه الشبه والمقاربة بين ذلك الجهد وبين المكانة السامية التي تبوأها المتنبي بين الشعراء في مختلف الأزمنة والأمكنة.

ولم يكن العكبري أول من أشغلهم المتنبي بل إن هناك كثيرا من أعلام الفكر والأدب والفلسفة ممن شغفوا بحب ذلك الشاعر وكان موضع اهتمامهم في أبحاثهم ومؤلفاتهم وكان على رأسهم جميعاً أبو العلاء المعري شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء والذي شرح ديوانه شرحين وهذا من عنايته بشعر المتنبي ، وكان يزعم أنه أشعر المحدثين ويفضل شعره على شعر بشار ومن بعده أمثال أبي نواس وأبي تمام ، وسوف يكون لنا وقفة مع أبي العلاء إن شاء الله تعالى نتناول فيها الأحداث التي تعرض له بسبب حبه للمتنبي ومناصرتة له .

ولعلنا ونحن نختتم هذه الحلقة نكون قد وقفنا على حقيقة نسب المتنبي إذ إن هناك من ذهب إلى أن نسبه يعود لقبيلة كندة وذاك لبس وقع نتيجة كونه ولد في محلة كندة فنسب إليها .

• الحلقة الثانية نشرت بتاريخ ٢٨/١٠/١٤١٥ هـ :

حديث عن المتنبي (٢)

لعلي وأنا أتحدث عن أبي الطيب المتنبي أعلم يقينا أنني لم أكن وحيد زمانه ، إذ سبقني الكثير وسيلحق بي الأكثر ، ذلك لأن في شعره وأدبه وما مر عليه من مواقف خصبة يجد فيها عشاق الأدب وشداته ضالته .

فما من كاتب أراد أن يتناول جانباً من جوانب حياته إلا ووجد نفسه يقف حائراً بين تلك الجوانب لا يدري من أيها يبدأ ، فهو الشاعر الذي كان لشعره تأثير السحر في أذان سامعيه ، ففيه الحكمة ومنه المثل ، وبه يتم الاستشهاد ، لقد أشعل شعره نار الخصومات بين مؤيديه وخصومه من كبار النقاد ، فألفت في ذلك السفر ، فكان المتنبي وما زال وسيظل ذلك النجم الذي يتلأأ لشعره في كل زمان ومكان .

أردت بهذه الدهلزة أن أدلف إلى شيطان بحره الزاخر لأغوص في أعماقها فاستخرج منها بعض لآلئه ليكون لي معها وعننا حديث أسجل فيه بعض خواطري عن شعره وشخصيته وما تخلل حياته من أحداث تستحق منا أن نتوقف عندها ونعمن النظر فيها ، ولتكن بدايتنا عن شعره .

كان شعر المتنبي موضع بحث وموضوع درس فقد كثر الكلام فيه وذلك بسبب تفوقه على شعراء عصره ، بل وشعراء العربية جمعاء .

لقد كان للبيئة التي نشأ فيها الشاعر أثر كبير في شعره حتى أصبح له انعكاسات تصور أحوال الناس في القرن الرابع الهجري كما أظهر لنا بوضوح تام صورة نفسه القلقة ومزاجه الحاد وأخلاقه الصارمة ، فكل هذا وغيره نراه جلياً في ديوانه الذي حفل بكثير من قصائده التي تعتبر نماذج حية تنطق بذلك .

والحقيقة أن شعر المتنبي حظي بما لم يحظ به شعر شاعر لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، إذ كان موضع عناية واهتمام النقاد فشرح بشروح كثيرة ، وسلك في شرحها طرائق قdda ، ولم يسبق الناس أن تداولوا شرحاً في الحكمة والأمثال يمثل ما تداولوا شرح المتنبي .

وإذا كان لنا أن نصف هذا الشاعر أو أن نقول فيه قولاً عادلاً فإننا نقول : يكفيه فخراً أن يشهد له أمثال ابن جني والمعري وهم من هم علماً وأدباً وفلسفة ، فهذا ابن جني الذي قام باكثير من دراسة لهذا الشاعر والف كتاباً في الرد على ابن وكيع سماه (الرد على ابن وكيع في شعر

المتنبي وتخطئته) أحسبه تحدث فيه عن أبي الطيب حديثا جعل منه قمة من قمم الشعر العربي في مختلف العصور .

وأما أبو العلاء المعري فإنه إذا ما أراد أن يتحدث عن شاعر من الشعراء فإنه يقول : قال فلان ، ويذكره باسمه دونما كنية ولا لقب .

أما المتنبي فقد أطلق عليه اسم الشاعر ، ولم يعرف عن المعري أنه أتى على ذكر اسم المتنبي مجردا دون أن يقول : قال الشاعر .

ولا أخال أبا البقاء العكبري إلا وقد أتى بالكثير والكثير جدا عن هذا الشاعر في كتابه المسمى (التبيان في شرح الديوان) ويقصد به ديوان أبي الطيب المتنبي ، فقد أسهب فيه وأعجب وأبان من درره ما أطرب .

ولا شك أن شهادة هؤلاء وأمثالهم جعلت من شاعرنا نجما علا فوق السماكين فراح يضيء لكل الشعراء ليأخذوا طريقهم إلى المجد والعلواء .

ولعلنا بما أسلفنا نكون قد ألقينا الضوء على جانب مهم في حياة هذا الشاعر نستطيع أن نثبت لخصومه ومن يحاولون النيل منه والانتقاص من شعره بأنه شاعر زمني ومكاني إن جاز التعبير، فها أنت تسمع شعره يزدان به كل لسان مخترقا مجال الحكمة والوعظ ومتربعا على عرش المعاني الدقاق فهو يسرس مسرى الأمثال ويتعاقب تعاقب الليل على النهار .

ونكتفي في حلقتنا هذه بما قدمنا لثلا نكون قد أطلنا ، وسيكون لنا معكم لقاء آخر في عدد قادم نصحب فيه شاعرنا في رحلته الطويلة التي بدأت أيامها الأولى مع سيف الدولة وانتهت بكافور لنقف على ما حفلت به من قضايا وأمور .

٢٢- حسين علي حسين :

ولأنه جاء الآخر في الذكر لكونه اصغر الأعضاء عمرا ، فإنني أخصه من بينهم بإعطائه الفرصة أن يتحدث عن نفسه بقلمه ، فلنقرأ معا هذه السيرة التي خطها بيراعه :

- الاسم : حسين علي حسين الشريبي

- الولادة : ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م المدينة المنورة

- بدأت مزاولة الكتابة عام ١٣٨٩هـ .
- عملت مراسلا ومحررا في مجلة اليمامة عام ١٣٩٠هـ .
- مديرا المكتب جريدة المدينة في مدينة الرياض عام ١٣٩٥هـ .
- سكرتير عام التحرير بجريدة المدينة - جدة عام ١٣٩٨هـ .
- مسؤول قسم التحقيقات الصحفية بجريدة الرياض .
- سكرتير تحرير مجلة اليمامة عام ١٤٠٦هـ .

خلال عملي في الصحافة كتبت :

- ١- زاوية اسبوعية باسم (في الهواء الطلق) مجلة اليمامة .
- ٢- زاوية يومية باسم (في الهواء الطلق) جريدة المدينة .
- ٣- زاوية يومية باسم (كلمات) جريدة اليوم - الدمام
- ٤- زاوية اسبوعية باسم (كلمات) جريدة الشرق الأوسط .

غير عشرات المواد الصحفية التي نشرت كتحقيقات صحفية وتعليقات ومقالات ومقابلات سياسية واجتماعية وثقافية في الصحف التي عملت بها وغيرها ، وقد كنت أعمل في الصحافة متفرغا وبنظام الإعارة عندما كنت موظفا بأمانة مدينة الرياض ثم موظفا في وزارة الإعلام حيث انقطعت عن العمل المباشر في الصحافة وتفرغت لوظيفتي وللكتاب في الشؤون الثقافية والمحلية والسياسية في العديد من الصحف والنجلات المحلية والعربية .

٥ عام ١٤١٩هـ تقاعدت من العمل في وزارة الإعلام للتفرغ للقراءة والكتابة .

أصدرت منذ بدأت الكتابة خمس مجموعات قصصية :

- ٦- الرحيل، مجموعة قصصية، صدرت عام ١٩٧٨ .
- ٧- كبير المقام، مجموعة قصصية، صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة عام ١٩٨٧ .
- ٨- ترنيمة الرجل المطارد، مجموعة قصصية.
- ٩- طابور المياه الحديدية، مجموعة قصصية، عام ١٤٠٥هـ .
- ١٠- رائحة المدينة، مجموعة قصصية.

وتناول إنتاجي القصصي الكثير من الباحثين والدارسين في مختلف الجامعات السعودية وغيرها ، والكثير من النقاد والأدباء في العالم العربي ، وأصبح إنتاجي مما يدرس في كليات الآداب والتربية في الجامعات السعودية .

وكان يحضر مجالس الأسرة بشكل غير منتظم ، بحكم عمله خارج المدينة المنورة .

• وفيما يلي نقدم نموذجين من قصصه ، الأولى من اختياره ، والثانية من اختيارنا العقوي ، الأولى بعنوان (درمش) :

(١)

عندما نزلت درجات البازان الكثيرة كان درمش يملأ زفة الماء ، حالما تشرق الشمس يكون هنا كأنه على موعد مع الأدخنة التي تبدأ في التصاعد من مدخنة حمام طيبة ، في الخامسة تماما من صباح كل يوم يكون قد بدأ خطواته الأولى على درجات بازان ضروان وزفته محبوبة على كتفيه ، يضع الزفة على الدرجة الأخيرة ، يفصل الإناءين عن بعضهما ، يملأهما ثم يلصقهما في الحامل ، ينزل تحت الحامل ويرفع الزفة قائلا بصوت عامر بالعزم : يا قوي استرها معنا دنيا وآخره ..

(٢)

توثقت علاقتي مع درمش ، أصبحت أسير بجواره وهو يصعد درجات البازان الكثيرة المتخذة المليئة بالكسور والقاذورات ، أعاني من الصعود والنزول ، بينما هو يقوم بهذه المهمة وكأنه يبحث عن الأجر والثواب ، كان يرتل باستمرار كلمات مبهمة وغريبة بصوت هامس دافئ بعد كلمته التقليدية التي يطلقها بصوت واضح ومحدد كلما رفع زفة الماء .

كان الماء مع كمية وافرة من العرق ينزل على كتفيه ويمتد إلى صدره وذراعيه ، وكان العرق ينزل من خديه وجبهته وبعضه يخترق الطاقة واللفة السميكة لينزل من رأسه مشكلا تيارا دافقا ، ولم يكن ليعدم الوسيلة التي يتخلص بها من قطرات العرق وشرح مياه الزفة قائلا باستسلام غريب : الحمد لله إنه ينزل ، وباستمرار ارتاح عندما ينزل العرق بغزارة ، لكنني احتار لماذا تقول والدتي إنه عرق العافية ، لا أعرف ما هو عرق العافية؟ ما أعرفه فقط أن العرق يتفصد ويتكاثر على جسدي ، وحالما أجلس في الظل أجده يتحول إلى ما يشبه الملح الناعم الهش ،

لكنه لا يشبه ذلك الملح الذي يبيعونه لنا في سوق الحبابة مقابل كيس من نوى التمر ، لتقوم أمي بإضافته على العجين لعمل فطيرة الصباح الساخنة المضمخة في مرقة الهواء ، أمي تسميها هكذا .

- أين ذهبت بك الهواجس ؟

قلت لدرمش ، لكنه لم يرد ، إنه يحفظ طريقه تخترق عيناه كل ما في البيوت من مناظر ، الشبابيك النقوش الأبواب المزاريب الشرفات النساء البدينات والرشيقات ، والجواري وهن يلقين النظر عليه من الروشان ، عندما يسمعن صوته وهو يقف على الباب مناديا :

- زفة ياست البيت .

الجارية تطلق الصوت: طيب يا درمش ... وه إشبك مصروع كده ، هي أول مرة تشيل زفة . عادة لا يرد ، يدخل حالما يفتح الباب ، الجارية تقف خلف الباب ، ربة الدار فوق ، لكنه ينادي: دستور ! حتى يتمكن من تفريغ زفته ، في الأريار الكبيرة ، المرصوفة في بيت البئر ، يدخل ويخرج ونظره على الأرض ، لكنه مع ذلك يقول بثقة ، أن صدره مليء بأسرار البيوت .

(٣)

درمش هو السقاء الوحيد الذي أجد فيه شيئا من نفسي ، كأنا نزلنا من بطن واحدة ، رغم أنه مولود في حارة الأغوات ، وأنا مولود في حوش كبرباش ، كيف التقينا ؟ ذلك حديث يطول ، ما أذكره تماما ، هو شجارنا الدامي في مقهى المعلم بشارع العينية ، كان يرتدي حلة جديدة ، وكنت عائدا للتو من مهمة شاقة ومؤلمة ، كانت ملابسي ملطخة ببياه المجاري ، ويدي سوداوان من الأوحال ، الشياطين كلها كانت تتراقص أمامي ، طلبت براد الشاي والشيشة ، جلست مرتبعا على الكرسي الطويل ، أمامي كان يجلس (درمش) مع بعض السقائين ، كان الحديث يدور بينهم بصوت مرتفع ، سمعت (درمش) يقول لزميله :

- برضك النظافة ما في زياها !!!

ولم أملك نفسي في تلك اللحظة ، فقذفت إناء الماء الفخار باتجاههم ، لتبدأ المعركة في الحال ، ولننام تلك الليلة في السجن ، وهناك أصبح (درمش) صديق العمر ، ودعت كل شيء ،

وجلست معه ، أذهب معه ، أنام معه ، أتبعه كظله ، وإن كنت اشعر دائما أن علاقته بالجميع كانت محايدة ، يضحك ويمزح ويلعب المزمار ، لكن هناك حدا فاصلا بينه وبين الجميع ، يسدله ويزيجه في الوقت الذي يريد ، ولم تفلح كافة الحيل في معرفة مكنون صدره ..!

قلت له ونحن نجلس بمقهى المناخة :

- القلب يهرج والا إيه ..!

قال بدون تردد :

- القلب ميت ..!

ولا أدري لماذا نزل علي رده كالماء البارد ، صمت قليلا ، حركت المعلقة في براد الشاي ، ومددت خيطا في الحوار :

- ليه كفى الله الشر ؟

- ولا شر ولا حاجة .. طول عمري قلبي ميت .. كيف تبغاه يهرج ؟

- حبيت ؟

- إحم .. ليه إنت حبيت ؟

- لا ..!

- أجل كلنا في الهوا سوا .. هات الفتنجان وخلينا نشم هوا المناخة ونحنا ساكتين .. والله ترى أقوم ..!

كان آخر العهد بيني وبينه لسبر أغوار نفسه ، إنه كما قال شيخ السقائين (رجل بركة) .. ولست أدري كيف توصل شيخ السقائين لهذه النتيجة ، فأنا شخصا لم أر شيئا من بركاته ، فقد كان يثور في أي لحظة ، وإن كان لا يضمر شرا لأحد ، إنه يهب كالبركان ، ثم يبرد بعد لحظات ..!

(٤)

عندما خرجنا من البازان ، قال لي إنه سوف يحكي لي حكاية تورقه ، مشينا طويلا ، ربما قضينا على أزقة ضروان كلها ، حتى وقفنا أمام مكتبة عارف حكمت ، قال لي إنه تقدم لأسرة يريد الزواج

من إحدى بناتها، لكنهم لم يجيبوه إلا بكلمة واحدة (اخرج بره يا ندل) خرج من عندهم وأخذ يحذف البيت بالحجارة ، حتى خرج أهل الدار مع جيرانهم ، يركضون خلفه ولم يتركوه، إلا وهو فاقد الوعي، كان ذلك اليوم من انعس الأيام في حياته، قال لي بعد أن روى الحكاية:

- هاه .. إيه رأيك في عيال الكلب هادول ؟

قلت له :

- لماذا لا ترسل أمك لتقوم بهذه المهمة ؟

- هي فين أمي .. أنا ما عندي أحد ، مقطوع من شجرة .. لا أم ولا أب ولا أخ .. مقطوع من شجرة ..!

- ويعدين .. ليه ما تدور غير هذا البيت ..!

- ما في أحد يبغياني .. كلهم يقولون عني مزواج ..!

- مزواج ..!

- أيوه .. أنا اتزوجت ست مرات .. كل مرة تطلب المرأة الطلاق وأطلقها .. لعنة الله على جنس الحريم ..واحدة فيهم قالت لي ثاني يوم (أنا متزوجة رجال ولا حمار ؟) ضربتها كف وطلقتها .. والأخريات شرحتها ..!

ضحكت كثيرا .. حتى استلقيت على قفائي .. في الوقت الذي كان فيه يبكي بحرارة .. ويلعن حظه مع النساء ..

(٥)

ليلة العيد ذهبنا إلى مقهى المناخة ، كانت المدافع ، ترسل قذائفها من مبنى القلعة ، الناس تتدفق من كل مكان إلى باب المصري ، محلات الحلوى والمشبك تملأ المكان ، كأنهم في ليلة الحشر ، أعيد هذا ؟ أم مولد سيدي حمزة ؟! الشموع وطشوت الحناء ، والسقطان والرووس المسلوخة ، الحلاوة الحمضية ، وخصف الجنة ، صور تتالت على خاطري ، تمنيت أن تعود تلك الأيام ، لأمرح في ذلك الفراغ الرهيب ، الذي لا تحده سوى الجبال ومجاري السيول ومقام سيدي

حمزة ، إنتي الآن أراقب نفس المشهد ، نفس الوجوه ، المشتريات ، كلهم يتدفقون وتحت أباطهم وعلى رؤوسهم وبين أيديهم الحلوى والشبك ، بعودة الأيام ، يعود اللي ما عاد عليه .. تناثرت العبارات الحميمة بين كراسي المقهى التي بدأت تستقبل الناس ، قال واحد من الناس : صحيح إذا عشر بشر .. مين يصدق أننا نودع الليلة أبرك الشهور ؟ صمنا وقمنا ، اشتغلنا وغنا ، وما درينا إلا والشهر قال : أنا خلصت ..

ملت على درمش ضاحكا :

- ها ! إيش رايك الليلة نزور الحمام !

- والله فكرة ..!

قال ذلك بحبور ثم نهض واقفا .. نادى على القهوجي .. أعطاه حسابه .. لف الشال على رأسه ، وتحركنا معا ، لم يفكر أبدا في الملابس الجديدة ، ولا في الغيارات التي سوف نحتاجها في الحمام ، كانت الأمر في بعض الأحيان تفرض نفسها عليه ، كأنتي وضعته في موقف ، يبحث عمن يضعه فيه ، أيام وأيام كانت تمر عليه ، من غير أن يفكر في الدخول للحمام ، مع أنه يزور البازان عشرات المرات ، تنزل الماء على جسده ، لكنه ربما لم يفكر في دك جسده ، كان حمام طيبة هو ملجأنا ، نزوره في المناسبات السعيدة ، أما بقية الأيام ، فقد كنا ننزل تحت حنفية البازان ، بكامل ملابسنا وعندما تنتهي نمشي بها حتى المناخة ، وهناك نجلس على المقهى ، ليتولى الهواء تجفيف ما علينا ..

(٦)

كانت ضَرَوَان خالية ، والإضاءة معتمة ، بضعة أشخاص ، يدخلون ويخرجون من الحمام ، كان عم فضل يجلس على يمين المدخل مباشرة ، بجانبه دولا ب صغير ، مديده بصمت ، وقدم لنا المناشف والليف والصابون ، وهو يقول بصوت محايد : من العايدين والفايزين .. الله يجعلنا من عواده ..!

درمش لم يرد عليه ، كأن العيد لا يعنيه ، أخذ ما أعطاه ، ثم دخل على عجل ، كانت الغرف الصغيرة المعتمة ، دافئة وعابقة بالبخار ، ورائحة العرق ، لكأن عرق المدينة كله يصب في هذه الغرف المعتمة في هذه الليلة بالذات .. جلسنا معا بملابسنا الداخلية ، ناولت درمش الليفة

وقلت له : لنبدأ العمل فوراً !..

انتشيت عندما انتهى من مهمته .. تمددت على الرض الرطبة .. كان درمش ساهما .. يسترق النظر إلي بين وقت وآخر ، وكنت أفكر مليا في نساء درمش واحدة واحدة ، فارقه وتركته وحيدا ، وعذرتهم ، تلملمت على الأرض الحجرية الرطبة ، السائل اللزج ينز ، قمت ، جلست تحت البزبوز ، أخذت أملاً القدح ، واصب منه على مهل فوق جسدي ، كان درمش كما يزال ساهما ، هل كان يفكر في البديل ؟ كلانا في أزمة ، واحد يعطي وآخر يأخذ ، وهكذا بقيت كفتي الميزان متعادلتين ، اشتقت لفنجان الشاي والتعميرة ، لكن جسمي ما يزال مخدرا ، كافة عروقي تمددت ، أحس بالدم يجري وبرأسي يدور ، ذلك ما أعرفه عن الحمامات كلها ، ما هو الجديد إذن ؟ ، هل نهجر حمام طيبة إلى بازان ضروان ، حيث المارة والسقاءون والكلاب الضالة ؟ قال لي درمش وقد غار جسده كله في البقعة المعتمة ، البعيدة عن الفانوس المستقر في النافذة العلوية :

— خايف تدور لك على صاحب غيري بعد دي العملة !..

— إحنا حبايب يا درمش ش كيف تتصور أنني أتركك .. ما عاد لي غيرك !..

وجدت أنه ارتاح لردي .. توسط المكان وقف .. قبل رأسي .. ثم نهضنا معا ، تلحفنا بالمناشف .. وصعدنا الطابق العلوي من الحمام .. وهناك غمنا ، ولم نستيقظ إلا على صوت عم فضل وهو يطرق بقبابه في ردهات الحمام الذي بدا خاليا من الزبائن !..

(٧)

هذا صباح العيد إذا ، صباح حامض ، لزج ، لا جديد فيه ، سوى هذه الشمس الساطعة ، الشارع خال تماما ، طفلان يترقان أحد الأبواب ، ملابسهما زاهية ، عقال مقصب ، مشلح أبيض بقصب ، مزهوان بما يرتديان ، ضحك درمش كثيرا ، أشعل سيجارة ، تطلع إلى حيث الرواشين ، كانت نقط الماء تنزل بتؤدة من قلال الماء الموضوعة على حواف الرواشين ، كان يريد أن يقول شيئا ، لكنه ابتلعه مع الدخان ، مشيته كانت بطيئة ومرتاحة ، أكره السجائر والفرح ، إلى أين سنذهب الان ؟ كافة الأهل رحلوا ، لم يبق سوى درمش أصبح الآن سكنني ، منه استمد التطلع إلى واقع جديد ، كرهت رائحة المجاري العفنة ، في حمام طيبة فقط شعرت بالنشوة التي

افتقدتها ، قلت بدون تفكير :

— درمش .. ليش ما تاخذني معاك للبازان !..

قال وكأنه استقر على ما طرحته عليه :

— إحنا فيها .. من بكرة أشتريك زفة !..

• والقصة الثانية بعنوان (الخرائب) :

« عندما نشرت الشمس ظلها الشفاف ، كانت الخرائب المواجهة قد بدأت في التداعي ، أعمدة من الطين الهش ، جريد ، مسامير صدئة ، لمبات قديمة مصفرة ، مهشمة ، أبواب مزينة برسوم ونقوش دارسة ، مقابض من الخشب الصلب ، مفتاح خشبي طويل ومسند الأطراف ، أشياء كثيرة متنوعة وتافهة وربما عديمة القيمة كانت تتناثر في المكان ، كأنما الشمس على مدى الأيام والشهور ، أخافت الخرائب ، فبدأت في نثر مكنوناتها في الفراغ الموحش الرحب ، سلطت وهجها اللامع المبهر ، فبدأت في التداعي بشكل فوضوي قاس ، لم تمت عنزة أو دجاجة ، فرت كلها ، بحثت عن المخابئ فكمنت فيها ، من يوقظ الشمس ، ويسلط وهجها المبهر على هذه الأشياء ، تخاف الخرائب مثلاً ؟ أمي قالت بقلّة حيلة متناهيّة : الخرائب مثل والدك ، تطلق شخيراً متتالياً ، ثم تخمد إلى الأبد ليأتي الجميع على صوتها مبهورين بحثاً عن نصيبهم ، ما هو نصيبنا من والدك إلا وجبة الشخير اليومية .

والدي يفعل ذلك دائماً لكنه لا يخمد إلى الأبد مثل الخرائب، إنه يخاف الموت كثيراً، ألا تخاف أمي الموت مثل والدي ؟ لم يكن ليتنفس في بعض الليالي ، نخاف عليه، نقلق، نضطرب، فنفتح الرواشين المخرمة والبارزة عن جسم منزلنا الطيني العتيق، نحضر قلة الماء الفخارية بصحنها التوتياء الغويط ، نضعها بجانبه، نعرف أنه يستيقظ فرحاً بحثاً عن الماء، لكنه دائماً ما يقوم كالحصان (والدي جمل) قالت أختي الكبيرة البطيئة الحركة وهي تحرك غمازتيها بطريقة فريدة، كنت أضحك من كلماتها لكنني أحياناً أتشائم، أشعر أن عينيها فيهما بريق شيطاني، أمي تخاف العيون كثيراً وخصوصاً عيني أختي، أنا أحبها وأخافها معاً، لكنني لا أجرؤ على تقريبها، شيء ما يجعلني أخافها ، ابتعد كثيراً عندما تدخل إلى والدي ومعها عليه الدخان والزند الحديدي الصدئ، كانت فتاة صلبة بكل المقاييس.

في المساء زاد شخير والدي ، قام فزعا ، لهث كثيرا ، جلس على المرتبة ليطلب كوبا من الماء مخلوطا ، برائحة الورد ، يشعر بعده أنه عاد إلى الحياة قويا وعنيدا ، لكنه حالما يجلس متقرصا ، يشرع في توجيه الإهانات لنا ، حتى ديوك الدار التي تتقافز حولنا بعد أن تؤذن ، كان تأخذ نصيبها من إهانات أبي ، مرة أقترح على أمي جادا أن تأتي بسكين فنقص السنة الديوك كلها ، قالت والدتي فزعة (جن والدكم) قررت حملة عندما تأتبه الأزمة المخيفة إلى المستشفى المخيفة القابعة على مشارف المدينة ، حيث الجبال العالية السوداء الجهمة ، والفراغ والعس والكلاب السلوقية ، وحيث يعيش بعيدا عن أصواتنا وأصوات الديوك ، قالت أمي وهي تنفض يديها : هناك سوف يرتاح إلى لأبد .. زهقت من هذا الرجل .. طوق ملفوف حول رقبتني .

بكيت والدي ورجوت أمي العدول عن فكرتها ، لكنها بدت مكابرة ، فلم تستجب لتوسلاتي ، شرعت من فورها في تنظيف خم الدجاج وتفقد زير الماء الفخاري الذي لم يتعب من الرشح في فناء منزلنا الضيق الرديء .

أبي لو سمع هواجس أمي سوف يطردنا ، هيجتني هواجسي ، فقممت على أمي ، قبلتها ، جلست بجانبها على الأرض أطعم الديوك والدجاج وأتفقد البيض ، كانت تفتت الخبز المبلل بالماء ثم تقدمه قطعة قطعة داخل الخن ، تتلقفه الدجاجات ، تكاكن ، تتقافز ، ترفص أمي امام الخن ، تطلق صوتها الناعم حائة الدجاج على نقر الخبز المبلل بالماء والأتربة والروث : كتي .. كتي .. كتي ..

لم أفهم كلمة واحدة من نداءات أمي ، لكن الدجاج أقبل ، يأخذ الخبز من يديها ، من الأرض ، بعضه غرس متقاره في الروث والتراب والماء ، كاد يأكل يديها .. (جائع هذا الدجاج يا عمري) صاحت أمي بفرحة طاغية وهي تلقي القبض على دجاجة مرقطة ، ترسل يدها في مؤخرها بطريقة خاطفة ثم تقذف بها إلى الخن ، قالت أمي وهي تقوم من أمام الخن (كلما زاد أكلها عجزت) ..

مقر الأسرة

لم يكن للأسرة مقر واحد ، لأن ذلك قد يستلزم تكاليف غير متوافرة ، لذلك كانت ككل أمر عظيم يقوم على أساس من تعديد المقرات وتوسيع دائرتها باتساع الجهات الست ، فحيثما اجتمعنا كان ذلك أحد مقراتها ، ومع ذلك فإنه يمكن حصرها في ثلاث مقرات :

١- بيوت بعض الأعضاء من له سعة سكنية ، وعلى وجه التحديد : بيت عبدالعزيز الربيع - بيت عبدالرحمن الشبل - بيت حسن مصطفى صيري - بيت محمد سعيد دفتر دار .

وعلى صاحب المقر الذي تعقد الجلسة في بيته القيام بتوفير المشروبات الساخنة مع شيء من المكسرات ، ومفاجأة المجتمعين أحيانا بالعشاء الخفيف أو الثقيل .

٢- رحاب المقاهي الواقعة خارج المدينة على ضفاف العقيق ، كمقاهي عروة ، وذي الحليفة (أبار علي) أو حتى بالببداء ، كمقهى الطوال ، ولم نكن نرى في ذلك ضيرا ، فإننا كنا نعلم أن جماعات أدبية كثيرة في العالم العربي أنجزت ما أنجزته فوق مقاعد المقاهي ، اشتهرت بهم واشتهروا بها ، كانت في غاية التواضع ، وربما أدركتها الشهرة ، لتأريخ تلك الجماعات ، كمقهى الفيشاوي بمصر .

٣- استطاع الأستاذ عبدالعزيز الربيع بحكم كونه مديرا للتعليم أن يدبر لنا غرفة في أحد أربطة المدينة يسمى (مدرسة بشير آغا) ، وكان هذا الرباط يحوي مكانا للدرس ، وأماكن للسكن حسب شرط الواقف ، كما يشتمل على مكتبة مليئة بالمخطوطات ، وقد ضمت هذه المكتبة إلى مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة ، وصدر كتاب بمحتوياتها .

وكانت المصاريف تقسم بالسوية على الأعضاء المنتظمين .

- وفي هذا الصدد لا ينبغي أن ننسى العرض الذي قدمه للأسرة سعادة السيد حمزة غوث ، سفير المملكة سابقا بإيران ، فقد عرض علينا رحمه الله أن تكون داره العامرة ببستانه في عرصة العقيق الصغرى ، مقرا دائما للأسرة ، واجتمعنا بالفعل عنده لتدارس هذا الأمر ، فكان بُعد موقع الدار العائق الوحيد دون تنفيذ الفكرة .

وتقديرًا لفضله ، وإشادة بعرضه ، نرى لزما علينا أن نذكر اسمه بالإعزاز والإكبار ، ولا أقل من أن نورد ترجمته ، كما جاءني بقلم ابنه السيد خالد غوث ، لنرى كيف اسهم أمثاله من الكبار في بناء الأساس لهذه الدولة ، ويكفيه فخرا انه من رجال الملك المؤسس عبدالعزيز بن سعود :

الاسم : السيد حمزة بن إبراهيم غوث - يرحمه الله حسني النسب (انتساباً إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه) .

تاريخ ومكان الولادة : ١٢٩٧هـ - المدينة المنورة .

مراحل التعليم :

• تخرج في المدرسة الإعدادية بالمدينة المنورة وكانت تضم آنذاك أعلى مراحل التعليم الرسمي بالمدينة المنورة .

• وتخرج أيضاً في المسجد النبوي الشريف على يد كل من الشيخ عبد القادر الطرابلسي والشيخ محمد العمري والشيخ عبد الحافظ المصري ممن كان لهم شهرة علمية واسعة في المدينة المنورة في ذلك العهد ، كما تلقى دراسة متخصصة في اللغة التركية .

الوظائف التي تقلدها والمهام التي شغلها :

• كان أول صحافي من أبناء المدينة المنورة مارس الصحافة فقد تولى إدارة ورئاسة تحرير جريدة الحجاز عام ١٣٣٤هـ وكانت أول جريدة يومية (سياسية - أدبية - اقتصادية - اجتماعية) صدرت في المدينة المنورة عام ١٣٣٤هـ .

• في عام ١٣٣٥هـ تولى رئاسة بلدية المدينة المنورة حتى نهاية مراحل التهجير القسري الجماعي إلى الشام وغيرها في عهد فخري باشا الحاكم العسكري أو ما يعرف بـ «سفر برلك» .

• في عام ١٣٣٨هـ اتجه إلى حائل وعمل مع الأمير عبد الله الرشيد إلى أن سقطت حائل في يد الملك عبد العزيز عام ١٣٤٠هـ .

• ما بين ١٣٤٠هـ و١٣٤١هـ التحق بجبهة السيد أحمد السنوسي الجهادية في أوفرة لمحاربة الاستعمار الأوروبي الجديد لما تبقى من دولة الخلافة للاستيلاء عليها إلى أن حل أناتورك

قيادة تلك الجبهة وكان قد استدعاه منها إلى أنقرة واحتجزه فيها رهن المحاكمة لمدة ستة أشهر واتهمه بالضلوع في محاولة لقلب نظام الحكم لصالح إعادة الخلافة على أثر اكتشاف علاقة سرية له مع السلطان وحيد الدين العثماني وريث الخلافة آنذاك .

• في غرة ربيع الثاني من عام ١٣٤١هـ اتجه إلى الرياض ورحب به الملك عبد العزيز وعينه مستشاراً له .

• في عام ١٣٤١هـ كلفه الملك عبد العزيز برئاسة الوفد النجدي للتفاوض مع أمير الكويت الشيخ أحمد الجابر الصباح بشأن موضوع المسالبة مع نجد بعد منع الملك عبد العزيز المتاجرة مع الكويت لتنشيط حركة الاستيراد عن طريق موانئ السلطة النجدية في الإحساء وتوسطت الحكومة البريطانية لإعادتها .

• في عام ١٣٤٢هـ أوفده الملك عبد العزيز رئيساً للوفد النجدي لاجتماعات المؤتمر العربي بالكويت الذي دعى إليه الكولونيل نوكنس (المنسوب السامي البريطاني في الخليج) حكومات كل من الحجاز ونجد وشرق الأردن والعراق لإرسال ممثلين عنها لحضور الاجتماع المذكور وكان الوفد النجدي برئاسة وعضوية كل من د. عبد الله الدملاجي والشيخ حافظ وهبة والشيخ عبد العزيز القصيبي وتولى أعمال السكرتارية فيه السيد هاشم الرفاعي .

• في عام ١٣٤٥هـ رافق الملك عبد العزيز في رحلته من الرياض إلى مكة المكرمة ومن ثم إلى بقية مدن الحجاز بعد دخولها في حكمه وظل معه في مكة وفي الرغبة أثناء حصار جدة وقبل سقوطها بعثه الملك عبد العزيز عام ١٣٤٤هـ مستشاراً للأمير محمد بن عبد العزيز الذي أوفده والده على رأس قوة حربية لمحاصرة المدينة المنورة واحتلالها وتعين أثر ذلك معاوناً للأميرها حتى عام ١٣٤٦هـ .

• في عام ١٣٤٥هـ أصدر الملك عبد العزيز أمراً بتشكيل لجنة مؤلفة من أعضاء من مكة والمدينة وجدة لوضع نظام لتأسيس المملكة العربية السعودية وقررت اللجنة أن يكون للمدينة حاكماً إدارياً وكتاباً وأميراً وثبته الملك عبد العزيز معاوناً للأمير المدينة المنورة حتى عام ١٣٤٨هـ .

• وعلاوة على الوظائف المذكورة فقد أسندت إليه - رحمه الله - مهام خاصة وطارئة منها :

- في عام ١٣٥٣هـ بعثه الملك عبد العزيز رئيساً للهيئة المشكلة من عضوية الشريف هزاع قائم مقام العاصمة والسيد هاشم سلطان رئيس المجلس المالي آنذاك والسيد محمد بيارى سكرتيراً وذلك للسفر إلى الليث للتحقيق في دعوى القبائل وأعمال الإمارة من إدارية ومالية وقضائية وأعمال أمور الجهاد .
- وفي عام ١٣٥٤هـ بعثه الملك عبد العزيز رئيساً للهيئة التي كان قوامها المهندس كنعان والأمير آلإي تحسين أعضاء والسيد محمد حابس للاشتراك مع الهيئة التي قدمت من بغداد للكشف عن طريق صالح لنقل الحجاج بالسيارات من النجف إلى المدينة عن طريق حائل وتحديد معالمه واعتماده .
- في عام ١٣٤٩هـ تعين عضواً في مجلس الشورى حتى عام ١٣٥١هـ حتى عاد إلى وظيفته الأساسية مستشاراً للملك حتى عام ١٣٥٧هـ .
- في عام ١٣٥٧هـ عينه الملك عبد العزيز وزيراً مفوضاً في العراق وبقي فيها حتى عام ١٣٦٠هـ بعدها عاد إلى عمله الأساسي مستشاراً للملك حتى عام ١٣٦٧هـ .
- في عام ١٣٦٧هـ عينه الملك عبد العزيز وزيراً مفوضاً في إيران ثم سفيراً وظل في منصبه لمدة سبعة عشر عاماً وكان عميداً للسلك الدبلوماسي فيها حتى عام ١٣٨٤هـ .
- في عام ١٣٧١هـ منحه الملك عبد العزيز بموجب المرسوم الملكي الصادر برقم ١٧٧/٥/٢ وتاريخ ١٣٧١/٢/٢٠هـ ، لقب وزير دولة وأيد الملك فيصل احتفازه باللقب المذكور بعد موافقته على إحالته للتقاعد .
- دمنحه كل من الملك فاروق ملك مصر والرئيس محمد نجيب رئيس الجمهورية المصرية وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى كما منحه شاه إيران وساماً مماثلاً في المرتبة .
- ما بين عام ١٣٣٦هـ وعام ١٣٤١هـ قابل في مهمات مختلفة كل من السلطان العثماني وحيد الدين والرئيس التركي مصطفى كمال أتاتورك والملك فؤاد الأول ملك مصر والملك فيصل الأول ملك العراق والجنرال الفرنسي ديغول أثر استيلاء الجيش الفرنسي على بلاد الشام .

• في عام ١٣٨٤هـ وافق الملك فيصل على إحالته للتقاعد بناء على طلبه .

مكان وتاريخ الوفاة :

قضى بقية حياته بعد تقاعده عام ١٣٨٤هـ في بستانه المعروف بحدائق الزهور على ضفاف وادي العقيق بالمدينة المنورة ودفن في قبعة الغرق بعد أن وافته المنية مساء الاثنين الثاني من شهر شوال عام ١٣٩٠هـ عن عمر ناهز الثالثة والتسعين عاماً يرحمه الله .

• وفي هذا الصدد أيضاً لا ينبغي أن ننسى تعاون الشيخ عبدالحميد عباس ، وعرضه أن يكون مجلسه في العباسية مقراً للاجتماع الأسبوعي للأسرة .

الشيخ عبدالحميد عباس

ولد في المدينة المنورة سنة ١٣٢٧ وبها توفي سنة ١٤٠٨ وفيها نشأ وتعلم كعامة أقرانه ، بادئا بالكتاب وصرف جهده بعد ذلك إلى تلقي العلم في حلقات الدرس بالمسجد النبوي ، الذين كان من أهمهم الشيخ الطيب الأنصاري ، وقد تفرغ لأعماله الخاصة في الزراعة والتجارة ، وفي أثناء ذلك ترأس هيئة الزراعة بالمدينة ، كما كان ينوب في إمامة مسجد قباء ، وكانت له ندوة أو مجلس في عامة أيام الأسبوع ترتاده نخبة من العلماء والأدباء ، وهو نفسه كان يعد من العلماء والأدباء ، وقد عرض على أسرة الوادي المبارك أن تنظم إلى مجلسه أو تأخذ لها مقراً في بستانه ، وكانت فكرة مشكورة ، لولا أن بستانه في قباء أحد ضواحي المدينة .

مؤلفاته :

١- المرشد في زراعة الأشجار والخصار، دار اليقظة العربية عام ١٩٦٩م

٢- بساتين المدينة في الماضي والحاضر .

٣- المناهل الصافية العذبة فيما خفي من مساجد طيبة .

٤- ذكريات، ديوان شعر .

ومن شعره :

هذي بساتين المدينة حلوة هرم الزمان ولم تزل بصباها
من عهد أحمد لم تزل معمورة كانت مصيف القوم ما أحلاها
أشجارها تجلو القلوب نضارة ونخيلها مزهوة بعلاها
والطير يصدح والنسيم يهزه وتظل ترعى من لذى جناها
والماء يجري في قناة سلسلاً عذباً يزيل من النفوس صداها
وتنوعت أزهارها وتباينت في حسنها حين الربيع كساها
فالعين شاخصة إلى أغصانها والقلب مسرور بطيب هواها
هي متعة الدنيا وزينة أرضها ونفوسنا طول المدى تهواها
أرضٌ بها خير البرية أحمدُ كرمت به قدراً وزاد علاها

المناخ الثقافي

لم يكن لأسرة الوادي المبارك مجلس إداري، وإنما كانت المائدة مستديرة، والتقدير متبادلا بين الجميع، لكن جرى العرف أن أمورها المصرية بين الأعضاء المنتظمين فيها، وهم في الغالب الستة الذين طلع عليهم فجر تأسيس نادي المدينة المنورة الأدبي، وكانت الأسرة تنطلق من خلال رؤية خاصة للمحيط الأدبي السائد والمأمول، محاولة المواءمة بين العناصر الثقافية القائمة بالفعل في المدينة المنورة والقريبة منها، والمحتكة بها من جهة، وبينها وبين غيرها في مناطق المملكة المختلفة، فهي لا تستطيع أن تعمل منفصلة، ولا يمكنها أن تحمل عبء التنوير والتحديث منفردة، بل لابد لها أن تعمل متظافرة مع كل العناصر العلمية والثقافية والأدبية القائمة، وأول هذه العناصر فئة الأدباء الموجودين بالفعل داخل المدينة خارج الأسرة، وكذلك العلماء البارزون الذين لهم صلة أو أخرى بالنشاط الثقافي والأدبي.

أولا : الأدباء خارج الأسرة :

بداية وجود الأديب الفلاني خارج الأسرة لا يعني أنه ليس منها، بل قد يكون مساندا لها، ملتقيا معها، متعاطفا مع نهجها، لكنه لسبب من الأسباب لم ينضم إلى عضويتها، في خطوة واحدة شكلية فقط، وإلا فنحن نعتبرهم قوة لنا، وردءا يشد من عضدنا، ويكون معنا في صف واحد حينما يدعو داعي الأدب والثقافة. ومن هؤلاء :

١- علي عبدالقادر حافظ	أديب وصحافي ومؤرخ	(١٣٢٧-١٤٠٨)
٢- عثمان عبدالقادر حافظ	أديب وصحافي ومؤرخ	(١٣٢٨-١٤١٣)
٣- عبيد عبدالله مدني	أديب وشاعر ومؤرخ	(١٣٢٤-١٣٩٦)
٤- أمين عبدالله مدني	قاص وكاتب مقال ومؤرخ	(١٣٢٩-١٤٠٤)
٥- ضياء الدين حمزة رجب	شاعر وكاتب مقال	(١٣٣٥-١٣٩٦)
٦- عبدالله سلامة الجهني	أديب وكاتب مقال	(١٣٤٧-١٤٠٩)

عمر محمد كردي	شاعر ديبلو ماسي	(ولد سنة ١٣٥٩)
محمد حسين زيدان	أديب وكاتب مقال ومتحدث مفوه	(١٣٢٥-١٤١٢)
عزيز ضياء الدين	أديب وكاتب مقال ومتحدث مفوه	(١٣٣٢-١٤١٨)
عبد القدوس الأنصاري	أديب وكاتب مقال ومتحدث مفوه	(١٣٢٤-١٤٠٣)
عبد الحميد عباس	شاعر وصاحب ندوة أدبية ثقافية خاصة في منزله بقباء	(١٣٢٧-١٤٠٨)
أحمد أحمد بشناق	قاص وكاتب مقال	(ولد سنة ١٣٣٤)
صالح محسن الحيدري	أديب وكاتب مقال	(١٣٢٦-١٣٩٥)
عثمان عبد السمیع حلمي	أديب وكاتب مقال	(١٢٩٦-١٣٩٨)
أنور عبد المجيد جبرتي	قاص وكاتب مقال	
عبدالرحمن الطيب الأنصاري	مؤرخ وأديب ورائد الحفريات الأثرية بالملكة	(ولد سنة ١٣٥٤)
عزت عبد المجيد خطاب	أديب وناقد	(ولد سنة ١٣٥٤)
محمود عيسى مشهدي	قاص وروائي ومسرحي	(١٣٥٥-١٤١١)
غالب حمزة أبو الفرج	قاص وروائي وصحافي	(ولد سنة ١٣٤٩)
عبد الحميد عنبر	أديب وكاتب مقال	(١٣٢٦-١٣٩٣)
محمد عمر توفيق	أديب وكاتب رحلات	(١٣٣٧ -)
عبدالرحمن عثمان حسن	شاعر وكاتب مقال ومترجم	(١٣٢٨-١٤٠٠)

أسامة عبدالرحمن عثمان	شاعر وكاتب مقال	(ولد سنة ١٣٦١)
خالد حمزة غوث	أديب وإعلامي	
أحمد ياسين الخياري	شاعر وكاتب مقال ومقري	(١٣٢٤-١٣٨٥)
محمد عالم أفغاني	قاص ومترجم وكاتب مقال	(توفي ١٣٨٦هـ)
خالد رجب	شاعر	(توفي في أواخر القرن الرابع عشر)
حبيب محمود أحمد	كاتب مقال	(١٣٣٨-١٤٢٤)
حسين قاضي	شاعر	(١٣٤٣-١٤٢٣)
الشريف إبراهيم بن علي العياشي	مؤرخ وكاتب مقال	(١٣٢٩-١٤٠٠)
عبدالله فرج الخزر جي	شاعر ومنشد من الطراز الأول	(ولد سنة ١٣٤٦)
	شاعر من أهل بدر	
مفرج السيد	كاتب مقال وصاحب عمود	(ولد سنة ١٣٦٠)
عبدالعزیز ساب	في المدينة تحت عنوان (همس وجهر)	
أحمد رضا حوحو	قاص ومترجم ومسرحي، كان مع صاحب المنهل، بمعية محمد عالم أفغاني من أئمة الأدب في المملكة العربية السعودية	توفي في الجزائر

أدباء من خارج الأسرة

بعض تراجم لأدباء من خارج الأسرة

١- ضياء الدين رجب :

يعتبر الشاعر ضياء الدين حمزة رجب من أبرز شعراء المملكة العربية السعودية وأدبائها ، فقد أسهم في بناء الحركة الأدبية وتطويرها منذ بداياتها الأولى .

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٣٥هـ جرية ، وتلقى دراسته في المسجد النبوي الشريف ، على يد أكابر العلماء ، واشتغل بعد تخرجه بالتدريس في مدارس المدينة المنورة الابتدائية ، كما اشترك في تحرير صحيفة المدينة ، منذ صدورها ، وأمد جميع صحفنا المحلية بشعره وبحوثه ومقالاته العلمية والأدبية ، بالإضافة إلى التزامه بكتابة عمود يومي بجريدة البلاد ، تحت عنوان (قطوف) .

عين في عام ١٣٥٥هـ قاضيا بمدينة العلا ، ثم تفرغ للعمل بالمحاماة ، ثم عين مستشارا قضائيا لأمانة العاصمة ، فعصوا المجلس الشورى إلى أن أحيل إلى التقاعد ، فعاد إلى الاشتغال بالمحاماة مرة أخرى ، حتى توفي سنة ١٣٩٦هـ .

اهتم بطبع ديوانه الشاعر الأديب محمد علي مغربي، بعد أن صنع له مقدمة تعرف بالشاعر وشعره وأدبه ، ومن مؤلفاته غير المطبوعة :

١- وقفة في ديار ثمود .

٢- سلسلة مقالات بعنوان (مذكرات قاض) .

٣- سلسلة بعنوان (نصف قرن يتكلم) .

وهذا ما كتبه عن نفسه في كتاب (المدرسة الناصرية ص ١٣٩) بصفته أحد خريجيها :

« كانت الدراسة الابتدائية هي الذروة ، وهي القمة ، ولو قارناها لوجدناها في مستوى التوجيهي . تحركت موهبة الشعر عندي وأنا صغير ، حيث فتحت عيني على أب كان يترجم بالشعر رواية ودراية ، وعلى أم كانت حافظة لكثير من الشعر ، وخاصة شعر شقيقها المرحوم الشيخ عمر

كردي ، والذي كان رحمه الله أول من حنكني بالشعر ، وقد جعلني أنجيه منذ الحداثة على الشعر ، وبدأت تتدرج معي الموهبة شيئاً فشيئاً ، وصارت كل عنايتي بذلك أثناء دراستي الابتدائية .

وكنت أتشوق لحصة المحفوظات ، ومجتمع المدينة آنذاك كله رقة وحب وفن ، فالأسمار كلها شعر وأدب ، والتنزهات والفسحات المستمرة كلها ألق من جو المدينة العبق ، وقد قلت الشعر وأنا في الثالثة عشرة من عمري ، من غير دراسة ولا معرفة بأوزان الشعر . وأذكر من أولياتي وقد أعجب والدي بهذا البيت أيما إعجاب ، وقال : أنت شاعر إن شاء الله .

دنا الرحيل ، فهاج القلب واضطرباً وصيب الدمع من جفني القريح همي
وقد تأثرت في مبدأ حياتي بالطغرائي ، ثم بأصحاب المعلقات .

قلت : وقد أشرفت على رسالة ماجستير بكلية التربية بالمدينة، فرع جامعة الملك عبدالعزيز، بعنوان (ضياء الدين رجب حياته وشعره) كتبها الدارسة وداد الشريف ، كما طبع نادي المدينة المنورة الأدبي (الشاعر ضياء الدين رجب) للدكتور عبدالله باقازي .

وقد كان - رحمه الله - على صلة وثيقة ببعض أعضاء أسرة الوادي المبارك ، من أمثال محمد سعيد دفتردار ، وعبدالعزیز الربيع ، وعبدالرحمن رفه ، رحمهم الله جميعاً .

ومن ديوانه نورد القصيدة التالية :

واختلفنا

قلت : هيّا قد احتوانا الأصيل
إن معنى الوجود بقيا من الحسن وهذي الحياة لفظ جميل
كم مغانٍ مشّت عليها الليالي فاضمحلت والباقيات الطلول
وجمال حسبته ألق الفجر محاه ليل عريضٌ طويل
وتبقى خياله في معانٍ ذابلاتٍ كأنهنّ الفتيل
والضحى غاله من الصمت ما غال ضحاياه : قاتلٌ وقتيل

رقدوا في الثرى وما رقدت ذكرى على مثلها يلوب الأصيل



أنا من يعشق الأصيل : فضولٌ راسخٌ في هواه يحلو الفضول
أنا من يعشق الخلود ويستروح أمجاده التي لا تدول
كم عشقنا الغناء لا يرمز إلا لبقاءٍ والذكريات والرسولُ
انظري الحسن في الأصيل نضاراً بهرته شقائق وخمائل
وانظريه على الشعاف أكاليل سناها ماضٍ عريقٌ أثيل
وانظريه على الورود النديات عبيراً يموج فيه الخميل
وانظريه مع النسائم أحناءً عذاباً كأنها التقبيل
والمحيه على الضفاف طيوفاً حائراتٍ أنفاسهنَّ الهديل
والصبايا تدافعت تسبق الموج وقد شققها جوى ونحول
لا تراعى من الأصيل فما يلقفُ همسَ الجياد إلا الأصيل
وهنا لفها الضباب الذي أثقل أجواءه أسيّ وعويل
وتمطى الدجى الغدافي لا يلمع في جوه الحسام الصقيل



واستدار الحديث تحسبه النعي وقالت : هذا الأصيل أقول
تدلف الشمس للغروب كما تدلف هذي الحياة حين تزول
خيرٌ جدواه لوعةً واصفرارٌ وبعادٌ يطول فيه الرحيل
أنا أهوى الشروق تسطع دنياه ويستقبل النزيل النزيل
أنا أهوى في دفئه الأمل الرحب ، قلوبٌ تهفو له وعقول

إنه الصحو للطبيعة والحبُّ على ظلِّه يطيب المقيـل
لا تلمني فإن نبع حياتي في شروقِ كأنه السلسـلبيل
وقدة في الحياة أنفاسها الحرَّى على سرِّها يخفُّ الثقبـيل
وجناها الموارُ في الحَبِّبِ الواقد تُرقى به ، ويُشفى العـليل
كيف تستبدل المولى بالوافد تزهو فروعـه والأصول
كيف تستبدل الرجاء ببيأسٍ غارقٍ في ظلامه المأمـول
واختلفنا وما اختلفنا ولكن في اضطرابِ المنى تروع الشكـول
فالحميًّا على الكؤوس شروقٌ وغروبٌ على الثغور يسـيل
إنها غربة على البعد والقربى وزاد الحياة فيها قـليل
فالغروب الذي يروع شروقٌ والشروق الذي يروق أفـول
جولةً بعد جولةٍ وعسراكٌ سوف يطويه عالمٌ مجهـول
نفثةً ضلَّ سعيها وحروفٌ تتلوى أقولها وتقـول
وانتحنينا نلملم الأمل الشارد مسحوبةً عليه الذبـول
وبكينا على الضياع ، على المعقول يطغى عليه لا معقـول
واسترحنا إلى الغدير نعانى ما تعانـيه (شَمأل) و(قَبول)
وشربنا همومنا مثل ما يشرب صبُّ دموعه فيعـول
وسكبنا الحياة أغلى صبايات نُهانها هل كفَّ قالٌ وقـيل
ورجعنا إلى الوراء وقد يُحمد عند السرى الممضُ قُـقول
وأدرنا أبصارنا في الذي كان فراع الأبصارَ هذا المـحول
والتفتنا لثائرٍ طالما خضخضَ أحشاه دمٌ مطـلول

وعبيننا من السلاف الذي أشعل جمر الغضى فضاق السبيل
وانتشينا لعلها صحوة العمر فتحلنا الرؤوس منها تميل
ولجأنا للسلم نستلهم العون فهُنَّا وعزٌّ فينا الدخيل
وأخيرا لقد تساوى لدينا في الأمانى شروقها والأصيل

٢- أمين مدني .

هو أمين عبدالله حمزة مدني، ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٢٩ هجرية ، وتوفي بها سنة ١٤٠٤ هـ (محب التاريخ ص ٢٢٣ ، د. شكري فيصل وزميله، ط١/١٤١٤ هـ) و(موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين، أحمد بن سلم، المجلد الثالث) .

تلقي دروسه الابتدائية في مدارس المدينة المنورة ، ثم انتقل إلى الدراسة في المسجد النبوي ، في حلقات العلماء الأجلاء ، الذين كانوا يعمرون المسجد بدروسهم في مختلف التخصصات، ولازم بصفة خاصة الشيخ محمد الطيب الأنصاري ، والسيد أحمد الفيض آبادي ، والشيخ إبراهيم بري ، وقد كانت الدراسة في المدينة المنورة آنذاك تمر بثلاث مراحل :

١- مرحلة الكتاتيب ، وفيها يتعلم الطالب القراءة والكتابة والحساب ، كما يبدأ في حفظ القرآن الكريم .

٢- مرحلة المدارس الابتدائية ومنها الحكومي والأهلي ، علما بأن مستوى الشهادة كان عاليا ، لا يقل عن مستوى الشهادة الثانوية الحالية ، ويتم التركيز فيها عادة على : العلوم المدنية ، والعربية ، والدينية ، والمهارات الفردية ، التي تؤهل الدارس لخوض غمار الحياة .

٣- الدراسة في المسجد النبوي الشريف ، وتشمل دراسة علوم اللغة العربية ، والدينية ، والتاريخية وغيرها ، غير أنها تتميز بعدم إلزام الدارس بمنهج معين ، ولا بأستاذ خاص ، بل هو الذي يختار درسه ومدرسه ، وفقا لحاجته وقدراته ، وحسب رغبته وظروفه .

وقد ظهر على صاحبنا اهتمامه المبكر بعلم التاريخ ، فأشبع رغبته في ذلك من تلك الحلقات، ثم توجه إلى التحصيل الذاتي ، والتثقيف الشخصي ، حتى أصبح من أعلام الدراسات التاريخية

على مستوى العالم العربي كله .

وبدأ حياته العملية من سنة ١٣٥١هـ، بسلسلة من الوظائف ، من أهمها رئاسة بلدية المدينة المنورة ، (١٣٦٩-١٣٧٥هـ) ، كما رأس تحرير جريدة المدينة لبعض الوقت . وكان يغذي الصحف المحلية كالمدينة ، وعكاظ ، والرياض ، والبلاد ، والمنهل ، والمجلة العربية ، وقافلة الزيت ، وبعض الصحف المصرية واللبنانية ، ببحوثه ومقالاته ، كما يشارك في الندوات والمحاضرات واللجان والمحافل الثقافية داخل المدينة وخارجها .

وأثرى الساحة التاريخية بمؤلفاته القيمة ، وهي :

١- التاريخ العربي وبدايته .

٢- التاريخ العربي ومصادره .

٣- التاريخ العربي وجغرافيته .

٤- الثقافة الإسلامية وحواضرها .

٥- الاستثمار المصرفي وشركات المساهمة في التشريع الإسلامي .

وكان على صلة وثيقة بمعظم أعضاء أسرة الوادي المبارك ، غير أن كثرة أعماله وأسفاره حالت بينه وبين عضوية الأسرة ، وكان من المكرمين في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ، ووفاء له قام أبناءه وفي مقدمتهم معالي الأستاذ إياد مدني بالتعاون مع نادي المدينة المنورة الأدبي باستحداث جائزة باسم (أمين مدني) في تاريخ المملكة العربية السعودية ، وكنت أول من حصل عليها مناصفة مع الأستاذ مصطفى لمعي وذلك سنة ١٤١٥هـ .

وله رحمه الله مشاركات في عالم القصة ، ورواية بعنوان (نهاية عبقرية) طبعت سنة ١٤٠٠هـ ، وقد أقام في بيته العامر بباب الشامي ندوة أسبوعية ثلاثاوية ، بالتعاون مع الدكتور محمد العيد الخطراوي والدكتور نايف الدعيس ، وبتحريض منهما ، وكان يحضرها الدكتور شكري فيصل ، والدكاترة : شفيق السيد ، ومحمد حسن عبدالعزيز . ومحمد هاشم رشيد ، وعبدالعزیز الربيع ، وحسن صيرفي ، وغيرهم ، وهي الندوة التي ورثها عنه الدكتور نايف الدعيس ونقلها إلى دارته في سلطنة .

٣- عبيد مدني :

هو عبيد عبدالله حمزة مدني ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٢٤ وبها توفي سنة ١٣٩٦ ودرس فيها بادئا بالابتدائية ثم المدرسة الراقية ، ثم درس على الأشياخ بالمسجد النبوي الشريف ، ومن مشايخه الشيخ محمد الطيب الأنصاري ، كما درس على ידי الأديب والمؤرخ الشاعر محمد العمري ، فكان من أكثر المؤثرين في توجيهه الفكري والأدبي ، فكان عبيد مدني الشاعر ، وعبيد مدني المؤرخ . عمل في عدة مناصب حكومية ، منها عضوية مجلس الشورى ، وكان كعامة أدباء جيله ذا اعتماد على التحصيل الشخصي ، وقد كان أعضاء الأسرة على صلة مستمرة به في دارته بسلطانة ، وكان في مكتبه بعض المخطوطات النادرة ، أفدت منها حين حققت ديوان الشاعر إبراهيم حسن الأسكوبي من النسخة الوحيدة الموجودة بمكتبته التي ما يزال أبنائه يحافظون عليها في داره السيد عدنان عبيد مدني .

وكان من المكرمين في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ، ومن المشاركين فيه ببحث ، وكان رئيس الجلسة الشعرية التي شاركت فيها بملحمتي (أمجاد الرياض) .

وله مؤلفات كثيرة لم تطبع ، منها :

١- تاريخ المدينة المنورة

٢- تاريخ المسجد النبوي .

٣- تاريخ مساجد المدينة المنورة .

٤- تاريخ أطام المدينة المنورة .

٥- تواريخ المدينة المنورة ومؤرخوها .

٦- أما الديوان فهو الوحيد الذي طبع باسم (المدينيات) في ثلاثة مجلدات ، وقد حظي باهتمام الأكاديميين ، حيث كتبت فيه رسالة فاضلية (ماجستير) أسعدني الحظ بالاشتراك في تقويمها ، وذلك في جامعة الإمام بالرياض ، وهو شاعر إحيائي محافظ ، وحين مات رثاه الشاعر محمد هاشم رشيد بقصيدة عنوانها (في موكب الخالدين) فقال :

آمنت بالله وإن أسدلت دوني وراء الغيب حجب الظنون
حياتنا وهمم. وإن أشرقت فيها المنى أو مرققتها الشجون
وعمرنا ، مهما يطل ومضة خاطفة، تطوي سناها المنون
أسطورة كبرى، سكنا على سراها الظامى أحلى اللحون
وأمنيات كم نعمنا بها وكم غفونا في شذاها الحنون
حتى انتبهنا فإذا منتهى تلك الأماني دمعة في الجفون



يا شاطئ الأسرار ، يا غيباً قد ضلّ في أسدافه المدجون
يا مهمماً، قد أنكرته الصوى وخيم الصمت به والسكون
نهاية الإدراك. مهما سما تفلسف الفكر الجهول الحرون
مهاة خالدة ، تنطوي فيها الليالي وتضيع القرون
ونظرة بلهاء في عالم تشابه العقل به ، والجنون



كم دوحة ألوى بها عاصف حتى على الأزهار فوق الغصون
وكم بناء مشمخر الذرى هوى وكوخ أخطأته المنون
وعبقري مستنير الحجا كالبدر تستجلي سناه العيون
لم يشفق الداء على قلبه وراح يحمي كل غرّ خؤون
والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الثمين
اعبىد، يا أحلى أغاني قبا إذا سجا الليل على المدنفين
ويا صدى (وادي العقيق) الذي تعانق السحربه والفتون

يا ذروة تشمخ بين الذرى في مشرق السور. ومهد الفنون
مصائبك مصاب العلا والمجد والفكر السديد الرصين
مصاب جيلٍ عشت في قلبه نبضاً عميق الشدو عذب الرنين



يا ابن الثرى المعطار في بلدة طابت على الدهر ، وطاب القطين
ما زلت رغم الموت في ثغرها ومض ابتسام قد تحدى السنين
ونغمة بالحب مشبوبة توري لظى الشوق، وتذكي الحنين
ما زلت تاريخاً: لتاريخها يجسّد الماضي، ويحيي الدفين
وببعث الأطلال بعد البلا مجلوة الأعطاف. رؤيا الجين
ولم تزل في أفقها كوكباً يهدي خطى الساري سناه المين



قد عشت فيها مدنيّ الهوى والشوق، والقلب الوفي الأمين
متيماً في حبها مغرماً بكل كنز في ثراها مصون
فلم قرير العين في حضنها فقد أطل اليوم فجر اليقين
وآن أن تهدأ بعد السرى ويتشي الروح اللهيف الحزين
فأنت حيٌ رغم أنف الردى يا راحلاً في موكب الخالدين

٤- غالب حمزة أبو الفرج

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٤٩ وتلقى تعليمه الأولي بها ، ثم أكمل تعليمه في القاهرة ، شغل
عدة مناصب متقدمة في الإعلام ، وبخاصة في المطبوعات ، أسهم في الكتابة الاجتماعية، وبرز

في القصة القصيرة والرواية والمقالة ، وحاول كتابة النثر ، وكان مما يتميز به غزارة الإنتاج ، وبخاصة عندما كان رئيساً لتحرير جريدة المدينة المنورة ، وكانت علاقته بأعضاء الأسرة متينة ، وكان يقول : اعتبروني عضواً معكم ، ولا يشبهه في غزارة الإنتاج القصصي والروائي إلا عصام خوقير ، وهما من جيل واحد على كل حال ، ومن مؤلفاته :

١- قصص من بلادي، مجموعة قصصية- القاهرة عام ١٩٦٣.

٢- البيت الكبير، قصة طويلة، الدمام، شركة مطابع المطوع عام ١٣٩٢.

٥- حسين قاضي :

ومن شعراء المدينة من خارج الأسرة الشاعر حسين قاضي (١٣٤٣-١٤٢٣هـ) ومن شعره الذي نشر بالمنهل قصيدة أنا والقمر :

هجع الناس ولكن يا قمر	نحن صنوان تألفنا السهر
أنت سهران بأفق حالم	وأنا سهران في كف الغير
حولك النجم تناجيه وفي	سيرك الهادئ كم تبدو عبر
وسناك الوادع الساجي فكم	لف معشوقين في ليل أغر
وتخطى كل عالي قمّة	ليحيي كل غصن وزهر
ويرى الجدول يجري خافقاً	يطرب الضفة من غير وتر
فيحييه ويمضي راقصاً	معه والزهر يرنو والشجر
هكذا يا بدر تمضي ساهراً	وأنا حيران في شطّ الخطر
لا أذوق النوم مما نابني	مفرداً بالسهد إن نام البشر
بعدت داري وإلّفي والهوى	بالضني يتعنّاه القدر
كلما كفكف من عبرته	جاءه الوجد بعبرات آخر

وإذا قال تولّت ذكره جدّد الشوق له شتّى الذكر
ومضت أفكاره شاردةً في خضمّ من أفانين الصُّور
وسرت روحاً حزيناً والهأ تعبر الكون إلى مغنى سفر
علّ من تهوى ومن عذبها بين جمع القوم في نادي السمر
تتروى منه حيناً عابراً بعيون السروح إن شطّ النظر
هكذا ليلى وهذا سهري أيها البدر فشتان السهر

٦- خالد بن حمزة بن إبراهيم غوث .

• تاريخ ومكان الولادة : ١٣٥٥هـ - الرياض .

• الدراسة :

— الابتدائية : المدينة المنورة .

— المتوسطة والثانوية : لبنان .

— الجامعية : التخصص علوم سياسية (جامعة ليبج الفرنسية - بلجيكا) + دبلوم الإدارة العامة (معهد الدراسات الاجتماعية التابع لهيئة الأمم المتحدة في لاهاي - هولندا) .

• الأعمال الوظيفية :

١- وزارة المعارف : ١٣٨٥-١٣٩١هـ .

٢- مساعد مدير عام الثقافة : (الرياض) ١٣٨٥-١٣٨٦هـ .

٣- ملحق ثقافي مساعد : ١٣٨٦-١٣٨٧هـ (فرنسا) .

٤- ملحق ثقافي : ١٣٨٧-١٣٩١هـ (ألمانيا) .

٥- وزارة الإعلام : (الرياض) ١٣٩١- ١٣٩٦هـ .

٦- مدير عام الإذاعة السعودية : (١٣٩١- ١٣٩٦هـ) .

- ٧- مدير عام مكلف لوكالة الأنباء السعودية : (١٣٩٢ - ١٣٩٤ هـ) .
- ٨- رئيس المجلس التنفيذي لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية : (١٣٩٢ - ١٣٩٤ هـ) .
- ٩- أمين عام منظمة إذاعات الدول الإسلامية ورئيس المجلس التنفيذي : (١٣٩٥ - ١٣٩٦ هـ)
- بعض مبادراته أثناء عمله الإذاعي (١٣٩١ هـ - ١٣٩٦ هـ) :
 - ١- تأسيس إذاعة القرآن الكريم في كل من مكة المكرمة والرياض .
 - ٢- تأسيس منظمة إذاعات الدول الإسلامية وإداراتها في مرحلتها الأولى .
 - ٣- تأسيس قسم الإعلام بجامعة الملك سعود بالرياض .
 - ٤- توطين الكفاءات الإذاعية والإنتاج البرامجي في إذاعات المملكة العربية السعودية.
- مشاركاته خارج المملكة :
 - (١) عضو وفد المملكة للمؤتمرات التربوية والثقافية الدولية ، في إطار منظمة اليونسكو (باريس) ومكتب التربية الدولي (جنيف ١٣٨٥ - ١٣٩١ هـ) .
 - (٢) مثل المملكة العربية السعودية في المؤتمر العالمي لمكافحة الشيوعى في كل من مانिला (الفلبين) وسايجون (فيتنام ١٣٨٨ هـ) .
- استقالته من وزارة الإعلام :

وافق المقام السامي على طلبه قبول استقالته من العمل في وزارة الإعلام بموجب الأمر الملكي الصادر برقم ١٤٦٩/٤ في ١١/٥/١٣٩٦ هـ ، عاد على أثرها إلى المدينة المنورة ليستقر بها ويشارك في خدمة الشأن العام .
- بعض مشاركاته في خدمة الشأن العام بمنطقة المدينة المنورة :
 - ١- عضو مجلس الأدلاء بالمدينة المنورة .
 - ٢- عضو مجلس إدارة الجمعية الخيرية للخدمات الاجتماعية .

- ٣- مؤسس لجنة أصدقاء النخلة .
- ٤- عضو مجلس المديرين لشركة طبية للتنمية الزراعية (١٤١٤هـ - ١٤١٥هـ) .
- ٥- نائب رئيس مجلس إدارة الجمعية التعاونية لمنتجي ومصنعي التمور في المملكة العربية السعودية .
- ٦- عضو مجلس إدارة الغرف التجارية الصناعية بالمدينة المنورة للدورة (١٤١٠-١٤١٤هـ) ورئيس اللجنة الزراعية .
- ٧- عضو مجلس جائزة المدينة المنورة .
- عضو اللجنة الرئيسية لتوطين العمالة (السعودية) في منطقة المدينة المنورة ورئيس فريق إعادة تقييم أعمال السعودية .
- ٨- رئيس لجنة التعليم والشباب .
- ٩- رئيس لجنة المرافق والخدمات العامة .
- ١٠- رئيس لجنة المتابعة والتنسيق لتنمية المحافظات والمراكز الواقعة شرق المدينة المنورة - إلى جانب عضويته في عدة لجان أخرى بالمجلس .
- ١١- عضو مجلس منطقة المدينة المنورة للدورة الثانية (١٤١٨-١٤٢٢هـ) :
 - وهذه إحدى مقالاته :

أنا والإذاعة

كنت ملحقاً ثقافياً في ألمانيا حتى العام ١٣٩١هـ إلى أن أصدر قرار ينقلني منها إلى المملكة تمهيداً لنقل خدماتي إلى وكالة وزارة الداخلية لشؤون الخدمات ، لتعييني رئيساً لبلدية المدينة المنورة، وإبان عرض الموضوع إلى مجلس الوزراء صدرت موافقته على تعييني مديراً عاماً للإذاعة ، وباشرت عملي في اليوم التالي لصدور القرار ، وقمت بجولات ميدانية للتعرف على طبيعة عملي الجديد ، بدءاً من إذاعة جدة ثم إذاعة الرياض فمكة والمدينة والدمام ، وأمام ما شاهدته اتضح لي بأني مقبل على عملية تحد كبير بمختلف تنوعاته وتعقيداته كما وكيفا ، وأني مهما

تزودت من خبرتي السابقة سواء ما كان من ممارساتي في مجالات الثقافة والتعليم في أوروبا ، أو من دراساتي في الإدارة العامة أو العلوم السياسية ، أو من بقائي قرابة اثني عشر عاما دارسا أو مارسا للعمل الثقافي ، كل ذلك لم يكن كافيا لإدارة منشآت إذاعية بذلك الحجم والتعدد، تضم قرابة ألف موظف ومتعاون ، إلا بعد الاعتماد على الله ثم العمل ، والعمل الدؤوب المصابر المسؤول ، فكننت خلال الشهر الأول من تعييني أمكث قرابة ثمان عشرة ساعة يوميا في مبني الإذاعة ، ثم تقلصت تلك المدة إلى اثنتي عشرة ساعة يوميا فيما بعد ، وأحمد الله أني اجتزت عقبة المواجهة تلك ، وتشعب العمل الإذاعي وتقيداته خلال الشهرين الأولين ، ثم أصبح كل شيء بعد ذلك طبيعيا وسلسا .

وكان من قناعاتي الشخصية أن كل رجل طموح يعين في مركز قيادي ويرنو إلى النجاح فيه ، عليه أن يبذل جهودا بناءة مضمّية غي استيعابه ، ثم التمرس على إنجاز كافة المتطلبات اليومية لعمله الوظيفي بأقصى سرعة ممكنة وعلى أحسن وجه ممكن ، ثم عليه أن يضع خطة للإبداع المضاف إلى عمله ، إن كان يريد أن يحقق لعمله ارتقاء ، ولذاته معنى ، وكما علمتني التجربة أيضا أن الموظف الذي يستهدف النجاح في عمله هو الذي يبذل من فائق جهده ويضحى بجل وقته وراحته في سبيل عمله ، ويتزود دوما بفهم أعمق لطبيعة وخصائص وظيفته .

كان العمل اليومي لمدير عام الإذاعة، الإدارة العامة للإذاعات السعودية المتعددة ، وقد كانت تتبع إذاعة جدة آنذاك إذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة ، إضافة إلى بعض البرامج الموجهة باللغات الإسلامية الرئيسية كالتركية والفارسية والأردية وغيرها ، وإذاعتين تبث الأولى باللغة الانجليزية والأخرى باللغة الفرنسية ، كما كانت هناك إذاعات صغيرة في كل من المدينة المنورة والدمام وجيزان ، وبعضها كان موسميا ، وكان لإذاعتي الرياض وجدة أقسام متشابهة ، ثم توحدتا بدءا بدمج نشرات الأخبار لتذاع من الرياض فقط ، بينما ظل إنتاج البرامج على حاله في كلتا الإذاعتين حتى عام ١٣٩٦هـ .

بعد أن اجتزت عقبة استيعاب خصائص العمل الإذاعي اليومي بدأت أفكر فيما بعد ذلك، وأعني تلك المنجزات التي يجب علي تحقيقها لما بعد العمل المطلوب إداريا ، لعمل وتطوير المنشأة الإذاعية نفسها ، وللمستجدات تلك المرحلة من الناحية الإعلامية (١٣٩١-١٣٩٦) ولكون المرافق الإعلامية كانت آنذاك في بداية بناء هياكلها البشرية والفنية المتخصصة التي

تساعد على تحقيق نهضة إعلامية سعودية مرتقبة ، ولكون النخب في المملكة كانت آنذاك تعيش وتتفاعل مع الخطاب السياسي الرسمي الوطني والدولي الذي يتمثل في الدعوة التي رفع شعارها الملك فيصل رحمه الله ، ولكون المملكة بحكم عقيدتها ونظامها تراثها وواقعها لها دور ريادي رئيسي في تضامن العالم الإسلامي ، إذن لابد على كل مسؤول قيادي في نطاق عمله أن يتواكب جهوده واجتهاده لتتواءم مع النهج العام للمستجدات السياسية لبلاده ، لذا كنت أرى أن من واجبي المهني والوطني آنذاك أن يكون للجهاز الإذاعي الذي كنت مسؤولاً عنه بحكم وظيفتي دور إعلاني مسؤول ، فعملت على التوالي علة تحقيق ستة أهداف منيعها واحد ، ومصعبها واحد ، وكل منها يكمل الآخر :

الهدف الأول : تطوير وزيادة نسبة البرامج الإذاعية السياسية الموجهة ، لتتسق طردا مع نهضة البلاد ودعوة التضامن الإسلامي ، وبكل اللغات التي كانت تبثها الإذاعات السعودية آنذاك .

الهدف الثاني : إيجاد إذاعة متخصصة تسير في الاتجاه نفسه ، انطلاقاً من إطار قراني شرعي وثقافة إسلامية مكثفة ، فكانت إذاعة القرآن الكريم في كل من مكة المكرمة والرياض .

الهدف الثالث : في تصوري أنه لا يمكن للإعلام السعودي أن يحقق رسالته الإعلامية على كافة الأصعدة الداخلية والخارجية إلا من خلال إذاعة وتليفزيون وصحافة ، كل منها قوي ومؤثر ، إذن كان لابد من إيجاد مخرجات إعلامية متخصصة تنفقر إليها الأجهزة الإعلامية آنذاك ، فبادرت بفكرة إنشاء قسم جامعي مستقل للإعلام ، ينشأ في أحضان جامعة الملك سعود ويرتبط بها كضرورة ملحة ، لمد أجهزة وزارة الإعلام بكفاءات وطنية مؤهلة ومتخصصة في مختلف شعب الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب ، تنهض برسالة الإعلام السعودي ، (علماً بأنه قد كانت من قبل في الوزارة فكرة إنشاء معهد للإعلام يرتبط بوزارة الإعلام مباشرة منهجياً وإدارة) وافق الوزير وكلفني بتحقيق الهدف ، وفي مجال إعطاء الفضل لأهله فقد كان لوزير المعارف الأسبق الشيخ حسين بن عبدالله آل الشيخ يرحمه الله الفضل من بعد الله حيث منحني دعماً وتفهماً كبيراً لتحقيق تلك المبادرة ، وقد كان رحمه الله وزيراً أجمع متخلف سكان المملكة على حبه واحترامه ، وأذكر يوم دفنه كان الناس يتعازون فيه رحمه الله ، وكذلك لمدير جامعة الملك سعود آنذاك الدكتور عبدالعزيز الفدا الذي ما طراً عائق في سبيل تأسيس

قسم أكاديمي إعلامي إلا ذلله ، كذلك أشيد بالدور الفاعل لفريق العمل المكلف بإنجاز تلك المهمة الرائدة أساتذة الجامعة الأفاضل الذين كان لهم الذين كان لي شرف المساهمة معهم في مناقشات اعتماد المناهج التعليمية وإخراج الموضوع بصفته النهائية تمهيدا لرفعه لمجلس التعليم الأعلى لطلب الموافقة عليه وكنا في سباق مع الزمن لقرب بدء العام الدراسي وبعد صدور موافقة المجلس استبشرنا جميعا خيرا وحمدنا الله على حسن توفيقه .

(وبعد عدة سنوات عممت في أكثر من جامعة الأقسام العلمية) والحمد لله أذكر منهم الأساتذة: د. أحمد الضبيب ود. عزت خطاب ود. منصور الحازمي ود. أحمد خالد البدلي فقد كنا نجتمع في أحد مباني كلية الآداب القديمة في لظى صيف ١٣٩٢هـ فجزاهم الله جميعا خيرا الجزاء .

الهدف الرابع : لكل إذاعات العالم هوية وطنية خاصة يميزها المسمتع عن غيرها من الإذاعات إلا الإذاعة السعودية آنذاك ، فقد كان معظم برامجها الترفيهية والتوجيهية وغيرها ، ومعظم مذياعي نشرة الأخبار تغلب عليهم هوية غير سعودية ، فاستأذنت بإيقاف استيراد الإنتاج الخارجي من جهة ، ومن جهة أخرى تشجيع الإنتاج البرامجي المحلي ، وبعد مرور عام واحد أثبتت التجربة نجاحها وأصبحت معظم البرامج الإذاعية إن لم تكن كلها محلية وبلهجة وطنية .

الهدف الخامس : وكما كان لدول المؤتمر الإسلامي بعد إنشائه تجاوب من الدول الإسلامية مع رائد فكرة التضامن الإسلامي الملك فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله ، فالسؤال الذي كنت أطرحه في نفسي إلى أن تولدت لدي القناعة بمفاتحة معالي وزير الإعلام آنذاك بشأنه ، وطلبت إليه الإذن بمبادرة من وزارة الإعلام بطلب الموافقة على تأسيس منظمة إعلامية إسلامية تمثل الإعلام الإسلامي المرثي منه والمسموع ، بعد بضعة أيام طلب إلي معالي الوزير إعداد اللازم مرفقا به مشروع النظام التأسيسي للمنظمة المقترحة لرفعه للمقام السامي بالاستئذان ، وتم ذلك في يومه وفي اليوم التالي أتت موافقة الفيصل الشهيد يرحمه على إنشاء منظمة إذاعات الدول الإسلامية ودعوة ممثلين لوزارات الإعلام في الدول الأعضاء في نظمة المؤتمر الإسلامي لمناقشة موضوع إنشائها والموفقة على نظامها ، وبعد ذلك وتحديدًا في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٥ انعقد أول مؤتمر إعلامي للدول الإسلامية وبعد ذلك بثلاثة أشهر انعقد ثانية في جدة ، وتمت الموافقة على إنشاء المنظمة لتكون دعما إعلاميا رئيسا لدعوة التضامن الإسلامي (ولكن تقدرون فتضحك الأقدار) فالمنظمات الإعلامية التي احتضنتها منظمة

المؤتمر الإسلامي تعكس واقعه مع الأسف والله في ذلك حكمة .

والحقيقة أنها لم تكن لتنشأ مثل هذه الأمور وغيرها الكثير مما أنشئ خلال تلك المرحلة (١٣٩٥-١٣٩٥) بعد توفيق الله وعونه لولا أن لقيت ولقي المبادرون غيري الدعم المتواصل من لدن ذلك الرجل الفذ الذي شرفت بالعمل معه وتحت رئاسته مباشرة نصف عقد من الزمن فكان لي نعم الداعم للجهد ، ذلك الرجل الذي كان ذا شفافية متناهية في التعامل ، الرجل الذي كان يمثل إحدى قمم الأدب والعزيمة والتروي وبعد النظر في الإدارة السليمة ، رجل احترمته وأختزن له في ذاكرتي العديد من المواقف الشجاعة المتزنة في اتخاذ القرار والدود عنه، ربطتني به مبادئ المواطنة والنبيل الإخلاص وكان له حق التوقير والاحترام ، فقد كان وطنيا منخلصا وإداريا حكيما ونبيلاً متواضعا ، هكذا عرفت الشيخ ابراهيم العنقري وزير الإعلام السعودي آنذاك الذي احترمت العمل معه فاحترمت له هذه الصفات مجتمعة ومزيدها منها فجزاه الله خيرا على ما أنجز لبلاده .

وأخيرا جاء التاسع من شهر شوال عام ١٣٩٦هـ وتغيرت الوزارة ، وكان سائدا في تلك الأيام أن كل وزير يأتي برجاله ، وكان علي أن أرحل فحملت أوراقي وذكرياتي ورحلت مع من رحل بكل المحبة ورحلت مع كل من رحل بكل المحبة والرضا لأترك المجال لغيري ، واتجهت إلى مجال آخر أكثر إمتاعا بعودتي إلى محبوبتي المدينة المنورة ، لأمضي فيها ما تبقى لي من حياة على أرضها الطاهرة ، وتلك سنة الحياة فلكل زمان دولة ورجال والله الحمد والمن على ما كان وسيكون .

• قلت : أما عن صلة سعادته بأسرة الوادي المبارك ، فكانت أول الأمر تتمثل في علاقات عابرة ، إذ ليس للأسرة مصالح في الثقافة بألمانيا ، فلما تولى أبو ماجد حفظه الله شؤون الإذاعة اتجه إليه نظر الأسرة ، على أمل إقامة جسور بينها وبين الإذاعة ، في أسلوب برامج وأحاديث، فتحقق موضوع الأحاديث لسهولة تنفيذه ، وتأخر الموضوع الأول إلى حين ، وطلبت منه الأسرة الانضمام لعضويتها ، فوافق مشكورا ، وحدث بين الجهتين تعاون ما زلنا نذكره له بكل خير...

٧- عثمان حلمي ساعاتي

• هو عثمان عبد السميع حلمي .

• ولد بقونية بتركيا حوالي عام ١٢٩٦هـ . وتوفي سنة ١٣٩٨هـ بالمدينة المنورة، عن عمر ناهز (١٠٢) عام .

• تلقى تعليمه في قونية ، واستنبول، وكان وحيد أبويه . والتحق بالعسكرية الإجبارية في الجيش العثماني في مدينة بعلبك بلبنان ، ثم نقل إلى المدينة المنورة في عمل عسكري قريب من القائد العام بالمدينة : (فخري باشا) والي المدينة ، في وظيفة أمين سر له ، وبقي كذلك إلى أن سلمت المدينة للأشراف ، فتحول إلى الحياة المدنية ، واستقل بحياته .

• تزوج بالمدينة ، وأنجب أحد عشر ولداً بين ذكور وإناث ، عاش له منهم اثنان من الذكور ، وخمس من البنات .

• ثم عمل مدرساً بمدرسة بشير آغا ، والمدرسة المحمودية ، ثم اشترك مع الأستاذ عمر عادل (١٣١٦هـ - ١٤٢٠هـ) في تأسيس مدرسة النجاح الأهلية ، بشارع العينية ، ثم عاد مرة أخرى للعمل الحر ، فعمل في مهن عديدة ، كان من أهمها إصلاح الساعات ، ومن هنا جاءه لقب (الساعاتي) ، كما عمل في المتاجرة بالعقارات ، واكتسب بسبب ذلك خبرة في المواقع وأنواع العقارات أهلته لتعيينه في لجنة المعرفين (هيئة النظر) بكتابة عدل المدينة ، لتثمين الأملاك وتقويمها.

• واختاره معتمد المعارف بالمدينة المرحوم الأستاذ محمد سعيد دفتردار، مديراً للقسم الداخلي . الذي كان مأوى للطلبة المغتربين بالمدينة لمساعدتهم على إتمام تعليمهم المتوسط والثانوي .

• وأسهم في إنشاء أول مدرسة بنات بالمدينة ، مع الحاج سلطان مرزا باي، والد زوجته ، وكان مقرها باب بصري ، غير أن المدرسة لم تلق القبول المتوقع -فيما يبدو- ولذا حول الحاج سلطان مقرها إلى وقف كان الأستاذ عثمان يعلم فيه مادة التفسير باللغة التركية ، من بعد صلاة المغرب إلى العشاء . بالإضافة إلى عمله مدرساً لأصول الخط العربي بالمدرسة الفهدية ، والمدرسة المنصورية .

• وكان له نشاط أدبي ملموس ، وفيما يلي نموذج لكتابته منقول عن مجلة المنهل بعنوان (كلمة الله هي العليا)، نشر في ثلاثة أعداد متفرقة ، ونصه :

كلمة الله هي العليا^(١)

- ١ -

كيف لا ؛ وهي كلمة رب العالمين . كلمة العزيز الحكيم .

يمكن البحث عن الصوت والحرف وكيفية تكونهما من تجمّع الهواء المنضغط عند إخراج النفس من داخل الصدر إلى خارج الصدر إلى الخارج ، وحس اللسان في المحابس المعينة (أي المخارج) وبإزالة ذلك الحبس . فتتولد الحروف .

ويمكن البحث عن الكلمة من جهة الاشتقاق ونوعه ، وإن تركيب الكاف واللام والميم بحسب تصرفاتها الممكنة تفيد القوة والشدة ، ومنه الكلام ، لأنه يقرع السمع ويؤثر فيه ، ويؤثر في الذهن بواسطة إفادة المعنى المروم .

وكذلك يمكن البحث عن الحكمة في وضع الألفاظ للمعاني ، وهي أن الإنسان خلق غير مستطيع أن يستقل بتحصيل جميع مهماته ، فاحتاج إلى أن يعرف غيره ما في ضميره ، ليتمكن الاستعانة به ، ولابد لهذا التعريف من وسائط ، والوسائط كثيرة ، مثل الكتابة والإشارة والتصفيق باليد والحركة بسائر الأعضاء ، إلا أن أسهلها وأحسنها هو تعريف ما في القلوب بهذه الألفاظ ؛ فإن النفس عند الإخراج سبب لحدوث الصوت ، والأصوات عند تقطيعاتها أسباب لحدوث الحروف المختلفة ؛ فتحصل من غير كلفة ولا احتياج لمعونة ، بخلاف الكتابة والإشارة وغيرهما ، ولأن هذه الأصوات كما توجد تفنى في الحال ، فعند الاحتياج وال لزوم تحصل ، وعند زوال الحاجة تضمحل .. ولم أقصد كل هذه الأبحاث ، بل أن غرضي أن أقول : إن لفظ الكلمة جاء في القرآن لفهومين آخرين :

الأول : أنه يقال : عيسى كلمة الله ، إما لأنه حدث بقوله : كن ، أو لأنه حدث في ظرف قليل من الزمن كما تحدث الكلمة .

والثاني : أن الله تعالى سمي أفعاله كلمات الله كما قال : ﴿ قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ الكهف .

والسبب في هذا أيضاً الوجهان المذكوران آنفاً . كان الله ولم يكن معه شيء ؛ وكان كل شيء

(١) ١٢ ج١ ، ص ٣٥ .

في العدم ، فأراد الله سبحانه إيجاد العالم من العدم فقال : كن ، فوجد العالم كما أراد على أبداع شكل ، ووضع نواميس وسنناً يحير العقول إدراك آثارها ، ولا تتغير : كلمة الله هي العليا : ثم خلق آدم في أحسن تقويم وعلمه الأسماء وأسجد له الملائكة فسجدوا إلا إبليس ، قال : أنا خير منه ، فحبط عمله من قبل فصار رجيماً : كلمة الله هي العليا !

أرسل نوحاً عليه السلام ودعا قومه ، فلم يؤمن به إلا من ذكر في القرآن ، فأرسل الطوفان وأنجى من في السفينة وأغرق الآخرين : كلمة الله هي العليا !

ثم دعا هود عليه السلام قومه عاداً ، فلم يؤمنوا به ولم يخافوا عذاب الله ، وقالوا : من أشد منا قوة ؟ فأهلكهم بريح صرصر عاتية : كلمة الله هي العليا !

وجاء صالح عليه السلام إلى ثمود ، فعتوا عن أمر ربهم ، فأهلكهم بصيحة ، ولم تغنهم عنها بيوتهم المنحوتة من الجبال ، فإلى يومنا هذا صارت عبرة : كلمة الله هي العليا !

وألقي إبراهيم عليه السلام في النار حينما جعل الأصنام جذاذاً ، فقال الله : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ، ونجاه من النار وأهلك عدوه ، كما جعل ديار قوم لوط عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل : كلمة الله هي العليا !

وهذا موسى عليه السلام كان فرعون يدعى الألوهية ويقتل أبناء بني إسرائيل ، ومع ذلك التقطه ورباه ، فلما أرسله الله إليه ودعاه إلى الإيمان كابر بعد ما رأى الآيات العديدة ، فأخرجه الله مع قومه من مصر وأغرقهم في البحر ، ونجى موسى ومن معه : كلمة الله هي العليا !

ثم أرسل عيسى صلوات الله على نبينا وعليه ، فأراد اليهود قتله ، فشبه عليهم وما قتلوه وما صلبوه بل رفعه الله إليه : كلمة الله هي العليا !

كلمة الله هي العليا^(١)

- ٢ -

وكم أرسل رسلاً إلى أمم قص علينا سير بعضهم ، ولم يقصص بعضاً ؛ فمن آمن منهم برسله فاز

(١) ١٢، ج ٧، ص ١٧ .

ونحيا ، ومن كفر أخذ أخذة واحدة ؛ قال تعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ ، وقد كان الأنبياء في عناية ربانية خاصة ؛ ولما بعث الله خاتمهم سيدنا محمد ﷺ تعاقد كفار قريش على قتله ، فأمره الله أن يخرج هو وأبو بكر أول الليل إلى الغار ، وهو ثقب عظيم في جبل ثور على مسيرة ساعة من مكة ، وأمر النبي ﷺ ، علياً أن يضطجع في فراشه ، ليمتعهم السواد من طلبه ، حتى يبلغ هو وصاحبه إلى ما أمره الله به ، فلما وصلا إلى الغار ، دخل أبو بكر أولاً يتحسس ما فيه ، فقال النبي ﷺ : مالك ؟ فقال : بأبي أنت وأمي ؟ الغيران مأوى السباع والهوام . فإن كان فيه شيء كان بي لا بك . وكان في الغار حجر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله . وطلب المشركون الأثر واقتربوا من فم الغار . فبكى الصديق خوفاً على الرسول ﷺ . وقال له : إن نصَّب اليوم ذهب دين الله ! فقال عليه السلام : لا تحزن إن الله معنا . فقال أبو بكر : إن الله لمعنا ؟ فقال نعم ! فجعل يمسح الدموع على خده . ولما صعد المشركون فوق الغار قال رسول الله ﷺ : اللهم أعم أبصارهم . فصاروا يترددون حول الغار ولا يرون أحداً : ﴿ إن لا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾ ثم قدم رسول الله ﷺ ومن معه في أول برج الميزان من تلك السنة إلى المدينة ، إلى هذه البلدة فأوأم أهلها ، ثم التحق به المؤمنون من مكة ، واجتمع جند الله : المهاجرون والأنصار ؛ لإعلاء كلمة الله فإنهم حزب الله ، ووقعت غزوة بدر ، فنصرهم ربهم بملائكة من السماء ، وجاهدوا من بعدها في الله حق جهاده ، وشاهدوا بأعينهم ؛ وأيقنوا بقلوبهم أن كلمة الله هي العليا ؛ وجعلهم حزبه ، ليمن عليهم ؛ فإنه غني عن العالمين ، غني عن الجنود ، غني عن الحزب ، بل الأرض جميعاً قبضته ، ولولا فضله لما ارتد الأعداء يوم أحد ، ولما انهزم الأحزاب يوم الأحزاب ، يوم اجتمعوا وأجمعوا أمرهم لاستئصال المسلمين ، ولولا نصره العزيز لما فتحت مكة بدون تضحية ألوف من جيوش المسلمين ، ولولا تأييده لما دخلوها دخول الظافرين أمتين . بالأمس كانت قريش تستسهل قتل الرسول ، لأنه كان رجلاً واحداً ، واليوم أصبحوا عتقاء ، وحطم آلهتهم وهم ينظرون ، وكذلك لولا نعمة الله على حزبه المتقين لما دفع الشر عنهم يوم حنين . إلا أن كلمة الله هي العليا !

وبعد: فلو كانت الشمس تعلق دائما في فلك غير متناه، لقلت من طريق التقريب؛ لا من طريق التمثيل والتشبيه، فله المثل الأعلى: إن كلمة الله كالشمس، فكما تتسامى كلمة الله وشهدها من مضي من الأمم السالفين، كذلك أنزل الله على رسولنا المصطفى كلمة خالدة، ليشهد علوها ويستيقن بسموها من يحيى هذه الأرض، وتلك هي هذا القرآن المجيد، نور المؤمنين؛ وما قدره حق قدره، ولقد اعترفوا بالعجز عن الإحاطة بناموس أسرارهِ، ولقد شمر المستشرقون الأوروبيون عن ساعد البحث والتنقيب لينالوا شيئاً ينافي قدسيته وعلوه، فرجعوا خائبين وولوا مندحرين، وعلموا أنه من عند الله، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ فالقرآن كما هو معجزة من ناحية الفصاحة والبلاغة اللتين أعجزتا فصحاء العرب ومصاقعهم، كذلك هو معجزة من جهات أخرى، لا يمكن لإنسان الإحاطة بها، وإن يكن من أكبر العلماء، وأحذق الفلاسفة، وأعظم المؤرخين، وأدهى السياسيين، فإنه إذا تأمل فيه نقدة الكلام وصيارفة الفكر، وتدبروا أساليبه ومحتوياته، تجلّى لهم أن هذا القرآن قد امتاز بخواص جليلة، وصفات نبيلة، لا يمكن اجتماعها في كلام مجموع، مهما تأتق فيه واضعه ومهما اتسع اطلاعه على أخبار الماضي، وحوادث الحاضر، ومخبات المستقبل، ومهما درس أحوال الأمم في شؤونها أجمع، ومهما أحاط بالفنون والآداب والحكم والسياسات، ومهما تحرى في عدم المناقضة والتضارب والاختلاف؛ ومهما دقق في اختيار أعلى الأساليب وأروعها، اللهم إلا أن يكون القائل هو الله سبحانه وتعالى القادر على ذلك كله.

إننا نجد هذا القرآن يخبر عن غيوب مستقبلية، وتحجى طبق أخباره، كوعده المسلمين بدخول مكة آمنين، وإخباره بغلبة الروم في أدنى الأرض، فجاء الأمران طبق ما به نوه، كما نجده يقص علينا أخبار الأولين وسير المتقدمين كما هي؛ حكاية من شاهدها وخبرها، كما رأينا يخبر عن ما يستكن في الضمائر من غير أن يبديه أصحابه بقول أو فعل، كما يعلم عن حوادث حصلت لبعض أصحاب النبي ولبعض أعدائه؛ وهو مع اتساع مجاله في كل فن من أخبار وأحكام ومواعظ وأمثال وأخلاق وآداب وترغيب وترهيب ومدح والأخبار وذم الفجار، والدعوة إلى اعتناق مكارم الأخلاق، وانتباز مساوئها؛ وإقامة البراهين على وجود الباري، جل وعلا وحدانيته، وعلى الحشر والنشر، ووصف دار التعليم والتشويق إليها، ونعت والجحيم والتنفير منها ببيان أهوالها. إلى وصف عالم السموات؛ وتبيان ما في العالم العلوي من الآيات الدالة

على عظمة الخالق وقدرته ، من كواكب سيارة وغيره سيارة، وسحب وبروق ورعود ؛ إلى وصف الأرض وجبالها ، وديانها وأكامها ؛ وبراريها وبحارها وينابيعها وأنهارها وما اشتملت عليه من معادن ونباتات ، وما دب عليها من حيوانات ، وما يغشاها من ظلمات وأنوار ورياح ، فلم يبق القرآن علماً من علوم الأوائل والأواخر إلا صرح به وأشار إليه في أساليب شائقة متنوعة ، وطرائق مبتدعة ، ولم يقع فيه تناقض ولم يتخلله تعارض ، وخلا من جميع العيوب ، واعتلا بأسلوبه ومعناه عن كل أسلوب ، فليس له مثال احتذاه ، ولا إمام قلده ، وليس هو من القصائد العربية ولا من الخطب البدوية ؛ ومع ذلك تراه مستحسناً في العقول النيرة ، ولقد فتح الله به أذاناً وقلوباً عمياً ، وقصارى القول : إن كلمة الله هي العليا؛ صدق الله العظيم .

كلمة الله هي العليا^(١)

- ٣ -

لما أشرقت الأرض بنور القرآن ، تبين الناس أسباب سعادتهم ، من توحيد وتقوى وعدل وإحسان ، فإن الله تعالى قال - وكلمته هي العليا - : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ، فمن وحد الله في ربوبيته وألوهيته ، فقد سعد بإظهار فطرته ، ومن أشرك فقد خسر بظلم نفسه وظلم غيره، ويشبه حال الأول مسافراً يحمل جواز دولة أخرى ، فهو في أمن وأطمئنان ؛ ويشبه حال الثاني ، مسافراً يحمل جوازين أو ثلاثة لدول متعددة فويل له إذا عثر عليه ... ومن قال : هو الله أحد، فلن يحتج عليه أحد ولن يغلبه، وبرهانه كل شيء ، ومن قال غير ذلك فمردود عليه قوله؛ وليس له عليه برهان . ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلْيَنْقِبْ لَهُ مِنْ يَدَيْهِ ، لَا يَقْبَلَهُ اللَّهُ وَلَا يُقْبَلُ مِنْ يَعْقِلُ . ﴾

فإن كان القائل يهودياً وقال : عزير ابن الله ، يرد عليه قول الله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾ فبماذا يثبت اليهودي خلاف ذلك ؟! وإن كان نصرانياً وقال : المسيح ثالث ثلاثة ، فهل ينكر أنه وأمه كانا يأكلان الطعام ، وهذه هي صفة العبودية، وأنى لهما الألوهية؟ وإن كانا مجوسياً، وقال بالنور والظلمة ، فيقال له : النور والظلمة مخلوقات بالمشاهدة فكيف

(١) ١٢، ج ٧، ص ٦.

تتخذون المخلوق معبوداً: ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ .

وأما الصابغ حينما يعبد الملائكة، فهو إنما يعبد عباداً، فإنهم عباد مكرمون والعبد لا يكون إلهاً. وأما المنتجم الذي ينسب التأثير للكواكب رأساً لا إلى الله الذي خلقها وسخرها فهو كمن يقول للمخترعات الحاضرة، إنها مصنوعات المكائن!! فهو لا يفرق بين المقهور والقاهر: ﴿ اسجدوا لله الذي خلقهن ﴾ .

وإن كان طبيعياً ينسب التأثير إلى الطبيعة، فهلا يخرس لسانه إذا تلى عليه قول الله: ﴿ ثمرات مختلفاً ألوانها ﴾، وقوله: ﴿ تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾، وإذا انتصب أمام عينيه اختلاف الأشكال والألوان والزروع والطعوم والروائح والمنافع والمضار مع وحدة التربة والماء. أم يقول: إن هذا الاختلاف، وهذا التفاضل هو من عمل الطبيعة أيضاً، وهذا مع اتفاق الطبيعتين على عدم التخالف فيها!.

وأما الموحد فهو على نور من ربه، يدرك الحقائق، ويقول: عزيز عبد الله، والمسيح كلمته، والنور والظلمة والملائكة والأرض وما عليها وطبائعها وخواصها، والسماء وما فيها وما ينزل بينهما، كلها أثر قدرة الله الواحد القهار الذي لا شريك له ولا منازع وقد ظهر في الوجود ما أراد الله خلقه، ولو أراد لأفناهم في لحظة واحدة، فلا يستحق سواه العبادة، ولهذا ترى الموحد يعبد الله وحده ويدعوه، ويرجوه ولا يخشى أحداً غيره ويتوكل عليه، ويقفوض أمره إليه، ويرضى بما يجريه عليه، ويشرح صدره ويستريح باله بما يسره له، وإذا أنعم عليه شكره، ويقرأ إذا ذاك قوله تعالى: ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾؛ وإذا أصابته مصيبة قال: هذا ما كتب علي ربي.. إنا لله وإنا إليه راجعون، وهو بهذا كله سعيد في الدنيا وسعيد في الآخرة، لأنه قد وصل إلى درجة من العلم والاعتقاد واستنارة البصيرة لم يصل إليها علم أكبر العلماء في أوروبا أو أمريكا؛ ولم يصلوا إليها إلا إذا أسلموا كإسلامه. وإن علماء أوروبا وأمريكا اليوم على وشك الاعتراف بوحدانية الله تعالى، لأنهم نظروا في العالم واكتشفوا حقائق، وبحثوا عن الماهيات، ودققوا واطلعوا، فأيقنوا أن منتهى الأمر يستند إلى ما فوق الطبيعة، فلم يبق لهم إلا أن يقولوا: هو الله، ويومئذ تصبح الأرض أرض التوحيد، ويرى أهلها هلاله، ويجدون المسلمين قد سبقوهم

ورأوا بذرہ (القرن الرابع عشر من التوحيد)، ويودون حينئذ لو أن أم الأرض قاطبة آمنوا في العصر الأول، كما آمن المسلمون ، وعمروا الأرض بيد واحدة؛ فكانت الحضارة الحقيقية الفاضلة مستقرة في الكرة الأرضية. وإن علماء أوروبا جربوا نقد ديننا الخفيف ولكنهم في آخر الأمر، وجدوه الحقيقة السماوية الصافية الصالحة لكل زمان ومكان، ولهذا صاروا ينتظرون الظروف المساعدة لتطهير ملهم من خرافة التثليث، استعداداً للدخول في السلم كافة بإجابة دعوة الداعي بـ: ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلى الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾.

ولا يستهوين أحداً ما بلغت إليه أم الغرب من عمران باذخ ورقى شامخ مع كونهم غير موحدين، فإنهم ما داموا يخاف بعضهم بأس بعض حتى يسبب الاختلاف في أصول التثليث، وما دام كل منهم يستعد بصنائعه لمحو الآخرين فهم كل يوم يقتربون من الدمار أكثر من اتصالهم بالتمدن (وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون) .

٨- عبد الحميد عنبر :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٢٦هـ، وتوفي في حادث سيارة سنة ١٣٩٣هـ، ورثه الشاعر عبد الحق نقشبندي ، لما كانت تربطه به من صداقة وقراءة ، بقصيدة منها :

أبكيك يا عبد الحميد يا أيها الخللُ الفريد
قد كنت أوثر أن أراك تعيش في عمرٍ مديد
لتزفَ نعثي أولاً وأكون قبلاً أنا الفقيد

وكغيره من أبناء جيله ، تلقى تعليمه في الكتاتيب ، ثم التحق بالمدرسة الأميرية (الناصرية) ، ثم بمدرسة العلوم الشرعية، وحصل منها على الشهادة العالية ، وبعد تخرجه عمل فيها مدرساً لمدة سنتين ، وانتقل إلى الأعمال الحكومية ، إلى أن عُيِّن عضواً في مجلس الشورى .

وقد تعرض في أول حياته إلى مغادرة المدينة في (سَفَرٍ بَرِّك) ، فكان من المهجرين إلى الشام ، ثم عادت به أسرته إلى المدينة بعد أن هدأت الحياة فيها .

وهو من كُتَّاب مجلة المنهل الأوائل ، يكتب المقالة ، وينظم الشعر ، وقد جمعت ابنته (حياة)

شعره في ديوان صغير بعنوان (اللجين المذاب) .

وفي سنة ١٣٨١هـ كتب عبد الحميد عنبر مقالا بعنوان (مجلس الشورى في واقعه وفي أذهان الناس) أثار إعجاب الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي ، وحمله على كتابة التالفة المنشورة في مجلة المنهل (م٢٢/ ذو القعدة ١٣٨١) :

قال جامع الديوان : إن عبد الحميد رد عليه بالأبيات التالية لكنه نسي أن يشبها .

وفيما يلي مقالان بما كان نشره في مجلة (المنهل) .

عبد الحميد العنبر طيبٌ ومسيكٌ أذفر
يزهو البيمان بسحره وكأنها هويسحر
الدر منه نظيمه والفصل ما هوينشر
إني لأحسبه فتى مهماته هادي يخطر
وهو المسدس سنه ونشاطه يتفجر
حلوا الحديث محبب وبه المحابر تحبر
أكرم به من كاتب أو خاطب يتخطر..!
ما قال فهو سميه (عبد الحميد) الأشهر
(وابن المقفع) نده ولوانه هو أكبر

الأول: بعنوان هل يخفق الأديب في الحياة؟ ولماذا؟! (م١ / ج٢ / ١١ / ص ٣٠ ، ونصه :

هل يخفق الأديب في الحياة؟ ولماذا؟! (١)

رغبت إلى مجلة « المنهل » الغراء أن أكتب لها كلمات تحت هذا العنوان ، والعنوان، كما يرى

(١) م١ ، ج٢ / ١١ ، ص ٣٠ . طلبنا إلى الأستاذ عبد الحميد عنبر أن يوافينا برأيه في هذا الموضوع الطريف فكتب مقاله الممتع المنصور فيما يلي: كما رغبتنا إلى أحد أدبائنا أن يدلي برأيه في هذا الموضوع أيضاً فوافانا بمقالة القسم المنشور فيما بعد وسيرى القارئ في هذين المقالين رأيين مختلفين له أن يجذب منهما ما يشاء. (المحرر)

القارئ الكريم - يحكم على الأديب المسكين بالإخفاق في الحياة ، ونحن إذا أردنا أن نتفلسف مع « مجلة المنهل الغراء » قلنا : إن إدارة مجلة المنهل كانت تقصر نظرها فيما حولها ، حيث قدر لها أن تختار هذا العنوان . فجاء منتزعاً من هذا الماحول ؛ ومنطبقاً عام الانطباق على من نسميهم الأدباء في حجازنا المقدس .

وذلك في نظري ليس سببه الأدب ، كما يتوهم لأول مرة من معنى هذا العنوان ، بل السبب الحقيقي - كما أظن - هو هذا الغلط في التسمية ، أو التساهل فيها ، فلو أردت أن تسأل هؤلاء الذين يمنحون لفظ الأديب عن علة هذا المنح وسببه ، لأجابوك أن هذا الأديب قد كتب في الجرائد والمجلات واستطاع أن يجلب النظر إليه ، بل هو سوف يستطيع أن ينال مركزاً ممتازاً من الوظائف التي يحوم حولها الناس . إذاً فالأدب في الحجاز هو الكتابة في الجرائد والمجلات ، وهي محاولة لجلب نظر الناس ، ولنبيل المركز الممتاز الذي يحوم حوله الناس ، وبعبارة مختصرة : الأدب في الحجاز هو إعلام عن النفس ووسيلة إلى الغرض ، لذلك نرى كثيراً من الشباب الطموح يبدأ حياته بمطالعة الصحف والمجلات ثم بكتابة المقالات وصوغ القصائد ، حتى إذا ما ساعده الحظ ، ونال ما كان يمني به نفسه حمد المسرى ، واقتنع بأن مهمته الأدبية قد انتهت أمرها ؛ ونسي الأدب ؛ وتسلى عن الانتساب إليه ، وإن لم يساعده هذا الحظ فهو أديب من يوم أن انتسب إلى الأدب إلى يوم يموت ؛ وبضاعته فيه هي هي ، لا تزيد ولا تنقص من يوم أن انتسب إلى الأدب إلى يوم يموت ؛ ثم هو ساخط على الأدب ؛ ومن دل عليه ..

ونرى كثيراً من الشباب الذين يتوهمون أن النزول في ميدان العمل ؛ فيه نزول عن المركز اللائق الذي صورته في أمخاخهم البيئة والتقاليد ، يلجأون إلى مطالعة الجرائد والمجلات ويحاولون كتابة المقالات ليمنحوا لقب الأديب ، فيتلذذون بالوهم الكاذب الذي يتصورونه في لفظ الأديب ، حتى أصبح لفظ الأدب ملجأ للكسالى والعاطلين ، كما أصبح لفظ الطلبة في بعض المساجد والتكايا ستاراً للعاطلين الذين نبذتهم الحياة لضعف تربيتهم ، ووهن في أخلاقهم ؛ فهم من الطلبة من يوم ينتسبون إلى الحلقات إلى يوم يموتون .

فإذا صحت فلسفتي مع « مجلتنا الغراء » وكانت تسألني عن سبب إخفاق هذا الأديب الذي وصفت ، فإني مجيبها بأن سبب إخفاقه هو هذا التفسير المغلوط للأدب ، والاعتقاد بأنه وسيلة لا غاية ، يلتجئ إليها الشباب لتكون طريقاً إلى الغرض الذي يطمح إليه .

ثم إذا دام تفسير الأدب عند شباب الحجاز على هذا النحو ؛ فإن الحجاز سوف يفقد الأدب إلى زمن لا ندري مداه . ولعلي بعد هذا مطالب بتعريف الأديب الصحيح . وهل هو مخفق في هذه الحياة أم ناجح ؟

لا أشك بل لا يشك كل مطلع على الأدب القديم والحديث ؛ أن الأدباء في كل زمان ومكان هم من أرقى طبقات الناس ، ومن أحفظها بالتمتع بالشهرة والخلود ، فالخيام وأبو العلاء وكارليل ، وغيرهم من الأدباء المتقدمين مثل الجاحظ وجوته وابن الرومي وشكسبير ، قد خلدوا على مر الدهور ؛ ثم أنه ما لا شك فيه أن أكثرهم نال من الشهرة في حياته ما لم يستطع معاصرهم أن يناله ، ومن المال ما يسمح لهم أن يعيشوا عيشة رغد وهناء ، أما ما نال بعضهم ، وهو الأقل ، من الضغط في حياتهم فذلك ليس سببه الأدب ، ولكن سببه المنافسة الساقطة في بعض الأحيان ، والجور الغشم من الحكام في أحيان أخرى ، مما كان لا يخلو منه زمان من تلك الأزمان ، ومع ذلك فإن الأدب هو الغالب في كل الأحيان .. وأدباء عصرنا اليوم أكثر تقريراً وعناية من الناس بطبيعة الحال التي اقتضاها توسع نطاق العلم ، وكثرة القراء للآثار الأدبية التي ينتهجها الأدباء ، فبرناردشو واميل لودفيج وطاقور وإقبال والزيات والمازني وأحمد أمين والعقاد وهيكمل وطه حسين وغيرهم من أدباء هذا الجيل ، يتمتعون بمكانة قل أن يحلم بها حتى الملوك ، ويضاف إلى ذلك غناء مادي يرفعهم كثيراً عن غيرهم من الناس ، وهذا كما ترى لا يمكن أن يسمى إخفاقاً إذا لم يرد بالإخفاق كنز الذهب واقتناء القصور .

على أن الوصول إلى درجة أديب ليس بالأمر السهل ، فهو يستدعي زمناً طويلاً ودراسة عميقة متسعة أطول وأكثر مما يستدعيه أي فن أو علم آخر ، فقد فرض المتقدمون على الأديب أن يكون ملماً بشتى العلوم ، متمكناً من فنون القول ، قابضاً على ناصية اللغة ، وذلك في زمن كانت فيه نظريات العلوم محدودة ، ورجاله قليلين ، يسهل حصرهم ولا يصعب سبقتهم . أما اليوم وقد انتشرت العلوم والفنون ، وأصبح من المحتم على عوام الناس أن يكونوا ملهمين بما تقتضيه واجبات حاجياتهم ، ليعيشوا مع الناس ، فما بالك بالجهد الذي يتطلبه الأديب الذي هو مطالب أن يفوق درجة العوام في العلوم ونواحي التفكير هذا إذا تمسنا مع هذا التعريف القديم ، أما إذا أراد القراء أن يعرفوا تعريفني الخاص فإني أسوقه على هذا النحو : « الأديب هو الإنسان الممتاز الذي هيأته الفطرة للبحث والتنقيب ، ووهبته جلدًا على المداومة والاستمرار

في استجلاء صفحة الكون منذ نشأة التاريخ ، ثم هو بعد ذلك قد كرس جهوده الخاصة في دراسة أحوال أمته الاجتماعية ، والسياسية والاقتصادية ، منذ نشأة تاريخ هذه الأمة إلى اليوم الذي هو فيه ، وكون لنفسه رأياً شخصياً خاصاً عن كل عصر من عصور هذا التاريخ ، وبذلك يكون في نفسه ملكة يقتدر بها على عرض حياة جيله الذي عاش فيه بصورة صحيحة صادقة إلى الأجيال التي بعده ، ويكون في ذلك محافظاً على شخصيته وطابعه الخاص ، ولا بد للأديب الممتاز أن يكون عارفاً بتاريخ أمة أخرى عريقة في الحضارة والتقدم ، ليستطيع أن يوازن بين حياة أمته وحياتها ، ويظهر مواطن الضعف فيها ، وهذا بالطبع يستلزم إتقانه للغة تلك الأمة كل الإتقان . وهذه نهاية لا يصلها المجد إلا وقد اكتهل أو كاد ، وكثيراً ما يدركه الغناء ولم يدرك هذه الغاية ، ولذلك كان عدد الأدباء في كل زمان ومكان نادراً بل لا مناسبة له مع العلماء والفنانين الآخرين ، فعدد الأدباء في مصر في الوقت الحاضر - رغم هذا الإنتاج الضخم التي تنوح به مطابع مصر ورغم هذه الجرائد والمجلات التي لا تدخل تحت حصر - لا يتجاوز الستة أو السبعة ، كما يقول الأستاذ الزيات في مجلة الرسالة الغراء عدد ٢٠٦ ، ثم هو متشكك فيمن يخلقه إذا امتدت إليهم يد المنية لا سمح الله ، وكذلك قل في عدد الأدباء في كل أمة من الأمم . وطبقاً على هذه القاعدة لو أردنا أن نستعرض حياة أديب من هؤلاء الأدباء الذين جرى ذكرهم في هذا المقال ، ليتحقق القارئ أن جهد الأديب جهد لا يدخل في طاقة العاديين من البشر ، ولا بد له من ميزات تخصه وترتفع به حتى يتمكن من أداء الرسالة التي ينتدب لها في هذا الحياة ، فمؤرخو كارليل يقولون : إنه بعد أن تخرج من جامعة أدنبره اهتمت التعليم مدة ، ثم تركه إلى قرية نائية انكب فيها على الدراسة سنين طويلة كادت تؤدي بحياته ، ولولا رافة زوجته وسهرها لقضى ، وحرّم العالم من ذلك الأديب الكبير . وكذلك قل عن كل أولئك الأدباء في الكد والتحصيل السالفين منهم والمعاصرين ^(١) .

على أنه مما لا شك فيه أن الأديب يتكون في الأمة الحية في نصف المدة التي يتكون فيها الأديب في الأمة المتأخرة ، ذلك أن الأديب إنما يكتسب قوته وحيويته من الرأي العام متى كان مستنيراً ورجال الدولة متى كانوا من الذين يقدرّون الرسائل الأدبية ، ويعرفون مدى رفعها لمكانة الأمة التاريخية والاجتماعية شجعوا الأفراد الذين يتوسمون فيهم فطرة الأديب ؛ وسهلوا لهم سبل

(١) انظر مقال الأستاذ المازني في الرسالة تحت عنوان «الزديب وتحصيله»، عدد ٢٠٧ .

العيش والراحة ، ليظمتنوا ويقوموا بدراساتهم في جو هادئ . والألم المتأخرة تحارب المواهب في الأديب وتقتل فيه النشأة الحرة وتعرقل سبيله إلى المطالعة والدروس ، ولذلك قلما يعرف الأديب في الأمة المتأخرة ؛ وإذا وجد رغم كل تلك العوائق فإنه بلا شك آخذ بيد أمته إلى سبيل التقدم ، ومورثها صفحة بيضاء في صفحات تاريخها .

وبعد فهذه نظرات مستعجلة وآراء مبعة ما كنت لأرضى بتقديمها للقراء في مثل هذا البحث المستعجل لولا إصرار « مجلة المنهل الغراء » على إيجابتها في الكتابة في عددها الممتاز وفقها الله وسدد خطاها ،،

والثاني: بعنوان هل من مظاهر النهضة بالمدينة المنورة (م ٧ / ج ١ / ص ٣١ ، ونصه :

من مظاهر النهضة في المدينة المنورة^(١)

لا يسع المتتبع لتاريخ النهضة الحديثة في المملكة العربية السعودية إلا أن يعترف بحق شباب المدينة في تكوينها وتغذيتها بما يملكون من قوة وحيوية وشباب ، فممن أن دوى في أم القرى صوت الأستاذ الصبان قائلاً : لقد نادانا الواجب فلبينا ، ودعانا الوطن فأجبنا . منذ أن أهاب بالشباب الحجازي ليؤدي مهمته الوطنية تقدم شباب المدينة مدفوعاً نحو واجبه في رفع شأن أمته وبلاده ، فما كنت ترى إلا شباباً متحمساً يروح ويغدو جاهداً في تسويد المقالات العلمية والأدبية في الصحف ، منشأً أندية الثقافة والأدب ، فكان الحفل الأدبي وجماعة المحاضرات ، وكان لتلك المحاضرات العلمية والأدبية أثرها الموفق الطيب في توجيه النشء الجديد نحو العلوم والآداب ، واطراد هذا التقدم ، فظهرت في عالم الصحافة مجلة المنهل وجريدة المدينة ، وبرز في عالم التأليف والشعر والأدب شباب هو اليوم من خيرة رجال النهضة الحديثة ، وقد دفع حب بعضهم لبلادهم إلى الهجرة إلى أم القرى حيث المجال أوسع والحاجة أمس فبدا نجم الأنصاري ، وضياء رجب ، وأمين مدني ، ومحمد زيدان وغيرهم في معرك النهوض في أم القرى فكانوا من المبرزين .

وكان من أثر هذه النهضة في دور العلم بالمدينة أن نشأت دار العلوم الشرعية ودار الأيتام ودار الصناعة والنسج ومدارس التهذيب والمحافظة على القرآن الكريم ، وغيرها من المنشآت العلمية الحديثة . ولقد تفضل صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فشمّل هذه الدور العلمية والصناعية

بعطفه ، وتفضل رجال فحدوا حذوه ، فأثمرت هذه الدور ثمراتها الطيبة بفضل الله ، ثم بجهد أبنائها وتشجيع صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ورجال حكومته ، وهذه مبانيتها الشامخة اليوم العلمية والصناعية تملأ العين بهجة ورضى ، والقلب اطمئناناً وسروراً ، وتنادي بجلال العلم والعمل ، وتشير بمجدها إلى جهاد المخلصين من رجالات المدينة الناهضين .

ولا يسع منصفاً أن يهمل ما أسدته حكومة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم من أباد بيضاء على هذه النهضة المباركة ، حيث شملت بعطفها الناهضين بها ووضعتها تحت رعايتها ، ثم إن حكومة صاحب الجلالة قد غدت هذه النهضة بمدارسها التحضيرية والابتدائية ، وعينت في الحرم الشريف النبوي مدرسين أكفيا ، وخصصت الحكومة للطلبة رواتب لتعينهم على طلب العلم ، فأخرجت هذه المدارس وهذه الحلقات العلمية للنهضة رجالاً أكفيا اشتركوا في تدعيم بناء النهضة الحديثة .

وقد كان لظروف الحرب مؤثراتها على الحركة العلمية والأدبية في المدينة ، فسببت ركوداً ، فسلّت حركة صحافتها ، وتوقفت عن الصدور جريدة المدينة ومجلة المنهل بسبب انعدام الورق ، كما ظهر أثرها في دور العلم ، فحدث من حركتها وأوقفت بعض الشيء تيار تقدمها .

واليوم وقد انزاح شبح الحرب فإننا نرى الهمم المكبوتة قد انطلقت من عقالها ، فدبت روح القوة والنشاط ، وظهرت آثار العمل في كل ناحية من نواحي الحياة . فهذه دار الأيتام قد اشتغلت في بناء دارها الجديدة بهمة ونشاط لا يعرفان الكلل والفتور ، فلم تمض شهور حتى بدا للعيان هذا البناء الشامخ الذي يلتفت بجميل هندسته وعظمة بنائه نظر كل من أتاحت له زيارة هذا البلد الطيب في هذه الأيام ، وظهرت للعيان المحاولات الجديدة لمدرسة العلوم الشرعية في ترقية شعبها العلمية والصناعية وتزويدها بالنافع المفيد من العلوم والصناعات ، وهذه مدرسة دار الصناعة والنسج وقد أخذت تفكر تفكيراً جدياً في إنشاء أقسام جديدة في مؤسستها وتزويدها بالنافع المفيد من العلوم والصناعات وهكذا في جميع المعاهد والمؤسسات الحكومية منها والأهلية .

أما المشاريع الجديدة التي تعتبر من مظاهر النهضة الحديثة في المدينة والتي هي من مشاريع ما بعد الحرب فهذا البناء الهندسي البديع الذي سيؤسس للمدرسة الثانوية ، والذي هو رمز (٧٣، ج١، ص ٣١) .

ذكرى عودة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم من رحلته الموفقة من البلاد الشقيقة مصر ،
والذي هو رمز الخطوة العلمية الثانية التي خطتها النهضة الحديثة في المدينة في جهادها ، وستأتي
بعدها الخطوة الأخيرة إن شاء الله خطوة الكليات والجامعات .

وظاهرة أخرى جديدة تستحق التسجيل والتقدير هي تأسيس مدرسة الصحراء في المسجد،
فإن مؤسسي هذه المدرسة الأخوين السيد علي وعثمان حافظ قد دلا بهذه الخطوة الحميدة
على أن رجال النهضة الحديثة في المدينة قد تخطوا التفكير المحدود ، فوضعوا في قائمة نهضتهم
القيام بواجب بادية هذا البلد المقدس التي نشأ الدين على أكتاف رجالها الأوفياء المخلصين،
والذين لا بد من نهوضهم لنهوض هذه البلاد نهوضاً صحيحاً كاملاً ، فهم بيت الداء وعلى
تعليمهم وثقيفهم يتوقف الدواء .

وبعد فهذه كلمة مقتضبة عن مظاهر النهضة الحديثة في المدينة أشرف بعرضها للقراء الأعزاء
إجابة لطلب الصديق العزيز الأستاذ الأنصاري للكتابة تحت هذا العنوان الذي عينه في طلبه
للاشتراك معه في القيام بالواجب المقدس ، وإلا فما أنا من رجال هذا الميدان اليوم ، وقد حالت
عنه حوائل ووقفت دوننا إليه عقبات . والله الموفق وهو يهدي السبيل .

٩- محمد الحافظ موسى^(١):

ولد الشيخ محمد الحافظ بن موسى حميد في مدينة رابغ سنة ١٣٣٥ من الهجرة، ونشأ بها
في بيت والده الذي كان يتعاطى العلم والتجارة، وكان على صلة ممتازة بعلماء المدينة المنورة،
كالشيخ الطيب الأنصاري، والشيخ الخضر الشنقيطي، يزورهم ويزورونه، ويتذاكر معهم في
مختلف العلوم، كما كان يغشى بيته بعض العلماء من الحجاج كل عام، حيث كانت رابغ ميناء
ينزل به ويسافر منه كثير من الحجاج، وذلك لوجود ميقات الجحفة فيها .

وهذا الحب للعلم الذي تمكن من قلب والده، جعله يدفع به إلى المدينة لتتاح له فرصة التعلم،
فأودعه عند الشيخ حسن تاج الدين، الذي أدخله في مدرسة العلوم الشرعية لدراسة القرآن
الكريم وتجويده، فحفظه خلال سنة واحدة، مما جعل صاحب المدرسة السيد أحمد الفيض

(١) انظر كتابنا (مدرسة العلوم الشرعية والموقع التاريخي الراشد).

أباي يفتح له المجال لمواصلة الدراسة بالمدرسة، فاستمر فيها إلى أن حصل على شهادتها الابتدائية، ومن ثم انتقل إلى المرحلة العالية بها، ودرس فيها أربع سنوات، وحصل على شهادتها بتفوق لفت نظر أساتذته جميعاً، وذلك سنة ١٣٥٤هـ. وقد أهله هذا التفوق إلى أن تختاره هيئة المدرسة للتدريس فيها، فعين بها مدرساً من شوال ١٣٥٤هـ عقب تخرجه مباشرة، واستمر على ذلك حتى سنة ١٣٧٤هـ. وفي آخر هذه الفترة اشتغل بالتدريس بالمسجد النبوي، حيث كان يدرس فيه اللغة العربية، والفرائض، والحديث.

انتقل سنة ١٣٧٤هـ إلى القضاء بالمحكمة الشرعية بالمدينة، فقام بعمله أحسن قيام، واستمر فيه إلى سنة ١٤٠٢هـ حيث أحيل إلى التقاعد، بعد أن وصل إلى درجة قاضي تمييز.

أشهر مشائخه: السيد أحمد الفيض أباي، الشيخ محمد عبدالله المدني التمكني، والشيخ الطيب الأنصاري، والشيخ أمين الطرابلسي، والشيخ رشيد أحمد. وأجاز له علماء أجلاء منهم الشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ أمين الطرابلسي والشيخ رشيد أحمد، والشيخ الطاهر بن عاشور - شيخ جامع الزيتونة بتونس - والشيخ المحجوب، والشيخ الثعالبي، وغيرهم من علماء المغرب والمشرق. ومن أشهر تلاميذ الشيخ البارزين العلماء والأدباء: عبد العزيز الربيع - ماجد الحسيني - أمين عبدالله - محمد العامر المريح - محمد هاشم رشيد - علي عويضة - حمزة قاسم - عمر محمد فلاحة - الفريق الطيب التونسي، وأخوانه عبدالرحمن، ومكي - وعلي حسن الشاعر - وأسامة عبد الرحمن. كما درس عنده بعض الوقت بالمسجد النبوي كل من: أبو بكر الجزائري - محمد العيد الخطراوي - حماد الأنصاري - محمد ثاني علي.

أسهم الشيخ في الحركة الأدبية بالمدينة، حيث كان له فضل المشاركة في تأسيس ناد أدبي كان يقام بمنزل أحمد كردي، بجوار مسجد علي بن أبي طالب، وكان من أعضائه عبدالقدوس الأنصاري، وعبدالمجيد خطاب، وكامل خطاب، ورئيسه أحمد ياسين خياري. وأسهم في نادي المحاضرات الذي كان يعقد بالمدرسة الأميرية (الناصرية) مع كل من عثمان وعلي حافظ، وعبدالحق نقشبندي، والسيد أحمد صقر، وعبد الحميد عنبر، والسيد أمين مدني، وضياء الدين رجب. وأسهم في عضوية (أسرة الوادي المبارك) مع الأدباء: عبدالعزيز الربيع، محمد العيد الخطراوي، محمد هاشم رشيد، وعبد الرحيم أبو بكر، وحسن صيرفي، وعبد الرحمن

الشبل، وغيرهم.

لقد أثرى الشيخ محمد الحافظ الحركة الثقافية بالمدينة المنورة، بفهمها الواسع، في مجال العلم ومجال الأدب، وكان له في كل ذلك تلاميذ، بارك الله فيه وفي عمله. وقد توفي رحمه الله في ١٤١٨/٤/١٢.

ومن كلمة ألقاها وهو طالب بمدرسة العلوم الشرعية في إحدى حفلاتها السنوية :

« الحمد لوليه ، والسلام على نبيه :

سادتي الأعزاء، لكل طالب منا اليوم فرحة ، لو يستطيع بثها لملاً الصحف ، وقام عديد الساعات يبت شعوره، كالدرر المنثورة، لدى حضراتكم في مثل هذه الساعة الحميدة، ولكن من فاته الكل تعس إذا فاته البعض، لذا أستأذن حضراتكم في إلقاء بعض أبيات أثبت فيها شعوري نحو هذا اليوم السعيد :

فاز من أدرك العلا بعلوم وتسامى من ساد بالأخلاق
فمجال الوجود فيه سباقاً أحرز الشوط فيه أهل الوفاق
إنني لا أرى السلامة إلا بالترقي، والسعي ، والإشفاق
صحف الأولين تنبيك عما قيل في العارفين أهل السباق
فانبرى في العصور أرباب فضل أسسوا ما يرى لدفع الشقاق
خير نهج طريق علم وسيع سهّل اللّٰه سيرنا بالتحاق
ما عسى سادتي أقول ومثلي في حضور أمثالكم في لحاق

حضرات الأفاضل

غير خاف على من أعطي فهما سليما ، وإداركا مستقيما ، أنه ﴿ لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ شرف العلم فوق كل شرف ، قدر العلم فوق كل تقدير ، إنما التكامل بالعلم ، ولا يحصل العلم إلا بالسعي ، السعي هو الحياة ، حياة بلا علم كحياة أصم في محيط

سماع ، حياة بلا علم كحياة أعمى في رياض غناء ، فالعلم هو الوسيلة الوحيدة للكمال ،
والهادي إلى حقيقة الإيمان ، إن العلم الحقيقي هو ما أكسب العقل والإرادة قوة ، فقواهما
وأناهما ، لأن العقل والإرادة هما اللذان يميزان الإنسان عن غيره ، لا مجرد النقل ، إذ النقل
قد يكون حتى بالجماد .

سادتي ..

من المحقق أن لكل أجل كتابا ، والأمور مرهونة بأوقاتها ، وإننا نتمنى أن يكون الوقت الذي أن
لنا أن نفيق فيه قد قرب ، وأن الحين الموعود للفوز قد دنا ، فهذه علامات البشرى والنجاح تقوم
دليلا قويا على المستقبل الحسن ، فإننا حينما نظرنا ترى للنهوض أثرا ، للعلم معنى جديدا ، فهذه
البعثة الحجازية قد أثمرت ثمرها المرغوب ، وأخرجت لنا من خير أبناء الحجاز ، من تؤمل فيه
الوطنية الصحيحة والإخلاص الأكيد ، وهذه مدارس الحجاز قد صرف مدير معارفها المكرم
همة عالية ، في ترقيتها وتعميم النفع بها ، فأصبح التلاميذ يتخرجون منها كل سنة بعدد وافر ،
وتعليم حسن .

حيا الله الأمة الحجازية الناهضة ، حيا الله المدارس الحجازية في شخص مدير معارفها المحترم ،
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين » .

١٠- حبيب محمود أحمد :

ولد في المدينة المنورة عام ١٣٣٨هـ وكان الابن الوحيد لوالديه ، تخرج من مدرسة العلوم
الشرعية بالمدينة المنورة القسم العالي عام ١٣٥٨هـ وهي المدرسة التي أسسها عمه السيد
أحمد الفيض آبادي ، وبعد وفاه عمه تولى إدارة المدرسة والإشراف عليها ، فاجتهد في تحديثها
وتطويرها حتى أصبحت صرحاً من صروح العلم والمعرفة في طبقة الطبقة .

وتولى العديد من المهام والشرفية وشارك في العديد من اللجان الحكومية ومنها :

- لجنة العين الزرقاء منذ عام ١٣٦٢هـ .

- رئاسة مجلس الأوقاف في المدينة المنورة وعضو مجلس الأوقاف الأعلى في المملكة .

- نائب رئيس المجلس الإداري والمشرف على أعمال الحج .

- رئاسة كتابة العدل في المدينة المنورة.

- رئاسة العرقة التجارية.

- عضو الهيئة الإدارية الاستشارية لمجمع خدام الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة منذ عام ١٤٠٦هـ.

حضر عدداً من المؤتمرات والندوات والاحتفالات داخل المدينة وخارجها ، و نال خطابات شكر وتقدير من خدام الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين والنائب الثاني وحصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من الرئيس المصري محمد حسني مبارك عام ١٤١٢هـ.

امتاز السيد حبيب بالذكاء والصلات الاجتماعية الواسعة ، فبرز اسمه في مجتمع المدينة كأحد أعيانها ووجهائها ونال ثقة المسؤولين في الدولة، ولديه مكتبة خاصة غنية بالمخطوطات النادرة والكتب العلمية والثقافية ، بحيث تعتبر من أكبر المكتبات الخاصة في المدينة المنورة، وهي مفتوحة الأبواب لمن أراد الاطلاع والاستفادة. وله مجلس يومي يلتقي فيه بالمتقنين والوجهاء من أهل المدينة وضيوفها.

وعمل مديراً عاماً لمدارس العلوم الشرعية بالمدينة المنورة ، علاوة على الإشراف على أعماله الإدارية والزراعية ويعتبر السيد حبيب من أوائل من قاموا بإنشاء المزارع الحديثة في مزرعة العدنانية في منطقة العنابس وأول من أنشأ حديقة حيوانات خاصة في المدينة المنورة حيث جلب عدة أنواع من الحيوانات والطيور مثل الغزلان والضباء والنعام وكانت مزرعته تعتبر مركزاً ترفيهياً مجانياً لطلبة العلم في المدينة المنورة ويستضيف بها الأعيان والوجهاء من زوار المدينة المنورة ، كما يمتلك مزارع أخرى في أماكن مختلفة من المدينة المنورة ، وتوفي رحمه الله في الأمن من رمضان للعام ١٤٢٣هـ ودفن بالبقيع . وهذه قصيدة له ألقاها في أثناء دراسته بمدرسة العلوم الشرعية في الحفل السنوي :

يا سادتي أرجوكم أن ترفعوا أكفكم لكي ننال المقصدا
بعز ديننا الحنيف المجتبى وحفظه من كائديه والعدا
وابتهلوا جميعكم لله أن يبقي لنا ملىكنا المجددا
من في ظلال ملكه وعدله لقد نهضنا وعددنا سعدا

عبد العزيز بن سعود من به لقد سما الدين سمواً مفردا
فكن له اللهم عوناً أبداً وانصره يا الله نصراً أبداً
حتى نرى هذي البلاد ترتقي ذرى المعالي عددا وعددا
واحفظ له أنجاله الغر ، فهم نجوم عز وفلاح وهدى
لا سيما ولي عهده الذي سعوته بأبيه قد اقتدى
واحفظ لنا أميرنا المحبوب ذا: عبد العزيز^(١) ماجداً مؤبداً

١١- عمر عادل :

ولد عام ١٣١٦ هـ بديار بكر بتركيا ، وتوفي عام ١٤٢٠ هـ بالمدينة عن عمر يناهز ١٠٤ عاما . ومن قصيدة له ألقاها في الحفل السنوي للمدرسة :

أهلاً وسهلاً بالأمر الماجد الشهم الخطير
أهلاً وسهلاً بالحبور يزورنا وبالسورور

أهلاً بمن قد أنعشا رجاءنا فانتعشا
من فضله لقد فشا فواض كالبحر الغزير

السعد حل المدرسة بعطفه إذ غرسه
وجهدده إذ كرّسه في نهضة العلم المنير

(١) يقصد أمير المدينة عبد العزيز بن إبراهيم.

اللّٰه يبقى الملكا متوجاً ممّلكا
عبد العزى يزى بركا بالعز والنصر الوفى

فى عهده جمىعنا نلنا رقىاً وهنا
وقد نجننا من عنا عض الكبىر والصغىر

روض العلوم أقفرا من قبله وافتقرا
والىوم عاد مزهرا إزهار بستان نضىر

الأمن وهو المركز لنهضة قد تبرىز
قد شاده المبرز ملىكنا بلانكىر

وسار فىنا سىرة محمودة مشكورة
طىبة منىرة تزهو بها كل الأمور

فلىحرص اللّٰه له ولى عهى بعده
أنجىاله رجاله لا سىما هذا الأمىر

وأنتم ياسادتى أنعشتكم إرادتى
فشكركم ياقادتى لهو واجب كبرى

ثُمَّ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ فِي الْخَتَامِ
وَالْأَوَّلِ وَالصَّحْبِ الْكَرَامِ فِي كُلِّ أَوْقَاتِ الدَّهْوَرِ

– حوارية بين شقيقين علي : الطالب بمدرسة العلوم الشرعية ، وحسين الذي شب ولم ينتظم
في سلك التعليم :

– علي :

حمدا لمن له الثناء والحمد ثم الصلاة والثناء تبدو
على الذي قد شرفت معدُّ ببعثه وهديته، وبعد:
فيا حسين، يا أخا النجوم ويا ابن من كانوا من القروم
أدعوك دعوة أخٍ حليم وناصح لصنوه عليم
إنِّي أراك مغرقاً في اللعب تفني نضير العمر في ذا الشغب
اللعب لا يشيع وقت السغب بل إنه يقود نحو العطب
دونك، ذي مدرسة العلوم فإنها جامعة العلوم
قد أدلجت في نهجها القويم مستحدث العلوم بالقديم
ألا ترى زميلك القديم عثمان إذ أضحى بها مقима
ثم الصلاة والسلام على النبي في الختام
والأول والصحب الكرام في كل أوقات الدهور
ساد وصار ماجداً مخدوماً من بعد أن كان فتى خديما
وذاك بكرا أنت تدري بكرا بحاله الأول أنت أدري
ألم يكن من قبلها معتررا وها هو اليوم يحل صدرا

- حسين :

أخي علي ، قد أجدت نصحا علمت أنك تريد ربحا
حمداً لما ذكرته وشكراً وإن تكن أصغر مني عمراً
عشرون عاماً قد مضت في اللهو قد فات ما ترجوه قبل النجو
دونك صنوك الصغير خذه وادخل به معهدكم ، وعذه
إن كنت يا أخي تريد سعدي أفي ظلال المعهد الذي تبدي
- علي :

أجل أخي حسين في معهدنا ألا تراني كل يوم في الدنيا
- حسين :

إذن فلإني ذاهب للمعهد فإنني أرجو فلاحاً في غد
انتظم الفتى حسين طالبا أجاد من صنعتها غرائبها
وصار أستاذاً بها محترماً فأخبر المدير عما أحتدي
إن الصناعات علوم في اليد في شعبة الفنون دوماً دائبا
وصار يخرج لنا عجائبنا ونال عيشاً باسم منتظماً

وأنهض الفن به وقدا وطنه العزيز لما أحكما
هذا حسين قد تبدى صانعا يخترع الصنائع البدائعا
وينشر الفن الجميل الرائعا وصار نافعا وصار بارعا
وذا بفضل الله ذي الإنعام ثم بفضل الملك الهمام
يا رب أبقه على الدوام وعرشه وطدمدى الأيام

١٢- خالد رجب :

شاعر مدني ، نشأ بالمدينة ، ثم انتقل إلى العمل في البريد بعسير ، يقول في قصيدة له يخاطب فيها صديقه الشيخ حامد عبدالحفيظ :

أخي حامد قد غير الدهر حاليا وأصبحت محزونا ، وقد كنت ساليا
وفارقني أنس وحل محله جيوش من الأوهام تغزو فؤاديا
لك الله يا سوق الثلاثاء^(١) إنه جناتك العظمى، كفاني، كفانيا
إلى الله أشكو (السمكري)^(٢) فإنه أساء كثيراً لي وسراً الأعاديا
ثلاث^(٣) شهور ما تقاضيت راتباً وسعدى شكت من سوء حالي لياليا
تقول : مضى وعدٌ، ووعدٌ، وآخر وأنت توافيني بجيبك خاليا
فقلت لها - والدمع تجري سيوله على الخد- : يا سعدى، ألا رحمة بيا
ألا رحمة بالعاشق المفلس الذي من الجوع والإفلاس يصبح طاويا

— ومن الإخوة المقيمين من كان ذا تفاعل كبير مع الأسرة ، ويفرض علينا هذا التفاعل أن نذكرهم في هذا السياق ، ونشير إلى بعض مشاركاتهم ، وهم :

(١) سوق الثلاثاء أحد أسواق عسير التي عاش فيها الشاعر فترة من الزمن من موصفاً في بريدها .

(٢) السمكري : أحد أصدقاء الشاعر .

(٣) كان حقهما التأنيث لأن المعبود مذكر .

سلي (صالح اللافي) عني ألم أبغ عقالي ، وأتبع العقال نعاليا
أكاد من الإفلاس أفقد مهجتي وأوشك أن أمشي مع الناس عاريا
فقلت -وصكت وجهها من ندامة - أخى حب مفلاس أضيع جماليا
فلما رأيت الغانيات هجرني لفقري وإفلاسي وقلة حاليا
بكيت على ما كان في ولم يكن لينفعني بعد الوقوع بكائيا
وظلقت دنيا الهلس غير مودع وفارقت سعدى والهوى والتصابيا

١- الشاعر القاص محمد المجذوب :

ولد في مدينة طرطوس ١٩٠٧ لوالد تاجر هو الحاج مصطفى المجذوب ، الذي توفي والمترجم في سن الطفولة ، وكان رحمه الله عصاميا ، قام بمسؤولية عائلته ، واتجه إلى تحصيل العلم ، وكان عمه عبدالله المجذوب من علماء طرطوس البارزين ، وإماما وخطيبا ومدرس جامع الساحة الكبير فيها ، فدرس عليه ، وانتفع بعلمه .

نظم الشعر في سن مبكرة ، ونشر عددا من دواوينه ، منها (نار ونور) واهتم بالقصة ، فكتب العديد من القصص ، ونشر مجموعات منها ، ولعل من أهمها :

- ١- صرخة دم .
- ٢- قصص من سورية .
- ٣- فارس غرناطة .
- ٤- قاهر الصحراء .
- ٥- بطل من الصعيد .
- ٦- مدينة التماثيل .

وفي سنة ١٩٦٤ حل بالمدينة المنورة ، فتعاقد مع الجامعة الإسلامية مدرسا ، وقدرت الجامعة تميزه فيما يكتب ، وعرفت إخلاصه وجهده في الدعوة ، فتعاملت معه على مستوى الحاصلين على الدكتوراة ، ومن نشاطه فيها أنه عين عضوا في أسرة تحرير مجلة الجامعة ، وفيما يلي فهرس ببعض كتبه التي ولدت على صعيد المدينة المنورة :

- ١- تحفة الأريب في ثقافة الأديب .
- ٢- تأملات في المرأة والمجتمع .
- ٣- أضواء على حقائق .
- ٤- مشكلات الجيل في ضوء الإسلام .
- ٥- في رحاب الإيمان .
- ٦- الطريق السوي إلى وحدة المسلمين .
- ٧- علماء ومفكرون عرفتهم (٣ مجلدات) .
- ٨- همسات قلب (ديوان شعر) .

وفي عام ١٩٩٧م عاد إلى سورية ، وعاش في اللاذقية ، ومات فيها بعد سنتين من رجوعه إليها، أي أنه عاش في المدينة ٣٣ سنة ، وكان مسهما في تفعيل النشاط المنبري بالأسرة ، بما قدمه من محاضرات وندوات وحوارات .
واليكم قصيدة من ديوانه (همسات قلب) :

في ظلال الكعبة

سعيدٌ أنا في ظلال الحرم فلا تسألوني بماذا ولم
أحسن بجسمي فوق الأثير وقد شفَّ بل خفَّ حتى انعدم
فلا عجب أن يموت البيان ويعيا بوصف رؤاي القدم
أكاد أرى هاجراً والصغيرُ يروِّعه الظمأ المحتدم
فتجري هناك وتعدو هنا وفي سمعها صرخات الألم
تفتش عن جرعة تنقذ الوليد وتطفئ بعض الضَّرم
وقد أوْشك اليأسُ يجتاحها فتسلم ذا ثديها للعدم
ولكنَّ ربك لم ينسها وأدركها بجزيل النعم
فذلك جبريل يحبو الثرى بريَّ النفوس وبرء السقم

يمس بقادمتيه التراب فيدفع بالعذب حتى يطم
وها هي ذي زمزم لا تزال إلى اليوم والغد ورد الأم

والمح ثم أبى الأنبياء وبين يديه فتاه العلم
يقيم قواعده هذا البناء وقد خطط الرسم باري النسم
ويؤمر إذ ينتهي أن يذيع على الكون بشرى الذي قد أتم
فيته في الناس: هذا المقام الذي شاء ربكم أن يؤم
فتنداح صيحته في السهول وخلف البحار وفوق الأكم

ويأتيه سعيًا وفوق المتون وأولو الحظ من كل فج ويم
وأبصر (أبرهة) في الجيوش ومن تحته الفيل طوداً أثم
يطاول بالكبرياء النجوم ويحسب في قبضته السدم
يسير إلى مكة منذرا بنيته بالبلاء الأعم
ويأس (شيبه) من حوله ومَن حوله فينادي : هلم
دعوا البيت وانجوا بأنعامكم فبيت المهيمن لا يفتح
سيحmie منهم غداً مثلما حماء على الدهر منذ القدم
وفر عن البيت حراسه سوى واحد عينه لم تنم
وحاول ذو الفيل تسييره إلى مكة فأبى وانهزم
على أنه كلما رده إلى غيرها خف، لا بل هجم
وجاء القضاء بأجناده من الطير كالقسطل المدلهم

فراحت تصب مناقيرها على الظالمين رجومَ النقم
وما هي إلا الهنيئات حتى استحال الغزاة كعصف هضم



وتمضي المشاهد حتى أرى إمام النبيين يحو الظلم
ينادي : إلى الله يا ضائعون ومن يتبع هديه لم يضم
وعن كذب ندوة المشركين تحوك لحرب الحبيب التهم
وترمي بلالاً وإخوانه من القارعات بسيل عرم
يريدون منهم ولولفظة تسجل نصراً لحزب الصنم
فلا يسمعون من المؤمنين سوى ما يضاعف تلك الحمم
كلأني بأذانهم كلما دعاها الطغاة اعتراها الصمم
وألْسُنُهُم كلما رُوِدَتْ على الكفر أفضى إليها البكم
وتهتف بل : أحدُ أحدُ فتصني البطاح وتهفو القمم



وينطلق الروح في مده إلى عالم قبله لم يرم
فأشهد دعوة خير الأنعام إلى هاهنا في ذيول الأجم
وقد ذلّل الله أعداءه فليس لهم دونه معتصم
يقول لهم : ما تظنون بي فيضرع كلهم في ندم
ألست الجواد الذي لا يزال يقابل زلاتنا بالكرم !
أخ فوق ما قد عهدنا الإخاء وفاءً وبراً بحق الرّحم
فيرسلها بُشرياتٍ سرت بسمع الزمان كأشهى النغم

ألا فاذهبوا .. أنتمُ الطلقاء
ويومي لرمز الضلال الذي
فتهوي الطواغيت من فوقه
كذلك يعلو بناء الأباطيل
ويزجي بالال نشيد السماء
ولكن (عتاب) والحائرين
أعبد أُمية نسلُ السواد
ولا ريب أن امرأاً أثر
ويلمس وابني هشام وحرب
وقد حسبوا أنه قد ثوى
ولكنهم فوجئوا بالنبى
ينبئهم بالذي غيبت
فلا يستطيعون ردّاً وقد

ولا تجزعوا .. لست بالمنتقم
على البيت منذ (لحي) جثم
منكسةً بعد ذاك العظم
حتى إذا الحق جاء انهدم
بأعلاه عذباً يهز الأصم
يرؤن بذلك انتهاك الحرم
علا البيت ! باللبلاء الأعم !
الحمام على هذه لم يلم
حديثاً يفيض بمثل اللُثم
بأعماقهم حيث لا مقتحم
يميط اللثام عن المكتم
صدورهم من رهيب الكلم
دروا أنه الحق من ربهم



ووافى (فضالة) مستخفياً
يمنى مناةً ألا يعود
وأطمعه أن رأى المصطفى
فأحكم قبضه في الحسام
وهم ولكن سررت رعدةً
ولما أتم الرسول الصلاة

ويخفي وراء الرداء الخدم
إذا لم يخضبه من خير دم
نجي الإله لدى الملتزم
وراح يراقبه من أمم
به تتلاشى لديها الهمم
تطلع في وجهه وابتسم

وأدناه يسأله: مابه ؟ فلم يبدأ الرد حتى وجم
فمد إلى صدره راحة بلمستها كم شقاء حسم
وعاد (فضالة) في غمرة من الوجد فوق مجال الحلم
وليس أحب على قلبه من المصطفى بعد محيي الرمم
ففي لحظة طهرت روحه فليس لها في سوى الله هم
ويعبر بامرأة طالما غزت قلبه قبلها فانهمزم
فتهتف : هيا إلى شأننا ويهتف : بأبى الهدى والشمم
تنحي فبالحق ثاب النهى وبالنور ليل الضلال انحسم
ولن ينكأ الإثم جرحا امرت يدا أحمد فوقه فالتام
ولن يقرب الغي صدرا اضا جوانحه حب خير الأئم



وأَمْضِي وأَمْضِي ، ولولا الأذان توالى رؤاي فلم تنقصم
فليت مواكبها لم تكف وأحلامها البيض لم تنصرم
ولكن حبيب نداء الصلاة ولا سيما في ظلال الحرم

٢- محمد محمود جاد الله :

وكان حفظه الله من يغشى مناسبات الأسرة ، والمناسبات التعليمية المختلفة ، ويشارك فيها
بشعره ، فكان من الواجب علينا أن نذكر له تلك المشاركات ، وأن نترجم له ضمن البيئة التي
كانت تتحرك فيها أنشطة الأسرة ، وهو من المقيمين الذين استوطنوا المدينة واتخذوها دارا .

ولد شاعرنا في قرية (أشدود) بفلسطين ، عام ١٩٣٦م ، وتلقى بعض تعليمه الابتدائي في قريته ،
واضطره الظلم والجور إلى الهجرة مع أسرته إثر ١٩٤٨م إلى خارج الأراضي المحتلة ، واستقر في

قرية (دير البلح) بقطاع غزة ، وفيها أكمل دراسته الابتدائية ، ثم أكمل تعليمه الثانوي بمدرسة خان يونس الثانوية ، عمل بعدها مدرسا بمدرسة دير البلح الإعدادية لمدة ثلاث سنوات ، ثم تعاقد مع وزارة المعارف السعودية للعمل بمدرسا عام ١٣٧٧هـ بحائل ثم بابها ، ثم بالمدينة لمدة ثمانية أعوام ، ثم بدا له أن يكمل دراسته الجامعية ، فاستقال من عمله سنة ١٣٩٠هـ والتحق بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية ، حيث تخرج فيها عام ١٣٩٥/٩٤هـ بتقدير ممتاز .

وعمل بعد تخرجه مترجما في كهرباء الغربية بالمدينة لمدة ثمانية عشر عاما ، ويعمل حاليا لدى مؤسسة للتجارة بالمدينة .

— أما نشاطه الأدبي فيتمثل في مجموعة من الدراسات الأدبية ، منها كتابه (آفاق شعرية) الذي طبعه له نادي المدينة المنورة الأدبي ، كما كان يتابع النشر في الصحف المحلية ، في ميدان القصة القصيرة والشعر ، وله ديوانان معدان للطبع هما (كلمات على هامش الليل) و (أشعة الأمل) ومجموعة قصصية بعنوان (حضن الجبل) .

وفيما يلي نورد له ثلاثة نماذج شعرية هي :

طبيعة

لك يا طيبةً علينا عهد حبنا ثابت وغضٌ جديد
أنت للعين متعةٌ وغرامٌ وهوى القلب دائم لا يبد
وهو حبٌ نصونه في قلوبٍ ذلك الحب كل يوم يزيد
من رأى طيبةً وضم رباها فهو والله في الحياة سعيد
نحن لله يا حبيبةً نحيا نحن لله كل حين عبيد
حيث نرجو شفاعَةً من حبيبٍ يوم غمضي وسائقُ وشهيد
من ينل حظه من العيش فيها ربنا يومها عليه وجود
يوم يأتي الحبيب فينا شفيعاً كل خيرٍ بحبه موعود

ذاك يوم تشابه الخلق فيه يوقف اثنان سيّد ومسود
فأقبلي (طيبة) هديّة شعيرٍ من محب وحبه تأبىد
رب صلّ على حبيبك طه أنت يا ربنا رؤوف ودود

مسجد الخير

قيلت في مناسبة افتتاح مسجد الخير الذي أنشأه الشيخ عبد الحميد عباس يرحمه الله في
بستانه العامر (العباسية) بقاء ، وافتتح ليلة الخميس ٢٤/٢٥ من شهر شعبان ١٤٠٧ هـ بصلاة
العشاء.

هذي قباء تحيناد واليها أرض الكرامة في أسمى معانيها
منها الخنيفة السمحاء قد درجت كم من مكارم قد ضمت روابيها
تبدو النخيل لنا في أوج زينتها في كل رونقها سبحان باريها
تطاولت للعلاهيّاء شامخةً كم آيةٍ عندها للحسن تبديها
إن المساجد اللّٰه الذي بنيت له المساجد تعظيما وتألّيها
يبنى المساجد عمارٌ لها صدقوا ويكرم اللّٰه في الجنات بانيها
في مسجد الخير يا عبد الحميد لكم تحية الحب بالأرواح نزجها
فعلت خيرا وكم أيدٍ لكم سلفت تلقى من اللّٰه في العقبى جوازيها
يا مبعث النور أنت اليوم مأثرةً وركعةً فيك بالدنيا وما فيها
والحمد اللّٰه بالإسلام أكرمنا يجري المحامد أنى شاء مجريها
فاهناً بها اليوم يا عبد الحميد وذو طلائع البرّ عند اللّٰه باقيها
أمذكّ اللّٰه في دنياك عافية في النفس والمال ماضيها وتاليها
وفي المال يفيض الله من كرمٍ يبوّئ اللّٰه دار الخلد أهليها

وأنت منهم بإذن الله تدخلها ويجمع الله يوماً شملنا فيها
إن المؤذن قد نادى فأطربنا وذلكم (أحمد) يدعو مصليها
أمّ الجميع إمام راق منطقته بأية حلوة رقت حواشيها
(حلّيت) يتلو وفينا اليوم أفئدة يذيبها الشوق للرحمن مبدئها
(عبد الحميد) هنبأ دائماً أبداً ودوحة العز أنت اليوم ترونها
إن المحبّين قد جاؤوك كلهم وهذه مدحتي الله أهديها

الرجال .. والهمم الكبار

نظرت إليك ولملمت أذيالها سمراء قد زان الحياء جمالها
ما كان يصلح ذا الجمال لغيرها أو كان ينقاد الهوى إلا لها
مرّت على خفر تبخرت كالها من ذاك يطمح أو يروم نوالها
إياك أن ترقى مناك لمثلها أو أن ترجي في الحياة وصالها
تلقاك أطراف الأسنة دونها بل لست تملك أن تمر حيالها
وإذا دخلت إلى حماها خلصةً صبت عليك من اللحاظ نبالها
فاقنع بما أعطتك بعد تمنّع وافرح بأن ساقط عليك دلالها
فهي الضئيلة لا تجود بقلبها وعليك عهد أن تحب مطالها
والعين لم ترها ولم تظفر بها لكن رأيت لدى المنام خيالها
هي نسمة مرّت عليك بعطرها بل همسة بفم الزمان فقالها
أو زهرة علق الندى أوراقها مرّ النسيم بقربها فأمالها
فاطو الجوانح فوق حبّ يائس أنى لروحك ترتوي أنى لها

واترك هواها ثم يم شطر من عشقوا العلا وتحملوا أثقالها
بالعزم حازوا المجد من أطرافه والمجد يعشق في الرجال فعالها
فكسامهم حلل الفخار سوابغا أضفت عليهم نورها وجلالها
باتوالنا كالودح ظلاً وارفاً كالأم تنشر بالوئام ظلالها
إن نادى الهمم الكبار رجالها قالوا بصوت واحد : إنالها

٣- محمد حسن شرّاب :

كان من المدرسين القلائل الذين حظيت بهم المدارس الثانوية بالمدينة المنورة، وكان بعض أحبائه يتحاشى أن يضم الشين من (شُرّاب) فينطقها (شَرّاب)، ولم يكونوا يدرون أن شُرّاب صيغة مبالغة من الفعل شرب، تماماً مثل (شُرّاب)، قال تعالى ﴿ومكروا مكراً كُبّاراً﴾.

وكان من الكتاب البارزين في ملحق التراث بجريدة المدينة ، كما كان يشارك في الكتابة بمجلة المنهل وغيرها ، وله مشاركات أيضاً في النشاط المنبري لأسرة الوادي المبارك ، وكان أول مؤلفاته (أخبار الوادي المبارك - العقيق) في سلسلة (دراسات حول المدينة المنورة) بتقديم من الدكتور محمد العيد الخطراوي، نشر مكتبة دار التراث بالمدينة ، وكانت له مشاركات في الكتابة المسرحية ، من ذلك مسرحيته عن المتنبي .

ولما بلغ سن التقاعد ، غادر المدينة إلى فلسطين ، واستقر بقطاع غزة ، وفيما يلي نورد جزءاً من مقدمته لكتابه (أخبار الوادي المبارك) :

« كانت لودي العقيق - بالمدينة المنورة - حضارة سادت ثم توارت عن الأنظار وما بادت، ونرجو أن ينقش عنها ما حجبها عن الأنظار ، هذا هو الدافع الأول إلى الكتابة في موضوع العقيق . لأن ذكرها بقيت سائدة بين الجوانح ورسومه شاخصة أمام العين ، وبقاعه على الأرض، كل شبر فيها نطق وينادي : هنا كان فلان الجواد ، وهنا اجتمع أعلام المدينة ، وهنا كان الشاعر وهو ينشد ، وليس صعباً على الإنسان العربي المسلم أن يعيد ما كان ، ويجعله كائناً ما دامت السيرة حية في النفس والتاريخ الصادق ، والطريق واضحة المعالم .

إن للعقيق سحرا غريبا يستولي على كل من قرأ تاريخه ، فأخباره مبهجة وقصصه تستولي على القلوب ، وسيرة أهله تملأ الأعطاف بالفخر وكأن كل واحد من أهله من أهلك الأدينين .

أخباره تملأ عليك الدروب ، إن قرأت سيرة الصدر الأول أو قرأت أخبار الخلفاء والأمراء والأجواد ، ويزين اسمه قصائد الشعراء فيكون اسم العقيق في كل قصيدة بدر التمام لا يرى في السماء إلا ضوءه ويتوارى بمطلعه كل نجم .

ومنذ أن باركه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو غرة الأعقة ومنبت الخير وأهزوجة الركبان ، فحوى تاريخ مجد زاهر وسيرة علماء وترانيم شعراء وأخلاق نجباء فطبق ذكره الأفاق .

وأصبحت دراسة العقيق ضرورية لمن يقرأ في تاريخ الحضارة الإسلامية وخصوصا تاريخ المدينة.

ولهذا خصه الأقدمون بالتأليف وأفردوا له الكتب ، ومن هؤلاء الزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، وهارون بن زكريا الهجري من أهل القرنين الثالث والرابع الهجريين ولكن الكتابين لم يصلنا إلينا وإنما عرفنا وجودهما من النقول التي وجدناها في كتب مؤرخي المدينة .

وكان العقيق أحد المعالم الرئيسة التي لا بد أن يعرف بها كل من كتب عن تاريخ المدينة المنورة ومنهم من مر بهذا المعلن سريعا ومنهم من خصص له فصولا ، وكان السمهودي في كتابه (وفاء الوفا) أكثر المؤرخين عناية بالعقيق حيث خصص له حوالي سبعين صفحة من كتابه .

وربما كان ذلك لأنه التزم التفصيل في تأليفه وكان كتابه أوسع الكتب التي وصلتنا ، وأما الكتب الأخرى فقد كانت موجزة في النواحي الجغرافية مفصلة فيما يخص المسجد النبوي وأثار الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي العصر الحديث قام بعض الباحثين بالتأليف في تاريخ المدينة وأثارها ، وخصوا العقيق ببعض جهدهم ، ومن هؤلاء المرحوم عبد القدوس الأنصاري في كتابه (آثار المدينة) والمرحوم إبراهيم العياشي في كتابه (المدينة بين الماضي والحاضر) وقام الأستاذ حمد الجاسر بجمع ما وجدته مفرقا من آراء أبي علي الهجري حول معالم العقيق وغيره من الأماكن وضمناها كتابه (أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع).

وكأنني بقارئ تاريخ المدينة يأمل أن يجد كتابا مستقلا تحت عنوان (العقيق) ليلقي بجانبه عصا التسيار والتجول في الكتب الكثيرة التي ترد فيها أخبار العقيق .

فرأيت أن أحقق هذا الأمل ، وقمت بالتفتيش والنبس في كتب التاريخ والتراجم وكتب الأحاديث الشريفة والفقه ودواوين الشعراء وكتب الأدب وجمعت كثيرا من أخباره وأفردت لها هذا الكتاب .

وإذا لم أحقق الأمل كاملا ولم يرو هذا الكتاب الظمأ كله ولم يسم إلى تطلعات الأمانني فحسبي أنني أحبيت الموضوع وأفردته بالعنوان وجعلته موضوعا مستقلا جديرا بالبحث .

وأنا اعترف بأن ما جاء في هذا الكتاب يقبل النقد والنقص ، ويستقبل آراء الباحثين لاستدراك ما فات وتصحيح السقطات وجبر النقص ، لعل مؤلفه يستفيد من ملاحظات الناقد فيزيد عليه أو ينقص منه ويحقق أخباره ، ولعل باحثين آخرين يتخذونه موضوعا للدراسة لإكمال النقص ولجمع ما شرد علي من أخباره ، فأنا لا أدعي أن هذا العمل وصل إلى تمامه ، ولا أدعي أنني جمعت كل ما في بطون الكتب من أخبار العقيق .

فما عسى أن يأتي به تلميذ في موضوع لم يتصد له إلا جهابذة العلماء في القديم ، وهناك جلة من العلماء والباحثين هم أقدر مني على هذا العمل ، ولكن العمر محدود والعمل كثير ، وليس في وقتهم فسحة ، فجعلت عملي هذا بحثا يقدمه تلميذ إلى أستاذه ليصححه وينقحه ويدله إلى الطريق الفضلى وهذا هو المأمول .

العلماء والأشياخ

سوف نقتصر هنا على ذكر العلماء والأشياخ الذين كانت لهم صلة مباشرة بالأسرة وأعضائها الدائمين ، ومن لهم علاقة بتحركاتها وأنشطتها من قريب أو بعيد ، بفاعلية متزامنة متوامة ، أو متوازية أو متقاطعة ، أي بما ينعكس على وضع الأسرة سلباً أو إيجاباً ، وعلى هذا الأساس قد نذكر الأكثر فاعلية من هذا المنظور ، لا الأعلـم المبرز في علمه ، ويأتي في مقدمتهم : (مع الاحتفاظ بالألقاب)

١- محمد الأمين الشنقيطي	من أئمة التفسير وأستاذ جامعي (١٣٠٥-١٣٩٣)
وأحد أكابر المدرسين بالمسجد النبوي	
٢- أحمد عباس آدم فلاتة	هاجر إلى المدينة عام ١٣١١هـ توفي سنة ١٣٩٧
	واشتغل بتفسير القرآن وترجمته بالمدينة المنورة . باللغة الفلانية ، وهو من مدرسي المسجد النبوي .
٣- عمار بلزعر	فقيه ، ومدرس بالمسجد النبوي (١٣١٦-١٣٨٩)
٤- عبدالرحمن الإفريقي	من رجال الفقه والعقيدة وأستاذ جامعي وأحد أكابر المدرسين بالمسجد النبوي (١٣٢٦-١٣٧٧)
٥- عبدالعزيز بن صالح	رئيس المحاكم الشرعية بالمدينة وإمام المسجد النبوي (١٣٢٩-١٤١٥)
٦- عبدالعزيز بن باز	رئيس الجامعة الإسلامية والمفتي العام للمملكة (١٣٣٠-١٤٢٠)

٧- محمد الحافظ موسى	قاض ، وأديب ، ومدرس بالمسجد النبوي	(١٣٣٥-١٤١٨)
٨- محمد المختار الشنقيطي	فقيه ومدرس بالمسجد النبوي	(١٣٣٧-١٤٠٥)
٩- عمر محمد فلاتة	فقيه ، ومدرس بالمسجد النبوي	(١٣٤٥-١٤١٩)
١٠- عطية محمد سالم	فقيه ، وأديب ، ومدرس بالمسجد النبوي ، وأحد القضاة	(١٣٤٦-١٤٢٠)
١١- أمين طرابلسي	فقيه ، وعالم بالرياضيات ، وشخصية محببة للناس .	
١٢- صالح طرابلسي	فقيه ، وقاض ، ومدرس ناجح .	
١٣- حامد عبد الحفيظ	فقيه ومدرس بالمسجد النبوي والمدارس	(١٣٤٤-١٣٩٨)
١٤- محمد العبودي	الأمين العلم لجامعة الإسلامية بالمدينة	(١٩٣٠م -)
١٥- محمد العروسي	فقيه ، وأستاذ جامعي .	
١٦- محمد صالح الإخميمي	من رجال التربية والتعليم	(١٣٢٢)
١٧- محمد الطيب إدريس	من رجال التربية والتعليم	(١٣٤٤)
١٨- عبد الله الخربوش	من رجال التربية والتعليم ومن أئمة المسجد النبوي	(١٣٣٧-١٤١١)
١٩- عبد المجيد الجبرتي	قاض ، ومن أئمة المسجد النبوي	
٢٠- حماد الأنصاري	من أئمة الحديث وفقيه مبرز	(١٣٤٣-١٤١٨)
٢١- أبو بكر جابر الجزائري	فقيه ، وداعية كبير ، ومدرس بالمسجد النبوي	

ومن الذين فاتنا ذكر أسمائهم: الأديب الدكتور عاصم حمدان، والدكتور أنور عبد النجيد جبرتي، وكان آنذاك من السامين في الأدب، ومن العلماء: الدكتور محمد الحمودي، والشيخ محمد ثاني، كان مدرساً بطيبة الثانوية، وأحد أئمة المسجد النبوي الشريف والمدرسين في رحابه.

١- الشيخ عبدالرحمن الإفريقي :

ولد عام ١٣٢٦ في بلاد (مالي) بقرية (فقا) ، واختاره المستعمرون للتعليم في مدارسهم باللغة الفرنسية ، ونال فيها الشهادات العالية ، ورغم أن الذين درسوا في تلك المدارس يتفرونسون ، فإن الله أراد بالإفريقي خيرا فهداه إلى السفر إلى الحرمين ، رغبة في طلب العلم الديني ، وهو إذ ذاك دون العشرين من العمر ، ولما وصل إلى المدينة اتصل بالعالم الجليل الشيخ سعيد بن صديق المدرس بالمسجد النبوي ، وعلى يديه تعلم اللغة العربية ، ثم التحق بدار الحديث لدراسة الحديث وعلومه ، وكان من مشايخه في المسجد النبوي الشيخ صالح الزغبيني إمام وخطيب المسجد النبوي ، والشيخ محمد علي المكنوي ، ويونس بن نوح الإفريقي ، واشتغل بعد تخرجه بالتدريس بدار الحديث ، ثم أصبح مديرا لها بعد وفاة مؤسسها ، ثم انتقل إلى الرياض للتدريس في المعهد العلمي ، ثم كلية الشريعة ، وتوفي رحمه الله ليلة الثلاثاء الموافق ١٣٧٧/٣/٢٨ هـ .

٢- الشيخ عمار بلزعر :

هو عمار بن عبدالله بن الطاهر بن أحمد بن محمد القماري المدني ، ولد في بلدة (قمار) سنة ١٣١٦ هـ .

بدأ حياته بحفظ القرآن الكريم ، والتحق بالدراسة بجامعة الزيتونة بتونس ، وحصل منه على شهادة العالمية ، وذلك سنة ١٣٤١ هـ ، ووصل إلى المدينة المنورة مهاجرا بأهله ، وتولى التدريس بالمسجد النبوي ، وكان من تلاميذه الشيخ عمر محمد فلاتة ، كما درس في مدرسة العلوم الشرعية بالقسم العالي ، ودرس أيضا بدار الحديث ، وتوفي عام ١٣٨٩ هـ ، ودفن بالبقيع .

٣- الشيخ عبدالعزيز بن باز :

هو الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل باز ، ولد بالرياض عام ١٣٣٠ هـ ، ونشأ في بيت علم وفضل ، ودرس على مشايخ أجلاء ، منهم : الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ ، وتقلد العديد من المناصب الرفيعة ، وعمل في التدريس بالمعهد العلمي بالرياض ثم في كلية الشريعة ، وفي عام ١٣٨١ هـ عين نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية ثم عين سنة ١٣٩٥ هـ رئيسا عاما لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة ، وبعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم عين ابن باز عام ١٤٠٤ هـ مفتيا عاما على المملكة العربية السعودية ، بمرتبة وزير ، وتولى

أيضاً رئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، ورئاسة المجلس الأعلى للمساجد ، ورئاسة المجمع الفقهي الإسلامي . وطبقت شهرته العلمية الآفاق ، وعرفه القاصي والداني ، وتوفي رحمه الله في محرم ١٤٢٠هـ .

٤- الشيخ عبدالعزيز بن صالح :

هو الشيخ عبدالعزيز بن صالح آل صالح ولد في مدينة المجمعة عام ١٣٢٩ هـ ، ونشأ يتيم الأبوين وحفظ القرآن الكريم صغيراً وأصبح إماماً لجامع المجمعة قبل سن العشرين ثم رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمجمعة ، وعمل قاضياً في مدينة الرياض عام ١٣٦٣هـ ، ثم قاضياً في المدينة المنورة عام ١٣٦٤ هـ ثم مساعداً لرئيس المحاكم بها ثم رئيس المحاكم بالمدينة المنورة من عام ١٣٧٤هـ بالإضافة إلى أنه إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة من عام ١٣٦٧هـ وعضو هيئة كبار العلماء بالملكة العربية السعودية وعضو مجلس القضاء الأعلى كما أن له أيادي بيضاء في دعم التعليم بالمدينة المنورة منذ وصوله إلى طيبة الطيبة وحتى وفاته في شهر صفر لعام ١٤١٥هـ

٥- الشيخ عطية محمد سالم :

ولد سنة ١٣٤٦هـ ، وبدأت دراسته العلمية في حلقات المسجد النبوي ، حيث درس أمهات الكتب ، ثم التحق بالمعهد العلمي بالرياض ، ثم بكلتي الشريعة واللغة ، وأكمل الدراسة فيهما .

ولازم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي طوال أربع سنوات ، ملازمة ظله ، للإفادة من علمه ، ومن مشايخه أيضاً عمه : محمد مصطفى عطية سالم ، والشيخ عبدالرحمن الإفريقي ، والشيخ محمد بن تركي ، والشيخ محمد الحركان ، والشيخ عبدالرزاق عفيفي ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي .

وعمل مدرسا بمعهد الأحساء العلمي ، ثم في كلية الشريعة ثم بالجامعة الإسلامية ، وفي سنة ١٣٨٤هـ انتقل إلى العمل في المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة قاضياً ، لكنه ظل يواصل التدريس في المسجد النبوي ، وحلقته من أكبر الحلقات في المسجد ، وفي سنة ١٤٢٠ وافته المنون رحمه الله .

وله مجموعة من المؤلفات الفقهية ، وله أيضا برامج ثابتة في التلفاز والمذيع .
ومن مؤلفاته :

- ١- الجزء الثامن والتاسع من (أضواء البيان) إتماما لعمل أستاذه المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي .
- ٢- مع الرسول في رمضان .
- ٣- معالم على طريق الهجرة .
وهي زهاء عشرين مؤلفا .

٦- الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي :

هو محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ولد في عام ١٣٠٥هـ، وتوفي أبوه وهو طفل صغير ، ونشأ في حضانة أمه ، التي كانت تعرف قيمة العلم والعلماء ، فحفظ القرآن في العاشرة من عمره ، وما تبع لك من علوم القرآن ، والفقه المالكي .

ولما اكتملت له الوسائل ، ونضج علمه ، حمله الناس على التدريس والفتوى ، وفي المدينة المنورة استقر به المقام ، فعمل في التدريس بالمسجد النبوي ، وكانت حلقته لا تقل عن المائتي رجل ، وهي في التفسير الذي كان فيه إماما مبرزا ، وكانت نتيجة هذا الدرس كتابه (أضواء البيان) .

ثم عمل مدرسا في المعهد العلمي بالرياض من عام ١٣٧١هـ ، ثم بكلية الشريعة واللغة العربية ، لكنه كان يعود إلى المدينة في العطل الصيفية ، ليواصل تفسيره للقرآن ، وبعد تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة انتقل إليها ، وكان عضوا في المجلس الأعلى لها .

وكان أيضا عضوا في هيئة كبار العلماء ، وعضوا في رابطة العالم الإسلامي ، وتعتبر دروسه في التفسير غودجا فريدا في التدريس ، استقطب المعلمين والعوام ، وأصبح حديث القاصي والداني ، وكنت ومحمد هاشم رشيد وعبدالرحيم ابوبكر من رواد هذه الحلقة ، نحرص على حضورها وتتفاعل معها .

ومن مؤلفات الشيخ :

- ١- مجموعة من المنظومات العلمية في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه .

٢- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز .

٣- دفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب .

٤- آداب البحث والمناظرة .

٥- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن .

وغير ذلك من الكتب النافعة .

وتوفي رحمه الله في مكة بعد الانصراف من الحج ١٧/١٢/١٣٩٣ هـ .

٧- الشيخ حماد الأنصاري :

هو محمد بن محمد الأثري الأنصاري (١٣٤٣-١٤١٨ هـ) ودفن بالبقيع، بدأ حياته العلمية في سن مبكرة، فحفظ القرآن الكريم، والكثير من المتون في شتى العلوم الشرعية واللغوية، والتحق بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة، وذلك عام ١٣٦٩ هـ، كما درس على مجموعة من مدرسي المسجد النبوي .

أما حياته العلمية فقد كانت بدايتها بمعهد إمام الدعوة بالرياض، مدرسا لمادتي الحديث والتوحيد، وقد تزاملت معه في هذا المعهد ثلاث سنوات، ثم نقلنا إلى العمل في كلية الشريعة بالرياض .

ثم عمل أستاذا بالجامعة الإسلامية بالمدينة، وكان يمتلك مكتبة كبيرة في شتى التخصصات، لكنك بجولة قصيرة فيها تعلم أنها تهتم أكثر ما تهتم بالحديث وعلومه، وهي العلوم التي كان الشيخ رحمه الله يهتم بها، ويخلص لها، حتى غدا إماما في الحديث لا يشق له غبار، وقد انتفع به طلاب العلم أيما انتفاع .

ومن مشايخه المشهورين : محمد بن عبد الله بن محمود المدني، والذي كان من أئمة المسجد النبوي، وفضية المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ .

ومن مؤلفاته :

١- سبل الرشd في تخريج احاديث ابن رشد / في أربعة أجزاء .

٢- فتح الوهاب في الألقاب .

٣- كشف اللثام عما ورد في دخول مكة بلا إحرام .

٤- الأجوبة الوافية عن الأسئلة الألفية .

وغيرها مما له صلة بالعقيدة والحديث ..

٨- الشيخ عمر محمد فلاتة :

لعل من المناسب أن نورد هنا ما كتبه الأستاذ الدكتور عبدالله عبد الرحيم عسيان في تأبين هذا العالم الجليل :

« ما أقسى الألم وما أشد لوعة الفراق حين يرزأ المرء بفقد عزيز عليه ، ويتمالكة الأسى والحزن لفراقه وموته ، غير أن مما يهون فداحة الخطب هو أن المؤمن يدرك أن قضاء الله نافذ ، وإذا حل الأجل فلا مرد له ، والموت حق وهو سبيل كل حي ، ولا بد من الرضا بقضاء الله وقدره ، وكم من الأموات الذين يغادرون هذه الدنيا ولكنهم يغادرونها بأجسادهم لأنهم يعيشون في قلوب الناس جميعا بأخلاقهم وصلاتهم وأعمالهم الجليلة ، ومن هؤلاء العالم الفاضل الشيخ عمر محمد فلاتة - يرحمه الله - وهو من أعلام المدينة المنورة وعلمائها المشهورين وركن من أركان التدريس بالمسجد النبوي ، وقد وافته المنية وانتقل إلى رحمة الله يوم الأربعاء ٢٩ من ذي القعدة عام ١٤١٩ هـ ، وتألم وحزن لفقدته خلق كثير وكل من له صلة به ، أو عرفه أو سمع به من طلاب العلم والعلماء ومحبيه وعامة الناس ، وإذا كان بعض من تفقده في الحياة يترك فراغا محدودا في محيط ذويه ، فإن فقد العلماء من أمثال الشيخ عمر يترك فراغا كبيرا قد لا يتهيأ من يسده وذلك لما يقدمونه من عطاء ثر في ميدان العلم والمعرفة ، وبما يتصفون به من أخلاق وسجايا حميدة وحسن تسديد بالحكمة والموعظة الحسنة ، مما يكون له أكبر الأثر في نفوس الناس ، ولا غرو في العلماء مصابيح يستضاء بها في دياجي الظلم بما يشع من فكرهم وعلمهم المستنير ، ومن هذا المنطلق شدني ما يتمتع به الشيخ عمر - رحمه الله - من خصال علمية وخلقية ، وماله من يد طولى في مسيرة العلم ، إلى أن أتحدث عنه في كلمة وفاء أراها عاجزة عن أن توفي حقه ، والحق أن كل من عرف الشيخ - رحمه الله - يشهد له بسمو خلقه وطيبة قلبه ، وصفاء نفسه ، ونقاء سريرته ، وحبه وتودده لكل من يلقاه من محبيه ، من يجالسه لا يلقاه إلا طلقا المحيا هاشا باشا حتى إنه ليشعر من حوله بأخوته لبعضهم أو أبوته لبعض الآخر ، وكان يصدر في تعامله

مع الناس على أساس ما وعاه من قيم الإسلام ، وفي هذا الإطار عاش وتنماى منطلقه الأخوي والأبوي في معاشة الناس والتعامل معهم ، فملك بذلك شغاف القلوب حبا وتقديرا، وقد ملك عليه حب المدينة النبوية شغاف قلبه ، وتعلق بالمسجد النبوي منذ صباه دارسا ثم مدرسا، واحتل مكانة مرموقة بين العلم وطلابه ، وله خدمات جليلة في هذا المضمار ، ويقتضي المقام أن أقدم نبذة موجزة عن حياته الشخصية وبعض مآثره .

فهو الشيخ عمر محمد فلاتة ، فتح عينيه في المدينة المنورة ونشأ بها ، وكان أبواه قد قدما من أفريقيا الغربية مهاجرين إلى مكة والمدينة في رحلة استغرقت ما يقارب العالم ، ويريد الله أن تحمل به أمه في هذه الرحلة ، ثم تضع قبل الوصول إلى مكة بمراحل قليلة ، وقدم المدينة المنورة مع والديه في عام ١٣٤٦هـ ، ويبدو أن مولده كان قريبا من ذلك التاريخ ١٣٤٥هـ ، وبدأ مسيرة التعلق بالمسجد النبوي ، وهو طفل قد بدت عليه مخايل الإدراك ، إذ راح يتلقى مبادئ القراءة والكتابة وحفظ الأجزاء الأولى من القرآن في كتاب العريف محمد بن سالم - رحمه الله - الذي يقع على مقربة من المدخل الشمالي للمسجد النبوي حيث باب السلطان عبدالمجيد (باب المجيدي) ، وفي عام ١٣٦١هـ بدأ رحلة الدراسة النظامية حيث التحق بمدرسة العلوم الشرعية، وتدرج في مراحلها التعليمية وهي التأسيسية والتحضيرية والابتدائية ، وأتيح له في أثناء ذلك أن يكمل حفظ القرآن الكريم وأن يتخرج من المرحلة الابتدائية بمدرسة العلوم الشرعية ونال إلى ذلك شهادة المرحلة الابتدائية من مديرية المعارف العامة عام ١٣٦٣هـ ، وتطلع إلى المزيد من دراسة العلوم الشرعية فالتحق بشعبة العلوم العالية في دار العلوم الشريعة، وأمضى فيها عامين دراسيين وهو يتلقى العلم على كبار شيوخ وعلماء الدار من أمثال الشيخ محمد إبراهيم الحنثي ، والشيخ عمار الجزائري ، ثم انتقل بعد ذلك إلى دار الحديث عام ١٣٦٤هـ التي تعد أحد الركائز الأساسية للتعليم الشرعي بالمدينة المنورة ، تولى رعايتها الشيخ أحمد الدهلوي وهو من علماء الهند المتمسكين بعقيدة السلف الصالح وقد افتتحها عام ١٣٥٠هـ بترخيص من الملك عبدالعزيز رحمه الله ، وتهدف إلى العناية بتدريس علوم القرآن والحديث النبوي الشريف ، وتخرج علماء محققين على نهج المحدثين والعلماء السابقين ، ليدعوا الناس إلى حقيقة الإسلام ونشر عقيدة أهل السنة والجماعة ، وتدرس فيها أمهات الكتب في العلوم التي تعنى بها ، وتولى التدريس فيها علماء أجلاء منهم الشيخ محمد صالح الزغبني والشيخ

محمد الحركان ، والشيخ محمود شويل ، والشيخ محمد إسماعيل السورتى ، والشيخ محمد سلطان التمنكاني وغيرهم ، وبقي مؤسسها مديرا لها إلى عام ١٣٧٥هـ ، وأل أمر إدارتها من بعده إلى الشيخ عبدالرحمن الإفريقي الذي استمر في إدارتها إلى عام ١٣٧٧هـ ، ومن ثم ألت إلى الشيخ عمر فلاتة رحمه الله ، ولعلي استطردت بعض الشيء في الحديث عن هذه الدار وما ذلك إلا لأن الشيخ ارتبط بهذه الدار ارتباطا وثيقا ، وأحبها حبا جما ، وقام برعايتها على الوجه الأكمل ، وكان لها تأثير كبير في تكوينه العلمي إذ حصل منها على الشهادة العالية عام ١٣٦٧هـ ، ودرس بها وهو لم يتخرج منها بعد ، وكان ذلك عام ١٣٦٥هـ ، والتقى فيها بشيخه العلامة عبدالرحمن الإفريقي الذي كان يكن له كل تقدير ، ويلهج دائما بفضله وسعة علمه ، وقد لازمه ملازمة الرجل لظله ، وأفاد منه كثيرا في حياته العلمية والعملية ، وقد أفصح الشيخ عمر عن منزلة شيخه هذا في نفسه حين قال : ولولا خشيتي الغلو لسودت الصفحات الكثيرة في بيان فضائله ومحاسن أخلاقه ، لتتعلم الأجيال الحاضرة والقادمة كيف كانت العلاقة بين الطلاب والشيخ ، وأن للأبوة الروحية من الوشائج ما لا تطفي عليه تقلبات الأيام .

وحينما تولى الشيخ عمر أمر دار الحديث عام ١٣٧٧هـ لم يكن تعامله معها تعامل مدير مع إدارته ، وإنما تعامل معها وكأنها جزء من كيانه ، فحذب عليها ومنحها جل وقته وجهده ، وظل يسعى للنهوض بها حتى صارت معلما علميا بارزا في المدينة المنورة ، وإذا كان الشيخ عمر قد أمضى مرحلة من حياته العلمية في الدراسة النظامية فإن حظه أو مبلغه من العلم لم يكن منحصرًا في هذا النوع من التعليم النظامي ، فقد لازم شيخه الفاضل ومعلمه الأثير على نفسه الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الإفريقي وقرأ عليه كتاب بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني وشرحه سبل السلام للإمام الصنعاني وبعض أمهات كتب الحديث ، ومنها بعض الكتب الستة ، وموطأ الإمام مالك الذي ختمه مرتين ، وقرأ عليه كتاب نيل الأوطار للشوكاني وأفاد من فتاواه التي كان ينسخها له ، وورث التلميذ من شيخه خلقه وعلمه وفضله ولطفه وسماحته وتواضعه وجه للناس وحسن تعامله معهم ، وكان يتولى التدريس فيها علماء مشهورون متمكنون في علومهم وتبها للشيخ عمر أن يحصل على إجازات علمية من بعض من التقى بهم في المسجد النبوي من العلماء ومنهم شيخه الشيخ عبدالرحمن الإفريقي والشيخ محمد بن إبراهيم الختني الذي حصل منه إجازة في كل ما صحت روايته وفق شروط المحدثين ، وهي

إجازة مهمة لأن مانحها من تلاميذ المحدث المشهور الشيخ محمد عبد الباقي الأيوبي المدني ، كما أجازها كل من المحدث العلامة محمد عبد الحق الهاشمي المكي ، والعلامة الشيخ سالم بن أحمد بن جندان الحضرمي المحدث المشهور باندونيسية عند حضوره للحج وزيارة المسجد النبوي ، واستمرت هذه المسيرة إلى أن توجت بحصول الشيخ عمر على إجازة التدريس في المسجد النبوي في عام ١٣٧٠هـ من قبل رئاسة القضاء في المملكة العربية السعودية ، ومنذ ذلك اليوم وحلقته عامرة بعلمه وفضله ، وظلت كذلك إلى أن حال بينه وبينها اشتداد المرض عليه ثم وافته منيته في هذه الأيام رحمه الله ، وكأني بهذه الحلقة تنطق بمآثر السنين المتعاقبة التي قاربت الخمسين عاما ، ولعلها من أطول المدد التي يتولى فيها عالم التدريس في المسجد النبوي ، وقل من يحظى بمثل هذا الفضل العظيم ، فكم من الطلاب الذين أفادوا منها ، وكم تخرج فيها من طلبة العلم الذين يؤدون زكاته ، وقد كان لي شرف الجلوس في هذه الحلقة وملازمتها والإفادة منها عام ١٣٨١هـ في الفترة التي كنت أنتقل فيها بين أروقة المسجد النبوي التماسا للعلم ، على أن كل ذلك من ثمرات الارتباط الوثيق بالمسجد النبوي عند الشيخ عمر ، وهاهو رحمه الله يفصح عن هذا الارتباط حين قال : وإذن فكيف يكون أثر هذا المسجد الكريم المنير في تكويني العلمي والفكري والنفسي ، وأنا المرتبط به في أهم شؤون حياتي ليلا ونهارا ، وقد أسلفت الكلام فيما تقدم عن بعض شيوخه وفضلهم علي ، وأولئك الذين جثوت أمامهم ألتقى ما تيسر من علوم السنة والفقه ، وفنون الأحاديث والآثار والأخبار ، وطالما تنقلت بين أساطينه ، وعند كل أسطوانة محدث أو لغوي أو أديب ، وفي كل ناحية منه ناسك وراعي وساجد ، ومن جاور الصالحين لا بد أن يلتقط من مواعدهم ما يساعده على إصلاح نفسه .

وقد تولى الشيخ عمر أعمالا ووظائف علمية وإدارية عديدة في مسيرة حياته العامرة بالجد والاجتهاد والإخلاص ، وتمثل ذلك في التدريس بالمسجد النبوي عام ١٣٧٠هـ وكان قد قام بالتدريس في دار الحديث عام ١٣٦٥هـ وهو طالب بها ثم أصبح مديرا وناظرا لها عام ١٣٧٧هـ وفي عام ١٣٧٥هـ كان قد أسند له تدريس مادتي الحديث وأصوله في المعهد العلمي السعودي بالمدينة المنورة ، وفي عام ١٣٨٥هـ عين مساعدا لأمين عام الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ثم أمينا عاما لها عام ١٣٩٥هـ ، وفي عام ١٣٩٧هـ صنف على درجة أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية ، وفي عام ١٤٠٦هـ عين مديرا لمركز خدمة السنة والسيرة النبوية بترشيح من رئاسة الجامعة الإسلامية

، ومن ثم تقاعد وتفرغ للعمل في دار الحديث ، ومن آثاره العلمية : حلقة في المسجد النبوي التي امتدت إلى ما يقارب الخمسين عاما وأفاد منها أعداد لا تحصى من طلاب العلم ، أما المؤلفات فلم يذكر له منها سوى النزر اليسير نظرا لأعبائه الكثيرة وانشغاله بأعباء طلاب العلم ، وأعباء دار الحديث والجامعة الإسلامية ، ومنها كتاب (ذكرياتي عن المسجد النبوي) ، ويحث حول الحديث المدرج ، وثان عن الإجازة ، وثالث عن تمور المدينة ، وهذه الآثار أشار إليها رحمه في الله في لقاءه بالأستاذ المجذوب ، ويبدو أنها بحوث تحت الإعداد أو أعدت ولم تطبع بعد ، وله دراسة عن جبل ثور ، وأن لي أن ألوي عنان القلم عند هذا الحد مع أن الحديث عن الشيخ ذو شجون ، وفي النفس يختلج الكثير عنه ، وفي نهاية المطاف لا أملك إلا أن أقول : يرحمك الله أيها الشيخ الجليل ، والله هو القادر على أن يجزيك خير الجزاء على ما قدمت .

قلت :

– ومنهم أيضا في آخر العهد الشريف وأوائل العهد السعودي :

- ١ – فالح الظاهري .
- ٢ – أنور عشقي .
- ٣ – زكي برزنجي .
- ٤ – محمد المنتظر طرابزونى .
- ٥ – محمود التركي الشنقيطي .
- ٦ – عبد الباقي الأيوبي .
- ٧ – حسن الشاعر .
- ٨ – جعفر هاشم .
- ٩ – عمر كردي .
- ١٠ – حسن أسكوبي .
- ١١ – أحمد برزنجي .
- ١٢ – عثمان عبدالسلام داغستاني .

١٣- محمود شويل .

١٤- محمد صادق .

١٥- إبراهيم الكوراني .

- وفي العهد السعودي غير من ذكرناهم سابقا :

١- محمد العايش الجزائري .

٢- أبوبكر التنبكتي (والد أخينا عبدالرحيم ابوبكر) .

٣- جعفر فقيه .

٤- محمود فلاته .

٥- عبدالحميد بن باديس .

٦- محمد البشير الإبراهيمي .

٧- الطيب العقبي .

هؤلاء الثلاثة أجبرتهم الظروف أن يغادروا المدينة المنورة ، ليواصلوا مسيرتهم ببلدهم الأصلي، ويكافحوا من أجل تحرير الجزائر ، واشترك ثلاثتهم في إنشاء (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي كان لها الفضل الأكبر في طرد الاستعمار الفرنسي من الجزائر ، كما فعل رفيقهم الرابع أحمد رضا حوحو

٨- عبده أبوخضير .

٩- صالح الزغبيني .

١٠- علي محمد الخيال .

١١- صالح الفضيل التونسي والد محمد الطيب التونسي (مدير الأمن العام) رحمه الله ، واللواء محمد مكّي التونسي ، ومحمد سعيد التونسي ، وعبدالرحمن التونسي ، الذي كان مديرا عاما لرعاية الشباب بوزارة المعارف ، ثم مديرا عاما لمدارس الثغر بجدة .

١٢- عبدالرؤوف عبد الباقي .

١٣- محمد الطيب الأنصاري .

١٤- محمد الوزير التونسي ، الذي آلت مكتبته الكبرى لمكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة .

١٥- عبدالجليل براده .

١٦- محمد بن تركي .

وهذا يعني أن البيئة الثقافية التي كانت تتحرك فيها اسرة الوادي المبارك ، كانت بيئة صالحة مؤهلة للتفاعل مع الأسرة .

وللجامعة الإسلامية أيضا تأثير على البيئة الثقافية ، فقد كان طلابها واساتذتها من مختلف الدول الإسلامية ومن مختلف القارات ، غير أن بعض طلابها مالوا إلى التشدد والتزمت .

الروافد الثقافية

كان المثقفون قبل أسرة الوادي المبارك يعيشون في وسط تغلب عليه الأمية ، بحيث نستطيع أن نعدّهم ونحصيهم ، وكانت وسائل التعليم :

١- المدارس الأميرية ، كالمدرسة الناصرية .

٢- المدارس الأهلية كمدرسة العلوم الشرعية .

٣- حلقات المسجد النبوي .

فلما حلّ العقد الثامن الهجري، بدأ التعليم في التوسع ، وتتابع تأسيس المدارس نوعاً وكماً ، واستدعى ذلك التعاقد مع المدرسين من مصر وغيرها ، وأتاح الفرصة للتفاعل الثقافي ، وفي العقد التاسع بدأ المعلم السعودي يحتل موقعه في المتوسطات والثانويات ، ونشأ جيل متنوع الثقافة ، يحب أن يقرأ وأن يكتب ، وتزايدت أعداد المثقفين .

ولا ننسى أن جل أعضاء الأسرة هم من رجال التعليم : ف عبدالعزيز الربيع هو مدير عام التعليم، والخطراوي مدير ثانوية ، وعبدالرحيم أبو بكر موجه لغة عربية ، وعبدالرحمن الشبل موجه إداري .

وانعكس هذا المستوى الثقافي على إسهامات هؤلاء المثقفين في النشاط المسرحي والإذاعة والتلفاز والصحافة ، وكان الشاعر حسن مصطفى صبري أجراً المجموعة في هذا الشأن ، فكتب بعض المسرحيات ، واشتركت المعاهد والمدارس في ذلك ، بإخراج بعض المسرحيات المصرية، كالعباسة أخت الرشيد ، وقامت طيبة الثانوية بإنشاء مسرح فيه جميع مقومات المسرح ، وقد كنت مدرسا ومسؤولا (سنة ١٣٨٢) عن النشاط الثقافي ، فأعددت مسرحية شعرية باسم (بلال) كتبها الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة ، وكتبت مسرحية بالعامية بعنوان (وظيفة شاغرة) كان من الممثلين البارزين فيها : الدكتور أنور جبرتي ، وعبدالعزيز زروق ، وعبدالرحمن سمان ، ومحمود رضوان . وكلهم كانوا من طلابي .

وأما الإذاعة ، فقد كانت إسهامات أعضاء الأسرة تتمثل في أحاديث المساء ، وفي برنامج وجهة

نظر، كما كان للأخ حسن صيرفي إسهاماته الفنية التراثية المعروفة .

وكذلك حين أنشئ التلفاز ، فقد كانت للخطراوي صولات وجولات في إعداد وتقديم بعض البرامج مثل : رجال الثقافة ، وبرنامج : كلمات وأنغام ، وغيرهما .

كما كتب للأطفال مجموعة أناشيد ، وتمثيلية حول القدس ، اشترك في أدائها الأخوان الكريمان السيد شهاب رضوان ، والسيد محمود رضوان ، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر الإخوة الذين توالوا على إدارة محطة التلفزيون بالمدينة المنورة ، وهم : عصام زيدي ، وعبدالعزیز أبو النجا ، وعبدالرحمن عويضة .

وكانت جريدة المدينة المنورة أكثر الصحف اجتذاباً لأعضاء الأسرة ، وكان بعضهم من كتاب يوميات المدينة ، كالربيع والخطراوي ومحمد حميدة .

أهدافها ومبادئها

تهدف الأسرة كما صرح بذلك أعضاؤها البارزون أمثال الربيع والخطراوي ورشيد في مقابلات صحافية مختلفة ، ومناسبات حفلية عديدة إلى :

- ١- إعادة الحيوية إلى وجه المدينة الأدبي ، والعودة بها إلى مقدمة الصف .
- ٢- الإسهام في تطوير الحياة الأدبية في الحجاز بخاصة وفي المملكة بعامه .
- ٣- الدفاع عن الثوابت الدينية والوطنية ، والمحافظة على اللغة العربية .
- ٤- البحث عن هوية أدبية مستقلة ، ومحاولة التخلي عن التبعية لما يحدث خارج الحدود ، مع الحث على التفاعل معه ، والإفادة منه .
- ٥- الاهتمام بالتراث المخطوط ، والتواصي بإعطائه الأولوية في الدرس والتحقيق ، وقد تم ذلك على يدي عبد الرحيم أبوبكر الذي كانت رسالته للماجستير في الأدب الحجازي الحديث ، وعلى يدي محمد العيد الخطراوي الذي كانت رسالته للدكتوراة (الحياة الأدبية والثقافية في المدينة المنورة في الجاهلية وصدر الإسلام) ثم حقق مجموعة من الدواوين الشعرية لشعراء المدينة في عصورها المختلفة .

مخزنتها وإسهاماتها

نستطيع القول ونحن مطمئنون : إن أسرة الوادي المبارك قامت بدور مثمر في تنشيط الحركة الأدبية بالمدينة المنورة ، يذكر لها فيشكر ، وذلك على مدى ما يقارب ٢٥ عاما .

وكانت جلساتها أسبوعية كل يوم ثلاثاء على النحو التالي :

١- يقرأ أو يقدم ملخص أهم ما كان ينشر في الصحف مما يتصل بالأدب والثقافة على الصعيد المحلي والعالم العربي .

٢- يقرأ أيضا ما قد يكون أحد الأعضاء نشره في إحدى الصحف .

٣- يستمع الأعضاء إلى بعض إبداعات الأعضاء من شعر أو قصة ونحو ذلك قبل نشره .

٤- يختص منتصف الشهر لمناقشة كتاب ثقافي أو أدبي من خلال تكليف أحد الأعضاء بتلخيصه ، وآخر ليكون المحاور الرئيس له ، أو يقدم العضو محاضرة مكتوبة .

٥- كان الأعضاء يغذون مجموعة من الصحف بمقالاتهم وقصصهم وأشعارهم .

٦- استطاع بعض أعضاء الأسرة بمجهودهم الشخصي أن يصدروا بعض مدوناتهم الشعرية والقصصية .

٧- ومن المهمات التي تقوم بها الأسرة في خدمة الأدب بالمدينة المنورة استقبال الضيوف من الأدباء وكبار الشخصيات الذين كانوا يزورون المدينة المنورة ، وذلك راجع لعلاقات الأعضاء الخاصة ، ولوجود الأستاذ الربيع على رأس إدارة التعليم ، إذ كان رحمه الله لا يخل على الأسرة - وهو أحد أعضائها البارزين - بإضافة زوار التعليم لجلسات الأسرة ، ومن ذاكرتي الكليلة أذكر منهم الأسماء التالية :

شكري فيصل - أحمد السباعي - أحمد عبدالغفور عطار - فوزان إبراهيم الفوزان - سباعي عثمان - علي العمير - عبدالله نور - عبدالله الماجد - عبدالفتاح أبومدين - مالك بن نبي - الشاعر الجزائري صالح خرفي - الشاعر الجزائري مفدي زكريا - محمود محمد

شاكر - علوي الصافي - محمود الصواف - محمد الغزالي - علي الطنطاوي - وغيرهم..
ومازلنا نذكر إضافة الأسرة لوفد مغربي ثقافي زائر ، عن طريق إدارة التعليم ، حيث أُلقيت
كلمات وقصائد من الطرفين ، وذلك بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ١٣٨٩ هـ كان منها قصيدة الزميل الشاعر
عبدالرحمن الشبل ، وهي :

هذي المدينة بل هذي ربا العرب ومصدر العلم والتهذيب والأدب
مهد الرسالة ظلت في ترفُّعها رمز النجاة لا بالمين والكذب
(طه) النبي قد اختار المقام بها كأنما صيغ فيها الدرُّ بالذهب
عبير (أحمد) في أرجائها عبقرٌ حوت من الفضل آيات من العجب
فأرض (طيبة) لا زالت محلقةً تزهو على الكون في بشرٍ وفي طرب
والذكريات بها أرخت بما حفلت من مجد (أحمد) أو من صحبه النجب
ساروا مع العلم في أرجاء عالمنا ونوروا العقل فالتجهيل في هرب



يا جند (موسى) ويا أحفاد قائدنا وجيرة (الطارق) الأعداء باللهب
مرحى لكم في ديارٍ عزّ ساكنها وفزتم أيها الزوار بالأرب



عذراً لكم إخوتي ماذا يشرفنا سوى الخراز وخزي سار في السرب
ما مر عصر على الإسلام بمقتنا كعصرنا ذلك المملوء بالكُرب
ما ضاعت القدس إلا في تفرقتنا واستأسد الفأر يا دنيانا فانتحبي
فلا الصراخ معيّد حق مستلب ولا المجالس تحميننا من العطب



من (الرِّبَاط) إلى (الدَّمَام) أَفئدة نحا بها طالعٌ شؤماً على وصب
وحارت النطس في تشخيص علَّتنا وخطَّطوا الكون أصنافاً من الريب
وما دروا أن في الإسلام بلسماً وأن موضعنا يعلو على السحب
يا فتية العرب هبُّوا في مواجهةٍ وحطُّموا كل ما شادوا من اللهب
واستوضحوا بكتاب الله نهجكم ووحّدوا أمة ضاعت بمنتهب

– وكان من زار المدينة المنورة من الكبار الدكتور طه حسين ، وذلك أواخر سنة ١٣٧٣هـ أو
أوائل سنة ١٣٧٤هـ ، والأسرة تحبو في تائمها ، وتدرج خطوة وتكبو أخرى ، ولم تظهر خطواتها
الواثقة بعد ، فكان اتصاله بالناس عن طريق الجهات المسؤولة عن ضيوف كبار الدولة ، وأقيم
له حفل استقبال ثقافي ، ألقى فيه العميد كلمة ، منها :

أحس وأنا معكم في المدينة المنورة ، في كل شيء رحابة : رحابة في النفس ، ورحابة في الروح ،
ورحابة في البصيرة ، ورحابة في القلب ، ورحابة تتسع للأرض والسماء .

لا القصور الفاخرة ، ولا الرياض الزاهرة ، ولا المال الممدود ، ولا الجاه العريض ، ولا السلطان
المبين ، ولا التحكم في الرقاب ، يجلب السعادة ، إنما الجنة في النفس المطمئنة الراضية المرضية ،
في أن تعيش النفس في سلام مع السلام .

وأنتم هنا في المدينة المنورة (مدينة السلام) تعيشون هذا الإحساس ، ولقد وددت الاستطراء
في الحديث ، ولكن أنى لي والله سبحانه يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي ﴾ . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هكذا روى الكلمة محمد كامل خجا في كتابه (أفكار من المدينة المنورة ص ٤٥) وقال بعدها
معلقاً :

بهذه الكلمات العالية الفاغية بأشدها الإيمان ، تحدث إلينا الدكتور طه حسين في باحة المعهد
العلمي السعودي بالمدينة المنورة ، ما بين عام ٧٣ ، ١٣٧٤هـ حيث قضى فيها يوماً كاملاً مع
أعضاء المؤتمر الثقافي المنعقد آنذاك في جدة ، بدعوة من الجامعة العربية ، وقد قدمني إليه في

المطار ونحن نودعه الأديب الكبير أحمد عبدالغفور عطار ، ومعالي الأخ الشيخ ناصر المنقور مدير التعليم العام بوزارة المعارف آنذاك ، حيث حييته بقصيدة أذكر منها الأبيات التالية :

أسمع العالمين لحن الخلود وأثر بالبيان كل الوجود
جئت يا ذا اليراعة اليوم أشكو حال قوم لم يقتدوا بالحدود
أيها القوم جددوا كل عزم واجمعوا بين طارف وتليد
إنما العزب بالمعارف والإيـمان، لا بالتهريج والتقليد
هو ذا صوت (أحمد) من وراء الـ غيب، يدعكم لدنيا الصعود

فأردفني رحمه الله مشجعاً قائلاً : يا سلام ! يا سلام ! ما اسمك ؟ وكم عمرك ؟ وأين تدرس ؟
فأجبته على تساؤلاته ، وكان محمد خجلاً لا يتجاوز عمره الرابعة عشر ، قد أشار إليه طه حسين
حين كتب عن زيارته للحجاز ، وتفاعل من خلاله وامثاله بمستقبل زاهر لشباب الأدب في
المملكة العربية السعودية .

أنشأها على الواقع الأدبي

من خلال تصفح المبادئ ، وبرامج تنفيذها ندرك مدى الآثار البعيدة لهذه الأسرة في الحياة
الأدبية تتلخص فيما يلي :

- ١- تغذية الصحافة الأدبية بالبحوث والدراسات والمقالات والقصائد .
- ٢- خوض معارك أدبية ذات عمق نقدي وأدبي من أهمها ما كان بين الربيع وعواد .
- ٣- نشر المدونات الأدبية الخاصة .
- ٤- المشاركة في الملتقيات الأدبية التي في مقدمتها المؤتمر الأول للأدباء السعوديين (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) ببحوث قيمة .
- ٥- التفاعل مع كل الأحداث الأدبية المحلية والعربية .

توجهاتها الأدبية

تعددت مشارب الأعضاء ، وتنوعت انتماءاتهم الأدبية ، تبعاً لاستعداداتهم وقراءاتهم ، وسمحوا لأنفسهم بالتجريب ، وتراوح إنتاجهم بين الشعر والقصة والمقالة الأدبية والنقدية ، وأسهم بعضهم كذلك في المسرح ، ويمكننا أن نقول بكل ثقة إن بداية الأسرة كانت شعرية ، وأن أكثر أعضائها مارسوا كتابة الشعر ، ثم انتقوا منه إلى جنس آخر ، أو جمع بين عدة أجناس .

ففي الشعر نجد الثلاثة المؤسسين للأسرة ، وانضم لهم عبدالسلام هاشم ، وعبدالرحمن رفة ، ومحمد العيد الخطراوي ، ومحمد سعيد دفتردار ، وماجد الحسيني ، وخالد نعمان ، وعبدالرحمن عثمان ، وأسامة عبدالرحمن .

وفي القصة : علي محمد حسون ، وحسين علي حسين ، وغالب أبو الفرج ، ومحمود عيسى المشهدي ، (ولد بالمدينة سنة ١٣٥٥هـ وتوفي سنة ١٤١١هـ) ومن مؤلفاته : (الحب لا يكفي) وهي قصة طويلة من ١٣٠ صفحة ، وله أيضاً مجموعة قصصية بعنوان (ابتسام) .

كما جمع بعضهم بين الرواية والقصة الطويلة ، ومن شواهد هذا الفن : (الطيبون والقاع) طبع منها الجزء الأول فقط ، وهي للروائي علي حسون ، ولغالب أبي الفرج أكثر من رواية منها (غرباء الأرض) ، و(الشياطين الحمر) ، و(بيروت تحترق) .

ومن كتبوا للمسرح الخطراوي ، وقد ظهرت له مجموعة مسرحيات بعنوان (مسرحية أسد بن الفرات ومسرحيات أخرى) .

وينفرد عبدالعزيز الربيع بكتابة السيرة الذاتية (ذكريات طفل وديع) ويسهم مع غيره في الكتابة النقدية ، لكنه برغم مواصلة الجهد لم يستطع أن يخطط لنفسه منهجاً نقدياً يعرف به ، وكان قوياً في مواجهة خصومه ، كما هو الحال في (شوقيات وشوكيات) .

وشاء الله أن تنشط بعد ذلك كل الأجناس الأدبية ، ويكون للمدينة المنورة باع للمشاركة ، أو ريادة رائعة .

إتجاهاتها الفنية

١- الرمزية :

يمثل شعر محمد العامر الرميح المذهب الرمزي بكل أبعاده ، وذلك رغبة في التجديد ، وكتب
النثائر الشعرية ، ومن ذلك قصيدته التالية :

آلاف اللوحات

على الحائط الأزرق الطويل

عيونها المنفتحات

تحقق بي

تسمرت أحداثها

في معطفي

وآلاف الأيدي

تلوح لي

نحن هنا .. في يوتوبيا

نحن هنا أسرة واحدة

فلا تشتتر

لا تأخذ إلى بيتك

مني شيئا

وهناك

في آخر الحائط الطويل

على حافة الجدار

طفلة صغيرة
طفلة صغيرة معلقة
تسلّقت عيناى إليها الجدار
وجدتها تضحك .. تضحك في مرح
كأنما أعينها قوس قزح
وضحكها الصامت .. في ذلك النهار
خشيت أن يحطم الإطار
خشيت أن يهدم الجدار
ورحت أسأل ..

- وفي قصيدة أخرى يقول :

وعصفت الرياح
وانطفأ المصباح
وتعالى النواح
أماه .. أبى .. أختى
فيرجّع الإعصار .. ألف صوت
أختى .. ابني .. بنتى
ويسمع من بعد دوى إعصار
تعقبه ضجة الأمطار
وجندي يمر تحت الجدار

إلى أين ؟
بيوت تنهار .. بيوت تنهار
جنائز في كل دار
خذني معك
أين ؟
إلى الموت أيها الملك
أحب أن أموت أن أحترق
هات يدك
الحياة لمن هلك
خض معي في الطريق
اقتحم الأمواج
قدماي غاصتا في الطين
تكاد تحرفني الأمواج
أف .. البرد .. البرد كالمسمار
أف .. البرد .. البرد كالسكين
وفي الغد
مرت الشمس مغسولة الجبين
وحدقت في اللاشيء في المئين
عبرة للآخرين إلى الأبد

- ومن ناثراً فوزية غوث دون ملامسة للرمزية :

هلم وأسعدني ردحا من زمن
وتجاوز بالقرار وميض الحزن
قد جريت وراء السحب
سحبك يا تلك المحن
بعد أن ملكت القلب
وضاءاً مهيمناً مستكن
أهوى في الوجود نسمة تحاصرني
والنجوم شواهد لي ولك
يا حقيقة في زمن
لبيت لحقيقة كانت في وسط جوارحي
تصرخ سافرة كليل في معترك المحن
لست أدري الآن أي خاطرة خطرت
فالقلب يثور ويهدأ
ويحتضن دنيا أمن وأمن
لا تقل يا حبيبي اليوم كغد وغدا كالיום
وأنت أدري بالذي ينام في صدري ويندفن
أمال ذخرتها أعواماً طويلة
وسراً حنوناً لزوايا نفسي يحتضن
أحبك مهما كانت الظروف

أحبك بأدمعي .. بتفكيري

بنبضات قلبي

أحبك عظيما بعدد النقاط

فوق الحروف

— ومن كتب شعر التفعيلة باقتدار : محمد هاشم رشيد والصيرفي والخطراوي ، ومن ذلك قصيدته (التافهون) انظر ديوان دائرة الغبار ص ١١٠ وهي :

الناسُ في عصر الفضاء

يتطلعون إلى القمر

وإلى زحلْ

وأنا وإخواني الغباه

نحيا الحياة بلا أملْ

نحيا ليقتلنا المللْ

ونسير من خلف الجملْ

بقناعة لا تُحتملْ

نُجتَرُّ ما قال الأولْ

عن سالم الزير البطلْ

وحروب سيفٍ أو فتى عبسٍ يسير على عجلْ

ونقابل الصاروخ بالعضب الأسلْ

ونظّلْ نهتف للُدَجَلْ

أواه ..! ما هذي العلل ..!

وننام في كنف الكسل

متوسلين إلى الدول

أن يمنحونا قوتنا .. حتى البصل ..!

رباه أغرقني الخجل ..!

حَتَّام تلفظنا القبور إلى القبور
ونُدور عبر متاهة العمر الكسير
لا شيء يغرينا فننهض للمسير
حتى السياط ووسمها منا الظهور
وتأوّه البؤساء من فوق الحصار
وضرارة الأحلام في ليل الثبور
وتشذّق الجهّال بالعلم الفطير
أضحّت تقدّم في الحياة لنا السرور
رباه ما هذي الشرور ..؟
هل مات في الناس الشعور ..؟

٢- الكلاسيكية الاتباعية :

الاتباعية في الموضوعات وفي الشكل ، بالتزام الشعر الشطري ، ويمثل ذلك محمد سعيد
دفتردار وعبد الرحمن عثمان ، وأحمد فالح ، وعبد الرحمن الشبل ، والرفه .

٣- الرومانسية أو الابتداعية :

ويمثلها محمد هاشم رشيد ، وماجد الحسيني ، ووقع في حبالها لفترة معينة الخطراوي ، وهؤلاء الشعراء الثلاثة هم وحدهم في المدينة الذين استطاعوا أن يسهموا في تطوير الشعر في المدينة، بل وفي الشعر السعودي بعامة ، غير أن رشيد والحسيني ظلت علاقتهما جلية بإبراهيم ناجي، ومحمود حسن إسماعيل ، وأبي القاسم الشابي ، وعلي محمود طه ، وإبراهيم ناجي ، واستمر الثالث (الخطراوي) يواكب الحداثة ، بل ويتدع في شعره ، فيما بين ١٤٠٠-١٤٢٥ هـ .

أما الشاعر عبدالقدوس الأنصاري (من خارج الأسرة) فقد كان شعره يتردد بين الابتداعية والاتباعية ومن شعره الرومانسي قصيدته (أنين السانية) وهي : (المنهل ج ٢)

في ظلام الليل من بين التلول هتفت سانيةً وسط النخيل
وشداسائقها مبتهجاً بسكون الليل في الوادي الجميل
وسرى الصوتان في الليل معا سريان النور في الجو الصقيل
فهفا نحوهما ذو لوعةٍ قد كساه الحب برداً من نحول
بات في ليلته من وجلٍ وسهادٍ في عشيرٍ وقبيل
ومشى المسكين في بردٍ ضئيل يقصد الشادين في خطو ثقيل
فلإذا أهاته تفضحه أي سترٍ لمحِبٍّ في طول ؟
وجم السائق إذ قد راعه شبح الطارق في البرد الضئيل
ومضت سانية الحقل جوى ترسل الشدو حزينا في السهول
يخرق الأجواء في رنّته فيفيض الأنس في القلب العليل
شعرت أن الذي قد أمّها ليس إلا مستهماً في ذهول
فلتواس الضيف في جنح الدجى بقرى ينعشه قبل الرحيل
واستطاب الضيف في ليلته صوته المفعم بالروح النبيل

فشدتُ تُعلمه في لحنها أنها تسدي له أجمل قيل
كلنا صبُّ وأرباب الهوى إخوة يجمعهم كبح الميول
غير أنني لذَّ لي هذا الهوى فهو عيشي وسروري وقبولي
فلإذا أضنتك آلام الجوى واستبدَّ الهم بالجسم النحيل
وسبت قلبك ساعات النوى ربَّة القامة والطرف الكحيل
فأنا أعشق أغصان النخيل أن أراها مائساتٍ في الأصيل
أو تكن صبّاً بظبي فاتنٍ عبق النكهة ذي خدٍّ أسيل
فأنا يبهرني روض انيق مكثس بالزهر عارٍ عن ذبول
وإذا ترسل أهات الهوى مستراً في الدجى خوف العذول
فأنا أشدو بها في علنٍ لخلود الحب جيلاً بعد جيل
وإذا أرسلت دمعاً ساخناً في الدياجي ، كأنما سرَّ الرسول
فأنا أسكب دمعِي أنهرأ فائضاتٍ في خدود من حقول
لأروِّي بدموعي فاتني وأنمِّيهِ بمائي السلسيل
وإذا ما ذبت من عبء النوى فتبدت كعصفور هزيل
فأنا ينزح غربٌ جاهدٌ من فؤادي كل هاتيك السيول
وإذا أدك وجدُّ عابرٌ فأنا أرتاض بالعبء الثقيل

الأسرة والمرأة

لم تكن طموحات الأسرة قاصرة على الرجل فقط ، بل كانت تمتد وتمتد ، لتصل إلى مجموعة من الأدبيات اللاتي كن في بداية طريقهن للتألق والنمو في خريطة الثقافة بالمدينة، وتدقق عطاؤهن الأدبي ، وأقبلن على الكتابة في الصحف ، واشتركن في معالجة الفكر الحديث، وتولت الأندية الأدبية بعد ذلك نشر بعض إنتاجهن ، وفي مقدمتهن : سهيلة زين العابدين حماد، ونورة الخريجي ، وصالحة سروجي ، وفاطمة سعد الدين ، وفاطمة علي الجبيلي ، وليلى الجهنى ، وحكيمة الحربي ، ووفاء الطيب ، وبثينة إدريس .

١- سهيلة زين العابدين حماد :

هي من مواليد المدينة المنورة ، من أسرة عريقة. حصلت على درجة البكالوريوس في التاريخ، من جامعة الملك سعود ، ولم تشأ أن تعمل في التعليم ولا غير التعليم ، بل تفرغت لتثقيف نفسها، ثم بدأت بالكتابة في بعض الصحف، وهي كاتبة واسعة الثقافة، ومفكرة متميزة ، ومن مؤلفاتها :

١- المرأة بين الإفراط والتفريط ، ط ١٤٠٤هـ .

٢- مسيرة المرأة السعودية إلى أين ؟ ط ١٤٠٤هـ .

٣- درو المرأة المسلمة في وضعنا الراهن . ط ١٤٠٣هـ .

وقد كانت ضمن من كرمهم النادي .

٢- فوزية حمزة غوث :

هي ابنة السفير حمزة غوث ، أنشأت منذ وقت بعيد روضة للأطفال تديرها بنفسها ، وأسمتها (البراعم) ، واستمرت تعمل فيها إلى الآن. حصلت على بكالوريوس التاريخ من جامعة الملك عبدالعزيز. وهي تمارس كتابة النثر (وهي ما يسميه بعضهم بالشعر المنشور) ولها على هذا الأساس ديوانان :

١- دمعات العفاف .

٢- حنين في كل حين . (تقديم د. محمد العيد الخطراوي) .

= وفيما يلي نورد اثنتين من ديوانها (حنين في كل حين) : الأولى بعنوان (همس وشجن)
ص ١٢٩ :

أيها الهامس من قلب الدجى

أنت الوفاء وأنت الرجا

كل شيء هادئ حنون

والسكون

جنون

يناديك بجنون

أيها القاسي عليا

أقبل إلينا

ذكراك لم تفارق مقلتي

وخيالك بين المحاجر

ماثلا أمام عينا

يهامس الليل

وإذا الليل مع الوجدان اختلطا سويا

تعال نتسامر حول موقد الوفاء

أنا وأنت سنبقى سويا

نمد خيوط الليل بالحديث تطويلا

ونضرب على الأوتار من نجوانا ترتيلا

ونشعل الفحم نارا

تفوق احمرار قنديلا

ففي النفس حر

وفي القلب إليك حنين

وبين الجوارح شوق

لا يقبل أي تبديل

دع خط سيرك داري

ووقوفك بجواري

بهذا الإلمام ترضيني

وتبرد حري وناري

وتغيب شمس أحزاني

وتبقى على مدى العمر

أملني وآمالي

وأحبك نغما لوجداني .

— والثانية بعنوان (ثورة قلب) ص ١٥٩ :

هلم واسعدني رداً من زمن

وتجاوز بالقرار وميض الحزن

قد جريت وراء السحب

سحبك يا تلك المحن
بعد أن ملكت القلب
وضاء مهيمنا مستكن
أهوى في الوجود نسمة تحاصرني
والنجوم شواهد لي ولك
يا حقيقة في زمن
لبيت لحقيقة كانت في وسط جوارحي
تصرخ سافرة كليل في معترك المحن
لست أدري الآن أي خاطرة خطرت
والقلب يثور ويهدأ
ويحتضن دنيا أمن وأمن
لا تقل يا حبيبي اليوم كغد وغدا كالיום
وأنت أدري بالذي ينام في صدري ويندفن
آمال ذخرتها أعواما طويلة
وسراً حنوناً لزوايا نفسي يحتضن
أحبك مهما كانت الظروف
أحبك بأدمعي .. بتفكيري
بنبضات قلبي
أحبك عظيماً بعدد النقاط
فوق الحروف

٣- نورة عبدالعزيز الخريجي :

أدركت الأسرة في آخر أيامها ، وبعد تخرجها في الجامعة التحقت بالعمل في مدارس المدينة ثم عينوها مديرة للثانوية الثالثة بالمدينة ، وبدأت تكتب في الصحف كالمدينة والبلاد ، وكانت موضوعاتها ذات درجة حرارة عالية ، وانطلاقاً من فكرها التربوي أثرت التعامل مع الأطفال ، فسعت بإلحاح إلى الانتقال إلى حقل رياض الأطفال ، فنقلوها بطلبها مديرة (روضة الأطفال الأولى) بالمدينة .

— وفيما يلي قائمة بكتاتيب البنات في المدينة المنورة ، عام ١٣٥٦هـ ، أي قبل نشأة الأسرة ، نقلاً عن كتاب (التعليم في المدينة) لمؤلفه الأستاذ ناجي محمد حسن الأنصاري ص ٥٧٩ :

١- كتاب الشبيخة فخرية .

٢- كتاب الشبيخة أمينة .

٣- كتاب الشبيخة فاطمة هاتم .

٤- كتاب الشبيخة فاطمة خليل .

٥- كتاب الشبيخة سلمى بنت الحاج سليم .

٦- كتاب الشبيخة زهرة السنارية .

— ثم تطورت أكثر إلى مدارس أهلية يمثلها الجدول التالي ص ٥٨٢ :

١- مدرسة تهذيب الأخلاق ، أسستها فخرية هاتم ، سنة ١٣٤٨هـ .

٢- مدرسة فاطمة هاتم ، أسستها فاطمة هاتم ، سنة ١٣٥٠هـ .

٣- مدرسة فاطمة التركية ، أسستها فاطمة التركية ، سنة ١٣٥٣هـ .

٤- مدرسة الفوز والنجاح ، أسستها زينب مغربية ، سنة ١٣٦٢هـ ، قلت : وتعد هذه السيدة إحدى أعلام التربية والتعليم في ذلك الوقت :

وهي زينب حسن عبدالله مغربل ، ولدت بالمدينة المنورة ونشأت في بيت علم وأدب ، تعلمت في كتاب الفوز والنجاح الذي أسسته الخوجة فخرية هاتم ، واستمرت فيه حتى انتقلت الخوجة فخرية إلى مكة المكرمة ، قررت هذه السيدة أن تؤسس كتاباً يحمل نفس الاسم كمدرسة أهلية

تحت إشراف مديرية المعارف ، عام ١٣٦٢هـ إلا انه عرف بكتاب المغربلية ، وكان موقعه في العنبرية ، وبلغ في إحدى عدد تلميذاتها (١٠٠) تلميذة .

ثم عينت سنة ١٣٨٢هـ مراقبة للمدرسة الابتدائية الأولى للبنات ، واستمرت في العمل التربوي إلى أن تقاعدت سنة ١٤٠٥هـ ، وانتقلت إلى رحمة الله سنة ١٤٢٠هـ ودفنت بالبقيع ، وقد كرمها نادي المدينة الأدبي بعد وفاتها .

٥- مدرسة المقاصد الإسلامية ، أسستها الشريفة شرف علمية ، سنة ١٣٦٥هـ.

٦- مدرسة الهداية الإسلامية ، أسستها أم نعيم البخارية ، سنة ١٣٦٦هـ.

٧- مدرسة بتول التكرونية ، أسستها أم البتول ، سنة ١٣٦٦هـ .

ثم أدمجت هذه المدارس مع المدارس النظامية ، واشترك بعض المسؤولات عن المدارس الأهلية إلى وظائف إدارية تابعة للرئاسة العامة للبنات ، بالمدينة ، فكانت - مثلا - شرف علمية مديرة للمدرسة الابتدائية السادسة بالمدينة ، وكانت تمارس كتابة الشعر ، وكنت أتولى تصحيح ما يجب تصحيحه ، ثم أخرجت منظومها في ديوان صغير ، سمته (صدى نفسي) ، وقد كرمها نادي المدينة الأدبي بعد وفاتها بدرع تقديري .

وهكذا تكون أسرة الوادي المبارك قد مكنت لهؤلاء الكاتبات إمكان التفوق وإثبات الذات ، وهن في بداية طريقهن ، والأسرة تفخر بانها استطاعت تشجيع كاتبة أصبحت فيما بعد أديبة ومفكرة يشار إليها بالبنان ، وهي سهيلة زين العابدين حماد .

وتفخر أيضا بالشاعرة فوزية غوث ، والشاعرة المربية شرف علمية، كما تفخر أيضا بالمربية زينب مغربلية ، وتفخر أيضا بالمربية الأديبة نورة الخريجي .

وأفتخر أنا بهن جميعا افتخارا خاصا ، إذ أكثرهن من طالباتي . وكنت همزة الوصل بينهن وبين الأسرة .

وهكذا لم تكن الأسرة تعمل بمعزل عن شرائح المجتمع المختلفة ، بل كانت تهتم بمد جسور الأدب والفكر ، إلى كل من تأنس فيه نبضة من حياة .

الأسرة والعامة

كان موقف الأسرة واضحاً تجاه العامة ، فهي لا تشجع العامة ، ولا تفسح لها المجال إلا في الحدود الضيقة ، إلا أن الشاعر حسن مصطفى صيري ، كان يملح بعض أشعاره بالعامة ، وكان يعتقد أن ذلك البهار الذي يضعه في أثناء قصائده أمر مشروع ، ولا غضاضة فيه ، ومن ذلك قصيدته (سيارتي) من ديوانه (دموع وكبرياء) ص ٤٥ :

ويا ويح سيارتي إنها لها كفرات من النائمين
تمزّقها الريح من لمسها ويخذشها الورد والياسمين
على أنها في خريف الحيا ة مدبل ثمانية وأربعين
ويوم اشتكت من عناء الحفا ء ، وما لقيت في قديم السنين
تفلت عليها وخسأتها وقلت: احمدي الله إذ تُركبن
وفي نزهة على ضفاف العقيق ، خرج بمعية سيارته التي أتعبته وأجهدته بجرائها وكَحَيْنتها ، وسجل ذلك في قصيدته التالية :

خرجت بسيارتي مرة أروّضها في طريق العقيق
فقلت: حنانيك في سُستِي من الرجّ في سكرة لا تفيق
وكل الصواميل قد أصبحت مبعثرة في حنايا الطريق
وأما اللديتر قد أوشكت مصارينه تصطلي بالحريق
يبرر من غيظه حانقاً يرجع ترتيل بقّ بقّ بقيق
ألم تر عمري كعمر الزهو ر ، ومهري كثير ، وأصلي عريق
فكيف تمرّغني في التراب؟ أتحسب أنني حمارٌ عتيق؟
أتقتلني في ربيع الشباب وتطحنني مثل طحن الدقيق؟

ويبدو أن سيارة صاحبنا الصيرفي ، كانت تشبه بغلة أبي دلالة ، فهو أبداً يهجوها ، وربما كان المراد من حديثه عنها بصورة مضحكة : تنبيه أولي الأمر آنذاك إلى ما يعانيه الناس من صعوبات الطريق .

وتحت عنوان (مسكينة) ص ١٤٧ ، وهي مهداة لمعالي الشيخ محمد سرور الصبان ، يقول :

أنت أدري بأن لي سيارة نصف أعضاء جسمها مستعاره
فهي في الصباح للإجار، وفي العصر ر بأصحاب حضرتي دواره
منذ حين قد خِطَّت ثم أمت وعليها من التراب زياره
من لها؟ من لها؟ لترجع فيها بعد هذا الخمول تلك الحراره
والذي يستطيع يبرئ منها كلّ داء إذا أشار الإشاره
من تراه سوى فعولن مفاعيلن فعولن، أصوابه مدراره
الذي في دمائه راسب الخير وفي روحه وقود الشراره
والذي إن وصلته قضي الأم رومزقت بالضياء غباره
وكتابي إلى محمد يأتي هـ، فيأبى عليه تلك الخساره

وفي قصيدة له بعنوان (شَرَوْه) الديوان ١٤٩ :

اشترينا سيارة استندر إنجليزية بلوَح مُنَمَّر
قد أصيبت في قرية بعناء جعل الماء في الطريق يخرخر
تركوها هناك حرصاً عليها في مكانٍ بوحدةٍ قرب مخفر
تم هذا الشراء في عصر يوم لم يكن غائماً، وما كان ممطر
واعتزمتنا عند الصباح بوئش وبلُوري نجرها للبندر
وذهبنا لصاحب أمن الوئش ش، وفي الصباح سحبها قد تقرر

ذهب الونش في الصباح إليها هادراً في طريقه متكبر
ثم عاد السلتوح من بعد هذا دون جلب العريزة الاستندر
وسألنا مهندس الونش عما جدّ حتى أتى إلينا محسراً
قال : رحنا هناك حتى وصلنا فإذا القرية الصغيرة تزخر
بمياه كثيرة بعد مُزْن سال في الليل كالقضاء المدبر
ووجدنا مكانها صار بحراً فيه سيارة المكرم تمخر
وخشينا من الوصول إليها فهي في موضع غويطٍ محدّر
يغمر الماء نصفها، بل يغطي كل أعضاء جسمها المتكسر
وفي قصيدة أخرى يتحدث عن سيارته بعنوان (مشكلة) ص ٥١ مطلعها :

إن لي في القراج سيارة فردٍ شوتني بكثرة الإصلاح
وأخرى بعنوان (في الحمام) ، وأخرى بعنوان (النهاية) .

ويذكرنا هذا الشاعر مع سيارته ، بشاة أبي سعيد ، وطيلسان ابن حرب ، وبغلة أبي دلامة ، وقد
سبق أن كتبت عنها ، وأعدكم أن أكتب عن سيارة أبي علي ، إن شاء الله .
- ومن عاميات شاعرنا الصيرفي قوله :

يانسيم الصبا ربحتك عطر غالي
ربحتك من قبا ولأ نسيم العوالي
وقصيدة له بعنوان (يا قلبي إيش سويت) :

ليش الحبيب مالان وقربه صار هجران
ليت اللي كان ما كان وتعود ليالي زمان
يالي تنفعني ياليت

ياما سهرت الليل وثفت وبل الويل
أستنى عند الباب يمكن يجو الأحباب
وارجع بزّي ما جيت

فين الحبايب فين أجيب وليف في منين
حرم عيوني النوم وبرضه لسه يلوم
يقول أنا اللي جنيت

طول النهار حيران وفي الليل كمان سهران
عايش مع الأحزان أطف في النيران
ويقول: إنت نسيت

وأنا اللي بستناه أصبح وأمسي معاه
على أمل لقياه ما عندي غير ذكراه
يا قلبي إيش سويت

ضحكت عليّ الناس والفاش جا في الراس
لا باس عليك لا باس خلّيتني مسحتاس
لاحى ولاني ميت!

– وتلبية لبرنامج الأطفال بتلفزيون المدينة كتب محمد يوسف شاذلي مجموعة من الأناشيد وكذلك فعل الخطراوي ، وسليمان الحازمي ، وبرز بعد ذلك الأخ مدني شاكر ، وما كتبه الشاذلي ولحنه محمد يوسف النشار :

١- المدرسة فتحت أبوابها :

المدرسه فتحت أبوابها بتنادي الأطفال أحبابها
وتقول سلامات دي سنتكم جات أهلا وسهلا
ياالله يا بنات شيلوا الشنطات عالأتوبيسات من الصُّبحيه
وانتو يااولاد لايفوتكم ميعاد جماعات أفراد من الصبحيه
سيروا على طول لدروس وفصول والكل يقول من الصبحيه
المدرسه فتحت أبوابها بتنادي الأطفال أحبابها
وتقول سلامات دي سنتكم جات أهلا وسهلا
ياالله يا اطفال يا صغار يا كبار خليككم شطار إنت وهيا
خذوا بالكم تمام فتحو الأذان وعيونكم كمان إنت وهيا
خليك غندور تنجح على طول دايمًا وتقول إنت وهيا
المدرسه فتحت أبوابها بتنادي الأطفال أحبابها
وتقول سلامات دي سنتكم جات أهلا وسهلا

٢- أنا رحت الدنيا ولفيت :

أنا رحت الدنيا ولفيت زيك يا طيبة ما لقيت
واحلفلك برّب البيت غير أرضك أنا ما حببت
غير أرضك أنا ما حببت
يا طيبه الله الله يا طيبه ما شاء الله

يا طيبه يا أحلى مكان يا أرض الطهر والإيمان
نورك شع في كل مكان حمل الخير لكل إنسان
حمل الخير لكل إنسان
يا طيبه الله الله يا طيبه ما شاء الله
الله من عنده هنانا واختار طيبه سكنانا
والكل يتمنى لقانا يعيش في طيبه معانا
يعيش في طيبه معانا
يا طيبه الله الله يا طيبه ما شاء الله
يا ساكن طيبه وضواحيها متهي يا بختك فيها
مجاور نبي الله يا سعدك يا هناك فيها
يا سعدك يا هناك فيها
يا طيبه الله الله يا طيبه ما شاء الله

٣- يا مطره حطي حطي:

يا مطره حطي حطي وعلينا يا الله صبي
يا مطره يا مطره يا مطره حطي حطي
نسيمك هفهف علينا يا أم البركه أسقينا
خلي الربيع بوادينا يخضر ينور أراضينا
سحابك لما يجينا نفرح فيه ويهنيانا
ونبقى رافعين أيدينا نستنى تصبّي علينا

برقك لمابيلالي	يضيء السهل والوادي
يخلني الكل ينادي	يا ربي تسقي بلادي
الطير غرّد على اغصانه	بقدومك ردّد ألحانه
محلا خيرك وزمانه	الكل فرحان على شانه

٤- عنبي يا عنبي :

عنبي يا عنبي يا عنابي	يا هديّة من أرض بلادي
عنب المدينه يا أحبابي	عناقيد بتلمع وتلالي
ياريت يا أختي نكون عصافير	نفرد جناحنا كده ونطير
على المزارع والبساتين	ناكل عنب ونعود طابرين
دوقسي يا أختي عنبايه	وانت دوق منه على الريق
يا سلام عليه حلو للغايه	وطعمه والله يبّل الريق
ياريت يا أختي نكون عصافير	نفرد جناحنا كده ونطير
على المزارع والبساتين	ناكل عنب ونعود طابرين
عنب المدينه يا محلاه	عناقيد غسل بترد الروح
لايوم في عمرنا راح ننساه	لو حتى آخر الدنيا نروح
ياريت يا أختي نكون عصافير	نفرد جناحنا كده ونطير
على المزارع والبساتين	ناكل عنب ونعود طابرين

هـ- قلبي ليه :

قلبي ليه قلبي ليه ولماذا وكيف ا إنت عاصي وراسك ناشفه
قلبي ليه قلبي ليه

قلبي ليه ما تذاكر درسك كيف تبغى تنجح وانت بليد
ذاكر وحاول أصلحك تلقى النجاح حاصل وقريب
أما أن تلعب على كيفيك كيف بس تنجح قلبي كيفا
قل لماذا وليه يا أخي نادا بما دافا ترك ممزقه
والشنطه صارت زي الطينا واقلام سيادتك مكسره
ولما تسقط تبقى حزينا كيف المهمل ينجح كيفا
قلبي كيف ما تحمل الواجب وتخلى أستاذك زعلان
حاسب يا شيخ على نفسك حاسب لا تصير في آخر السنة خسران
ويقولولك بكره يا راسب كيف المهمل ينجح كيفا

– وما كتبه الخطراوي مونلوج (يابو دباب) :

يا بودباب يا بودباب أنا من هولك راسي شاب
مرة كانت طفلة صغيره جايبه فول لحوش عميره
جا الدباب وتركها فطيره وخلاها زي الكباب
وشفت الشيبه عم متوّلّي رايح للمسجد يصلي

جا الدباب كالمهم مجلّي وزَقَل الشَّيبه عند الباب
 إيش خلاه يدخل السوق ومن وراه مسوِّي صندوق
 مرة يفرمل، ومره يسوق ومره يشقق الثياب
 ياعسكري خذ منو الرخصة وبسجنو ياللّه توصي
 كل يوم يساوي قصه يبغى لها تنشر في كتاب

وقد قام بتلحينها عبدالرحيم شرف رحمه الله .

– وكتب كذلك مجموعة من أناشيد الأطفال :

أرجوحتي

أرجوحتي لطيفه	جميلة ظريفه
طويلة الحبال	سريعة خفيفه
كثيرة الألسوان	كدمية طريفه
قوية الأركان	بإخوتي محفوفه
أرجوحتي كالزورق	بشاطئ البحور
وحيثما أرقاها	أصير كالأمير
وحولي الأصحاب	كباقة الزهور
وأعين النسيم	تزخر بالسرور

١٣٨٨/٦/١٠هـ

مكتبتى

ميم وكاف وتاء وباء وتاء وياء

مكتبتى المختاره	تعلم الشطاره
بها يتم صقلي	ويستنير عقلي
وأفهم العلوما	وأدرس التقويما
وأحفظ الحسابا	فأسبق الأصحابا
كأنها بستان	أناب به فنان
أقطف الثمارا	وأنشق الأزهارا
وأسمع الأطيارا	وأرتقي الأشجارا
هنا مقر كتبي	هنا يقيم صحتي
صاحبنا الكتاب	يا أيها الأصحاب
فيأرق الحاره	تعلموا الشطاره

١١/٦/١٣٨٨ هـ

هات

هات لنا صحن القطايف واملا السفره رغايف
ومن المحشي الطرايف وقللي تفضل علشاييف
قرب السننوسك مني واجعل التمرات (برني)
أنا قد صمت لأنني محسن في الله ظني
أنا في شهر الصيام ذاكر رب الأنعام

في ركوعي وقيامي تارك حلو المنام
 رمضان وسط المدينة فيه أنوع السكينة
 من يصمه في المدينة يرفع اللّه شأنه
 ١٣٨٨/٩/٣ هـ

ولحسن صيرفي كتابات بالشعر النبطي ، لكنها كانت بحمد الله قليلة ، منها قوله :

يا الزين ما ينفع ترى القال والقليل خل الأمور تسير حسب التساهيل
 وقصيدة بعنوان (ما ينفع الصوت في الفوت) :

وحجّيج كالنون في عرض دفتر سطر قلمها حنيته حنية الكاف
 لزويّنة يا ربحها طيب عنبر ما من سمع يا ناس مثل الذي شاف
 إن جيتها مشتاق يالربيع تنفر شبه الظبا يركض بعيد إذا خاف
 من نظرتة أونست في القلب خنجر وبين الدوا ما ينفع اليوم شواف
 ما ينفع الصوت في الفوت والقلب أخضر مرعى خشوف نبتها ما بها خلاف

(حجّيج : الحاجب . أونست : حسيت . شواف : الطبيب . خشوف : إحدى أسماء الظبا)

وقد سبقه إلى هذا من شعراء المدينة إبراهيم الأسكوبي (١٢٤٦-١٣٣١) انظر ديوانه بتحقيق الخطراوي (ص ١٨٠) منها قوله لمحمد بن رشيد :

يا اللّه أسألك يا حي يا معبود يا من تجيب العبد إذا جاك سائل
 تجعل عزيز النصر مقرون بسعود والحظ خادم للعطايا وحامل
 وسعود لولا منك بالله مسعود نجاة من كل عدو محاطل
 كلا ولا دارت حواليه الجنود في رأي معها سنا عيس حایل

بيض الوجوه الأسد دون العضوض يوم المنايا والردايا حوايل
قالوا لمتعب قصدنا الصيد ونقود وما دروا بأن الله ما هو بغافل
وقوله في القهوة :

قهوة البن عره سموده ومسخنه ومره
لو كان فيها أمل ما حرق الناس به
وقوله من الطائفي :

تملكتني بالود يا رم رامه ويا ظبي نفاح
وغربتني عن ديرتي بوادي تهامه ونقضت الاجراح
غنيت وحدي جاوبتني الحمامه طوير العناب صاح
شربت ما لذ من روح المدامه وطاب لبي الراح

وللمخطراوي مسرحيتان بعامية المدينة هما (فتافيت المرايا) و(مجلس أم شخبوط) وأعترف بأن
مزاولة الشعر العامي والنبطي تضعف قدرة الشاعر على كتابة الشعر الفصيح ، وأحمد الله
الذي استنقذني من سحر العامية ، وأن ردني إلى الفصحى سالما غائما ، ولم تكن الأسرة تعادي
العامية ، أو تضيق بالشعر النبطي ، ولكنها ترى الخلود للشعر الفصيح .

الأسرة والأنشطة الرياضية

وكان لأعضاء الأسرة مشاركات في الأنشطة الرياضية بالمدينة ، وكان للأستاذين حسن صيرفي ، وعبد الرحمن رفة القدح المعلى في هذا الصدد ، فقد اشتركا في تأسيس الناديين البطلين ، وهما أحد ، والعقيق .

ثم ترأس الأستاذ عبدالعزيز الربيع نادي المدينة الرياضي الذي نشأت بجانبه أندية أخرى ، ثم رأت الرئاسة العامة لرعاية الشباب دمجها في ناديين اثنين فقط ، فبقي لأحد اسمه القديع ، واختار الآخرون ناديا جديدا أسموه (الأنصار) ، وترأسه الربيع ، وشاء الله أن أكون من المؤسسين لهذا النادي ، مع مجموعة من رجال التعليم ، وهم أحمد بشناق (نائباً للرئيس) ومحمد حميدة ، وعمر حيدري ، وشهاب رضوان ، وسليم رداوي .

ورغم أنني كنت المشرف الثقافي في نادي الأنصار ، فإنني كنت عاطفياً ، أحدياً حتى النخاع ، وبخبري من أصدقائي عبدالرحيم أبوبكر ، وسالم مصطفى الحامد كتبت أحدية ألقيتها بمناسبة فوز النادي في كرة السلة سعودياً وخليجياً ، أذكر مطلعها :

أحد يقول ورأسه في القمة من ذا ينزل في الملاعب فتيتي
وأما الشاعر الأستاذ أحمد فالح الحربي ، فقد كتب قصيدة بعنوان (تحية نادي المدينة المنورة الرياضي بمناسبة افتتاحه ، على شرف صاحب السمو الملكي الأمير عبد المحسن بن عبدالعزيز) (٢٩ / ٧ / ١٣٨٦ هـ) .

أميرنا الشهم أهلاً باسم نادينا ومرحباً كل من لبي لداعينا
بين الشباب الذي للمجد تدفعهم روح الشجاعة منكم مستمدينا

هذا (العقيق) (وأحد) قبلنا سبقا (والنهضة) الأمس ضموا اليوم نادينا
هذا الشباب الذي تنبي طلائعه عن نهضة من ركاب المجد تدنينا

وما الرياضة لهو في ملاعبها في غمرة من صدى التشجيع تلهينا
ولا الرياضة قتل الوقت في مرح نبقى بها عن جنود الجليل راضينا
بل الرياضة روح ثم تضحية نؤمها عن هموم الدهر تسلينا

إنابنوا أمة للدين قد خلقت يفنى المسن وينشأ فيه ناشينا
أرواحنا في أكف غير راجفة ما أعذب الموت إن عاشت أمانينا

هذي الطريق وكانت قبلنا طرقت هذى سبيل المعالي من مواضينا
ما بدر؟ ما أحد؟ ما الأمجاد إذ سطعت إلا مغاويرها من أرض نادينا

ونحن أبناء من بالحق قد صدعوا وقوة الصبر معنى من معانينا
سلاحنا الدين والأخلاق عالية أسلافنا فالأمانى طوع أيدينا
إذا ادرعنا بما في مثله ادرعت نفوسنا مشرئبات لماضينا

إذا اهتدينا بنور من شريعتنا وحل في حقل منأنا تلاقينا
سيمحي الظلم والطغيان قاطبة أعلامنا سوف تعلو في فلسطينا

هذي أميري ومن بالحفل قد حضروا تحية الشعر تهدي باسم نادينا

الأسرة والنشاط المسرحي

أحمد عيد حسن أبو ربيعة

ولد سنة ١٣٧٣هـ وتلقى تعليمه في المدينة المنورة حتى وصل إلى الماجستير في تكنولوجيا التعليم من كلية التربية بجامعة الملك عبدالعزيز ، وكان موضوع رسالته (أثر التمثيلية التعليمية على التحصيل الدراسي) .

عمل مدرسا من حين تخرجه من معهد إعداد المعلمين سنة ١٣٩٣هـ ثم عمل موجها للتربية المسرحية بإدارة التعليم عام ١٤٠٧هـ وحتى عام ١٤١٢هـ حيث حققت المدينة المنورة المركز الأول على المملكة طيلة السنوات الست . ثم عاد إلى التدريس سنة ١٤١٣هـ وبقي فيه حتى اليوم .

مثل المملكة في عدة مؤتمرات مسرحية عربية وشارك في العديد من المهرجانات المسرحية العربية، وحصل عل كثير من الجوائز على مستوى المملكة. وله الكثير من الأعمال المسرحية تأليفا وإخراجا ، وقد تجاوزت الثلاثين عملا قام بتأليف وإخراج معظمها. وتركه يحدثنا عن مسيرة المسرح في المدينة وتجربته مع المسرح :

مسيرة المسرح في المدينة المنورة

يعتبر المسرح أحد مناحي المعرفة ومناهلها التي يستطيع الإنسان أن ينطلق من خلاله إلى التعبير الصادق عن آماله وأمنيته وتطلعاته .

وقد أدرك الرعيل الأول من الأدباء والمفكرين في المدينة المنورة أهمية المسرح وأثاره ، لذا كانت الحركة المسرحية في طيبة الطيبة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم من أقدم التجارب المسرحية في المملكة العربية السعودية . حيث أخذ المسرح في المدينة مكانه ضمن المسارح المحلية في المملكة مع بداية السبعينات الهجرية ، ويرجع الفضل في انطلاقته وإرساء قواعده إلى العديد من رجال الفكر في المدينة المنورة نذكر منهم على سبيل المثال :

- ١- الأستاذ الأديب الراحل عبدالعزيز الربيع مدير تعليم منطقة المدينة المنورة رحمه الله .
- ٢- الأستاذ الشاعر حسن مصطفى صبري .
- ٣- الأستاذ الدكتور محمد العيد الخطراوي .
- ٤- الأستاذ الشاعر عبد الرحمن رفة .

وغيرهم الكثير من لم تحضرني أسماؤهم ، حيث كانت لهم تجاربهم الناجحة في مجال التأليف والإخراج المسرحي .

كما نبغ العديد من الممثلين في تلك الفترة نذكر منهم :

- ١- الأستاذ موسى عواد الحيدري رحمه الله .
- ٢- الأستاذ أحمد شهاب رضوان .
- ٣- الأستاذ محمود رضوان رحمه الله .
- ٤- الأستاذ محمد سعيد مرزا رحمه الله .
- ٥- الأستاذ سراج طه شرقاوي رحمه الله .
- ٦- الأستاذ عبد اللطيف قاره .

– ومن الأعمال التي قدمت في تلك الفترة نذكر منها :

- مسرحية إسلام عمر رضي الله عنه .

- مسرحي الخيل والليل .

- مسرحية فارس بني حمدان .

- مسرحية وموت الأيام ، عن قصة الأديب السعودي الراحل حامد دمنهوري ، حيث قام بإعدادها وإخراجها للمسرح الأستاذ فايز عايش الأحمدى .

وقد قدمت تلك الأعمال من خلال المسارح المدرسية ومسارح الأندية الرياضية ومسارح الأحياء الشعبية ، حيث كان يقيم كل حي من الأحياء حفلا سنويا يقدم من خلاله العروض المسرحية والفنون الشعبية والموسيقى والغناء وغيرها من الفقرات المتنوعة . وقد كان هناك تنافس

بين أحياء المدينة الاثني عشر في تقديم الأحسن والأفضل .
هذا بالنسبة للجيل السابق من المتقدمين في مجال المسرح ، أما الجيل اللاحق من المسرحيين المتأخرين ، فتزخر المدينة المنورة بالعديد من الكتاب والمخرجين والممثلين ولعل من أبرزهم :
أولا : في مجال التأليف والإخراج :

١- الأستاذ أحمد عيد أبو ربيعة .

٢- الأستاذ سعود قطان .

٣- الأستاذ حماد الأحمدي .

٤- الأستاذ إبراهيم النزهة .

٥- الأستاذ مصطفى قطيم .

٦- الأستاذ عدنان رضوان .

٧- الأستاذ حسين عويضة .

٨- الأستاذ إحسان صديق .

٩- الدكتور طارق حجار .

١٠- الأستاذ حسين دمياطي .

١١- الأستاذ داود الشلاش .

١٢- الأستاذ رضا الراددي .

١٣- الأستاذ محمد عاكف .

١٤- الأستاذ جميل القحطاني .

١٥- الأستاذ بادي التميمي .

١٦- الأستاذ حامد الصيادي .

١٧- الأستاذ معتوق وزنه .

١٨- الأستاذ حاتم سفرجي .

١٩- الأستاذ فهد الأسمر .

٢٠- الأستاذ يوسف رشيد .

٢١- الأستاذ يوسف مليباري .

ثانياً في مجال التمثيل :

١- الفنان محمد بخش .

٢- الفنان حسن براده .

٣- الفنان خالد إسكندراني .

٤- الفنان تزار خيمي .

٥- الفنان صفوت موسى .

٦- الفنان هاشم الخزان .

٧- الفنان فهد محمد صلاح .

٨- الفنان إبراهيم مصطفى .

٩- الفنان عمر الهاشمي .

١٠- الفنان محمد وجدي رحمه الله .

١١- الفنان زياد حيدري .

١٢- الفنان حسن حيدري .

١٣- الفنان عبد الإله السحيمي .

١٤- الفنان عبد الله الطلب .

١٥- الفنان فيصل مشهدي .

١٦- الفنان فهد الرحيلي .

١٧- الفنان رامي خليل .

١٨- الفنان عاصم القرافي .

- ١٩- الفنان وليد السنوسي .
- ٢٠- الفنان محمد سمان الحيدري .
- ٢١- الفنان طلال الصاعدي .
- ٢٢- الفنان محمد نمكاني .
- ٢٣- الفنان عادل مليباري .
- ٢٤- الفنان حسن عمار .

وقد قُدمت خلال المسيرة الطويلة للمسرح في المدينة المنورة الكثير والكثير جدا من العروض المسرحية الرائعة رغم ضعف الإمكانيات ، نذكر منها مسرحية (الديك الشقي) من تأليف وإخراج الأستاذ إحسان محمد صديق ، والتي عرضت على شرف الشاعر العربي الكبير أحمد رامى في إحدى زيارته للمدينة المنورة ، إلا أن تلك العروض المسرحية ظلت محصورة على النطاق المحلي للمدينة المنورة فقط ، ولم يعرف المسرح في المدينة الانطلاقة خارج حدود المدينة إلا في عام ١٣٩٧هـ وكانت تلك الانطلاقة على يد الأستاذ أحمد عيد أبو ربيعة ، حيث شارك ولأول مرة في المهرجان الثاني للمسرح السعودي الذي تقيمه الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض وكانت المشاركة عن منطقة المدينة المنورة بمسرحية (دموع وآمال) والتي حصلت على المركز الثاني آنذاك ، وقد استمرت المشاركة حتى عام ١٤٠١هـ الذي توقف فيه المهرجان .

ومن المسرحيات التي قدمت :

- مسرحية (وانتصر الحب أخيرا) عام ١٣٨٩هـ تأليف وإخراج أحمد أبو ربيعة ، وقد حصلت على المركز الأول .
- مسرحية (وتضحك الأقدار) عام ١٣٩٩هـ تأليف وإخراج أحمد أبو ربيعة ، وقد حصلت على المركز الأول .
- مسرحية (مؤسسة الحصار) عام ١٤٠٠هـ تأليف وإخراج أحمد أبو ربيعة وقد حصلت على المركز الأول .

وظلت المشاركات خارج منطقة المدينة المنورة متوقفة منذ عام ١٤٠١هـ وحتى عام ١٤١٣هـ

حين بدأت انطلاقة فعاليات مهرجان مسرح الجنادرية ضمن فعاليات المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، حيث شاركت المدينة المنورة بمسرحية (أنا واخويا على ابن عمي) تأليف وإخراج أحمد أبو ربيعة ، وفي عام ١٤١٤هـ شاركت بمسرحية (والراي السديد لكم) تأليف أحمد أبو ربيعة وإخراج عثمان أحمد محمد حمد .

وفي عام ١٤١٥هـ قدمت مسرحية (مين يقرأ ومين يسمع) تأليف أحمد أبو ربيعة وإخراج عثمان أحمد محمد حمد .

ومسرحية الأطفال (غابة العجائب) تأليف حامد الصيادي وإخراج أحمد أبو ربيعة .

ثم توقفت المشاركة حتى عام ١٤٢٠ حيث تمت المشاركة بتقديم مسرحية (مشكلة ورحلة إلى نيويورك) تأليف وإخراج جميل القحطاني .

وفي عام ١٤٢١هـ قدمت مسرحية (من الصريح يا سادة) تأليف وإخراج جميل القحطاني .

وفي عام ١٤٢٢هـ عرضت مسرحية (الدور الثاني) تأليف وإخراج بادي التميمي .

– دور الأندية الرياضية والأدبية وجمعية الثقافة والفنون في الحركة المسرحية:

كان للأندية الرياضية دور كبير وبارز في إيجاد قاعدة مسرحية صلبة انطلق من خلالها المسرح في المدينة محققا على مر السنين إنجازا مسرحيا رائعا وخاصة نادي أحد ونادي الأنصار عمالقة أندية المدينة المنورة .

وكذلك كان هناك دور لأسرة الوادي المبارك التي هي نواة النادي الأدبي ، وتظافرت جهود الأندية الأدبية مع الأندية الرياضية في النشاط الثقافي الاجتماعي إلى أن تم افتتاح فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٨هـ .

وفي فترة وجيزة استطاعت استيعاب كافة الفنانين والمثقفين في المدينة المنورة وفي مقدمتهم المهتمين بالمسرح في كافة مجالاته ، وذلك لإيجاد حركة مسرحية فاعلة تفي بأمال المدينة المنورة وتلبي طموحات أبنائها . .

لقد قدمت لجنة المسرح بفرع الجمعية بالمدينة لجمهور المسرح داخل المدينة وخارجها العديد من العروض منها :

أولا في مجال المسرح العام :

- ١- والرأي السديد لكم .
- ٢- صور مع التحية .
- ٣- أنا واخويا على ابن عمي .
- ٤- شملول في خطر .
- ٥- على العقيق اجتمعنا .
- ٦- بيع ليمون لكني .
- ٧- مين يقرأ ومين يسمع .
- ٨- الدور الثاني .
- ٩- مشكلة ورحلة إلى نيويورك .
- ١٠- من الصريح يا سادة.
- ١١- الوصية .
- ١٢- غالي يا وطن .

ثانيا : في مجال مسرح الطفل :

- ١- غابة العجائب تأليف حامد الصيادي إخراج أحمد أبو ربيعة .
- ٢- فرح ومرح تأليف راشد الشمراني إخراج بادي التميمي .
- ٣- كنتك وكتكوت تأليف حامد الصيادي إخراج أحمد أبو ربيعة .
- ٤- دلويح الطموح تأليف نايف الجهنني إخراج أحمد أبو ربيعة .
- ٥- غلابة في الغابة تأليف حامد الصيادي إخراج أحمد أبو ربيعة .

الأسرة والنشاط الموسيقي

عن أبي حسن أن النبي صلى الله عليه وسلم: (كان يكره نكاح السر حتى يضرب بدف ويقال: أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم) رواه أحمد.

وعن جابر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة: (أهديتم الجارية إلى بيتها؟ قالت: نعم. قال: فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول: أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم، فإن الأنصار قوم فيهم غزل) رواه أحمد والبخاري.

وليس هنا مجال لرفض أو قبول، بل هو تقرير لواقع مائل لا غير، ومن اشتهر بالأعمال الموسيقية والغنائية الفنان أحمد شفيق، وما قاله فيه الشاعر حسن صبري قوله بعنوان:

لو كنت

يا عازف العود قد هيّجت أشجاني
ما باله كلما دغدغته خجلت
فكرتني بالذي قد كان أجدر بي
كم ذا شكوت له حالي فأهملني
هذي خرائب نفسي لا يقيم بها
وفي العقيق، وفي وادي قناة، في
وذي عرائس أحلامي مجندلة
من لي بأمسية من أمسيات قبا
حدثته لطلوع الصبح ما طرفت
قد كان ذاك وأشياء تحذرني
لو كنت أعلم أن الغدر تربته
أوتاره حرّكت أوتار وجداني
نفسى كأنك قد عابثت أحزاني
أن لا أفكر فيه مذ تناساني
وراح يسرف في هجري وحرمانى
إلا أدكار ليالينا بقربان
هضاب سلع، وفي روما، وبطحان
قبورها انتشرت في شهر شعبان
بين النخيل وفي روح وريحان
عيني وما اكتحلت بالنوم أجفاني
ألا أدنس روحينا بادراني
لما بذرت بتلك الأرض إيماني

وحين مات رثاء بقوله :

رثاء أحمد شيخ

لم يا أحمدُ عجلت الرحيل وطويت الدرب نهباً للمصير
وفجعت الصحب يا شيخ الهوى ونديم الروح والقلب الكبير؟
بكت الأوتار في جنح الدجى وبكاك العود : كردان وزير
وليايك التي أحيتها لفَّها الصمت مع الرزء المغير
أين يا أحمد أيام الصفا بعد ماضمَّك مثواك الأخير
إنها الدنيا وهذا دأبها تخدع الجاهل فيها والخبير
وارحم اللهم من كان إذا جاءه المهموم أعطاه السرور

وفيما يلي نورد ترجمة الفنان محمد يوسف النشار :

هو محمد أحمد نشار رئيس لجنة الفنون الشعبية بفرع جمعية الثقافة والفنون بالمدينة المنورة.
بدأ في تعلم العزف على آلة العود منذ عام ١٣٨٠هـ عن طريق السماع والمشاهدة وحضور
حفلات الأفراح والمناسبات والجلسات إلى أن أصبح مطرباً صغيراً ، حاول قرع أبواب وزارة
الإعلام ولكن دون جدوى ، فاتجه إلى إظهار أغانيه بنفسه في بيروت وذلك في عام ١٣٨٣هـ ،
قام بتسجيل مجموعة أغان من ألبانه على اسطوانات ولكنها لم تحظ بالفسح من وزارة الإعلام ،
فقام بتوزيعها وتسويقها بنفسه ومنها ما هو لصالح بعض الشركات ، وعند ظهور الكاسيت
سجل العديد من الأعمال ، وصور مجموعة من الأغاني (ابيض واسود) مع فرقته الموسيقية ،
وأغنية واحدة حديثة بعنوان (أشواق) صورت ببرنامج شريط المنوعات بمركز تليفزيون المدينة
المنورة إخراج محمد مرشد .

تخصص في تلحين أناشيد وأغاني الأطفال وبرع فيه ، وأنتج بالتعاون مع الشريف ناصر صاحب
روضة الأطفال النموذجية برنامجاً خاصاً بالروضة ، وبدأ في تلحين العديد من الأناشيد وفوازير

رمضان حتى أصبح له شعبية كبيرة على مستوى المملكة .

وعند توحيد البث التليفزيوني اعتمد برنامج أطفال المدينة أفضل البرامج ، وكان تليفزيون المدينة هو الفائز في إعداد برامج فوايز رمضان حتى اعتمد رسميا لهذا الصدد .

وتم تصنيفه من قبل وزارة الإعلام ملحن درجة أولى مغن درجة أولى .

ومن العوامل الرئيسية لنجاح برامج الأطفال في المدينة هو تعدد الكتاب والمغنين الجيدين ، وهم كما يذكرهم النشار :

١- الأستاذ منير مصطفى .

٢- الأستاذ سليمان عليان الحازمي .

٣- الأستاذ حسن سعيد .

ومن كتاب الأناشيد :

١- محمد يوسف شاذلي ، وهو أغزهم كتابة

٢- منير مصطفى .

٣- سليمان الحازمي .

٤- محمد مرزوق العوفي .

٥- الدكتور محمد العيد الخطراوي .

يتحدث النشار عن الموسيقى في المدينة فيقول :

الفن في المدينة المنورة كان يضم نخبة من الفنانين منهم : السادة الرفاعية إبراهيم ومحمد وأبو الصفا وعلي عويضة والفنان عبدالقادر شولاق من كبار فناني المدينة المنورة ، ومن الشباب الفنان عبدالعزيز شحاته وعبدالعزیز أبو سلامه وحسن الفل ، وفي عام ١٣٨٣هـ تقريبا انضمت إليهم وكنت أصغر فنان بينهم .

وقد كنا نجتمع لدى السادة الرفاعية في مزرعتهم المسماة (الأخوين) ونسمر حتى الفجر ، ويزورنا أحيانا فنانون من مكة ومن جدة .

وكذلك كنا نجتمع في منزل الشريجي في مدخل حوش كرباش ، حيث كان يجتمع فيه كثير من الفنانين والمستمعين والجلسية ، أتذكر منهم السيد ياسين هاشم والسيد حسين هاشم ، والأستاذ محمد النجار وكثيرون لا تسعفني ذاكرتي بأسمائهم .

لقد كانت هذه السهرات مفيدة جدا لكل فنان لأن الجميع لم يدرس الموسيقى بل كانت اجتهادات سماعية وتطبيقات عملية ، وقد درست في هذه السهرات الشيء الكثير وأخذت أظهر شيئا فشيئا حتى عرف اسمي في المدينة المنورة ، وأرغمني جمهوري أن أغني في الحفلات العامة كالأفراح والسوايع وغيرها من المناسبات .

وبالنسبة للأفراح فقد كان صاحب الفرح يقوم بعمل منصة من الخشب عبارة عن مسرح غنائي مغطى بالسجاجيد ويزينه بإفضاءة القوية في الشارع أو الحوش أو الحارة التي يسكن بها أهل العريس ، ثم يبدأ الحفل بعد العشاء حتى الصباح ، وقد تعاون معي في ذلك الوقت كثير من الفنانين العازفين منهم :

على آلة القانون :

١- عمر تكرون

٢- علي قرينو

٣- محسن الشوست

٤- فيصل الدمح

٥- عبد الرحيم شرف

٦- محسن حيدري

٧- مهنا الحداد

٨- عدنان خوج

٩- حسن مكّي .

وعلى آلة الكمان :

١- حمزة شحاته رحمه الله .

٢- محمد حمزة المتوف رحمة الله .

٣- أسعد السطل رحمه الله .

٤- أسعد أبو جامل وهو من فناني المدينة ومغنٍ .

٥- هزاع الجابري .

٦- حسن فل .

وعلى الناي :

١- علي يحيى جزائري .

٢- أبوبكر بابا الهاشمي .

وعلى الإيقاع :

١- أحمد عمر الحساني رحمه الله .

٢- فوزي نابلسي رحمه الله .

٣- علي يماني .

الفنانون الموجودون على الساحة ذلك الوقت هم :

١- عبدالعزيز شحاته .

٢- محمد النشار .

٣- عبدالعزيز أبو سلامة .

٤- رضا نحاس .

٥- أسعد أبو جامل .

قلت : ومن المعلوم شدة ارتباط الغناء بالموسيقى والشعر ، وذلك لن بواعثهما واحدة ، وجميعها مرتكزة على النغم .

هذا وقد كتبت للنشار أغنية مطلعها :

يا جامعين الورد في ضواحي المدينة جودوا علي بوردة تداوي روحي العليلة

وكذلك كتبت بالفصحى أغنية للسيد إبراهيم الرفاعي مطلعها :

لا تسلني يا حبيبي عن لقائنا كيف كانا
كان حلماً وخيالاً وطيو فأمّن رؤانا
كان دنيا من فتونٍ لم يعش فيها سوانا

وقد كان في أثناء دراسته بالعلوم الشرعية من الطلبة المتميزين أمثال عمر عسيلان وحبيب محمود أحمد ، وكان من الطلاب الذين تنتقيهم المدرسة للاشتراك في الحفل الختامي للمدرسة كل عام ، الذي كان يقام برعاية الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم رحمه الله ، ومن الكلمة التي القاهها في إحدى الحفلات :

سادتي الأعزاء .. الغايات الحميدة لا تدرك إلا بالصبر والثبات ، وتحمل المشاق في سبيل نيلها ، وإن لكل غاية من هذه الغايات طريقة وعرة ، فيها من العقبات ما لا يقدر على تذليله إلا كل جلد صبور ، وإن أوعر طريق لطالب غايات المجد ، هو سبيل العلم ، فإن لكل شيء آفة ، وللعلم آفات .

على ذلك أيها السادة نحن الطلاب سائرون في هذا الطريق ، متحملون مشاقه وأتاعبه ، ولا حول ولا قوة لنا لولا فضل الله ثم تشجيع أمثالكم الأكابر ، وقد وفقنا الله ، فطوبىنا مرحلة من مراحلنا ونحن فائزون مرفوعو الرؤوس .

وهذا اليوم السعيد هو اليوم الذي نحتفل فيه بالفوز والنجاح ، وحقاً إنه ليوم سعيد نفوز فيه بفرحات متواليات متواليات : فرحة بتقدمنا خطوة إلى الأمام في حياتنا العلمية ، وفرحة بنيل المكافآت والجوائز ، وفرحة بالوقوف بين يدي حضراتكم هذا الموقف الحميد .

إخواني الأعزاء :

لقد أن لنا أن تنفض غبار الكسل من على جبيننا ، ونشب في صدق عزيمة وإخلاص لنهله العذب الفياض من مناهل العلم الشريف ، لقد أن لنا أن نفيق من سكرتنا ، فتعيد سالف مجدنا ، ونسطر تاريخاً جديداً للحضارة العربية الإسلامية .

إن مدرسة العلوم الشرعية هذه التي نحن بين جذرائها ، لم تدع للمعتذر منا عذرا ، فهي تمشي مع الطالب من طريق أراده ، وتساعدنا على ما نريد ، مادة ومعنى ، فلم يبق إلا الجد ، فهيا بنا إلى المعالي ، هيا بنى نبني صروح المجد .

وختاما ، أدعو الله الكريم أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه خيرنا وصلاحنا ، وأن يبقينا مدرستنا العزيزة ، ومديرنا المحترم ، وأساتذتنا الكرام .

أمراء المدينة في العهد السعودي والأسرة

دخل آل سعود المدينة سنة ١٣٤٤هـ، وذلك أن أهل المدينة بعد أن عانوا من الحصار (الدويش من الجنوب، والنشمي من الشمال) انتدبوا الشيخ ذياب ناصر، والشيخ مصطفى عبدالعال لمقابلة الملك عبدالعزيز بالرياض بقصد التسليم وإنهاء رحلة الحصار المضروب عليها، على أن يتم التسليم لأحد أولاده، فأرسل إليهم الأمير محمد بن عبدالعزيز (فصول من تاريخ المدينة المنورة لعلي حافظ ص ٥٥) فتم ذلك في ١٩/٥/١٣٤٤هـ حيث تسلمها من حاكمها الشريف أحمد بن منصور، وقائد حاميتها عبدالمجيد باشا، ولكنه سرعان ما عاد إلى الرياض، ليبدأ عهد الوكلاء، إذ ظلت إمارة المدينة باسم الأمير محمد، ومن تعينه الدولة لحكمها يعتبر وكيلا له من الناحية الاسمية، مستقلا بإدارتها فعليا، وكانوا يخاطبون باسم الأمير، وهؤلاء الوكلاء الذين توالوا على حكمها هم :

١- الأمير إبراهيم السبهان :

تم تعيينه بتاريخ تسليم المدينة (١٩/٥/١٣٤٤) واستمر أميرا عليها حتى نهاية جمادى الآخرة سنة ١٣٤٥، وكان السيد حمزة غوث في هذه الأثناء معاونا لأمارة المدينة (أي : وكيلا)

٢- الأمير مشاري بن جلوي :

تم تعيينه في جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ، واستمر إلى ٩ ربيع الأول سنة ١٣٤٦، واستمر السيد حمزة غوث في عمله معاونا له أيضا .

٣- الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم :

تم تعيينه في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦، وانتقل من المدينة في صفر ١٣٥٥هـ .

٤- الأمير عبدالله بن سعد السديري :

ولد في مدينة الغاط بنجد سنة ١٣١٩هـ. درس في كتاتيب مدينة الغاط، وحفظ بعض أجزاء القرآن الكريم، ودرس الحديث على يد علماء ومشايخ المنطقة .

عينه جلالة الملك عبدالعزيز أميراً على الغاط خلفاً لوالده سعد السديري ، سنة ١٣٣٣ ثم نقل إلى أمانة تبوك سنة ١٣٤٩ ، ونقل إلى أمانة المدينة وكيلاً لإمارتها سنة ١٣٥٥ ، وبقي فيها حتى وفاته رحمه الله سنة ١٣٧٩ هـ.

عرفه مجتمع المدينة المنورة بالحزم وحسن الإدارة ، في رجاحة عقل ونظر ثاقب للأمور ، وحسن تصرف في مختلف المواقف .

أحب المدينة وأهلها وأحبوه ، ولذلك بقي وطيباً لإمارتها ٢٤ عاماً (١٣٥٥-١٣٧٩) ، وكان من مشجعي الحركة التعليمية بالمدينة ، لذلك كان من نصيبها الثانوية الثانية على مستوى المملكة ، وذلك سنة ١٣٦٢ (طبية الثانوية) فيما بعد .

— مما تم في عهده التوسعة السعودية لأولى للمسجد النبوي ، بدأ العمل في المشروع في ٥ شوال ١٣٧٠ هـ وانتهت العمارة سنة ١٣٧٥ هـ ، وأقيم لهذه المناسبة حفل حضرته ، وفي عهده المبارك نشأت أسرة الوادي المبارك سنة ١٣٧١ هـ .

٥- الأمير عبدالرحمن السديري :

بعد وفاة الأمير عبدالله السديري تم تعيين ابنه عبدالرحمن (١٣٧٥) وبقي فيها إلى عام ١٣٨٥ ، وفي عهده صدر مرسوم ملكي بإنشاء الجامعة الإسلامية سنة ١٣٨٠ ، وبدأت الدراسة بها في العام التالي ١٣٨١ هـ برئاسة فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، ونشأت المدرسة الصناعية سنة ١٣٧٥ ، وأنشئت شركة الكهرباء سنة ١٣٧٦ .

٦- سمو الأمير عبدالمحسن بن عبدالعزيز :

قدم المدينة أميراً عليها سنة ١٣٨٥ هـ ، فكان أول أمير من آل سعود يمارس حكم المدينة المنورة ، وفي سنة ١٣٨٧ عين سعد الناصر السديري وكيلاً للإمارة ، وكان طوال مدة إمارته حريصاً على متابعة الأمور في مواقعها ، لين الجانب مع أهل المدينة حريصاً على لقائهم ومجالسة وجوههم ، إلى أن داهمه المرض واشتد عليه ، فنقل إلى مستشفى الملك فيصل في الرياض عام ١٤٠٢ هـ ، حيث وافاه الأجل المحتوم عام ١٤٠٥ هـ.

■ الأسرة وسمو الأمير عبد المحسن بن عبدالعزيز :

كان سموه رحمه الله يحذب على الأسرة ويشجعها ، ويزورها في بعض جلساته ، لأن سموه كان من عشاق الكلمة شعرا ونثرا ، يقرأها ويكتبها ، وأذكر أنه كتب مجموعة من الأبيات في الدعوة إلى التضامن الإسلامي ، واقترح علينا أحد الحاضرين تشطيرها ، وأنا رحبنا بالفكرة وقام بتشطيرها كل من عبدالعزيز الربيع - محمد هاشم رشيد - محمد العيد الخطراوي - عبدالرحمن الشبل - حسن مصطفى صيرفي وآخرون ، واستولى بعض الحاضرين على تلك التشطيرات بدعوى أنه يقوم بتنظيمها وطباعتها على الآلة ، ثم يوزعها علينا ، ولكننا لم نرها منذ ذلك اليوم .

وأخيرا ظفرت بتشطير أخيها عبدالرحمن الشبل ، يقول الشبل :

على الأفاق هتاف ينادي (بني الإسلام هبوا للجهاد)
وسيروا في هدى الإسلام جيشاً (جميعاً تنقذوا أرض المعاد)
(جهاد خالص لله ربّي) على الأعداء، أعداء البلاد
سنقحم في لظاها كل غالٍ (فياً الموت أو نيل المراد)
(فإن متنا فللجنّات نغضي) ويحدونا من الأملاك حاد
ونفرح للشهادة بل سنمضي (بهذا قد قضى رب العباد)
(فإن عشنا فنصر الله دوماً) وبيت الله مرفوع العماد
ووعد الله حق دون شك (لأصحاب الهداية والرشاد)

وهو أحد الأمراء الشعراء الذين تغنى بأشعارهم الفنان الكبير محمد عبد الوهاب، وقد ورث منه هذه الشاعرية ابنه الأمير بدر بن عبد المحسن .

الأسرة في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين

وكان المؤتمر الأول للأدباء السعوديين - كما هو واضح من اسمه ، هو أول ملتقى أدبي تقوم به جهة رسمية على مستوى المملكة ، للاهتمام بالأدب والأدباء ، ولقد عبر عن ذلك معالي وزير المعارف والرئيس الأعلى للجامعة - جامعة الملك عبد العزيز - في كلمة افتتاح المؤتمر ، حين قال : (ومؤتمرنا هذا أيها الأخوة ، هو الانطلاقة الواضحة لإيجاد مزيد من الاهتمام بأدبنا وأدبائنا، وهو البداية الذكية لجهود لا حصر لها ينبغي أن تبذل لرفع شأن الأدب والعناية بالعاملين في كل مجالاته وألوانه . وهو فوق ذلك كله يصور النظرة الحانية لهذه الفئة الكريمة من مواطنينا ، أرسلها قائد بلادنا وأملها بعد الله الفيصل المقدى ، يوم شجع إقامة هذا المؤتمر ووافق دون تردد فور تشرفنا بعرض الفكرة عليه . وما كان له - وقد شاء الله أن يضع في يد أمانة الدعوة إلى دينه في هذا العصر المضطرب - أن يغفل شأن الأدب في بلادنا أو يتجاهل العاملين المخلصين ، بل كان معهم يؤيدهم ويشجعهم ويعترف بجهودهم وفقه الله وأعانه . وجامعة الملك عبد العزيز التي عودتنا دائماً الكثير من المبادرات الناجحة حينما فكرت في تبني هذا المؤتمر إنما كانت تمارس في ذكاء دوراً رائعاً وهادفاً فيه شمول النظرة واندياح الحواجز ومعايشة الواقع والتأثير فيه . وعنايتنا بمفكرينا وأدبائنا ، واهتمامها بما قدموا ، وسعيها لإلقاء الأضواء على كفاحهم : أمرٌ يستوجب شكرها والثناء على العاملين بها ، ولو لم يكن لتجربتها من الأثر إلا احتواؤها هذا الجمع الكريم في رحابها وإيجاد ما لمسناه من روح التنافس المحبب بينهم واستشعارهم أن مؤسساتنا العلمية لم تعد معزولة عنهم ولا بعيدة عن واقعهم) .

وحين قال : (إن من الأهداف التي عقد من أجلها مؤتمرنا هذا .. إيجاد دراسة علمية شاملة للأدب السعودي ، مع إلقاء الأضواء على ما فيه من مظاهر الإبداع والتقوى . وبحث الوسائل الكفيلة الممكنة لتطويره والنهوض به ، والعمل على نشره والخروج به من نطاقه المحلي إلى خارجه كجزء من التعريف به ، وبذل عناية خاصة بتحقيق وترجمة ونشر تراثنا الإسلامي والعربي ، حتى يتيسر الاطلاع عليه والاستفادة من محتوياته) .

وقدم المؤتمر في ختامه مجموعة من التوصيات ذات الأهمية البالغة ، والتي كان لها تأثيرها على

مسيرة الأدب في المملكة العربية السعودية بعد ذلك ، بلغت ثلاثين توصية (انظر بحوث المؤتمر م/١/المقدمة) ، وحين نعلم أن نسبة المشاركين في هذا المؤتمر من أدباء المدينة المنورة تمثل أكثر من الخمس : (٥٢/١٢) من مجموع المشاركين ، وأن نسبة المدعوين حضورياً أو مشاركة من أسرة الوادي المبارك بالذات بلغت الخمس تقريباً : (٥٢/٩) ، علمنا أهمية هذا الحدث في حياة الأسرة ، تأثيراً وتأثراً ، فلطموحات الأسرة بصمات واضحة على توصيات المؤتمر ، وبخاصة أن بعض أعضائها كان عضواً في لجنة صياغة التوصيات كالأستاذ عبد العزيز الربيع . هذا وقد كرم منهم براءات الريادة الأدبية بالمملكة ، وهم على ما أذكر : عبد الحق نقشبندي ، وعبد العزيز الربيع ، كما حصل بقية الأعضاء على ميداليات تثبت مشاركتهم الفعالة في هذه المناسبة :

■ وأعضاء الأسرة المشاركون هم :

- عبد العزيز الربيع

- عبد الحق نقشبندي

- محمد العيد الخطراوي

- عبد السلام هاشم حافظ

- عبد الرحيم أبو بكر

■ ويضاف إليهم من المدعوين الحاضرين :

- عبد الرحمن صالح الشبل

- عبد الرحمن سليمان رفة

- محمد هاشم رشيد

- حسن مصطفى صيرفي

■ أما أدباء المدينة من خارج الأسرة فهم :

- السيد أمين مدني

- السيد عبيد مدني

- الأستاذ عبد الرحمن عثمان

- السيد علي حافظ
- السيد عثمان حافظ
- عزيز ضياء
- ضياء الدين رجب
- محمد حسين زيدان
- عبد القدوس الأنصاري
- د. عبد الرحمن الأنصاري

وهكذا ترتفع نسبة المشاركين المدنيين لتصل إلى : (٥٢/١٨) أي ما يناهز الربع . وتعطي أسرة الوادي المبارك وهي في أعلى درجات عنفوانها ، لنفسها الحق المعرفي أن تفرد أجنحتها على كل المدنيين الذين اشتركوا في هذا المؤتمر ، بل وتمسك بيد المشرف المباشر على المؤتمر الدكتور/ محمد زيان عمر - لتتفق مع إخوانه المدنيين ليغدو العدد به أكثر عمقاً ، وأغزر دلالة ، وقد بلغ عدد المكرمين من الأحياء آنذاك ٢٨ مكرماً منهم سبعة من المدينة المنورة ، وهم يمثلون الربع أيضاً .

وفي هذا المؤتمر كان الناس - كما قلت آنفاً - يسألوننا عن (أسرة الوادي المبارك) ، ويتواصون فيما بينهم بإقامة أسر مماثلة في مدنهم ومناطقهم خدمة للأدب وأهله ، وهذا بلا شك مما يضاف إلى أرصدة حسابات هذه الأسرة ، ويحسب لها في قائمة تأثيراتها فيما حولها .

وفيما يلي نورد بعضاً من بحوث أدباء المدينة المنورة ، مراعين في الوقت نفسه أنهم من أسرة الوادي المبارك :

١- البحث الأول : للأستاذ عبد الرحيم أبو بكر وهو بعنوان : (من شعرائنا في العهد التركي العثماني) ، وقد نشر بالمجلد الثاني من أعمال المؤتمر/ص ٤٧٧/ ونصه :

لم تكن البيئة الثقافية والفكرية في الحجاز خلال العهد العثماني الطويل وبخاصة في العهد الأول منه لتسمح بظهور نشاط أدبي ممتاز يفرض وجوده واتجاهاته ، وذلك لأن هذه البيئة كانت محرومة من العوامل القوية المساعدة على استئثار النهوض والتقدم وإذاعة روحهما بين جيل بعد ذلك العهد بقوة ، ولهذا كاد الشعر في ذلك العهد المظلم يجود بأنفاسه لولا جهود

بعض الشعراء الذين حافظوا بإنتاجهم على وجود هذا الفن ، ترفدهم في ذلك بعض الوسائل أو الوسائط الثقافية المحدودة التي أتاحت لهم ، ويجدر بنا هنا أن نقف وقفة متأنية نحاول فيها أن نلم ببعض ما يتصل بالتاريخ الأدبي القريب للحجاز قبل بدء النهضة ، متمثلاً في بعض النصوص الشعرية التي استطلعنا أن نعثر عليها ، ولعل هذه الوقفة الاستعراضية ضرورية للربط بين دور السلف من جيل الشعراء السابقين على النهضة ، ودور لاحقهم أو خلفهم من جيل الشعراء المعاصرين ، وقد يكون الوقوف على هذه الحلقة التاريخية القريبة لمسار الحركة الشعرية في الحجاز مفيداً في نقد حقيقة النقلة التطورية ، التي أحدثتها الجيل اللاحق من شعراء الحجاز الذين عاصروا بدء النهضة ، وحاولوا ترجمتها إلى الواقع الشعري بعد ذلك في إنتاجهم ، وأود أن أسجل هنا بتقدير أن محاولات سابقة جرت لبعض هذا التاريخ الأدبي القريب وتمثلت هذه المحاولات في كتابة بعض المقالات في فترات مختلفة، تترجم لأولئك الشعراء الأوائل الذين حافظوا على وجود الفن الشعري ، كنوع من البر والوفاء حيناً ، أو اعتداداً وإبرازاً لدورهم حيناً آخر ، ولكن مع ذلك كله لم يستطع الإنتاج الشعري لأولئك الشعراء أن يرى النور في مجموعات منشورة ، وإنما ظل حبيس الدواوين المخطوطة تمتد إليه الأقلام حينما يروق لها أن تداعبه بين حين وآخر .

ومهما يكن من أمر ذلك الإنتاج فإنه يجدر بنا هنا أن نلم ببعض الشعراء وينماذج من إنتاجهم فلنأخذ في ذلك الآن :

١- السيد جعفر البيتي المتوفى عام ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م :

يعتبر هذا الشاعر من أشهر شعراء عصره الذين عاشوا في القرن الثاني عشر الهجري ، فقد ترجم له بعض معاصريه وأشاد به ، كما حظي باهتمام من جاؤوا بعده ، وقد تعزى هذه العناية إلى مكانته الشعرية التي جعلته يعد من أفضل شعراء عصره أو إلى مكانته الاجتماعية ، فهو من السادة العلويين الذين اتخذوا من المدينة المنورة مقاماً لهم يحضون فيها بالمكانة العلمية والاجتماعية ، ومن ترجموا له من معاصريه الشيخ عبد الرحمن الأنصاري صاحب (تحفة المحبين والأصحاب بما للمدنيين من الأنساب) فقال عنه : فأما السيد جعفر فمولده سنة ١١١٠ ونشأ نشأة صالحة ، واشتغل بطلب العلم الشريف ، وبرع في نظم الشعر اللطيف ، حتى كاد أن

يكون متنبئ زمانه، وامراً قيس أوانه، كما ترجم له من معاصريه أيضاً الداغستاني صاحب تحفة الدهر، وأورد له نماذج كثيرة من شعره في حفاوة وإشادة، ثم جاء من بعدهما الشيخ عبد الرزاق البيطار صاحب (حلية البشر) ليضفي على البيتي ألواناً من المديح والثناء والإشادة بشعره، وهكذا نجد الإجماع على فضل هذا الشاعر المدني ومكانته يكاد يكون لازمة من لوازم من ترجم له من القدماء وبعض المعاصرين .

وللسيد جعفر كتاب مطبوع بعنوان (مواسم الأدب وأثار العجم والعرب) وهو مختارات من ألوان الثقافة العربية، تجد فيه تراجم لبعض الشعراء وشيئاً من شعرهم وما قيل فيه، كما تجد فيه أحاديث عن التاريخ والجغرافيا وذكر الممالك والأُمم، والكتاب يدل على ثقافة واسعة واطلاع كبير تزود بهما السيد جعفر ثم عكس أثارهما في هذا الكتاب الذي يعد بادرة حسنة في ذلك العصر الذي عاش فيه السيد جعفر، وقد نشر الكتاب لأول مرة في مصر في جزأين عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م على نفقة الخالجي .

وله أيضاً ديوان مخطوط لا يزال محفوظاً في مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة، تحت رقم (١٦٩ أدب)، وقد كتب هذا الديوان بخط جيد، وفي أوله فهرس للقصائد، ويقع في ١٣٨ صفحة، وقد اعتاد الشاعر أن يقدم لقصائد المدح بالغزل الرقيق، وله عناية بالقول في الألغاز والمعميات، ينظمها في أبيات، وبعض قصائد البيتي في هذا المجموع طويل جداً، وقد أرخ بعض قصائده، وعني الشاعر بتسجيل بعض الأحداث التي شهدتها المدينة المنورة في شعره.

وقد وقف أخيراً على نسختين آخرين لديوان البيتي، إحداهما بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، والثانية للأستاذ عبيد مدني مؤرخ المدينة وأديبها الكبير.

وإذا كان أكثر من ترجم لهذا الشاعر البيتي ركز على الإشادة به وشعره، فإنه يحسن بي هنا أن أستعرض بعض شعره بل نماذج من للتعرف على فن هذا الشاعر وحقيقة مكانته الشعرية.^(١)

٢- الأديب عمر عبد السلام الداغستاني المتوفى بعد سنة ١٢٠١هـ / ١٨٧٦م :

كانت أسرة الداغستاني في المدينة من بيوت العلم والأدب، خرج من بين أبنائها العلماء الأفاضل، وقد تحدث الشيخ الأنصاري صاحب (تحفة المحبين) عن أحد أفراد هذه الأسرة

(١) لم ترد في المطبوع أي نماذج

فقال عن والد شاعرنا إنه رجل فاضل كامل اشتغل بطلب العلم الشريف وصار يدرس بالمسجد الخفيف .. وهو كثير الحفظ لشواهد العرب .

وفي أحضان هذه البيئة العلمية ولد الشاعر عمر الداغستاني وترعرع وعاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجري ، ولم أستطع الوقوف على تحديد زمن ولادته أو وفاته فيما رجعت إليه من مصادر ، ترجم له صاحب (حلية البشر) في أربع عشرة صفحة في حفاوة واحترام وإشادة وتقدير مورداً بعض النماذج من شعره .

ومن مآثر هذا الشاعر التي تستحق الذكر أنه عني بترجمة معاصريه من أعيان المدينة المنورة وذكر بعض آثارهم الشعرية والنثرية في كتابه (تحفة الدهر) ، الذي لا يزال مخطوطاً إلى الآن بالرغم من أنه يعد مصدراً جيداً لمعرفة حلقة من التاريخ الأدبي القريب للمدينة ، وقد تحدث فيه عما يزيد على خمسين شاعراً وخطيباً وأديباً وعيناً .

يقول المؤلف في مقدمته : « وسميته (تحفة الدهر ونفحة الزهر في أعيان المدينة من أهل العصر) لما فيه من تحفهم الأنيقة النضرة ونفحات أدبهم العبقرة العطرة ، وجعلته مقسماً إلى أربعة فصول رائعة هي لفوائد تراجمهم جامعة : الأول في الأشراف ، الثاني في العلماء الطيِّب الأوصاف ، الثالث في الخطباء الكرام ، الرابع في الأدباء الفخام » .

وقد حوت هذه التحفة شعراً كثيراً قد لا يرقى إلى مستوى الجودة المطلوبة من الناحية الفنية ولكنه مهم من الناحية التاريخية ، لأنه يطلعنا على ما كان في المدينة من شعر ونثر ورجالهما في هذه الحقبة التي أرخ لرجالها ، وهذه التحفة تشتمل على ٢١٧ صفحة من القطع الصغير ، وقد كتبت بخط جيد سنة ١٣٦٠هـ نقلاً من مسودة المؤلف كما جاء في آخر المخطوطة ، وكان الفراغ من تأليف التحفة سنة ١١٩٩هـ كما جاء في ص ٣ ، والمؤلف في إيراده لنماذج الشعر يعلق على بعض أبيات القصائد ، ويوضح أن هذا المعنى مأخوذ من قول ذلك ومثله قول لآخر ، وهكذا نجد بعض الملاحظات النقدية على طريقة أهل ذلك العصر تنتشر هنا وهناك في (التحفة) وتحاول أن تقوم بعض الشعراء ، والكتاب يدل على ثقافة جيدة للمؤلف تشهد له بأنه من أعلام معاصريه في الأدب .

ويرى المرحوم الأستاذ محمد سعيد دفتردار أن الداغستاني أظهر كتابه (التحفة) وقدمه لأحد الوزراء العثمانيين عام ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م باسم «اللكئ الثمينه في أعيان شعراء المدينة» أي بعد ظهور التحفة في المدينة المنورة بعامين ، ومعنى هذا أن الكتاب حمل عنوانين ، أولهما في المدينة المنورة عام ١١٩٩هـ وثانيهما في الأستانة عام ١٢٠١هـ ولكن النسخة المخطوطة المعروفة اليوم تحمل العنوان الأول ولدي نسخة مصورة عنها ، بينما نجد البيطار في «حلية البشر» يستخدم في كتابه حينما ينقل عنها العنوان الثاني ، فلعل البيطار اعتمد في نقله على نسخة الأستانة ، ولندع الآن أمر تحقيق هذه المسألة لأن مكانها موضوع آخر يفصل فيه القول حينما تتاح الفرصة لنشر المخطوطة، ولنسرع الخطى إلى نموذج من إنتاج هذا الشاعر :

ذهب الداغستاني في بعض رحلاته إلى مصر ومن الصعيد هناك أرسل إلى والده يقول :

سقى الله جيران العقيق ولعل ملثَّ سحاب ، هامع القطر ، هاميا
وحيا مغاني الأنس أوفى تحية تدوم لهم مادام شوقي وافيا
لقد هاجني التذكار نحو ربوعها كما هاجت الأرواح وُرْقاً شواذيا
تبيت على الأغصان تصدح سحرة بحسرة شوقٍ تترك الصبَّ باكيا
إلى أن يقول :

إذا هبَّ من أرض الحجاز نسيمُها يظلَّ كنيران الغضى لي صاليا
وقد كنت أرجوه يبرِّد لوعتي ويظني لظى شوقٍ لقلبي كاويا
سلوا الفرقدن النيرين، سلوا السهى كذاك اسألوا عني السهيلَ اليمانيا
أرددُ فيها الطرف في غسق الدجى وأرقبها في طول ليلي مراعيَا
وأشكو إليها ما بقلبي من جوى وأشهد أن العهد ما زال باقيا
رمانى زمانى بالتفرُّق والنوى وبالبعد عنهم بعد ما كنت دانيا
لعل الذي قد دبَّ الكونَ أمره يقصِّر أيام النوى واللياليا

ونحن إذا أردنا أن نعلق على هذا النص فإننا نلاحظ عليه أن عاطفة الشوق إلى الوطن قوية فيه، وقد وفق الشاعر إلى التعبير عنها بأسلوب يكاد يكون مباشراً خالياً من أي تعقيد فني، بل هو أقرب إلى البساطة، وإذا كان هذا النص أقرب إلى الخلو من الصور الخيالية والشاعرية المجنحة فإن قائله قد استطاع أن يعبر عن حنينه إلى وطنه بكل صدق وإخلاص في إطار الثقافة والقدرة الفنية اللتين أتاحتاه، وحسبه في ذلك توفيقاً في عمله فإن الشعور الصادق ميزة كبيرة في أي عمل أدبي .

٣- الخطيب محمد أمين الزللي المتوفى بعد سنة ١٢٣٧هـ ١٨٢١م :

ويبدو من لقبه (الخطيب) أنه كان أحد خطباء المسجد النبوي، وقد كان للمسجد خطباء كثيرون يحظون بهذا اللقب إما عن طريق الوراثة عن السلف أو عن طريق الخطوة لدى الدولة العثمانية التركية، وقد ترجم البيطار في (حلية البشر) لشاعرنا هذا فأشاد به وبإنتاجه، وأورد له نماذج من شعره أكثرها في الحديث عن العاطفة والغزل وما إليهما، وكان الزللي - فيما يبدو من قصائده - كثير التردد على مصر والإقامة فيها، وكانت له صلة ببعض ولايتها في عصره، وقد حفظت لنا مكتبة عارف حكمت في المدينة شيئاً من شعره فيما سمي بديوان، وعدد أوراقه لا تزيد عن اثنتين وعشرين ورقة متفرقة، وأكثر هذا الشعر الموجود نظم في التغزل والمديح .

كان الشاعر الزللي بمصر فهزه الشوق وهو بالقاهرة إلى ابنه المقيم بعده بالمدينة الطاهرة، فكتب ممتدحاً حضرة الوزير المحترم الأعظم إبراهيم باشا والي جدة ملتصقاً منه جلب ابنه إليه، وكان ذلك حوالي عام ١٢٣٧هـ فقال :

وفود الأماني نحو بابك تُرقل وخَوْدُ التهاني في رحابك تَرفل
وساحتك الفَيْحَا سماً أنت بدرها وجندك فيها أنجمٌ ليس تأفل
وجودك بحرٌ فيه سفن رجائنا جوارٍ ومرساها النجاح المؤمل
وأنت الوزير ابن الوزير الذي له على رغم أنف الدهر مجد مؤئل
أبوك بنى بيت المفاسر والاعلا وأنت بتشيد العلا متكفل
متى رمت أمراً كان لا بد حاصلًا ولو كان صعباً فهو عندك أسهل

وهي طويلة مضي فيها الشاعر مستعرضاً صفات بمدوحه ، ثم يستعطف بمدوحه في جلب ابنه إليه ، ويستنفذ ذلك من الشاعر نحو سبعين بيتاً . والزلي معتد بشعره هذا فهو يقول عن قصيدته هذه :

مهذبةً جلّت ودقت معانيا ورقّت فمعناها من الحسن أكمل
ومن لطفها لولا جزالة لفظها لسالت معانيها كما سال جدول
تجر ذيول الفخر تائهةً على جرير ، وذيلُ الفخر منها مطوّل
وما لزهير شمةً من عبيرها وهيهات أن يحكي شذا المسك جندل !
فهيء لها بيت القبول لعلها إذا هي حلّت به تتأهل
في مطلع هذه النص وجزء من المديح فيه ، حاول الشاعر - فيما يبدو- أن يظهر براعته في الصياغة ومهارته في اللعب بالألفاظ ، وجنح في ذلك إلى انتهاج أسلوب الزخرفة ، انظر معي إلى البيت الأول الذي يقول فيه :

وفود الأمانى نحو بابك ترقل وخود التهاني في رحابك ترفل

وتساءل هل نستطيع أن نسلم بأن هذا التجنيس بين كلمات الشطر الأول والشطر الثاني جاء اتفاقاً ومصادفة ؟ أو هو نتيجة جهد ومشقة في اختيار كل كلمة لتجانس أختها في البيت ؟ أما أنا فأميل إلى الاحتمال الثاني لأن الشاعر بحرصه على الصناعة والوصول إلى هذه الصياغة يرجو أن يظهر مقدرته الفنية ، ثم يزوه بها في آخر القصيدة ، ويخيل إلي أن الشاعر في هذه القصيدة حاول أن يحذو حذو أهل التصنيع السابقين الذين كانت لهم مدارس معروفة في هذا الاتجاه ، وإن كان لم يستطع أن يسمو إلأى شأوهم في الفن وإحكامه ، فلجأ إلى هذه الصورة في البيت حيث جعل الجود بحرأ تمخر فيه سفن الرجا قاصدة المرسى وهو النجح المؤمل ، فهذا التجسيم في رأيي محاولة للتقليد الضعيف ، ولعل الشاعر كان يجد في هذا التصنيع اصطلياداً للبيت النادر والتجسيم الباهر يزوه بهما على غيره من الشعراء .

ثم نجد الشاعر في الأبيات التي وجه فيها طلبه إلى بمدوحه ليحلب له ابنه قد ترك نفسه على سجيتها فتدنى إلى مستوى الأساليب اليومية ، وجاءت الأبيات كلاماً بسيطاً عادياً لا فضل

للشاعر فيه سوى الوزن والقافية .

ثم نصل إلى زهو الشاعر وتيهه بقصيدته ، فنراه يفعل ذلك إزاء الشعراء الكبار الذين كان لهم فضل سابقة ورسوخ وتقدم في تاريخ الشعر العربي ، ويرى أن قصيدته هذه تتقدم على إنتاجهم ، وإذا كانت صفة العجب أو الزهو من لوازم الطبيعة والفطرة عند بعض الناس ، فإن الشاعر لكونه مثقفاً وعارفاً بمنازل أهل الشعر وطبقاتهم غير معذور في إظهار هذه النزعة أو التحدث عنها في قصيدة سائرة في عصره .

ثم نتقل بعد هذه الإلمامة الموجزة ببعض نماذج الشعر في القرن الثاني عشر الهجري إلى التعرف على بعض شعراء أواخر العهد العثماني التركي الذي ربما نستطيع في شيء من التجاوز وفي شيء من مراعاة البيئة الثقافية في الحجاز حينذاك أن نجعلهم يمثلون إرهابات النهضة ، ومطالع التطور الأدبي الحديث في الحجاز ، ولا يظن ظان أن أسباباً حقيقية توافرت لظهور طفرة الفن الشعري ، فإنه من الملاحظ أن السياسة التركية كادت تقضي على اللغة العربية بفرض اللغة التركية في كل مجالات الحياة حتى وصل الأمر إلى تدريس النحو العربي باللغة التركية - كما يشير إلى ذلك بعض الباحثين - ومع هذا كله ظهر شعراء استطاعوا أن يمثلوا مرحلة انتقال إلى النهضة بفنهم الشعري ، ولنمض في تفصيل هذا الزعم بشيء من العرض والتفسير .

وبادئ ذي بدء أحب أن أشير هنا إلى أن أحد الباحثين قد أطلق على الفترة التي بدأت « في أعقاب حرب الدول العثمانية مع إيطاليا » اصطلاح (عصر البعث) ومضى الباحث في رأيه يفصله ، وكاد يحصر الحركة الشعرية الباعثة في الحجاز في عمل شاعر واحد هو الشيخ إبراهيم الأسكوبي لسبب بسيط جداً هو الإعجاب بدور هذا الشاعر واتجاه الشعر على يده إلى تناول الغرض السياسي ، يقول الباحث : « فلم يسبق لشاعر من شعراء هذا الجيل ولا من قبله على ما نعلم أن سلك في شعره هذا السبيل » .

ولكن - مع إعجابي بتلك الملاحظات التي سجلها الباحث - أجدني متطلعا إلى البحث عن عناصر أخرى ساعدت على بدء إرهابات النهضة في هذه الفترة ، والشعر فن لغوي قبل كل شيء ، فهل طرأ عليه تغير بعد جعفر البتي ، والداعستاني وغيرهما . أو ظل كما كان سابقاً ؟ ومن هنا تأتي القيمة الفنية لدراسة إنتاج شعراء آخرين عاصروا الأسكوبي وشاركوه في أداء

دور هذه المرحلة، ولعل أول من يجدر بنا الوقوف عند الأستاذ الأسكوبي ورائد الشاعر المدني عبد الجليل برداة المتوفى سنة ٤٣٢٧هـ / ١٩٠٩ م .

يعد هذا الشاعر في مقدمة شعراء عصره في الحجاز ومن أكثرهم شهرة ، بل هو يحسب أستاذاً لأكثرهم ، وقد استطاع بما هيئ له من ثقافة واسعة ورحلات خارج وطنه أن يفرض اسمه على المحافل الأدبية حينذاك حتى أطلق عليه بعض معاصريه (أبو العلاء الثاني) ، وقد ترجم له صاحب (حلية البشر) وأفاض في الحديث عنه وعن ذكرياته معه حينما كانا معاً في الأستانة كما أورد له نماذج من شعره ، ثم خصه الأستاذ عبيد مدني بمقالة ضافية في المنهل ، وإن الصورة القلمية عن الشاعر البرادة وشعره لتعري الباحث بأن يحاول ما استطاع من جهد أن يقف على شعر هذا الرجل وقفة متأنية ، لاستجلاء بواعث الإعجاب التي سيطرت على من ترجم له ، ولعل هذه الوقفة تستطیع أن تعثر على بعض ملامح إرهاصات النهضة في شعر هذا الرجل الذي كان أستاذاً للأسكوبي وجيله من الشعراء في أواخر العهد العثماني التركي .

أورد الأستاذان البيطار والمدني أبياتاً متفرقة للشاعر البرادة في فنون مختلفة ، ولكن أوتر أن أتجاوز تلك الأبيات المفردة التي أنيا بها كنماذج من شعره لأقف عند هذه المطولة التي أنشأها الشاعر «حينما انتصرت الدولة العثمانية على اليونان ، وذلك في سنة ألف وثلاثمائة وثلاث عشر ، وكان الشاعر نزيل الدار العلية » .

قال البرادة رحمه الله :

كذا فليكن ما يحرز المجد والفخر كذا فليكن ما يجمع الفتح والنصر
كذا فليكن ما يبلغ السؤل والمنى كذا فليكن ما يدرك الشار والوتر
كذا فليكن سعي الملوك مقدساً يرافقه نسلٌ ويتبعه أجر
كذا فليكن قهر الأعداي، وهكذا تخاض المنايا والحديد لها جسر
حديثٌ عن اليونان يضحك باكياً ويطرب محزوناً، ويلهوبه غرٌ
همو دبّروا أمراً لأمر، وفكروا فعاد عليهم ضلة ذلك الفكر
فعاثوا وجاسوا في البلاد بجهلهم وعمّ على جيرانهم منهم الغدر

صبرنا وكم عنهم عفونا فلم يفد
فقام أمير المؤمنين لردعهم
فبادرهم منه هصور غضنفر
مشيد أركان الخلافه، فخرها،
لقد قام في ذا العصر بالواجب الذي
فأحيامواتاً للجهاد تقادمت
وقام به في الله، لله يتغي
غزاة لعمر الله قد نال خيرها
بفتكته البكر التي شاع ذكرها
ليهنك يا كهف الأنام وظلهم
وقبر لخير الخلق سراً بطيبة
لك الرأي بالحزم السديد مؤيد
فداو مريض الجهل بالحلم إن يفد
ورأيك سيف ما ألت شبائته
ومن أين للسيف الحسام مضائه
سمعنا بأن الجبن فيهم سجية
لقد تركوا الأوطان والأهل عنوة
وما وقفوا في مآقط الحرب لحظة
وأدهم بالدهم الجياد دهاهم
وعن مثلهم لا يحسن العفو والصبر
ببأس شديد لا يقوم له الصخر
كذا الليث يخشى من بواده الهصر
عظيم بني عثمان، يا حبذا الفخر...!
هو الفرض من غزو تباهى به العصر
عليه دهور لا يشاد لها ذكر
مثوبته العظمى وحق له الشكر
وسالمه رغم العداة بها اليسر
وأفضل فتكات الملوك هي البكر
فتوح به سر المحصب والحجر
وحق لهذا النصر أن يفرح القبر
تعاملهم بالكر إن لزم المكر
وإلا فداء الشر يحسمه الشر
بأمر عصى إلا استطاع له الأمر
إذا خامر الألباب من حادث ذعر
ولما التقينا صدق الخبر الخبر
وأجلاهم القتل المبرح والأسر
ولا ثبتوا، كلاً، ولكنهم فروا
فحاصوا كحمر الوحش صادفها نمر

وأول ما يلاحظ على هذه القصيدة دخول الشاعر إلى موضوعه دون مقدمات تقليدية ، فهو قد اهتم للأحداث التي مرت بالدولة العثمانية ومحاولة إضعافها والنيل منها ، فاهتبل فرصة هذا الانتصار ليجعل منه – عمورية أخرى – يشدو بها وبصاحبها ، أمير المؤمنين ، ومشيد أركان الخلافة وفخرها عظيم بني عثمان ، هو لم يكن إلا نغماً حجازياً بين تلك الأنغام العربية التي شاركت في الإشادة وتسجيل وقائع الدولة العثمانية ضد الخارجين على السلطة الشرعية ، وتأييد الخليفة العثماني وإظهار الولاء له ، وقد أسهم شوقي رحمه الله مع غيره من مصر في هذه الناحية حتى قال أحد الباحثين « إن الأدب المصري كان متشبعاً بروح التشيع للخلافة والجامعة العثمانية .. وكان لشوقي قصائد كثيرة تشهد على هذه الروح من أمثال (تحية الترك) و(نجاة أمير المؤمنين) و(الأسطول العثماني) » ، ثم أسهم شاعرنا البرادة بهذا المدح يزجيه إلى الخليفة في مناسبة هامة .

ثم نلاحظ أن شاعرنا هنا حاول في اختيار الشكل أن يحذو حذو شاعر كبير هو أبو تمام ، فجاء بقصيدته هذه وكأنه يعارض رائية الطائي في رثاء محمد ابن حميد الطوسي التي يقول فيها :

كذا ليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفيض ماؤها عذر

بل نجد البرادة يستغل استهلال أبي تمام فيأتي به في أربعة أبيات مكرراً ، مع التوسع في المعنى بكثير من اللفظ ، وكأنه يدل على مقدرة التوليد ، ثم نمضي مع القصيدة لنجدها قد اشتملت على بعض الألوان البديعية اللطيفة التي تكسب القالب الشعري جمالاً لفظياً وموسيقى محببة إلى النفس ، استمع إلى قوله :

حديث عن اليونان يضحك باكيا ويطرب محزوناً ويلهوبه غر

وقوله : فعاثوا وجاسوا في البلاد بجهلهم .

وقوله : ولما التقينا صدق الخبر الخبر .

وقوله : وأدهم بالدهم الجياد دهاهم .

نجد أن الحرص على الصنعة ظاهر ، ولكنه لطيف مقبول في أثناء القصيدة ، ولم يستطع شاعرنا أن ينأى عن التقليد في بعض تشبيهاته وألفاظه مثل : الفتكة البكر ، والحزن الكَنهور ،

والغضنفر، ومأطَ الحرب... الخ . إن شاعرنا بهذه القصيدة المقلدة يقوم بدور الباعث لأساليب القدماء الممتازين ، ويحذو نهجهم ، وهو بعمله هذا يمكن أن يسلك في عقد الشعراء المعاصرين الذين أعادوا لديباجة الشعر فخامتها وجلالها بالإحياء والتقليد، وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم دور البرادة في هذه المرحلة ، فهو أعطى لأسلوب الأداء سمواً وقوة يستطيع بهما الشعر أن يخطو إلى مرحلة أخرى قد تتحقق على أيدي بعض مريديه في الحجاز .

ثم تنتقل إلى شاعر آخر كان تلميذاً للبرادة ولكنه في الوقت نفسه له فنه الخاص واتجاهه الشعري المستقل ، ذلكم هو :

عبد الواحد الجوهري الأشرم - المتوفى سنة ١٣١١هـ / ١٨٩٣ م :

ولعل أول ما يلاحظ على حياة هذا الشاعر المكي أنه توفي شاباً لم يكمل العقد الرابع من عمره ، ومع هذا يذكر عنه أنه شغل معاصريه بشعره الذي كان قصره على فن واحد من فنون الشعر هو الغزل ، وهل في ذلك من جديد أو عجب ؟ لقد كان فن الغزل في الشعر العربي القديم يكون منذ نشأته وتطوره فناً حجازياً اشتهر به أكثر ما اشتهر شعراء مكة والمدينة وقبيلة بني عذرة في شمالي المدينة المنورة ، وإذا وجدنا في القرن الثالث عشر الهجري شاعراً حاول أن يجدد تلك الفترة باتجاهه الشعري فلعلها الذكريات تنبعث على يد شاب توافرت له أسباب الفناء في الغزل ، كما توافرت لأسلافه من قبل ، فود أن يشركهم في هذه الميزة ، ميزة قصر الشعر على فن الغزل ، وقد عني الأستاذ محمد سعيد العامودي بالتعريف بهذا الشاعر وشعره في جملة من تحدث عنهم من شعراء الجيل الماضي ، وأشاد به في إعجاب بالغ ، ولعل مبعث تلك الإشادة والمبالغة في الحفاوة أن الأستاذ العامودي كان يكتب بحماسة أدبية عن شاعر عاش فترة كادت تكون مجهولة ، ثم تنبه لها بعض الباحثين عندنا - ومنهم العامودي - فجاؤوا يكتبون عنها بكثير من الإجلال والوفاء والتقدير .

هذا وللشاعر نص غزلي يكاد في رأيي يخلو من أية عاطفة صادقة تجعل قارئه يتجاوب معه ويتأثر به ، وإنما جنح الشاعر فيه إلى محاولة الإجابة في التصوير ، فعني بالحديث عن النواحي المادية وعقد المقارنة بينها وبين أشياء أخرى ، وليس الغزل الجيد هو الحديث فقط عن النواحي المادية في الحبيبة أو عقد المقارنة بينها وبين أشياء أخرى ، بل ليس الشعر الجيد هو الذي

ينحو هذا المنحنى في الفن ، إن الأشرم يبدو لي في هذا النص شاعراً ذا قدرة لا بأس بها على اصطیاد التشبيه لذاته ، يحاول أن يطلق لحياله العنان ، ولعله في هذه الناحية كان أكثر من بعض معاصريه حرية في الاستقلال بالتعبير ومحاولة الإتيان بجديد . ويذكر للأشرم قصيدة أخرى مطلعها :

على جيد هذا الظبي فلينظم الدرُّ وإلا فما للدرِّ قدرٌ ولا فخر
ومنها :

بدافأضاء الجوّ حتى كأنما بليلة نصف الشهر لم يطلع البدر
ويقول الأستاذ العامودي عنها : « وهذه القصيدة كانت طائفة الصيت ، وأنت لن تجد أكثر أبياتها إلا على هذا النمط ، سوى قليل من الإسفاف والركاكة في بعض هذه الأبيات » ولكن أرى في هذا النص للأشرم اتجاهًا تقليدياً منه ، فهو في نظري يحاول أن يعارض بقصيدته هذه رائية أبي تمام المشهورة ، وإن اختلف مضمون كل من القصيدتين ، وقد رأينا سابقاً كيف أن البرادة أستاذ الأشرم عارض رائية الطائي بقصيدته تلك في مناسبة انتصار الدولة العثمانية ، وليس ببعيد أن الأشرم - وكان تلميذاً للبرادة وصفيه في ندواته الأدبية - اتفق مع أستاذه على الإعجاب برائية أبي تمام ، وانعكس هذا الإعجاب على معارضة كل منهما لتلك الرائية حينما أتاحت له فرصة القول والإنشاد .

وفي بعض شعر الأشرم تتجلى صفة الظرف وخفة الظل والروح ، بسبب ميل الشاعر إلى هذه الصفة التي قد تكون لازمة من لوازم الشاعر في تلك الفترة ، استمع إليه يقول في شخص أسمه صالح :

رنا فسألته عن سهم لحظٍ أیصلح للقتال فقال : صالح
وقال: به أميت الصبَّ عمداً فقلتُ: وكيف ذاك وأنت صالح؟

فهذه التورية - وإن كانت نوعاً من اللعب بالألفاظ - لطيفة مقبولة ، وبخاصة حينما نتذكر أن مقاييس ذلك الجيل من الشعراء كانت تستند إلى مدى التفوق في الصناعة اللفظية والقدرة على إجادة ألوان البديع .

والخلاصة أن القارئ لأبيات هذا الشاعر ، على قلتها يحس أن الأشرم كان مقبلاً على حياته بكل سعادة وشوق وحب للجمال ، وهو يحاول أن يصور هذا الاتجاه في شعر مقبول بالنسبة لذلك العصر الذي كان فيه الشاعر أسير التشظيرات والتخميسات وما إلى ذلك من ألوان الصناعة والعبث .

ونصل أخيراً إلى أشهر شاعر من شعرائنا في العهد العثماني ذلكم هو :

الشيخ إبراهيم الأسكوبي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣ م :

ولقد حظي الأسكوبي بكثير من اهتمام معاصريه ومن جاء بعده من الأدباء والباحثين ، والناظر إلى ما كتب عن الأسكوبي يخيل إليه أن هذه الشخصية كانت تمثل الطفرة الشعرية على أيامه ، حتى لا يمكن أن يذكر جانبها أية شخصية أخرى من معاصريه ، ولكن الباحث المستقصي ، عليه ألا يتأثر بتلك الهالة التي أضفيت على هذه الشخصية ، بل يجعل مقياسه دراسة الفن الشعري لهذا الشاعر والخروج منها بنتائج قد تكون متفقة مع ما قيل عنه أو مخالفة له . ومن المعروف أن البيئة الفكرية والثقافية في هذه الفترة التي عاصرها الأسكوبي في وطنه لم تنل حظاً من التقدم المطلوب الذي بدأ ينتشر في بيئات عربية أخرى كمصر والشام مثلاً ، ولكن بالرغم من ذلك ظهر هذا الشاعر يطرق تلك الموضوعات التي عدها المعجبون به جديدة ، وعلى رأي بعضهم ، لم يسبق لشاعر من شعراء ذلك الجيل ولا ما قبله على ما نعلم أن سلك في شعره هذا السبيل ، كما عني الأسكوبي بالتحدث عن بعض المخترعات الحديثة في أرجوزته فأثار انبهار معاصريه حتى قال أحدهم مقرطاً تلك الأرجوزة :

ألا فانظروا شعراً لأوحد دهره فمن ذا يباريه ومن ذا ينافر
فإن شئت قل فيه : هو اليوم شاعرٌ وإن شئت قل : في النظم والنثر ساحر
وما هي إلا فكرة مدنيّة أقيمت لنا في الشعر منها مشاعر
فباه به من شئت شرقاً ومغرباً وفاخر فلا يشاك قطّ مفاخر

ثم أنجز هذا الإعجاب على قلم كل ما تناول قصيدته (يا آل عثمان) ، وقد يكون هذا التقدير المسرف ناتجاً عن تطلع إلى تطور في الحياة بجميع مجالاتها وجد طريق التعبير عنه في الحديث

عن الشاعر الرائد ، ومهما يكن أمر هذه المكانة التي حظي بها الأسكوبي فإنه لا مناص من جولة بين نماذج من شعره ، علها تضع أيدينا على سبب مقبول لتلك الميزة التي تحدث عنها الناس في الأسكوبي وشعره .

اطلعت على مؤلفين من إنتاج الشاعر الأسكوبي ، أحدهما هذه (المزدوجة) وهي (مفخرة ما بين واور البحر وواور البر) التي أتم إنشاءها الشاعر في عام ١٣٢٤هـ وطبعت في مصر ، وثانيهما ذلك الديوان المخطوط الذي انتخبت منه بعض النماذج التي أنقلها هنا وقد رأيت برفق إحدى المخطوطتين للديوان ورقة كتب فيها ليس المكتوب في الدفتر كل ديوان الشيخ إبراهيم الأسكوبي ، بل هو القسم الذي نظمه في مكة المكرمة بعدما هاجر إليها صحبة الشريف عون الرفيق . ولعل أحد المهتمين بشعر الأسكوبي يستطيع أن يتحفتنا في المستقبل بديوان كامل محقق للأسكوبي .

وشعر الأسكوبي الذي بين أيدينا منوع الفنون مختلف الأغراض . فيه حديث العاطفة والغزل والحب ، ينحو فيه الشاعر منحى البساطة والصدق في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه ، وأقرب مثل على ذلك قصيدته البائتان في (دعد) ، تلك الفتاة البيروتية التي شغلت الأسكوبي كثيراً ، وأسرت عليه قلبه ولبه ، وأطلقت شاعريته في التغزل والحديث عنها حينما كان مريضاً يعالج في بيروت في عام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م .

ومن بين تلك النماذج الكثيرة من شعر الأسكوبي أريد - خوف الإطالة - أن أقف فقط عند هذه الطائفة التي نظمها في عام ١٣١٩ مادحاً ومعاتباً أخاه وصديقه سعداً الحيدري المدني ، والشاعر في طائفته هذه اختار المنحى التقليدي فبدا وكأنه ينظر إلى النموذج القديم ويحاكيه ، فهو لا يبدأ القصيدة بالعرض الذي أنشئت من أجله وإنما يقدم لذلك المديح والعتاب بحديث نفسي عن الهوى والمشيب والاعتداد بنفسه وأدبه وفضله ، ثم يخلص بعد ذلك إلى غرضه الأصلي . وهو ينظم تلك المعاني في نحو خمسين بيتاً يدل على قوة نفسه وطوله مع الالتزام بهذه القافية الصعبة (الطاء) .

يقول الأسكوبي في مقدمة القصيدة :

ألا هل بقي لي في الهوى قدمٌ تخطو وفودَي من وقع المشيب به وخط

وعهدي به والليل مرخ سدوله على جانبيه مثل ما انسدل المرط
فما قرَّ حتى عاد يعدو مشمراً جلابيه والصبح من خلفه يسطو
وهل روع البيض الغواني كعارض تعرضه فجر من الشيب منعط
فقدّر الذي لاح المشيب برأسه لدى كل سوداء الغدائر: منحط
فما أعلق العين الظباء كوفرة منشرة الضفرين، ما عابها شمط
يتيه بها غرض الشباب تدللاً على كل من في وحفها يسبح المشط
إلى أن يقول :

فما تبتغي مني العذارى وفاحمي تشعل شيباً مثل ما اشتعل النفط
وإني وإن طارت غرابيب لمتي فمن أشهب البازي لها خلف غبط
وذا أدبي في مرتع الفضل راتع وذا قلبي في مربع الفضل يخط
وإن كنت ممن أصلد الزند حظه وأورى بكف الناس ذو الخطوة السقط
ومن نكد الأيام أني أرى العلا بأيدي رعا لم يعينوا ولم ينطوا
ثم تأمل معنى اعتداد الشاعر بفضله وأدبه من ناحية ، وسقوط حظه وإرجاع ذلك إلى صروف
الزمان من ناحية أخرى ، تجد أن في هذه النغمة محاولة لاحتذاء بعض معاني المتنبي وترديداً
لأفكاره ، منذ قرون طويلة قال أبو الطيب :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد
ثم جاء الأسكوبي بعد ذلك بقرون ليستفيد من هذا البيت ويقول في بساطة :

ومن نكد الأيام أني أرى العلا بأيدي رعا لم يعينوا ولم ينطوا
ثم يسترسل الأسكوبي مع الشكوى من الزمان ، ولكنه في الوقت نفسه يقرن ذلك بالاعتداد
بفضله وأدبه في تيه ظاهر ، وهكذا يمضي إلى الجزء الثاني من قصيدته الذي هو في الحقيقة غرض
الشاعر ومقصده ، نجد يقول متخلصاً إلى غرضه :

ولم يبق من أهل المروءة لي سوى صديق كريم النجر في كفه بسط
إلى أن يقول :

أخي همة وافي الأنعام ، ضبارم قدوم على نيل المنى ، عزمه سلط
سري إذا ما في الملم هزرت هزرت به العصب الذي ما نبا قط
فإن تصف لي يا سعد سعد بن محسن رفيقاً ، فدع سعد العشيرة ينعط
وإن سلمت لي منك نفس كريمة تساوى الرضا عندي عن الدهر، والسخط
على أن بي يا سعد شوقاً إلى اللقاء ويقلقني ما بي من البعد يمتط
وكانت تقر العين منك رسائل فألثمها من قبل أن يقرأ الخط
تحل سويداء السفود من الحشا ومن مقلتي يخلو لها المنزل الوسط
أجلك أن تصغي لواش مموه يحاول أن تسعى بأسحاره الرقط
وما الناس إلا أن تجرب أولاً فإن خانك المسرى فما ساءك الخطب
عداك الردى إني الذي من علمته تطايرت الواشون عندي أن انحطوا
ودونك بكرة زفها لك واثق بودك في عقد المديح أنت تخطو
بأوصافك الحسنات تتيه تحليا ومن دونها زهر الكواكب تنحط

لعل خليطاً من العاطفة الصادقة والحرص على إجادة التقليد ومحاولة التفوق في نسج القصيدة،
يسيطر على هذا النص فيكسبه شيئاً من السمو النسبي في الفن الشعري وبهذا قد ترجح كفة
الشاعر على معاصريه . فيعد رائداً بينهم يستحق الإشادة والإطراء .

وتفصيل هذه الملاحظة أن شاعرنا في هذا النص استطاع أن يترجم لنا عاطفة الود الصادقة تجاه
صديقه الذي وجه إليه القصيدة أصلاً ، وأن يصور مدى حبه له في هذا العتاب الرقيق المنثور
بألفاظه ومعانيه من أمثال قوله :

فإن تصف لي يا سعد ... الخ .

وإن سلمت لي منك نفس كريمة ... الخ .

وكانت تقرأ العين منك رسائل ... الخ .

أما حرصه على إجادة التقليد فيبدو لي في ترديده لبعض الألفاظ والمعاني التي عرفت متداولة في بعض شعر السابقين مثل قوله :

وإني الأنام ضبارم

أجلُّك أن تصغي لواش

عداك الردي ... الخ .

فالأسكوبي يبدو فيها مجيداً لتأثير نهج الشعراء السابقين ، وفي الوقت نفسه باعثاً حصيفاً له . وفي مجال طلب التفوق في نسج القصيدة ، نجد الشاعر قد استطاع أن يوحى إلى قارئه بهذا النص أنه قادر على النظم في قافية صعبة مع طول النفس ، وهو يبيّن نصه على نظام القصيدة التقليدية بحيث تشتمل على أكثر من غرض ، مع الحرص على اشتيتار بعض الألفاظ اللغوية التي تتصف بالجزالة ، وهكذا يخيل إلي أن الأسكوبي بهذه القصيدة كان يحاول أن يثبت قدمه ويرفع رأسه في ميدان الفن الشعري قبل النهضة وأحسبه وفق إلى شيء من ذلك المقصد .

وبعد :

فقد يلاحظ على هذا الحديث أنه حصر في تناول شعراء في المنطقة الغربية من المملكة فقط ، وعذري في ذلك أنني كنت خلال فترة ماضية قد أعددت بحثاً عن (الشعر الحديث في الحجاز) لنيل درجة جامعية ، وكان هذا الحديث جزءاً من تلخيص أحد الفصول في تلك الدراسة الجزئية . ولعلي أستطيع في يوم ما أن أتفرغ لدراسة شعرنا الحديث وشعرائنا المعاصرين على مستوى المملكة كلها ، فأكون بذلك قد استكملت بعض النقص الذي يؤخذ على هذا الحديث .

٢- البحث الثاني : للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ ، وهو بعنوان : (عوامل النهوض في الأدب السعودي) ، وقد نشر بالمجلد الثاني أيضاً من أعمال المؤتمر، ص ٤٩٩ ، ونصه :

عصرنا اليوم امتداد للحياة التي أخذت بها بلادنا بعد توحيدها منذ قرابة نصف قرن .. وقد استتب الاستقرار وراحت تنشط شتى الإمكانيات في مختلف اتجاهات حياتنا ... ومنها النبض الفكري واليقظة الوجدانية ، فالإنطلاقة الأدبية التي أخذت تغذي المكتبة العربية بثمار الأصالة والإبداع مواكبة للنهضة الأدبية في البلدان العربية الأخرى التي أخذ بعضها بعوامل مشجعة وحافزة على التقدم الفكري وانتشار آدابها وذيوها في كافة أرجاء الوطن العربي .. مما سنعرض له وننشده لأدبنا السعودي حتى يحتل مكانته الممتازة ويأخذ طريقه إلى العالمية إن شاء الله .

وليس من نافلة القول أن نقرر حقيقة طالما شكك فيها الكثيرون .. بل وأسرف البعض إلى حد وضع الأدب السعودي في قصص الاتهام .. بل أن من المتزمطين الغافلين من أنكروا عليه مميزاته القمينة بالدرس ، ونفحاته القيمة التي خلقت له شخصيته ، وأبرزته قوياً متطوراً ومتحدياً ادعاءات المفرضين .. وهو يواكب مسيرة الأدب العربي في وثبته المعاصرة من المحيط إلى الخليج وإن كان على نطاق محدود ، لظروف لا زالت تحد من انتشاره .. وتسبب احتجاب آثاره الثمينة والجيدة ..

إن تلك الحقيقة لتعلن عن نفسها بتواجد هذا العدد الهائل من خيرة أدبائنا الأذكياء ومن روائع إنتاجهم المتنوع ومقوماته الفنية المتوهجة ... هذا على الرغم من أن الكثير من النبضات الحية لازالت في أصابع مخطوطة لسبب أو أكثر لا يراد لها الظهور .. وقد يكون هناك سبب جوهري في عدم توفر الناشر الأمين الذي يستطيع إغراء الأديب على نشر مؤلفه لقاء مكافأة كحق تأليف يعينه ، ولا يكلفه إخراج كتابه نفقات غير ميسرة له ، فإن النظرية القائلة عن الأديب بأنه قد أدركته حرفة الأدب .. تعتبر كقاعدة صحيحة إلى حد ما .

وفي نقاشنا هنا لعوامل النهوض بالأدب في بلادنا يتوجب علينا أن نركز أولاً على ماهية الأدب كعنصر من عناصر حياة الأمة في وثبتها وفي انطلاقتها لكسب التواجد الأفضل والتقدم الأمثل .. والأديب هو محك هذا العنصر الحيوي من حياتنا ..

والأدب قبل كل شيء هو ضمير الأمة النابه ووجدانها الواعي المنطلق إلى الخلق والإبداع والتفنن في ميدان المعرفة واللغة والحرف .. وهو إذن رسالة حياة ومسؤولية فكر .. أي هو الإيمان بذاته وبيجدواه ... بمقوماته وبمعطياته . وما أثمر ولا حدد المعالم إن لم يكن ذلك الإيمان به :

قوته ودوافعه وحثه على نشاطات تتدفق بالبيان والروعة.. إلى جانب كونه مصدر قيم ثابتة ومثل إنسانية.. بمعنى أن الأدب لا يعيش أبداً على هامش حياة صاحبه وحامل لوائه.. الأدب من صلب الحياة.. إذا أردناه حقاً من نبعها الأصل يتحرك ويتوهج.. يقاوم وينهض ويبنى.. يبذر في الوجود معانيه الباقية وأصوله المنتجة لأقوى الثمار.. لفنون تفرض نفسها على البقاء..

نصل هنا إلى أن معايشة الأدب تتطلب جل الوقت.. فالموهبة وحدها لا تكفي.. لا بد من ملاحقة الساعة بالساعة.. من المعاناة المطردة.. من المكابدة المتواصلة.. ليس يجدي بعد لأي الاعتماد على الثقافة السابقة والاكتفاء بالإطلاع العابر.. ثم ينشغل صاحب القلم بأمور أخرى عن مجالات أدبه أياماً وأياماً مثلاً...

الأديب بحق هو الذي يعطي فنه معظم ساعات يومه.. وإلا فما معنى أنه يحمل رسالة فكر؟ ما معنى أنه طرق باب هذا الفن وأمن به وهو يعرف أنه له ما بعده؟.. فهناك السجل الذي يبقى.. فأين إذا ضربتني؟ لا بد لكل عمل حياتي يبقى من نصب ومن جهد.. من بذل وتضحية.. من ارتباط وتلاحم بالفن المختار.. تحصيلاً وتزويداً وعطاء.. إنتاجاً مركزاً مبدعاً.. شأن السراج الذي نصب زيته وخبا نوره.. فالأديب هو هذا الإنسان المتعاطف مع الحرف المقدس.. الموصول بالكلمة المعبرة البناءة.. المشدود من حيث يدري ولا يدري بعالم التعبير الفني والأداء الشعوري.. شعراً نظم.. قصة كتب.. بحثاً تناول.. أو أنه خاض في أي لون من ألوان الأدب التي تهيأ لها وعانها وتيسرت له وتبناها.. فهو ينصب من أجلها ويعيش لها حتى على حساب متطلباته الشخصية ورفاهيته..

وليتذكر هذا المفكر.. أنه ليس إنساناً عادياً وقد امتلك من فنون المعرفة ما يجعله المثل أن يكون في مستوى رسالته مبدعاً كأحد الصناعات المهرة..

ذلك ما يمكن أن يعتبر من الدعامات القوية للنهوض بالأدب عندنا.. الإيمان به والخلوص إليه وكأنه عشقه المقدر عليه.. وإننا لنراه جلياً مثلاً في هذه الصور الشعرية الرمزية الصافية :

عشق الحياة لفنه وعذابه وهل الحياة سوى عذابٍ دائر
وهل الدنيا إلا مرارة كأسه يبقى يُجرعُها بقلبٍ نائر

الفن ملء إهابه ودمائه لولاه لم يصبر لذل شبابه
قتل الليالي في دراسته الوجود وتشرب الآداب مشعل حبه
يشدو وفي أضلاعه شوك الورود فحياته ليست له .. وبقلبه
ظماً إلى المجهول والنبع البعيد

هو شمعةٌ في هيكل الفكر الرهيب ودموعه أنفاس تلفظها الشفاه
يفنى بوحدته على الشطّ الغريب لرسالة قدسيّة تهوى الحياة
صهر العذاب فؤاده ، نقى هواه وتظهرت أضلاعه من شرها
ملكا رأى يهدي العوالم في سماه ويشيع آيات المحبة في الحياة
هو ليس يضنيه الجهاد أو السهام هولن يعيش لذاته وهنائه
يجترّ أعباء السنين ولا يضام ويصارع الأيام عند شقائه
هو قمةٌ شماء تضرمها الفنون لتضئ للناس الطريق وتحترق

ألم نقل أن الأديب إنسان غير عادي .. فحق عليه أن يرتفع برسالته إلى المستوى المثالي أن
يجعل الأدب على هامش حياته .. ؟ وهذا هو الانحدار- .. فإن مثل تلك الصورة الشعرية
المنظمة شخصية الأديب وتقانيه لفنه .. قد رفض حياة الدعة والفراغ .. ووعى دوره كإنسان
حمل أمانة .. والتزم برسالة .. ليس يرضيه إلا التقيد بها والحياة لها .. فهو مهتم من أجلها دائم
الاشتغال بها . - وهو إذن ينتج ما يستحق أن يعيش .. وهو يسطر فنوناً وروائع تسهم في النهوض
بالحركة الفكرية للبلاد ..

تلك ولا شك فقرة هامة في بحثنا عن عوامل النهوض بالأدب السعودي في هذه المرحلة
التقدمية لمملكتنا الغالية ..

أما الفقرة الأخرى فتأتي من ضرورة انعقاد مؤتمرات الأدب السنوية .. وأخذها بدراسة مشاكله
ومعوقات انتشاره .. والعمل على تنفيذ توصياتها مستهدفة تشجيع الأدب والأدباء بالوسائل

المعروفة .. ولعل اضطلاع المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون المثبت عن وزارة المعارف بهماهما ما يمكن أن يوفر الكثير من تلك الأسباب الحيوية المنشودة .. بل ويحقق - حتى عن طريق الوساطة - عوالم حساسة في المنطلق الفكري للأدباء .. مع شيء من المرونة ، وضمانة حرية التعبير والنقد البناء وإفساح المجال أمامهم ليكتبوا في نطاق رسالتهم وأدائهم للدور الذي وجب عليهم .. وهم طليعة هذا البلد المسلم الرائد الذي يأبى الانحراف ويدعو إلى الوحدة الإسلامية .. ويسعى رجاله إلى تعميق المفاهيم الدينية الصحيحة .. كما هو مفروض على كل صاحب قلم أن يعنى بالمثل العليا ويعمل جهده ليقدم الأجمل والأفضل دائماً .. أدباً هادفاً يسمو بالقارئ ولا يهبط إلى المستوى الرخيص أو مداعبة الغرائز .. وبعد ذلك كله فالأديب حر فيما يبحث ويكتب ويتفنن بمختلف الصور وألوان الإبداع .. ومن حقه أن يكون كذلك ليتنجح اللوحات المشرقة والتعبير الجديدة المتوهجة - كما يحلو للشاعر أن يفعل مثلاً ..

بعد هذا لا بد أن يلاقي الأدب نوعاً من الرعاية آخر .. ونعني به تطبيق نظام التفرغ للأديب الذي يريد أن يقدم عملاً موسوعياً أو شعرياً مختاراً أو غيره ، مما يتطلب الجهد الكبير والوقت المتسع والبحث المتصل .. حتى يتمكن من أن يؤدي عمله الأدبي أو العلمي في جوه الصحيح وهو في أمان من مشاكل متطلبات عيشه وأسرته وهي يومياً تلح عليه وتتناهيه في شتى أقطاره ..

ونعتقد أن في دولتنا الناهضة اليوم من الإمكانيات ما تستطيع به إيجاد هذا اللون من التفرغ للفكر والإنتاج الأدبي الممتاز .. إسهاماً في النهوض به وتقديره ..

كذلك في تخطيطنا لهذا النهوض لا ننسى الضرورة الملحة لتواجد المجالات الأدبية المتخصصة. ويشكل منسق ومركز .. فهي ميدان حيوي للنقاش والتحريك الفكري ونشر ألوان الفنون الأدبية التي يعالجها الأدباء المنتشرون في أرجاء مملكتنا المعمورة ..

هذا إلى جانب حتمية إقامة المسابقات الدورية في شتى ألوان الأدب .. مع مراعاة تعدد الجوائز المجزية .. وبلا شك فإن في هذه الفرص المتاحة - أو هذا السباق الفكري - كما يحسن أن نسميه ، إيجاد لون من التنافس البناء ، وحض على الابتكار والخلق الفني .. كما هو إغراء لكسب مواد أدبية جديدة ..

أخيراً .. أماننا عامل مهم أيضاً لا يمكن فصله عن العوامل المتقدمة إذا كنا نحرص وننشد

النشاط الأدبي والذيع لأدبه وإنتاجه .. ذلك العامل هو وسيلة النشر وعملية التوزيع .. وعليهما تتركز نشاطات الأدب كلها .. فالناشر والموزع عضوان رئيسيان في إخراج آثار الأديب والدعاية لها وتسويقها .. فالناشر يقايس الأديب على كتابه بأن يدفع له حق التأليف ، ويقوم بنشره طباعة وإعلاناً وتسويقاً .. والموزع كمتخصص يعرف كيف يتولى انتشار الكتاب في كل مكان بما له من مكاتب خاصة وموزعين مدربين ..

وهذه العملية المنظمة غير موجودة عندنا حتى اليوم .. حتى الناشر الموجود لا يمكنه أن يطبع لحسابه أي مؤلف ويكافئ صاحبه .. أنه قد يتعاون مع الأديب في نشر كتابه ، ولكنه لا يدفع له حقه كمؤلف عانى وأنتج ويريد أن يعيش من أدبه فلا يجد التجاوب المفروض ، الأمر الذي ينصرف به إلى أن يحيا أكثر وقته مديراً شؤون معيشته ورعاية من يعولهم من أهله وفلذات كبده ..

لهذا فإننا نركز على هذا الجانب لضرورة قيام شركة للتوزيع تدرك مهامها واختصاصاتها في وسائل الدعاية والتوزيع الزمني في كل مدن المملكة ثم التعامل المتحرك مع كافة المكتبات المحلية والأجنبية بالوسائل الحديثة المتبعة في كثير من بلدان العالم ..

ولازلنا نقول أن لعوامل النشر والإعلان والتوزيع دوراً كبيراً في النهضة الأدبية لأية بلاد تريد أن يبلغ صوتها الفكري أكثر من المحلية المحدودة فيصل إلى مستواه الرائع إلى جانب النهضات العلمية والصحية والعمرانية ... وسواها ..

بقي أن نشير إلى أن (الروابط الأدبية) لم تنشط عندنا إلى الحد الذي يمكنها أن تعمل وتؤثر على النهوض بالأدب السعودي .. فالجهود الفردية محدودة الخطى .. والروابط تريد دفعات من المسؤولين لتستطيع أداء دورها المأمول والمفروض .. وما دمنا نسير ونعمل ونبحث عن الأفضل فإننا بالغون بإذن الله ما ننشده من تقدم وتطور في ظلال عقيدتنا وبلادنا الآمنة ..

٣- البحث الثالث : للأستاذ عبد الحق نقشبندي، وهو بعنوان : (الإسلام في شعر أحمد شوقي) ، وقد نشر بالمجلد الثالث أيضاً من أعمال المؤتمر، ص ٩٥٣، ونصه :

سادتي الأمائل :

إن موضوع مقالتي هو (شوقي) - وأبدأ بنبذة من ترجمة فأقول :

أحمد شوقي بن علي ، أمير الشعراء وشاعر الأمراء في زمانه ، واسمه لم يزل أنشودة حلوة النغم وعطراً يفوح على الدوام ، توفيت والدته وهو صغير فكفلته جدته لأبيه وكانت مربية أو وصيفة في بيت الخديوي إسماعيل ، وكان شوقي وهو صغير به حول في عينيه ينظر إلى أعلى ، فمر يوماً إسماعيل وهو بتلك الحالة فقال لجدته : ما له هكذا يحول عينيه ؟ ، أجابت يا مولاي هكذا خلق ، فأخرج إسماعيل من خزانته عدداً من الدنانير الذهبية ورمى بها أمامه ، فجعل شوقي يتطلع للأرض ويعبث بها ، فقال لها إسماعيل : كيف تريه الآن ؟ قالت : يا مولاي هذا الدواء لا يوجد إلا في صيدلية مولاي .

ومن يومها كان إسماعيل يعطف عليه وعلى والده الذي كان أيضاً موظفاً في السراي . ولما أجلي إسماعيل للخارج مصر بعد أن أنقل كاهل مصر بالديون الفاحشة ، تولى بعده ابنه توفيق فعاش شوقي في كنفه ، وبعد دراسته الأولية ظهرت نجابته ، فجعل ينظم الشعر وهو لم يدرك الحلم ، فجعل يتابع دراسته ، فبعثه توفيق إلى أوروبا ليدرس الحقوق وبعد أن نال بغيته رجع لمصر وتقلب في وظائف متعددة . وحين تولى عباس حلمي أريكة عرش مصر التحق به شوقي ، وكان من أخص ندمائه وصاحب كلمته ، وكان عباس ميالاً للاتحاديين ومعاكساً للإنجليز ، فلما شبت الحرب العالمية الأولى كان عباس باستنبول دار الخلافة ، ولعلم الإنجليز بميوله مع الأتراك خلعه عن مصر للخارج ، فأوحى لشوقي أن يقلب ظهر المجن لبيت إسماعيل فأبت كرامته ، وأنشد قصيدته التي يقول من ضمنها :

أَخَوْنَ إِسْمَاعِيلَ فِي أَبْنَائِهِ وَلَقَدْ وُلِدْتُ بِبَابِ إِسْمَاعِيلَا

واختار شوقي الذهاب إلى أسبانيا والإقامة في الأندلس ، لما يعلم من تاريخ مجد العرب أيام عزهم ومجدهم ودولتهم فيها ، ذهب بزوجه وأولاده ، ومكث خمس سنوات يعاني آلام الغربة ، ويسجل فيها غرر قصائده وموشحاته التي تنم عن عبء وأسى لمجد الإسلام الضائع بسبب الخلافات القبلية وتعدد ملوك الطوائف وخذلان بعضهم البعض ، لانهمكهم في الملمات وتركهم للجهد واتخاذهم ألقاباً للخلافة حتى في أصغر إمارة ، ويقول المرحوم حافظ إبراهيم من قصيدة ترحيبية بعد رجوع شوقي لمصر بهذا المعنى ومطلع القصيدة :

ورد الكنانة عبقرى زمانه فتنظري يا مصر سحر بيانه

منها :

واذكر لنا الحمراء كيف رأيتها والقصر ماذا كان من بنيانه
ماذا تحطم من ذراه وما الذي أبقت صروف الدهر من أركانه
ولعل نكبته هناك تفرق وتعدّد قد كان في تيجانه
عبر رأيناها على أيامنا قد خففت ما نابيه من أنه

يقول المرحوم الدكتور محمد حسين هيكمل من فذلكة مقدمته التي قدم بها ديوان الشوقيات:
إن شوقي وإن كان شاعراً لمصر والعرب والمسلمين ، كان فيه ازدواج في روحه بين حب الحياة
ومتعها والإيمان ونعيم الآخرة ، وقد أتاحت له المتع وبلهنية العيش لدى - بيت إسماعيل ، وله
ذاتيته التي لا تخفى ، فهو شاعر الحكمة وشاعر اللغة العربية السليمة ، وإنك لتعجب أكثر
الأحيان حين ترى عنوان قصيدته فلا تجد غير أبيات معدودة من موضوع العنوان فقط ، وحكمة
شوقي وما يصدر عنه من وصف أو مدح أو غزل يبدو وكأنه شرقي غربي ، بيد أنه لا يتأثر بالحياة
الغربية إلا بمقدار لأنه شاعر العرب والإسلام ، وما دام يجد في الحضارة الشرقية ما يغنيه عن
استعارة لبوس المدنية الغربية إلا بمقدار ما تحتاجه أم الشرق في حياتها الحاضرة ، ونراه يغلو في
شوقيته وعربيته أحياناً ، كما نراه يعتمد ذلك في ألفاظها ومعانيها ، وسببه ما يراه من ضرورة
النزعة القائمة في نفوس الكثيرين تصبو إلى نسيان ما خلف السلف للخلف من تراث والأخذ
بكل ما ينبع به الحاضر من وراء الغرب . ويصفه السيد أحمد الهاشمي في ترجمة الشعراء في
كتابه (جواهر الأدب) فيقول : هو شاعر النيل وأشعر شعراء العرب وأقدرهم على التصورات
البديعة ، ينظم بين أصحابه فيكون معهم وليس معهم ، وينظم ما شاء متى شاء لا يجهد فكره
ولا يكدر خاطره في معنى أو مبنى ، فأما المعنى فيأتيه على مرأه وأبعد من مرأه لأنه يستخلصه
من عقل فوار الذكاء ، ومعارف جامعة من أفانين الآداب من لغات الإفرنج والأعراب ، فمن
فلسفة الحقوق وحقائق التاريخ وغرائب السير التي حفظ منها ، إلى مشاركة علمية وتنبيهات
فنية استقاها من مطالعته في أنواع الكتب وجولاته وملاحظاته بين الشرق والغرب ، وأما المبنى
فله فيه ذوق متعدد بتعدد مقام القول ، فنرى فيه من نسج البحترى وصياغة أبي تمام ووثبات
المتنبي ومفاجآت الرضى ومسلسلات مهيار ، إلى سلاسة شعر البارودي .

في سنة ١٩٢٤ أقيم حفل تكريمي جمع من وفود أدباء الجزيرة وأعيانهم قدمت له فيه الهدايا وأُتُمِنَ هدية كانت فيها هدية إمارة البحرين (شمامة منضدة باللؤلؤ الثمين) ، وقيلت فيه القصائد التكريمية ، وأكبرها كانت قصيدة زميله الشاعر الكبير المرحوم حافظ إبراهيم الذي بايعه على إمارة الشعر قائلاً في قصيدته المشهورة :

أمير القوافي قد أتيت مبياً وهذي وفود للشرق قد بايعت معي

ثم قام أخيراً شوقي وألقى قصيدة شكر لما لاقاه من الحفاوة وتقليده إمارة الشعر ، وكان افتقد في الحاضرين وفد الحجاز ، فتحسر أن لم يجد أحداً منهم ، فقال ضمن تلك القصيدة :

**يا عكاظاً تألق الشرق فيه من فلسطينه إلى بغداده
فقد فقدنا الحجاز فيه فلم نعر على قسه ولا سحبه**

مع العام أنه كان بالحجاز شعراء نابهون في بداية النهضة السعودية أمثال المرحوم محمد سرور الصبان ، والشاعر الكبير محمد حسن عواد ، والأديب الممتاز السيد سعيد العامودي ، والأستاذ الفاضل عبد الوهاب أشي ، وغيرهم ممن لا أذكر أسماءهم ، وأكبر ظني أنه لم تبلغهم الدعوة . وفيما يعد رد على قصيدة شوقي المرحوم الشاعر فؤاد شاعر ولكن بعد فوات الأوان .

ولعلنا نتساءل ماذا بقي من كرامة ابن هاني بعد وفاة شوقي وأجيبكم يا سادة أن وزارة الثقافة بمصر بعد مرور السنين الطوال تنبّهت للاحتفاظ بما بقي من أثاث وبناء فاشترته من ورثته وحولته إلى متحف خاص ، ولم يبق في ذلك البيت الواقع على نهر النيل سوى بضع أثاث ، وبعض الكتب والأوسمة التي أهديت له من المؤتمرات والأمراء وكان حائراً على البكوية وطامعاً في الباشوية فلم يحظ بها ، ولبي نداء ربه سنة ١٩٣٢ بعد أن ترك من تراثه ديوان شعره وأرجوزة تاريخ الإسلام والعرب ومسرحياته التي لم يسبقه أحد بمثلها ، وقصائده التي تحتوي على مدائحه ومراثيه لكبار الزعماء من عرب ومسلمين ، ومراثيه المؤثرة لكبار العلماء والأدباء والمفكرين ، وأراجيزه التاريخية وموشحاته الأندلسية وغزله وخمرياته ولهوه ومجونه ، وأصبح المتحف متحفاً خاصاً لعشاق الأدب وخاصة عشاق أحمد شوقي الراغبين في دراسة آثاره طيب الله ثراه وجعل اللجنة مثواه .

ولنعد ثانية بعد هذه النبذة من تاريخ حياة شوقي لندلل على موضوع مقالنا «الإسلام في شعر شوقي» فأقول لكم :

لو لم يكن لشوقي غير قصيدته الهمزية وقصيدة نهج البردة وقصيدة عرفات لكن كافيات على الاستدلال لموضوع مقالنا ، ولولا أن الوقت قصير لدلت لكم من تلك القصائد وباقي قصائده المختارة الدليل الكافي الشافي ، إلا إني سأذكر لكم بعض الأبيات من كل قصيدة ، اخترت منها أبياتاً سواء من المدائح النبوية أم مرثيته المؤثرة أم النبذ من تاريخه أم من موشحاته الأندلسية أو خمرياته أو تغزله .

يقول في بدء همزته :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسّم وثناء
يومٌ يتيه على الزمان صباحه ومساؤه بمحمّد وضاء
دينٌ يشيّد آيةً في آية لبناته السور والاضواء
بنيت على التوحيد وهي حقيقة نادى بها سقراط والقدماء
ومن نهج البردة قوله :

أتيت والناس فوضى لا تمرُّ بهم إلا على صنم قد هام في صنم
سرت بشائر بالهادي ومولده في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم
أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه والرسل في المسجد الأقصى على قدم
صلّى وراءك منهم كل ذي خطر ومن يفز بحبيب الله يأتم
وقيل كل نبيّ عند ربته ويا محمد هذا العرش فاستلم
ويقول في قصيدة (عرفات) :

إلى عرفات الله يا خير زائر عليك سلام الله في عرفات
ترى الناس أصنافاً ومن كل بقعة إليك انتهوا من غربة وشتات

تساووا فلا الأنساب فيها تفاوتٌ لديك ولا الأقدار مختلفات

وباقى قصائده من كل ألوان الشعر لا تخلو من التمسك بالدين والأخلاق وبالوطنية الصادقة والإخلاص لخدمة العرب والمسلمين ، وها أنا أذكر لكم أبياتاً من مرثيته لبعض زعماء الأمة ، وأبدأ بمرثيته لزعيم شاب وخدام الوطن وشهيد الأمة مصطفى كامل باشا :

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مأتمٍ والداني
يا خادماً للإسلام أجرم مجاهدٍ في الله من خلدٍ ومن رضوان
لما مشيت إلى الحجاز مشى الأسى في الزائرين وروّع الحرمان
ياليت مكة والمدينة فازتا في المحفلين بصوتك الرنان
ليرى الأواخر يوم ذاك ويسمعوا ما غاب عن قس وعن سحبان
المجد والشرف الرفيع صحيفة جعلت لها الأخلاق كالبنيان
ففي ذمة الله الكريم وبره ما ضم من عرفٍ ومن إحسان
ومن المرثية الثانية الشهيد المعمر، عمر المختار :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء يستنهض الوادي صباح مساء
يا ويحهم نصبوا مناراً من دم يوحى إلى جيل الغد البغضاء
ما ضرُّ لو جعلوا العلاقة في غدٍ بين الشعوب مودة وإخاء
في ذمة الله الكريم وحفظه جسدٌ ببرقة وسدّ الصحراء
لم تبق منه رحى الوقائع أعظماً تبلى، ولم تُبقِ الرماحُ دماء
لك في الأرض والسماء مأتم قام فيها أبو الملائك هاشم
المرثية الثالثة في الحسين بن علي رحمه الله ، وبالرغم من كراهته لانضمام الشريف لدول
الأحلاف وخلع طوق الخلافة العثمانية قال :

قعد الأل للعزاء وقامت باكيات على الحسين الفواطم
 يا أبا العلية البهاليل سل أباءك الزُّهر: هل من الموت عاصم...؟
 المناحات في ممالك أبنائك بدرية العزاء قوائم
 تلك بغداد في الدموع وعمَّان وراء السواد والشام واجم
 قد بنى الله بيتهم فهو باقٍ ما بنى الله ماله من هادم
 ولننتقل إلى بعض أبيات في غزله ، وحسبك أن كانت من لحن عبد الوهاب كقصيدة :

يا جارة الوادي طربت وعادني ما يشبه الأحلام من ذكراك
 مثَّلت في الذكرى هواك وفي الكرى والذكريات صدى السنين الحاكي
 ولقد مررت على الرياض بربوة غنَّاء كنت حيالها ألقاك
 لم أدر ما طيب العناق على الهوى حتى ترفَّق ساعدي فطواك
 ودخلت في ليلين فرعك والدجى ولثمت كالصبح المنور فاك
 لا أمس من يوم الزمان ولا غدُّ جمع الزمان فكان يوم لقاك
 وهناك أغان خفيفة تأليف شوقي غناها عبد الوهاب :

يا شرعاً وراء دجلة يجري في دموعي تجنَّبَتك العوادي
 وأغنية :

علِّموه كيف يجفوفجفا ظالمٌ لا قيت منه ما كفى
 وقال مؤرخاً ديوان شوقياته :

وجنَّات من الأشعار فيها جنى للمجتني من كل ذوق
 تأمل كم تمنوها وأرَّخ لشوقيات أحمد بن شوقي

وقال في فضل العلم والتعليم وواجب المعلم :

قم للمعلم وفئه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشئ أنفسا وعقولا
سبحانك اللهم خير معلم علّمت بالقلم القرون الأولى
ربّوا على الإنصاف فتیان الحمى تجدوهم كهف الحقوق كهولا
وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى روح العدالة في الشباب ضيلا
وإذا المعلم ساء لحظه بصيرة جاءت على يده البصائر حولا
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلا
وإذا النساء نشأن في أمية رضع الرجال جهالة وخمولا

سادتي :

بعد عرض هذه النماذج من قصائد شوقي الغر أقدم لكم نموذجاً من موشحاته الأندلسية ن ولم أجد أحسن من موشحته في صقر قريش (عبد الرحمن الداخيل) ن ومطلع الموشح هو :

من لنضويتنزى ألما برح الشوق به في الغلس..
حنّ للبان وناجى العلما أين شرق الأرض من أندلس..؟

هذه الموشحة الفريدة عارضها كثير من الشعراء بيد أنها كانت المفضلة عليهم ، لما حوته من بلاغة التعبير والانسجام وأمثال الحكم وإثارة الهمم ، وبدأها شوقي على لسان بلبل شريد عن عشه وجنانه وأهله وأوطانه ، وهو بهذا الوصف يصف نفسه النازح عن وطنه بغير ذنب جناه وإثم اقترفه ، وإنما هو تحكم من الطغاة المحتلين ، واستمعوا لآخر مقال البلبل في هذا الخمس ، إن هو إلا حقيقة وعبرة لكل شريد وطريد :

قلت لليل وللليل عواد: من أخو البث؟ فقال: ابن فراق
قلت: ما واديه ؟ قال: الشجو واد ليس فيه من حجازٍ أو عراق

قلت: لكن دمه غير جواد ، قال: شرُّ الدمع ما ليس يراق
 نغبط الطير وما نعلم ما هي فيه من عذاب بثس
 فدع الطير وحظاً قسماً صيّر الأيك كدور الأنس
 واستمعوا إليه يخاطب الشباب :

يا شباب الشرق عنوان الشباب ثمرات الحسب الزاكي النмир
 حسبكم في الكرم المحض اللباب سيرة تبقى بقاء ابني سمير
 في كتاب الفخر للدخل باب لم يلجه من بني الملك أمير
 في الشموس الزهر بالشام انتمى وغا الأقمار بالأندلس
 قعد الشرق عليهم مأتما وأنشئ الغرب بهم في عرس

بعد هذا الخمس اللطيف أخذ يصف مأثر الداخل ، وسبب سقوط عرش بني أمية بالشام ،
 وظهور داعية بني العباس أبي مسلم الخراساني ، وانهيار ملكهم على يده ، وانتقال الملك إلى
 بني العباس في شخص عبد الله السفاح الذي نكل ببني أمية ، وتتبع كل فرد منهم بالقتل ،
 ولم يرحم أحداً جزاء ما فعلوا بالبيت العباسي ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ فيحيي
 أمل البائسين واليائسين في مخمسه :

أيها البائس مت قبل الممات أو إذا شئت حياة فالرجا
 لا يضق ذرعك عند الأزमत إن هي اشتدت وأمل فرجا
 ذلك (الداخل) لاقى مظلمات لم يكن يأمل منها مخرجا
 قد تولى عزه وانصرما فمضى من غده لم ييأس
 رام بالمغرب ملكاً فرمى أبعد الغمر وأقصى اليبس

ويقول في هذا الخمس من الحكم البليغة :

خذ من الدنيا بليغ العظة قد تجلّت في بليغ الكلم
طرفاها جمّعا في لفظة فتأمل طرفيها تعلم
الأماني حلم في يقظة والمنايا يقظة من حلم
كل ذي سقطين في الجو سما واقع يوماً وإن لم ير مس
وسيلقى حينه نسر السما يوم تطوى كالكتاب الدرس
بعد كل ما ذكرنا ينبها الشاعر لمصير كل حي فيقول عن قصر النّية الذي بناه الداخل في
قرطبة ودفن في قصره ، وقد هدم القصر ونش القبر ، ولم يبق ما يدل عليه إلا مكانه ، أشار
إليه قائدنا في قرطبة إبان زيارتي للأندلس من فوق القنطرة فلم أملك ورفيقي غير البكاء على
مجد العرب الزائل وذكرت قول ابن خلدون : لا تقوم للعرب قائمة إلا بالدين ، أي : بتمسكهم
بدينهم وجهادهم في سبيل الله .

قصرك (النّية) في قرطبة فيه واروك ولله المصير
صدف خطاً على جوهرة بيد أن الدهر نبّاش بصير
لم يدع ظلاً لقصر (النّية) وكذا عصر الأماني قصير
فاتخذ قبرك من ذكر فما تب من محموده لا يطمس
إن تسل أين قبور العظاما فعلى الأفواه أو في الأنفس

والى هنا أختتم مقالتي يا سادة راجياً أن أكون برهنت على الإسلام في شعر أحمد شوقي ، فقد
لمحتم في كل تلك النماذج روحه العربية وأخوته الوطنية ونخوته الإسلامية ، ورحم الله شوقي
ومن سار على نهجه من شعراء العربية ، وهيئات أن يأتي الزمان بمثله .. وآخر دعوانا أن الحمد
لله رب العالمين .

٤- البحث الرابع : للأستاذ عبد العزيز الربيع ، وهو بعنوان : (الوحدة الإسلامية ومقوماتها
في شعر شوقي) ، وقد نشر بالمجلد الثالث من أعمال المؤتمر ، ص ٩٦٥ ، ونصه :

كثر الحديث عن شوقي يرحمه الله ، واختلفت آراء الكتاب والنقاد في عمق شاعريته وتعددت خصائصها واتجاهاتها ، فأنزله بعضهم مكانة سامقة تجعل بينه وبين كثير من زملائه المجيدين بوناً شاسعاً لا يمكن تخطيه ، أو حتى مجرد التفكير في تخطيه ، وحاول البعض الآخر أن يخرجوا به عن نطاق الشعر إلى إطار بعيد عن الفن الشعري الصادق والموهبة الشعرية السليمة .

ولا شك في أن هؤلاء وأولئك تجاوزوا الحدود المرسومة في النقد الأدبي ، وابتعدوا عن التقدير الصحيح للمكانة التي يحتلها شوقي بين معاصريه ، أو بينه وبين الشعراء العرب في الحديث والقديم ، فلشوقي دون شك تحليلاته البعيدة وريادته الحقيقية لكثير من ألوان الشعر وفنونه ، ولا يمكن أن تضمره بعض الهنات التي وجهت إليه بالحق أو بالباطل . فقد أخذت على المتنبي وأبي تمام والبحري وأصراهم من شعرائنا الأفاضل هنات أكثر من الهنات التي أخذت على شوقي ، ومع ذلك احتفظوا بمكانتهم الفائقة في دنيا الشعر والأدب - ولقد استلقت نظري منذ سنين - حين كان النقاش على أشده بين عدد من أدبائنا حول شوقي : استلقت نظري حين رأيته من اتجاهات إسلامية صادقة في شعره وتلمس لمختلف الجوانب التي تصطبغ بها هذه الظاهرة : فبدأت في كتابة بحث أتناول فيه هذه الظاهرة بالتحليل والنقد ... ثم كانت الدعوة التي وجهت إلي للاشتراك في هذا المؤتمر الذي دعت إليه جامعتنا العزيزة : جامعة الملك عبدالعزيز، رحمه الله: أحسن ما يمكن أن أنتهزه من الفرص لإتمام هذا البحث على المنهج الذي رسمته لنفسي .

ويسرني أن أشارك به في هذا المؤتمر الحبيب : مؤتمر الأدب السعودي ، شاكرًا لكم أيها الأخوة وللجامعة العزيزة هذه الخطوات المباركة :

فمن هو أحمد شوقي ؟ وما هي طفولته ؟ ونشأته ودراسته وحياته الوظيفية ؟

هو أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، وأحمد شوقي الأخير جده لأبيه ، قدم مصر يحمل وصاة من أحمد باشا الجزائر والي عكا إلى محمد علي باشا والي مصر ليعمل فيها ، وكان كردياً عربياً . فرحب به الوالي محمد علي ، وضمه إلى حاشيته ، وكان يحسن العربية والتركية .

وأخذ يتنقل في المناصب العالية حتى وصل إلى منصب الأمين العام للجمارك المصرية ، وتوفي وهو في هذا المنصب بعد ترك ثروة كبيرة لابنه علي ، وهو والد شاعرنا .

أما جده لأمه فهو أحمد حليم النُّجْدَةُ لي وقد دخل مصر شاباً في عهد إبراهيم باشا ، ونال حظوة كبيرة لديه ، مما جعله يزوجه معتوقة أثيرة عنده من أصل يوناني ، أسرت في حرب الموره وعمرها عشر سنوات ، كانت تسمى (تمزار) ، وقد أخذ يتدرج في مناصب القصر حتى تقلد وكالة الخاصة الخديوية في عهد الخديوي إسماعيل ، وقد تزوج علي شوقي والد الشاعر من ابنة أحمد حليم النجدة لي حيث ولدت له أشهر شاعر عربي في العصر الحديث ، وقد نشأ شاعرنا في كنف جدته لأمه تمزار ، حيث أضفت عليه الكثير من ألوان الرعاية والحنو والعطف ، وقد ترك ذلك أعمق الأثر في نفسه ، عبر عنه تعبيراً رائعاً في قصيدته التي رثاها بها ، والتي يقول في مطلعها :

خلقنا للحياة وللهمات ومن هذين كل الحادثات
ومن يولد يعيش ويمت كأن لم يمر خياله بالكائنات
إلى أن يقول :

صلاة الله يا تمزار تجزي ثراك عن التلاوة والصلاة
وعن تسعين عاماً كنت فيها مثال المحسنات الفضليات
بررت المؤمنات فقال كلُّ لعلك أنت أم المؤمنات
وكانت في الفضائل باقيات وأنست اليوم كل الباقيات
تبناًك الملوك وكنت فيهم بمنزلة البنين أو البنات
يظنون المناقب منك شتى ويؤون التقى والمعلمات
وما ملكوك في سوق ولكن لدى ظل القنا والمرهفات
فكنت لهم وللرحمن صيداً وواسطة لعقد المسلمات
تبعث محمداً من بعد عيسى لخيرك في سنينك الأوليات
فكان الوالدان هدى وتقوى وكان الولد هذي المكرمات

ولد أحمد شوقي الشاعر في القاهرة ، وحينما بلغ الرابعة من عمره أدخله أبوه الكتاب حيث قضى فيه أربع سنوات ، نقل بعدها إلى المدرسة الابتدائية ثم إلى الثانوية ، وتخرج منها وعمره خمس عشرة سنة ، وأظهر في هذه المدرسة تفوقاً عظيماً ، وفيها تفتحت موهبته الشعرية وبدأت البشائر التي تشير إلى مستقبل الشاعر العظيم .

ثم التحق بمدرسة الحقوق ، وكان قد أنشئ فيها قسم للترجمة انتظم فيه أحمد شوقي فحصل بعد سنتين على شهادته النهائية ، وقد رأى الخديوي توفيق أن يرسله في بعثة إلى فرنسا ليكمل ثقافته ، وترك له حرية اختيار ما يريد درسه ، فاختار الحقوق لأنها قوية العلاقة بالأدب . وقد أمضى في دراستها أربع سنوات ، وفي أثنائها زار عدداً من المدن الفرنسية كما زار إنجلترا وقام بزيارة للجزائر ، وعندما رجع إلى مصر عين رئيساً للقلم الافرنجي في ديوان الخديوي ، وظل في منصبه إلى قيام الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤م ، حيث نفته السلطات البريطانية إلى أسبانيا . وعندما عقدت الهدنة عاد إلى مصر . وفي سنة ١٩٢٤م عين عضواً في مجلس الشيوخ . هذه فكرة موجزة عن طفولة شوقي ونشأته ودراسته وتحصيله العلمي كما كان يعبر أسلافنا ، ومنها يتضح :

(١) أن شوقي لم يكن عربياً خالص النسب وإنما تشابكت في نسبه أصول أربعة :

■ العربية ■ التركية ■ الكردية ■ اليونانية .

ونحب أن ننص على ذلك هنا لأن هذه القضية - قضية تشابك هذه الأصول في نسب شاعرنا أثارت ضجة كبيرة لدى بعض الأدباء والنقاد ، ووجد فيها بعضهم مجالاً للنيل منه والطعن في أدبه ، واتهمه بعضهم بضعف وطنيته . وعزا ذلك إلى نسبه الكردي التركي اليوناني مع أن شعره في الوطنية وقف وحده متميزاً عن جميع شعراء العصر بروعته وغازاته ، بل أن له مجموعة كبيرة من الأبيات سارت مسير الأمثال ، وهذا ما لا نجده في شعر أولئك الآخرين الذين حاول بعض الأدباء والنقاد أن يرفعوهم على عرش الشعر الوطني .

هذا رأي خصومه من الأدباء والنقاد ، أما أنصاره فلم يجدوا في هذا النسب المتشابك إلا أثر ازدواج النسب العربي واليوناني ، باعتبار ما هو معروف عن شهرة العرب واليونان بالشعر والشاعرية (وإن ازدواج هذين الأصلين في شاعر ليؤذن أن ينال قمة الشعر) ، أما أنا فإنتني أري

في ازدواج هذه الأصول الأربعة في نسب شاعرنا ميزة من مميزات الإسلام .

فهذا الدين الإسلامي الذي جاء لهداية البشر قادر على تحويل كل التيارات والمنابع إلى مجراه وتسخيرها لخدمته ، فأنت تجد الهندي والحبيشي والألباني من المسلمين يخلصون الإخلاص كله للدين ولغة القرآن ، بل إنك لتجدهم يتفوقون على كثير من العرب بالتعصب للعربية والحفاظ عليها . بل إن بعض أعداء هذا الدين ممن جاءوا لهدمه وتحطيمه واقتلاع جذوره سرعان ما يتحولون ليصبحوا من أنصاره والمدافعين عنه ، بمجرد أن تلمس أرواحهم نفحة من نسماته ، كما حدث بالنسبة مثلاً للتتار . لقد تجمعت هذه الأصول بقدر العلي الكبير لتخرج لنا شاعر الإسلام أحمد شوقي .

(٢) أن شوقي لم يدرس دراسة دينية كما لاحظتم من خط سيره ، وكان المفروض أن تنتهي به دراسته إلى غاية بعيدة عن هذه الغاية التي انتهى إليها ، فقد درس دراسة مدنية وتخصص في الحقوق لا في الأدب ، واشتغل بالترجمة في دوائر القصر لا بالتعليم في المدارس ولا بالتحرير في الصحف ، ولكنه حدد هدفه منذ البداية ، وهو أن يكون شاعر الإسلام ، وعمل لذلك عملاً متواصلًا لا يعرف الهدوء ولا الراحة ، فدرس العربية دراسة فقه ودراية ، واطلع على أمهات كتب الأدب العربي ، وقرأ شعر كل الفحول من شعراء العربية . وسار في دربه غير عابئ بالمعوقين والمعتقلين وعثرات الطريق . وأشهد أن شوقيًا كان من أرباب العزائم ، ولولا ذلك لانحرف وسار في اتجاه آخر . فقد تعرض لحمولات عنيفة ظالمة ، كل حملة منها كانت كافية لزعرته لولا قوة عقيدته وصلابة إيمانه .

وهذا الصبر العجيب يكفي وحده للتدليل على أن شوقي في دفاعه عن الخلافة لم يكن مدفوعاً بعامل الجنس ، وإلا لعدل عن موقفه وسار في طريق مملوءة بالرياحين ، فأصبح شاعر الوطنية أو شاعر الطبيعة أو ما إلى ذلك ، من الاتجاهات التي يدعو لها كثير من الكتاب ، محاربة للاتجاه الإسلامي عن جهل أو قصد .

وحسبنا أن نعلم أن على رأس قواد الحملات الظالمة ضد شوقي ، العقاد وطه حسين ، ولعلكم تدهشون حين تسمعون اسم العقاد في هذا المجال ، فعباس محمود العقاد كما هو في أذهان الكثيرين من الكتاب الإسلاميين ، ومن أغنوا المكتبة العربية بمؤلفات إسلامية ضخمة ، ولكن

الأستاذ العقاد قد هاجم شوقي فعلاً في كتابه (شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي) لأنه عني بالجامعة الدينية أشد من عنايته بالوطنية المصرية ، وعلل العقاد لذلك تعليلاً عجيباً .

صحيح أن رأيه هذا قد أبداه قبل ثلاثين سنة ، ولكن آفة الأستاذ العقاد - ولكل شيء آفة - حرصه على آرائه مهما طال عليها الزمن ، مخالفاً بذلك قوانين الحياة متجاهلاً سنة التطور ، فلقد سئل قبل وفاته بسنوات قلائل ، عن آرائه في شوقي وهل طرأ عليه أي تغير ، فأجاب أن آراءه كما هي ولم يطرأ عليها أي تغيير .

إن من معجزات الإسلام أن يكون شاعر الإسلام أحمد شوقي ابن باريس الذي لم يدرس دراسة دينية . وهذا ما ألب عليه الخصوم من كل ناحية ، ولكن أكثر خصومه لم يجرؤوا على مهاجمته صراحة من أجل اتجاهه الإسلامي ، فلجأوا إلى مهاجمته عن طريق أخرى . ولكننا لو دققنا النظر لعلمنا أن كل الحملات الظالمة كان سببها اتجاهه الإسلامي .

ولعل آخر ما قرأت من ألوان الهجوم هجوم قام به كاتب قبطني - أصبح ذا شأن قبل سنوات - يدعو فيه إلي إحراق دواوين شوقي جميعها ، لأن شوقي كان شاعر القصر ولا يجوز أن يقرأ شبابنا وناشئتنا شعراً قيل في مدح أرباب القصور . وهو رأي عجيب وسخيف . ويكفي أن يعلم الناقد القبطني أن الناس في أوروبا - وناقدنا مغرم بأوروبا- يقرأون شعر المديح في القديم والحديث . وإن تماثيل الملوك لا تزال قائمة في أهم الميادين ، وأنها تلقى من الاهتمام والرعاية ما كانت تلقاه في حياة أصحابها .

ولكن الحقيقة هي أن السبب سبب شكلي ، أما السبب الحقيقي لهذه الدعوة المجرمة فهو القضاء على أثر يذكر الناس دائماً بالإسلام وأمجاد الإسلام .

عصر شوقي

ولد شوقي سنة ١٨٦٨ ، وتوفي ١٩٣٢ م ، أي أنه عاش فترة عجيبة تعتبر أشد الفترات سوءاً بالنسبة لمسلمي العالم ، فقد تأمر العالم الغربي الصليبي على دولة بني عثمان الإسلامية ، وأخذ يحرض الدول الأوروبية المجاورة للدولة ويدعمها بالمال والسلاح من أجل إضعاف هذه

الدولة ، ومن أجل انتقاصها من أطرافها ، ومن أجل تفریق كلمة المسلمين وتوهين صلاتهم ببعض .

ولم يكتف بذلك ، بل إنه تسرب إلى قلب الدولة فأخذ ينشر الأفكار الخبيثة بين أجزاء الإمبراطورية ، كفكرة (حق كل أمة في الحرية والاستقلال) ، ودعوى التخلص من العبودية العثمانية . ثم ابتكر دعوى القومية ، وحاول إقناع العرب (مثلاً) بأن رابطة الجنس أحق بالرعاية والاهتمام من رابطة الدين .

وقامت البعثات التبشيرية الصليبية بدور عجيب في تسميم أفكار المسلمين في العالم العربي ، واستطاعت هذه البعثات التبشيرية أن تستغل حماسة الإسلام بالنسبة لحرية العقائد الأخرى أسوأ استغلال ، وتمكنت من تحقيق كثير من أهدافها الإجرامية الخبيثة ، وزرعت بذوراً يغص المسلمون اليوم بثمرها المر .

ولم تكتف أوروبا المسيحية بذلك ، بل قامت فرنسا بالاستيلاء على الجزائر عام ١٨٣٠م ، واستولت على تونس سنة ١٨٨١م ، وقامت إنجلترا باحتلال عدن سنة ١٨٢٥م ، وفي سنة ١٨٨٢م قامت باحتلال مصر ثم السودان ، وبعد انتهاء الحرب العظمى سنة ١٩١٨ فرضت فرنسا سلطاتها على سوريا ولبنان ، وفرضت بريطانيا سيطرتها على العراق وفلسطين والأردن . ومن الواضح أن كثيراً من الأمم الإسلامية - غير العربية - في آسيا وأفريقيا قد وقعت ضحية لدول أوروبية غير من أسلفنا كهولندا وألمانيا وبلجيكا .

ويقول (أرنولد تويني) كبير مؤرخي الإنجليز المعاصرين في فصل عنوانه (الإسلام والغرب) من كتابه (العالم الغربي) يقول : (وبعد فشل الأتراك أمام أبواب فيينا عام ١٦٨٣م كان يجب أن يتم الهجوم المعاكس الغربي على العالم الإسلامي في يوم آخر ، ولكنه تأخر في الظهور بسبب الصورة التي كانت في مخيلة الغربيين عن شجاعة الأتراك والمسلمين وبسالتهم العسكرية، وقد أجاب العالم الغربي على استيلاء الأتراك على المسيحية والأرثوذكسية الشرقية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر بتأمين سيادته على البحار، لتطويق البلاد الإسلامية عوضاً عن مقابلتها وجهاً لوجه ، كما فعل خلال الحروب الصليبية التي كانت نتائجها وخيمة عليه. وفي طوافهم حول أفريقية وصل البحارة البرتغاليون إلى الشواطئ الغربية للهند، سابقين لبضع

سنوات إلى هناك المغول آخر موجة من موجات الإسلام التوسعية ، هؤلاء الذين قدموا من آسيا الوسطى بطريق البر ، وعندما حقق الأسبانيون ربط المحيط الأطلسي بالهادي مروراً بمكسيكو ، قامت في الفلبين حوادث جديدة أسويوة هذه المرة بين المسيحية الغربية والإسلام ، اللذين لم يتجاوزا حتى ذلك التاريخ إلا في الطرف الثاني من العالم في وادي الدانوب وغربي المتوسط . وهكذا في نهاية القرن السادس عشر بفضل السيطرة على البحار استطاع الغرب أن يطوق البلاد الإسلامية ، ولكنه لم يخاطر في شد الحبل إلا في القرن التاسع عشر فيما بعد . وحتى ذلك التاريخ كانت فكرة بسالة المسلمين العسكرية تفرض الحذر على الغربيين ، وتشدّد عزائم المسلمين أنفسهم وتجعلهم واثقين من أنفسهم ، وهذه الثقة المتينة قضي عليها شيئاً فشيئاً على أثر الفشل المتوالي الذي منيت به الإمبراطورية العثمانية وباقي الدول الإسلامية) .

في هذا الجو المكفهر الخطير كان الناس في حاجة إلى شاعر يهز عواطفهم ويخاطب وجدانهم ويذكرهم بأمجادهم ويثير أشواقهم إلى العزة والكرامة واستخلاص الحقوق المهضومة والأوطان المسلوقة والنفوس المغلوبة . وكان هذا الشاعر هو شوقي .

ومن العجيب أن كثيراً من النقاد سودوا كثيراً من الصفحات في تصوير أسفهم ، لأن شوقي لم يتأثر بما شاهده في فرنسا وأوروبا من مشاهد الطبيعة الفتانة ، ولم يفعل بما قرأ في الأدب الفرنسي من آثار كانت ستدفع به إلى أن يكون شاعر الطبيعة في الأدب العربي . وهذا كلام أقل ما يقال فيه : إنه صادر من نفوس خلية ناعمة البال تعيش في معزل عن هذا المعترك الذي تعيش فيه أمتنا الإسلامية .

ماذا يجدي قضيتنا وجود ألف شاعر من شعراء الطبيعة ؟ إن شاعراً واحداً يعزف أجمل الألحان مشيداً بعظمة الإسلام مكافحاً في سبيل بقائه مستنهضاً همم أبنائه ، لهو أجدى علينا من كل من عرفت الإنسانية من شعراء الطبيعة .

أول لقاء بيني وبين شوقي :

وأعني به اللقاء الأدبي بالطبع لأنني كنت طفلاً رضيعاً عندما غادر شوقي هذه الدنيا الفانية إلى العالم الباقي .. وكان لقاائي معه لقاء عجباً ولعلكم تدهشون إذا علمتم أن صلتني لم تبدأ بأدب شوقي إلا بعد أن أنهيت دراستي الجامعية ، أما قبل ذلك فلم تنعقد أية صلة بيني وبينه ، وكل

ما أذكره عن شوقي أثناء حياتي الدراسية هو أنني حفظت من شعره قصيدة وبعض قصيدة . أما بعض القصيدة فهي أبيات من قصيدته ذات المطلع المشهور (قم للمعلم وفه التبجيلا) فرض حفظها علينا - أنا وزملائي في المدرسة الابتدائية - مدرس فاضل . وأما القصيدة فهي رثاءه للزعيم الشهيد المسلم عمر المختار ، وقد عقلت بذاكرتي بعد أن قرأتها عدداً من المرات . وقد وجدتني في خاتمة كتاب عن سيرة هذا الشهيد العظيم ، ويبدو أن شدة تأثري بما تعرض له عمر المختار من عسف وظلم واضطهاد هو الذي دفعني لقراءة هذه القصيدة قراءة جادة ساعدت على تثبيتها في ذاكرتي . ويبدو أن لبحر القصيدة وقافيتها ذات الهزمة الممدودة المفتوحة أثراً في إعجابي بهذه القصيدة ، وكنت أيامها لا أزال تلميذاً في المدرسة الابتدائية .

وانقطعت بعد ذلك كل صلة بيني وبين هذا الشاعر العظيم ، وسبب ذلك هو أنني كنت منساقاً وراء الحملة الجارية المضلة التي قام بها خصوم شوقي وعلى رأسهم العقاد وطه حسين والمازني ، وقاد استطاعت تلك الحملة الظالمة أن تحول بيني وبين شوقي ، وأن تدخل في روعي وروع زملائي أن شوقي شاعر أرسطوكراتي ، وأن شعره مجرد من كثير من المزايا التي يتمتع بها معاصروه من الشعراء ، وأن أكبر الشعراء وأبرزهم حافظ إبراهيم العملاق ، وأن شوقي بجانبه قزم .

وأذكر لكم بهذه المناسبة أن العقاد - رحمه الله - عندما كتب مقالاته التي جمعها في كتابه الذي سماه (شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي) بدأ بالحديث عن حافظ إبراهيم ، وهو كما يقول العقاد : (ليس بأكبر زملائه سناً ولا بأقومهم بيئة وطريقة) ، وقد شعر العقاد بما قد يثيره تصرفه هذا من تساؤل فعّل ذلك بقوله : (بدأنا هذه المقالات والكلام في الصحف والمجالس مستفيض عن (حافظ) وعن تخليد ذكراه) ، واعتبر ذلك مبرراً معقولاً ومقبولاً . وهو تحليل شكلي . أما التعليل الحقيقي فهو شيء آخر يتصل بسبب من هذه الحملة الظالمة التي حدثتكم عنها . وقد شغلت بشعر حافظ قراءة وحفظاً ودرساً وتبعت ما كتب عنه مدحاً وتقريظاً ورثاء ، ولكنني أقمت حججاً صفيقة بيني وبين شوقي . وما يذكر في هذا المجال أن صديقي الأديب الألمعي الأستاذ أمين العبدالله مساعد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ، ولعله موجود معنا هنا الآن كان قد أهداني مشكوراً ديوان شوقي بأجزائه الثلاثة ، وتاريخ هذا الإهداء ١٣٦٠/٨/٢٤ وكنت أيامها طالباً في المرحلة الثانوية ، ولكنني لم أقرأ هذا الديوان إلا

بعد أكثر من عشر سنوات من تاريخ إهدائه . ولولا أن الديوان كان هدية اعتر بمهديها لكننت قد تخلصت منه بالإهداء أو بأي سبب آخر . وقد تساءلت ذات مرة عن السبب في أن مدرسنا اختار لنا تلك الأبيات من قصيدة : (قم للمعلم وفه التبجيلا) لشوقي ولم يختار لنا بدلها قصيدة لحافظ أو لغيره من الشعراء الآخرين كمحرم أو إسماعيل صبري أو البارودي ، وكلهم كان في نظري خيراً منه ، ولم أجد سبباً معقولاً إلا أن هذه القصيدة في عجميد المعلم ، ولذلك اختارها مدرسنا الفاضل .

ومرت الأيام إلى أن حدث أمر لا ينسى ، فقد تقدمت لامتحان الليسانس الشفوي في الجامعة ، وهو آخر امتحان قبل الحصول على الليسانس ، وكانت لجنة الامتحان مكونة من ثلاثة من الأساتذة ، وطلب مني أحدهم أن أقرأ نصاً أدبياً من محفوظاتي ، وبادرت بإنشاد قصيدة لشاعر سوري عنوانها (الصقر والليل) ، وهي قصيدة طويلة جداً ولم أقرأ منها غير بيتين ، وإذا بأحد الأساتذة أعضاء اللجنة ينفجر كالبركان ويصيح بصوت مرتفع وبلهجة ثائرة : اسكت ما هذا الكلام الفارغ ؟ وأخذ يردد بعض الكلمات التي سمعها في البيتين بطريقة هازئة ساخرة . وقال كلاماً كثيراً لا أذكره بالضبط . ولكنني أذكر تماماً أن وقع المفاجأة على نفسي كان صاعقة ، وقد ذهلت فنبذت فكري وعقلت المفاجأة لساني . وبعد أن انتهى الأستاذ من غضبته المضربة التي لم أجد لها تعليلاً حتى هذه اللحظة طلب مني أن أقرأ نصاً آخر . وحاولت أن أتذكر ولكن هيهات فقد نضب معيني وتبخر من ذهني كل ما حفظت وهو شيء كثير لا أحصيه عدداً ، وتوقعت الكارثة ، فالرسوب أمر محتوم لا مفر منه ، وحاولت أن أعصر ذاكرتي ولكن جهودي جميعها ذهبت أدراج الرياح ، واستسلمت لليأس وجلست صامتة ، وتداركني الله بلطفه في آخر لحظة فقد كان أحد الأساتذة الثلاثة يعرفني معرفة شخصية ، ومن المؤكد أنه لاحظ ما أنا فيه من محنة ، وفوجئ مثلي بثورة زميله التي لا مبرر لها ، فقد كان في إمكانه أن يلجأ إلى أسلوب آخر ، وذلك بأن يطلب مني قراءة نص آخر وثالث ورابع ، ما دام أن النص الأول لم يعجبه : وتدخل هذا الأستاذ فوجه كلامه إلي وطلب مني أن أهدئ نفسي ، وأن أحاول أن أتذكر نصوباً أخرى وقال لي : إنه واثق من أنني أحفظ الكثير من النصوص . وكان لهذه الكلمات أثرها الطيب في نفسي فقد هدأت قليلاً ، ولكن ذهني كان فقد القدرة على التذكر ، وخطر ببالي أن أستأذن لجنة الامتحان بمغادرة المكان وليكن ما يكون ، وفي هذه اللحظة تذكرت قصيدة عدوي اللود

شوقي في رثاء عمر المختار ولكنني رأيت أن من عدم الكياسة أن أنشد قصيدة رثاء تبدأ بتوجيه الخطاب إلى المرثي ، ورأيت أنها قد تترك أثراً سيئاً في نفس الأستاذ وربما تشاءم منها أو اعتبرها لوناً من الانتقاد المقصود . وحاولت أن استعيض عنها بقصيدة أخرى ولكنني فشلت ، وأخيراً لم أجد أمامي إلا الأسنه مركباً فركبتها وقلت :

قال شوقي في رثاء عمر المختار :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء يستنهض الوادي صباح مساء
يا ويحهم نصبوا مناراً من دم يوحى إلى جيل الغد البغضاء
ما ضر لو جعلوا العلاقة في غدٍ بين الشعوب مودة وإخاء
جرح يصيح على المدى وضحية تلمس الحريرة الحمراء

وذكرت عدداً طيباً من أبيات القصيدة ، وقاطعني الأستاذ الثالث وهو أكبرهم سناً ومركزاً وقال لي بحرارة : أحسنت نعم هذا هو الشعر يا بني ، وفقك الله . ورأيت علائم الارتياح قد بدت على أسارير ذلك الأستاذ الغاضب الثائر ، فأخذ يسألني أسئلة أخرى ، وكان ودوداً معي إلى أقصى حد في نهاية الامتحان بقدر ما كان عنيفاً في بدايته .

كانت هذه الحادثة سبباً في إزالة الحجب الصفيقة عن عيني وقررت يومئذ أن أدرس شوقي لأعرف حقيقة هذا الشاعر وحقيقة هذه الخصومة القائمة بينه وبين حساده ومناوئيه .

وعدت إلى المملكة ولم تمض أيام على وصولي وإذا بصديق كان يحرر صفحة الطلبة في جريدة البلاد يعث إلي خطاباً يرجوني فيه أن أجيب على سؤال لأحد الطلاب يدور حول شوقي وإمارة الشعر ، واتاح لي هذا السؤال فرصة أول لقاء حقيقي مع شوقي ، واستجدت ظروف يعرفها المتابعون للنشاط الأدبي في هذه البلاد زادت من صلتني بالشاعر العظيم ، هذه الصلة التي كشفت لي عن عبقرية تقف شامخة في دنيا المجد الأدبي والنبوغ الفكري والثقافة الرفيعة هي عبقرية أحمد شوقي .

أيها الأخوة الأفاضل ! وحينما عدت إلى شوقي وصحبته من جديد عبر مئات الصفحات التي ضمت شعره في دواوينه الأربعة ، وفي جزئي الكتاب الذي أصدره الدكتور محمد صبري

بعنوان (الشوقيات المجهولة) واكتشفت هذه الظاهرة الرائعة ، بدأت أشعر أن شوقيا رحمه الله حينما قال عن نفسه في إحدى قصائده :

أربُّ العيد هذا العيد يُجلى وكم لك من دعاء فيه يتلى !!
ولكن شاعر الإسلام أعلى وأوقع في نفوس المسلمين

لم يكن يقول غير الحقيقة . فهو في الواقع شاعر الإسلام غير مدافع ، وليس اعتزازه بممدوحيه إلا لأنهم يمثلون - في رأيه - الحصن المكين الذي يلجأ إليه المسلمون لدفع أعدائهم ودحرهم : ونستطيع أن نمسك بأية قصيدة من قصائده التي نظمها في مدح الخلافة والإشادة بها لنعرف أن دافعه الأساسي هو إيمانه بأن الخلافة تمثل الإسلام ، وأنها هي التعبير الصحيح عن الوحدة الإسلامية الكبرى ، ففي ملحمة الرائعة (صدى الحرب) في وصف الحروب العثمانية - اليونانية ، يقول :

بسيّفك يعلو الحق والحق أغلب ويُنصر دينُ الله أيان تضرب
ويعتبر الخلافة نفسها باعتبارها رمز التجمع الإسلامي أكبر القوى التي يهابها أعداء الإسلام :

وهاب العدى فيه خلافتك التي لهم مأرب فيها ولله مأرب
وانطلاقاً من مفهومه هذا لأسس الخلافة الراشدة فإنه لا يتورع عن وصف تاريخ بني عثمان بأنه يجمع بين القياصرة وبين الملوك الذين ساروا على هدى الخلافة الراشدة فيقول :

قياصر أحياناً ، خلائف تارة خواقين طوراً ، والفخار مقلّب

ولست أعتقد أن هناك شاعراً غير شوقي وقف يمدح حفيد إحدى الأسر مهما كانت مكانتها الاجتماعية وتحدث بصراحة عن رأيه في هذه الأسرة . وليس غير الإسلام : الإسلام الذي يعمر شباب نفسه بكل معانيه واتجاهاته ذلك الذي يجعله يصف أبطال وزعماء هذه الأسرة بأنهم قياصر - وخلائف - وخواقين - ، بل إن شوقي لم يرحب بالانقلاب العثماني إلا أنه -كما تصور- يمثل العودة السليمة إلى الإسلام ، ولم ينس في هذا الموقف عروبه الأصيل التي تركز على الإسلام ومبادئه القويمة ، فلم يكن في مجال الرؤية أمام عينية وقلبه غير صورة -

خالد بن الوليد - سيف الله المسلول ، فقام يخاطب مصطفى كمال : يا خالد الترك جدد خالد العرب ، كما سنتحدث عنه بعد قليل .

نعود بعد ذلك إلى بائيته الكبرى لنلمح بعض الومضات المشرقة التي دفعت شوقي إلى المديح ، وتواجهنا في مقدمتها هذه الصورة الرائعة :

وشدت مناراً للخلافة في الورى تشرق فيهم شمسهم وتغرب
سهرت ونام المسلمون بغبطة وما يزعج النوم والساهر الأب؟

فما أجمل هذا المنار وهو يقف بشموخ وينصب باعتزاز ، حيث يرسل كالشمس أشعته وأضواءه على أمة نامت في هدوء وغبطة وأمان ، لأنها في حراسة أب حان مشفق ، وقف ساهراً بجوار المنار كالديدبان يحرس أبناءه وأحبته ، وماذا يزعج النوم ؟ ماذا يزعجهم فعلاً وهم في حراسة أبيهم الساهر على راحتهم وأمنهم ؟..

إنها صورة رائعة لا يعنيني هنا أن تكون صادقة من الناحية التاريخية أو لا تكون ، لأنها جمعت بين جمال التصوير وبين الأوغج الذي يتصوره شوقي للخلافة الإسلامية.

أما زينب بني عثمان التي ازدهت وفاخرت بقومها فانها جديرة بالفخر والمباهاة ، لأنها تنتمي إلى العشير الذي يحبه شوقي . ولم يحب شوقي هذا العشير لأنه - كما قد تصور - يضم مثل هذه الحسنة المغامرة ولكن لأنه :

يؤلف إلام الحوادث بيننا ويجمعنا في الله دين ومذهب

وصورة أخرى من أروع الصور التي قرأتها في الشعر العربي تمثل الاستجابة السريعة للفرسان حينما يدعوهم إلى الحرب داعي الله ، يرسمها شوقي في إطار عقيدته الإسلامية العظيمة فيقول :

ونادت قلبى الخيل من كل جانب ولبى عليها القصور المترقب

خفافاً إلى الداعي، سراعاً كأنما من الحرب داعٍ.....

داع إلى ماذا ؟ -

اسمحوا لي أن أعيد البيت من جديد :

خفقا إلى الداعي سراعاً كأنما من الحرب ، داعٍ للصلاة مثوب
وهكذا تلتقي في ذهن شوقي الصورة الفريدة التي تجمع بين التوثب إلى المعركة والاندفاع إلى
الصلاة على لوحة واحدة ، رسمت الموقفين الجليلين معاً من خلال موقف واحد وتلك براعة
تستحق الإشادة والتنبؤ .

وهناك صورة أخرى يجمع فيها شوقي بين موقف آخر من مواقف المعركة لهؤلاء الأبطال . وبين
المصير الذي ينتظرهم بعد أن ينتقلوا إلى العالم الآخر حينما يحفهم رضوان الله ومغفرته :

علواً فوق علياء العدو ودونه مضيقٌ كحلق الليث أو هو أصعب
فكان صراط الحشر، ما ثم ريةٌ وكانوا فريقَ الله ما ثم مُذنب

ما أروع وصفه للمضيق بأنه حلق الليث ! وما أجمل الصورة المتحركة التي رسمها لهؤلاء
المغامرين وهم يخترقون هذا المضيق ... وترتبط في خيال شوقي الشاعر المسلم - وهو نلاحظه
دائماً في كل قصائده - صور المواقف الحاضرة التي يعيشها بصور المواقف الخالدة التي عاشها
المسلمون عن تاريخهم المجيد .. ففي أحد هذه المواقف يتحدث عن الرعب الذي أصيب به
الأعداء وهم يواجهون المسلمين فيقول :

ترى الخيل من كل الجهات تخيلاً فيأخذ منها وهمها والتهيب

فهي تراها خلفها طوراً ومن أمامها أحياناً ، وأحياناً من كل الجهات ، وترى الفوارس في طول
البلاد وعرضها تغاديبهم وتراوحهم :

فمهما تهم يسنح لها ذو مهندٍ ويخرج لها من باطن الأرض محرب
وتنزل عليها من سماء خيالها صواعق فيهن الردى المتصبب

وترتبط هذه الصورة بموقعة بدر الكبرى حينما اشتركت الملائكة في الحرب مع المسلمين ، ولكنه
مع ذلك لا يتخلى عن عقيدته الإسلامية السليمة فيقول :

رؤى إن تكن حقاً يكن من ورائها ملائكة الله الذي ليس يغلب

وهذا الارتباط بين المواقف الخاضرة وحوادث التاريخ الإسلامي يبدو بوضوح - كما قلت - في أكثر قصائد شوقي التي تفيض إلى جانب ذلك بأنبل المشاعر الدينية ، ففي قصيدته عن مصطفى كمال التي استهلها بقوله :

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدّد خالد العرب
نلمح إلى جانب ارتباط صورتني البطلين ربطاً آخر بين المعركة الحديثة والمعارك الصليبية التي دارت رحاها للدفاع عن مقدسات الإسلام ، أوحاها إلى شوقي تألب النصرانية على العالم الإسلامي ، وليس ذلك بعجيب وهو القائل :

رب قد أنكروا الصراط علينا وهو الحق فاهدنا كيف تعبد
ذنب مصر ومثل مصر لديهم أننا المسلمون يا رب فاشهد
ويقول :

أرى طوفان هذا الغرب يطغى وأهل الشرق سادتهم نيام
فإن لم يأتنا نوحٌ بفُلكٍ على الإسلام والشرق السلام
وهو الذي يقول في قصيدته العظيمة : (قصيدة : كنيسة صارت إلى مسجد) :

فيالثرأربيننا بعده أقام لم يقرب ولم يبعد
باقٍ كثار (القدس) من قبله لا ننتهي منه ولا يبتدي
لا يغرّنك سكون الملا فالشرّ حول الصارم المغمّد
ولولا أن الوقت محدود ولدي الكثير جداً مما يجب أن يقال في الموضوع الذي اخترته لاستعرضت معكم بعض هذه اللمحات عن القدس .

ولكنني مع ذلك لا أملك إلا أن أعبر لكم عن أسفي البالغ لوفاة شوقي قبل حدوث هذه المأساة ، فوفاته خسارة كبيرة للشعر العربي يمكن أن يعرف أبعادها كل من قرأ قصيدته (الأندلس الجديدة) عن أدّرنه وغيرها من القصائد التي يرثي بها العواصم الإسلامية الكبرى ، والتي أرجو أن أتحديث عنها بعد قليل .

وأحب أن أعود بشيء من التفصيل إلى الموضوع الذي سبق أن أشرت إليه ، وهو دفع تهمة التعصب للعروبة والإسلام التي يلزم بها شوقي بعض ذوي الأقلام المشبوهة ، إما لمحاربة الأفكار الإسلامية التي يتبناها ، وفي مقدمتها توحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم التي كانت شغله الشاغل يرحمه الله ، أو مجازاة عمياء غبية لهذه الأقلام المشبوهة ، أو انسياقها مع المثل الذي يقول (خالف تعرف) .

ففي قصيدته (نحاة) يقول شوقي :

هنيئاً أمير المؤمنين فأغما نجاتك للدين الحنيف نجاة
هنيئاً لطفه والكتاب وأمة بقاءك إبقاء لهم وحياة

ثم يقول بصراحة : إن العداوة التي يواجهها المسلمون تستهدف القضاء على الدين لا على الدولة ، لأنه يعرف ضراوة الصليبية في عداتها للإسلام ولكل ما يتصل بالإسلام :

يعادون ديناً لا يعادون دولةً لقد كذبت دعوى لهم وشكاة
ولا خير في الدنيا ولا في حقوقها إذا قيل طلاب الحقوق بغاة
فلولاك ملك المسلمين مضيعٌ ولولاك شمل المسلمين شتات
وينفي عن نفسه تهمة ممالأة السلطان وأمير المؤمنين - كما يعبر - رغبة في عطاياه وجوائزه بطريقة فيها الكثير من الشمم والاباء :

زهدت الذي في راحتك وشاقتني جوائز عند الله مبتغيات
ومن كان مثلي أحمد الوقت لم تجز عليه ولو من مثلك الصدقات
وفي قصيدة أخرى يقول :

يا واحد الإسلام غير مدافع أنا في زمانك واحد الأشعار
لي في ثنائك وهوباق خالد شعرٌ على الشعري المنيفة زار
أخلصت حبي في الإمام ديانةً وجعلته حتى الممات شعاري

لم أَلْتَمَسْ عرض الحياة وإنما أقرضته في اللّهُ والمختار
فإخلاصه منبثق من صميم عقيدته ، وقصائده ليست غير قروض ينتظر جزاءها أو سدادهما من
الله ومن رسول الله . والدين ليس بالشئ البسيط لدى شوقي فهو أصدق العلاقات وأوثق
روابط الود :

إلى الذين وجدنا ودَّ غيرهمُ دنيا وودَّهمُ الصافي هو الدينا
وهو لذلك يمدح ويرثي كبار القواد الأتراك الذين أسهموا في الدفاع عن الإسلام ، لا لشيء
إلا لمواقفهم البطولية في الذود عنه ، ويصف هذه المواقف بكثير من الإعجاب والخيلاء ، فيقول
في رثاء عثمان باشا الغازي :

سل (بَلَفْنَا) أكنت تدرك فيها ولو أن المحاصرين الأنعام
خيّم الروس حول حصنك لكن أين من هامة السماك الخيام
وأحاطت بعزمك الجند لكن عزمك الشهب والجنود الظلام
كلما جرد المحاصر سيفاً قطع السيفَ رأيك الصمصام
وعجيب لا يأخذ السيفُ منكم وينال الطوى ويعطي الأوام
فخرجتم إلى العدا لم تبالوا ما لأسد على سغوب مقام
تخرقون الجيوش جيشاً فجيشاً مثلما يخرق الجواء الغمام
والمنايا محيطة وحصون الروس تحمي الطريق والألغام
ولنار العدو فيكم قعود ولسيف العدو فيكم قيام
ويقول عن أدهم باشا :

سلوا عنه (مليوناً) وما في شعبه وفي ذروتيه من نسور وأعظم
ليالي بات الدين في غير قبضة وزلزل في إيمانه كل مسلم
وقال أناس: آخر العهد بالملا وهمّت ظنون بالتراث المقسم

فأطلع للإسلام والملك كوكباً من النصر في داج من الشكّ مظلم
بل إنه يصدر عن روح إسلامية حتى في المواضع التي تبدو في نظر الكثيرين بعيدة عن الإسلام،
كقصيدته عن افتتاح بنك مصر التي يقول فيها :

أين الوفود الملتقون على القرى المنزّلون منازل الأكرام
السوارثون القدس عن أحباره والخالفون أميةً في الشام
الحاملو الفصحى ونور بيانها يبنون فيه حضارة الإسلام
فهي تصور استحواذ الإسلام على كل مشاعره وأحاسيسه ليس في القصائد التي نظمها في
المناسبات الإسلامية وعند افتتاح المعاهد والجامعات فحسب ، بل في كل المناسبات التي
يشترك فيها . وأعتقد أن الكثيرين من حضراتكم - أيها الأخوة - يعرف نشيد الشبان المسلمين
الذي نظمه شوقي وقال فيه :

العمز للإسلام منارة الوجود
هداية الأنعام ومطلع السعدود

عصابة الصديق وراية السفاروق
والحق والوسيلة والساحة الظليلة
ومعقل الفضيلة وغابة الأسودود

الفرس في لوائه والهنند في ضيائه
في الأرض صار كالعلم بعزة تمحو الظلم
بين الكتاب والقلم ويحطم القيود

علاقة القلوب وعسرة الشعوب
مشى هدى ورحمة بينهمو .. وذمة
فليس بين أممة وأختها حدود
ونستطيع أن نلمح بدون أي تكلف أو تحمل بلادنا المقدسة وهي في مكان القلب في الأقطار
الإسلامية التي ضمتها هذه اللوحة في المقطعين الأولين من النشيد ، وإن لم يسمها شوقي
كما سمي بعض الأقطار التي استطلت براية الإسلام . فهي القاعدة التي ارتكزت عليها منارة
الوجود التي ارتفعت بهداية البشرية ، وهي مطلع السعود الذي التأمّت على إشراقته عصابة
الصدّيق ، ورفرفت على أجوائه راية الفاروق ، وهي موطن الحق الذي لا مرية فيه والوسيلة
التي يتقرب الناس بشريعتها ومبادئها إلى الله ، والحنيفية السمحة الظليلة التي جاءت لإسعاد
البشر ولتأخذ بأيديهم إلى سبل الخير والصلاح . وهي مع ذلك معقل الفضيلة بكل معانيها
وأهدافها واتجاهاتها ، وغابة الأسود الذين أعادوا الحق إلى نصابه وجاهدوا لتكون كلمة الله هي
العليا .

وهذه هي ملامح الصورة التي رسمها شوقي لبلادنا في القصيدة التي وجهها إلى صديقه
الدكتور محبوب ثابت حينما أزمع السفر لأداء فريضة الحج والزيارة :

فهناك طبّ الروح ... طبّ العالمين من الجهالة
وهنالك أظلال الفصاحة والبلاغة والنبالة

وهناك أزكى مسجدٍ أزكى البرية قد مشى له
وهناك عذريُّ الهوى وحديث قيس والغزاة

وهناك مجرى الخيل يجري في أعنتها خياله
وهناك من جمع السماحة والرجاحة والبسالة

وهناك خيِّمت النهي والعلم قد ألقى رحاله
وهناك سرَّح حضارة الله فيأناظلاله

هذا هو حديث شوقي عن بلادنا وعن الوحدة الإسلامية التي تشد المسلمين إليها في ظلال
السلم والأمن ، وهو كما ترون يتناسب في صوره وأوزانه الشعرية مع الحياة الرخية الهادئة .
وليس فيه القوة والاندفاع والتدفق الذي نلمسه من خلال قصائده الأخرى حين يتعرض
الإسلام والمسلمون للهزات والكوارث أو حين تغمر شوقي مشاعر الحسرة والألم لما وصلت
إليه حالتهم .

إن الوحدة الإسلامية وبلادنا والتاريخ الإسلامي حينذاك أول ما يتبادر إلى ذهنه وخياله
واحساسه ، ففي قصيدته عن مصطفى كمال كانت صورة خالد ابن الوليد (رضي الله عنه)
كما سبق أن قلت أول الصور التي شعت في خياله بعد الانتصار الذي أحرزه مصطفى كمال ،
وبجانب صورتي خالد ومصطفى كمال كانت صورة الإسلام كما كانت في عهد ابن الوليد
تملاً مخيلته بكل عنفوانها وعظمتها وشموخها ، وبالقرب منها صورة الإسلام كما كانت على
عهد شوقي ، ولذلك لم يكد يهتف من أعماق قلبه (الله أكبر كم في الفتح من عجب) . حتى
التفت إلى بطل قصيدته ليقول له وقد امتزجت صورتا البطلين معاً : يا خالد الترك جدد خالد
العرب ، وكلمة (جدد) تحمل كل مشاعر شوقي التي كانت تتركز في أن يعود للإسلام كل ما
كان له من قوة وسلطان ومنعة : وحينما استجاب مصطفى كمال لنداءات السلم بعد انتصاره
في المعركة ومنح المسيحيين حرية أداء طقوسهم الدينية ولم يتعرض لدور العبادة التي يمارسون
فيها هذه الطقوس ، وارتبطت صورته بموقف صلاح الدين الأيوبي خلال الحروب الصليبية
فقال :

حذوت حرب الصلاحين في زمنٍ فيه القتال بلا شرع ولا أدب
لم يأت سيفك فحشاً ولا هتكك قناك من حرمة الرهبان والصلب

وما أروع قوله : في زمن فيه القتال بلا شرع ولا أدب ، وقوله (لم يأت سيفك فحشاً ولا هتكك
قناك) ، وهي الصور النكراء التي نشاهدها اليوم في كل أنحاء العالم بصفة عامة ونشاهد أشدها
نكراً وهمجية وبعداً عن الشرائع والأديان والتقاليد في أرضنا المغتصبة فلسطيننا العزيزة على يد

الصهيونية المجرمة . وصور شوقي بعضاً منها في قصيدته الأندلس الجديدة .

ومن الطبعي - وشوقي شاعر الإسلام - أن يذكر في هذا الموقف سماحة الإسلام وكرمه :

أتيت ما يشبه التقوى وإن خلقت سيوف قومك لا ترتاح للقبض ؟
ولا أزيدك بالإسلام معرفة كل المروءة في الإسلام والحسب

وأن يقول في نفس القصيدة عن الفتنة التي كانت سائدة :

لم يطعم الغمض جفن المسلمين لها حتى اغلَى ليلها عن صبحه الشنب
قد أَمَّنَ اللّهُ مجراها وأبدلها في العاصفات ولم تغلب على خشب
سفينة الله لم تقهر على دُسر بحسن عاقبة عن سوء منقلب

وتشع من جديد في ذهن شوقي وخياله صورة جديدة رائعة من صور النصر الإلهي الحاسم في تاريخ المسلمين ، هي صورة موقعة بدر الكبرى . وأحب أن أؤكد من جديد أنني هنا لا أنظر إلى الحقائق التاريخية إطلاقاً ، فلست أهدف من هذه المحاضرة إلى استعراض حقبة من التاريخ ، ولكن كل اهتمامي منصب على النواحي الفنية في شعر شوقي ، وقد ارتبطت صورة بدر والنصر الحاسم فيها بصورة الانتصارات التي كانت ترد إليه عن طريق الأنباء وهو على بعد آلاف الأميال ، من مواقع المعركة فقال :

يومٌ (كبدر) فخيّل الحقّ راقصةً على الصعيد وخیل الله في السحب
غر تظللها غرّاء وارفه بدرية العود والديباج والعذب

وعلى أثر ذلك تشع في ذهنه وخياله الصورة الكبرى التي عايشته وعاشها طيلة حياته ، صورة العالم الإسلامي كله كما تشع الهالة حول البدر ، وكانت موقعة بدر مركز الإشعاع أو بؤرة الضوء .

لما أتيت ببدرٍ من مطالعها تلقّت البيت في الأستار والحجب
وهشّت الروضة الفيحاء ضاحكة إلى المنورة المسكية السرب

ثم اتسعت الهالة أو دائرة الضوء :

وازيّنت أمهاتُ الشرق ، واستبقت مهارج الفتح في الموسية القشب
هزّت (دمشق) بني أيوب فانتبهوا يهنئون (بني حمدان) في (حلب)
ومسلمو الهند والهندوس في جذلٍ ومسلمو مصر والأقباط في طرب
ممالكُ ضمّها الإسلام في رحم وشيخة - وحوaha الشرق في نسب

ولم تكن فرحة شوقي بالانتصارات التي حققها مصطفى كمال راجعة إلى أنه مثله تركي أو
شركسي ، كما تردد الأقلام المشبوهة التي تحارب فكرة التجمع الإسلامي عن قصد أو بدون
قصد ، ولكن لأنه كان يتصور أن هذه الانتصارات ليست إلا لصالح الإسلام والمسلمين ،
فشوقي لم يكذب يشعر بانحراف هذه الحركة وتمزق الخلافة التي كانت تمثل في رأيه الرمز الحي
لاتحاد كافة المسلمين واجتماع شملهم حتى أخذ يبكي الخلافة ويستعدي المسلمين على الذين
مزقوها في قصيدة (خلافة الإسلام) :

ضجّت عليك مآذنٌ ومنابر وبكت عليك ممالكٌ ونّواح
الهند والهة ، ومصر حزينةٌ تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس أمحا من الأرض الخلافة ماح ؟
وأنت لك الجمع الجلائل مآتماً فقعدن فيه مقاعد الأنواح

ويصف الخلافة بأنها كانت ملاءة الفخر الموشاة بمواهب الفتاح . واسم الله الفتاح وإن كان من
الراجح أن القافية هي التي اختارته ، ولكنه في الواقع - من الناحية الفنية - يعبر عن حسرة
شوقي على أيام الفتوحات العظيمة التي كانت تكمل هامات المسلمين في عهود وحدتهم
 واجتماع شملهم . ثم يصف الخلافة بأنها كانت خير قلادة تردهي بها الأعناق ، وخير وشاح
تنتدثر به الأعطاف ، وأنها الحسب الرفيع الذي تحدى الليالي وأحداثها ، ثم يقول عنها :

وعلاقة فصمت عرى أسبابها كانت أبرّ علائق الأرواح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم في كل غدوة جُمعة ورواح

ثم يدعو المسلمين إلى أن يؤدوا النصيحة للغازي الذي فسم عرى الخلافة ، ولا يكتفي بذلك بل يقف موقف المتحدي وينذر نفسه للذود عن الخلافة وهو يعرف التضحيات التي تجابهه :
من قائل للمسلمين مقالةً لم يوحها غير النصيحة واح
عهد الخلافة في أول ذائِدٍ عن حوضها بيراعه نضاح
وليس ذلك إلا لشيء واحد هو :

حبُّ لذات الله كان ولم يزل وهوئى لذات الحق والإصلاح
إنني أنا المصباح لست بضائع حتى أكون فراشة المصباح
وهو خلق عرفناه في شوقي من قبل حين قال :
زهدت الذي في راحتك وشاقتني جوائز عند الله مبتغيات
وقال :

لم ألتمس عرض الحياة وإنما أقرضته في الله والمختار
ثم عاد فأكدته من جديد بقوله :

شقيتُ بالشعر من ناس أعوذ بهم من أن يقول الأعادي شاعر الهمل
وضعت بالحكمة الغراء في زمني كما يضيع شعاع الشمس في الوحل

ونعود إلى ما كنا بصدده من دفع تهمة الانحراف عن شوقي وتأكيد إيمانه بوحدة المسلمين في كافة أصقاع العالم الإسلامي ، وإيمانه بالروابط الإسلامية الوثقى التي تجمعهم ، فنقول : إن شوقي قبل أن يفر زفرته الحرى في بكاء الخلافة واستعداد المسلمين على الفئة التي مزقتها ، حاول أن يبق على هذه الروابط التي تجمعهم كجزء من العالم الإسلامي ، وخاصة حين فُسِّر تأييده للحركة الانقلابية تفسيراً مغايراً للحقيقة ، وشوّهت الاتجاهات الإسلامية العريقة في قصيدته الأولى ، بالرغم من وضوح هذه الاتجاهات وتأكيد عليها وتمسكه بها كما لاحظنا خلال استعراضنا السريع لها . أقول : لم يتع شوقي بعد ذلك إلا أن يُحَيِّي الحركة من جديد في قصيدته (تكليل أنقره) ، ليؤكد اتجاهاته السابقة ، وليحاول أن يعيد رجال الحركة إلى الجامعة

الإسلامية بأية صورة من الصور :

فضيَّ نيوب الليث ثم خذي به في أي ثوبيه به جاؤوك
لا فرق بين مسلطٍ . . متتوجٍّ ومسلطٍ في غير ثوب ملك
اني أرى الشورى التي اعتصموا بها هي جبل ربك أو زمام نبيك

ويخاطب الدولة الجديدة بقوله :

بيني وبينك ملّة وكتابها والشرق ينميني .. كما ينميك
قد ظنني الداجي نطقت عن الهوى وركبت متن الجهل إذ أطريك
لم ينقذ الإسلام أو يرفع له رأساً سوى النفر الألى رفعوك

ويقول للخلافة التي آذنت شمسها بدلوك -حسب تعبيره-

يا جذوة التوحيد هل لك مطفى واللّه جل جلاله مذكك
خلت القرون وأنت حرب ممالك لم يصفُ ضدك ، أو ينمّ شانيك
يرميك بالأمم الزمان .. وتارة بالفرد واستبداده يرميك
عودي إلى ما كانت في فجر الهدى عمر يسوسك والعتيق يليك

ويؤكد الوحدة الإسلامية ويتحدث عن بعض مقوماتها في قصيدته (تحية الترك) فيقول :

هبُّوا بكم وبنا للمجد في زمنٍ من لم يكن فيه ذنباً كان في الغنم
فتحن إن بعدت دارٌ وإن قربت جاران في الضاد أو في البيت والحرم
ناهيك بالسبب الشرقيّ من نسبٍ وحبّذا سبب الإسلام من رحم

ويشير إلى اتحاد العالم المسيحي ضد المسلمين ، ويدعو إلى جمع الكلمة تحت راية العروبة أو اللغة العربية باعتبارها رمزاً للوحدة ، وذلك بعد استعمالهم الحروف اللاتينية فيقول :

شمل اللغات لدى الأقوام ملتئم والضاد فينا بشمل غير ملتئم
فقرّبوا بيننا فيها .. وبينكم فإنها أوثق الأسباب والذم
وكلنا إن أخذنا بالفلاح يد وسعينا قدم فيه إلى قدم
أما قصيدته (الأندلس الجديدة) التي وعدتكم بالحديث عنها فهي صرخة انطلقت من مكان
نفسه بعد سقوط أذنه من قبضة المسلمين ولنستمع إليه في هذه الصرخة الباكية ، نر كيف
ارتبطت صورتها بصورة الأندلس الفردوس الإسلامي المفقود :

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والإسلام
نزل الهلال عن السماء .. فليتها طويت .. وعسم العالمين ظلام
أزرى به وأزاله عن أوجه قدريحط البدر وهو تمام
جرحان تمضي الأمتان عليهما هذا يسيل وذاك لا يلتام
بكما أصيب المسلمون وفيكما دفن اليراع .. وغيب الصمصام
ويعصف به الأثم فيهتف في أسى وحرقة :

لم يُطو مآثمها .. وهذا مآثم لبسوا السواد عليك فيه وقاموا
ما بين مصرعها ومصرعك انقضت فيما نحب ونكره الأيام
خلت القرون كليله وتصرمت دول الفتوح .. كأنها أحلام
وتغلب عليه روح الحكمة التي فاض بها شعره فيحملنا وزر ما حدث لإهمالنا وتقصيرنا
فيقول :

والدهر لا يألو الممالك منذراً فإذا غفلن فما عليه ملام
ثم يلتفت إلى وشائج القربى والرحم التي تجمع بين مقدونيا وبين المسلمين ولا ينسى في الوقت
نفسه أن يؤكد على نوع هذه الوشائج ، حتى لا يترك للأقلام المشبوهة أية فرصة للغمز أو
اللمز:

مقدونيا .. والمسلمون عشيرةٌ كيف الخؤولة فليك والأعمام
أترينهم هانوا .. وكان بعزهم وعلوهم .. يتخايل الإسلام
إذ أنتِ نابُ الليث .. كلُّ كتيبةٍ طلعت عليك .. فريسةٌ وطعام
وتغلبه الحسرة والكآبة من جديد فيفيض في أسي :

مازالت الأيام .. حتى بدلت وتغير الساقى .. وحال الحمام
واسمحوا لي أيها الأخوة أن أنقل لكم هذه الصورة الباكية من صور المأساة التي حدثت هناك،
فما أشبهها بالصورة الأليمة التي يعيشها اليوم في فلسطين أخوتنا وأبناء عمومتنا :

كم مرضع في حجر نعمته غدا وله على حد السيوف فطام
وصية هتكت خميلة طهرها وتناثرت عن نوره الأكمام
وأخي ثمانين استبيح وقاره لم يغن عنه الضعف والأعوام
وجريح حرب ظامئ وأدوه لم يعطفهمو جرح دم وأوام
ومهاجرين تنكّرت أوطانهم ضلّوا السبيل من الذهول وهاموا
السيف إن ركبوا الفرار سبيلهم والنطع إن طلبوا القرار مقام
يتلفّتون مودّعين ديارهم واللحظ ماءً والديار ضرام

ثم يقول لهم في سياق الأبيات التي رسم لهم فيها طريق العودة :

وقف الزمان بكم كموقف طارق اليأس خلف الرجاء أمام
الصبر والإقدام فيه .. إذا هما قتلا .. فأقتل منهما الإحجام
يحصي الذليل مدى مطالبه ولا يحصي مدى المستقبل المقدام
هذي البقية لو حرصتم دولة صال الرشيد بها وطال هشام
قسم الأئمة والخلائف قبلكم في الأرض لم تعدل به الأقسام

سرت النبوة في ظهور فضائه ومشى عليه الوحي والإلهام
وتدفق النهران فيه ، وأزهرت بغداد تحت ظلاله والشام
وما أروع شوقي وأعظمه وهو يقول وكأنما هو يخاطب الجيوش العربية المسلمة المظفرة التي
خاضت بشرف وبطولة وإباء معارك العاشر من رمضان المبارك :

شرفاً أدرنة .. هكذا يقف الحمى للغاصبين .. وثبت الأقدام
وتُرد بالدم .. بقعة أخذت به ويموت دون عرينه الضرغام
والملك يؤخذ أو يرد ولم يزل يرث الحسام على البلاد حسام
وأستأذنكم في أن أعرض عليكم أبياتاً أخرى من هذه القصيدة ، فهي في الواقع إحدى الملاحم
الكبرى في تاريخ الشعر العربي ، إن لم تكن أعظمها على الإطلاق ، ولولا خوف الإطالة
لقرأناها عليكم بأكملها .. ولكنني أستأذنكم في هذه الأبيات:-

في ذمة التاريخ خمسة أشهر طالت عليك .. فكل يوم عام
السيف عار والوباء مسلطٌ والسيل خوفٌ والثلوج ركام
والجو فتاك .. وفيك صحابةٌ لو لم يجوعوا في الجهاد .. لصاموا !
ضنوا بعرضك أن يباع ويشترى عرضُ الحرائر ليس فيه سَوام !

ضاق الحصار .. كأنما حلقاته فَلَكَ ، ومقذوفاتها أجرام
ورمى العدى .. ورميتهم بجهنم مما يصبُّ الله ، لا الأقوام
أنني لا أزال أتساءل ماذا كان سيقول شوقي لو شهد مأساتنا في القدس ؟ القدس التي قال
عنها :

إنما القدس منزل الوحي مغنى كل حَبِيرٍ من الأوائِل عالم

كنفت بالغيوب .. فالأرض إسراءً مدى الدهر والسماء طلاس
وتحلت من البراق بطغراء ومن حافر البراق بخاتم
وقال عن بيت المقدس ، رد الله غريته وأعاد إليه أهله وأبناءه :-

بيتٌ على أرض الهدى وسمائه الحق حائطه وأسر بناءه
الفتح من أعلامه والظهر من أوصافه والقدس من أسمائه
تحنو مواكبه على شعب الهدى وتطل سدته على سينائه
من ذا ينازعنا مقاليد بابيه وجلال سدته وظهر فنائه
ومحمد صلى على جنباته واستقبل السمحات في أرجائه؟!
ويذكرنا بيت شوقي :-

والدهر لا يألو الممالك منذراً فإذا غفلن فما عليه ملام
بآياته التي دعا فيها النافرين إلى العودة للوحدة الإسلامية قبل أن تدور عليهم الدوائر :

أيها النافرون عودوا إلينا ولجوا الباب ، إنه الإسلام
غرض أنتم .. وفي الدهر سهم يوم لا تدفع السهام السهام
نتمو .. ثم تطلبون المعالي والمعالي على النيام .. حرام
شر عيش الرجال ما كان حلماً قد تسيف المنية الأحلام
ويبيت الزمان أنذل سيئاً ثم يضحي .. وناسه أعجام

وشوقي -رحمه الله- كان عجباً بين الشعراء بحاسته المرفقة وحده الدقيق وخواطره المهمة..
فله إلى جانب هذه الأبيات ، أبيات أخرى عن الشيخ عبد العزيز جويش أحد كبار رجال
الدعوة الإسلامية أشعر كلما قرأتها ، بأن شوقيا طيب الله ثراه أتى بها على هذا النسق لأنه كان
يستشف من خلالها حجب الغيب ، وأن راية الدعوة سينطلق بها من مهابط الوحي إلى غاياتها

إمام من كبار أئمة الهدى والإصلاح في التاريخ الإسلامي ، هو جلالة الإمام فيصل ابن عبد العزيز وفقه الله فجاءت قصيدة شوقي على هذا النسق العجيب :

يقولون : ما لأبسي ناصر وللترك ؟ ما شأنه والهنود؟
وفسيم تحمّل همّ القريب من المسلمين .. وهمّ البعيد؟
فقلت : وما ضرّكم أن يقوم من المسلمين .. إمام رشيد؟
أتستكثرون لهم واحداً وليّ القديم .. نصير الجديد؟
سعى ليؤلف بين القلوب فلم يعدّ هديّ الكتاب المجيد؟
يشدّ عرى الدين .. في داره ويدعو إلى الله أهل الجحود
وللقوم حتى وراء القفار دعاة تغنّى، ورسّل تشيد

وجملة : (يشدّ عرى الدين في داره) .. عجيبة فعلاً .. لأنها أكثر انطباقاً على جلالة الفيصل المفدى منها على أية داعية آخر في أي بلد إسلامي .. أما بيته الأخير فيشير إلى نشاط حركات التبشير وتغلغلها في كل مكان .. ويختتم شوقي مقطوعته هذه بقوله :

فلا تنس أمس وآلاءه ألا إن أمس أساس الوجود
ومن طلب الخلق من كنزه فإن العقيدة كنز عتيد

أيها الأخوة الأفاضل :

لا يزال لدي الكثير من شعر الوحدة الإسلامية عند شوقي ونحن لم نصل بعد إلى مقومات الوحدة في شعره .. لذلك أجدني مضطراً إلى أن أنتقل إلى الفقرة الثانية من فقرات البحث، وهي الأسس التي يركز عليها صرح الوحدة الإسلامية والدعائم التي يقوم عليها الصرح الشامخ في شعر شوقي، رغم غزارة المادة التي بين يدي من شعره الإسلامي .. فوقت المحاضرة محدود والحديث عن الأسس والدعائم طويل ومتشعب . ولكنني مع ذلك أرى من اللزوم علي أن أختتم هذا الجزء من المحاضرة بنقطتين :

الأولى:

الإشارة إلى اعتزاز شوقي بالتاريخ العربي الإسلامي ، فهو في رأيه وفي رأي الواقع أجدر بالإشارة والتنويه من كل ما عرفت البشرية من ألوان الحضارة والثقافة في تاريخها الطويل .. وحسبنا هنا أن نستمع إلى الأبيات التي وردت في قصيدته : (نهج البردة) :

دع عنك روما وأثينا وما حوتا كل اليواقيت في بغداد والتّوم
وخلّ كسرى وإيواناً يَدِلُّ به هوى على أثر النيران والأيم
واترك رعمسيس، إن الملك مظهره في نهضة العدل لا في نهضة الهرم
دار الشرائع روما كلما ذكرت دار السلام لها.. أَلَقْتُ يَدَ السَّلَمِ
ما ضارعتها بياناً عند ملتأم ولا حكمتها قضاءً عند مختصم
ولا أحتوت في طراز من قياصريها على رشيدٍ ومأمونٍ ومعتصم
أما النقطة الثانية : فهي إيجاز العناصر التي تركز عليها الوحدة الإسلامية في شعره وقد أوجزها هو نفسه في هذه الأبيات :-

أُمُّ مِنَ الْإِسْلَامِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ماضٍ .. وأحداثٌ خلون كبار
وحضارة الفصحى وروح بيانها وقريشٌ والعالون والأنصار
وحوادث تجري لغايتها غدا ولكل جارٍ غايةٌ .. وقرار

وبعبارة أخرى هي (١) الدين الواحد (٢) التاريخ المشترك (٣) الثقافة المشتركة المرتكزة على اللغة العربية (٤) المصير المشترك .

انتقل بعد ذلك من الحديث عن الأسس التي يركز عليها صرح الوحدة الإسلامية إلى الحديث عن الدعائم التي يقوم عليها هذا الصرح الشامخ .. وأولى هذه الدعائم القيادة الرشيدة :

ما السفن في عدد الحصى بنافع حتى يهزلواها مقدام
والمقدام مجرد رمز للقيادة الرشيدة ، لأن شوقي بجانب إشادته بالبطولة العسكرية يمجّد بطولة

الفكر والبيان وبطولة الأخلاق المتينة :

إن الشجاع هو الجبان عن الأذى وأرى الجريء على الشرور جبانا

وهو لذلك يشيد بالنوايغ ويعجب بالنبوغ .. ونسمعه يهتف بحماسة :

أرأيت الخير وافى أمة لم ينالوا حظهم في النابغين

يصلح الملك على طائفة هم جمال الأرض حيناً بعد حين

ملأوا الدنيا على قتلهم وقديماً ملأت بالمرسلين

وليس ذلك إلا أنهم - في رأيه - مصابيح البشرية التي تضيئ لها طريق المجد والخلود والرفعة

والقدوة الصالحة التي ينهج على منوالها السائرون :

قد أقاموا قدوةً صالحةً ومضوا أمثلةً للمحتزين

ويؤكد هذا المعنى مرة أخرى بقوله :-

والمجد في الدنيا لأول مبتنٍ ولمن يشيد بعده فيطيل

لولا نفوس زلن في سبل العلا لم يهد فيها السالكين دليل

بل إن شوقي - رحمه الله - كان يرى أن المديح أو الرثاء للنوايغ وسيلة من وسائل استعراض

الأنموذج أو القدوة الصالحة للآخرين حتى يتبين لهم المنهج الذي يسلكونه ، ولعل هذا الدافع

كان من أقوى الدوافع التي كانت تحمله على المديح والرثاء ، لأننا لاحظنا في مئات الأبيات

التي نظمها في هذين الموضوعين إشادة بأخلاق الزعماء ومواقفهم من شعوبهم وتاريخهم وحنناً

على القيام بالمسؤوليات التي يضطلعون بها تجاههم ، ومطالبة تصريحاً أو تلميحاً بالتمسك

بالشورى أو بالدستور الذي كان يراه رمزاً للشورى .. وهو لذلك يقول :

رب مدح أذاع في الناس فضلاً وأتاهم بقدوة ومثال

ويقول :

وللناس في الماضي بصائر يهتدى عليها غاواً أو يسير رشيد

إذا المرء لم يكرم بأرض ثناؤه تحير فيها الحي كيف يسود

ولكنه مع ذلك لم يعدم الأعلام المشبوهة التي تغمره أو تعرض به ، حتى في القصائد التي نظمها في رثاء الموتى من رجال القلم أو السيف فصرخ من أعماق نفسه الكلمة :

يقولون: يرثي الراحلين .. فويحهم أأملت عند الرحلين الجوازيما؟
أبوا حسداً أن أجعل الحي قدوةً لهم ومثلاً قد يصادف حاذيا
فلما رثيت الميت أقضي حقوقه وجدت حسوداً للرفاق وشانيا
وهو لذلك يقول في قصيدة نظمها في مدح الخديوي :

وأحق الأقسام بالعز قومٌ يقدرون الأمور والأقدارا
ورجالٌ إذا سعوا للمعالي ركبوا في سبيلها الأخطارا
لا يبالون بالحوادث ربحاً حملت في بطونها أم خسارا
جمعوا المجد والمفاخر طراً وجمعنا صغائراً وصغارا
إنما يبلغ الذي بلغوه من هذا الحذو واقتفى الأثارا
وسما للعلا سمو أبى بأنف الهون منزلاً .. وقرارا
وإذا ما العزيز ساس بلاداً علّم المجد أهلها والفخارا
والدعامة الثانية : التربية الإسلامية السليمة .

ولشوقي مئاة الأبيات التي يحث فيها على الأخذ بتعاليم الدين الحنيف ، منها قصيدة طويلة وجهها إلى ولي العهد بمناسبة ميلاده ، نشرت في الصفحة الثانية والثلاثين من الجزء الرابع من الشوقيات ، تصلح وحدها دستوراً للحياة المثلى من وجهة نظر الشريعة الإسلامية يقول فيها :

ويا جيل الأمير إذا نشأت وشاء الجد أن تُعطى وشئت
فخذ سبلاً إلى العلياء شتى وخل دليلك الدين القويما
ولكنني اكتفي هنا بهذه الأبيات من قصيدة أخرى :

إن الأبـوَّةَ عبءٌ ينوء بالحاملينا
من العناية طـوراً إلى الرعاية حيناً
ربُّـوه بالله فيما يشرف المسلمينا
وخرَّجـوه عليماً .. وأنشئـوه مبيناً
وقسـومـوه كريماً على الزمان معينا

والإشادة بالأخلاق الكريمة التي عرفت في شعر شوقي وذهبت بعض أبياته فيها مذهب
الأمثال تعتبر من مقومات هذه الدعامة ، وكلنا نعرف بيته المشهور:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا
ولكنني مع ذلك أستريحكم العذر في هذه الأبيات من قصيدته عن العلم والتعليم وواجب
المعلم فهي تجمع بين التربية القوية والقوة القدوة الحسنة .

ربُّوا على الإنصاف فتیان الحمى تجدوهمو كهف الحقوق كهولا
فهو الذي يبني الطباع قويمَةً وهو الذي يبني النفوس عدولا
ويقیم منطق كل أعوج منطقٍ ويريه رأياً في الأمور أصيلا
وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى روح العدالة في الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساءَ لحظَ بصيرةٍ جاءت على يده البصائر حولا
وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى ومن الغرور فسمَّه التضليلا
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلا

والحديث عن المعلم والتعليم يسوقنا إلى الدعامة الثالثة وهي العلم وما أكثر ما تحدث عنه شوقي
وأشاد به وبحاملي رسالته ، وحسبنا مطلع هذه القصيدة :

قم للمعلم وقِّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

أعلمت أشرف أو أجلّ من الذي يبني وينشئ أنفساً وعقولا
سبحانك اللهم خير معلّم علّمت بالقلم القرون الأولى
أخرجت هذا العقل من ظلماته وهديته النور المبين سبيلا
وطبعته بيد المعلم تارة صدئ الحديد وتارة مصقولا

والعلم كما يرى شوقي ليس وقفاً على البنين وحدهم ، فرسالة الأمهات وضخامتها تتطلب أن
تيسر لهن سبل العلم والثقافة بتنشئة الأجيال النشأة السليمة ولذلك يقول للمعلمين :

إني لأعذرکم وأحسب عبأکم من بين أعباء الرجال ثقيلًا
وجد المساعد غيرکم وحُرمتُم في مصر، عون الأمهات جليلا
وإذا النساء نشأن في أميَّة رضع الرجال جهالة وخمولا

ثم يقفز قفزة فكرية وفنية رفيعة فيقول :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلا
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما وبحسن تربية الزمان بديلا...!
إن اليتيم هو الذي تلقى له أمّا تخلّت أو أباً مشغولا

وهو الذي يقول في قصيدته (مصر تجدد مجدها) عن مكانة الأمهات في التاريخ الإسلامي :

هذا مقام الأمهات فهل قدّرت الأمهات ؟
لا تلغ فيه ولا تقل غير الفواصل محكمات
وإذا خطبت فلا تكن عوناً على مصر الفتاة
أذكر لها اليابان لا أم الهوى المتهتكات
ماذا لقيت من الحضا رة يا أخِي الترهات
لم تلف غير الرق من عسرٍ على الشرقيّ عات

خذ بالكتاب وبالحديث وسيرة السلف الثقات
وارجع إلى سنن الخليفة ، وأتبع نظم الحياة
هذا رسول الله لم ينقض حقوق المؤمنات
المعلم كان شريفةً لنسائه المتفقهات
رضن التجارة والسياسة والشؤون الأخريات
ولقد علمت بناته لجح العلوم الزاخرات
كانت سكية تملأ الدنيا وتهزأ بالرواة
روت الحديث وفسرت أي الكتاب البينات
وحضارة الإسلام تنطق عن مكان المسلمات
بغداد دار العالما ومنزل المتأدبات
ودمشق تحت أمية أم الجسوارى النابغات
ورياض أندلس نمين الهاتفات الشاعرات
والعلم وحده ليس يكفي ، فلا بد من أن يتحول إلى عمل ، وإلى واقع يخدم المجتمع ويرتفع به
وفي ذلك يقول شوقي :

العلم لا يعلي المراتب وحده كم قدم العمل الرجال وأخرا
والعلم أشبه بالسماء ، رجاله خلقت جهاماً في السحاب ومطرا
كما أن المعلم حين يتخلى عن أداء رسالته يفقد شخصيته وبالتالي تتزعزع الحقائق العليا في
الوجود

يا أرض مذ فقد المعلم نفسه بين الشمس وبين شرقك حيلة
أما الدعامة الرابعة فهي استلها الم التاريخ والاهتداء به والارتكاز عليه في بناء الحضارة الجديدة،

وفي ذلك يقول شوقي :

وانظر إلى الماضي فإن المهتدي من يجعل الماضي هدىً وزماما
ويقول :

وللناس في الماضي بصائر يهتدي عليهن غاؤ أو يسير رشيد
ويقول :

ومامن أمسر للأقوام بدُّ وإن ظنُّوا عن الماضي انقطاعا
بل أنه ذهب إلى أبعد من ذلك فقدم لنا هذه الصورة الرائعة :

مثل القوم نسواتاريخهم كلقيطٍ عيٍّ في الناس انتسابا
أو كمغلوبٍ على ذاكرةٍ يشكي من صلة الماضي انقضابا
وطبيعي وشوقي شاعر الإسلام أن يركز على التاريخ الإسلامي في استنهاض الهمم وإثارة
المشاعر وأن يربطه بالتعاليم الإسلامية القويمة :

سير الممالك جارف من شدةٍ وقوى وأنتم في الطريق نيام
حب السيادة في شمائل دينكم والجدُّ روحٌ منه والإقدام
والحلم من آياته الكبرى إذا رجعت إلى آياته الأقوام
لو تقرأون صغاركم تاريخه عرف البنون المجد كيف يرام
ولا يعني ذلك بالطبع - التفوق داخل هذا التاريخ وانتظار النصر فلا بد من الحركة المستمرة
والعمل الدائب :

من عادة الإسلام يرفع عاملاً ويسودُّ المقدام والفعلاً
ظلمتهُ ألسنةٌ تؤاخذه بكم وظلمتموه مفرطين كسالى
ولا بد من الأخذ بأسباب القوة ، وهي الدعامة الخامسة من دعائم الصرح الشامخ :

والدين ليس برافع ملكاً إذا لم يُبْنَ للدنيا عليه نظام
والحقُّ ليس وإنَّ علا بمؤيد حتى يحوِّط جانبيه حِمام
خط النبي براحتيه خندقاً ومشى يحيط به قناً وسهام
ولا بد لها أن تستند على أحدث ما وصل إليه العلم :

وكل بنيان قوم لا يقوم على دعائم العصر من ركنيه ينصدع
وأولى هذه الدعائم الصناعة التي تقوم على الاكتفاء الذاتي الناتج عن دراسة التكنولوجيا
والعلوم الجديدة دراسة متعمقة واسعة :

لا تفتننك حضارةٌ مجلوبةٌ لم يبن حائطها بمالك واليد
لومال عنك شراعها وبخارها لم يبق غيرُ الصيد والمتصيد
إني حذرتُ عليك من أمية ربضت كجنح الغيب المتلبد
وشوقي يرحمه الله - يعرف قيمة الغطاء الجوي وأثره في تحديد موازين المعركة :

يا سلاح العصر بُشِّرنا به كل عصر بكمي وسلاح
إن عزاً لم يظلل في غدٍ بجناحيك ذليلٌ مستباح
فتكاثروا ألف فيلقا تعصم السلم وتعلو للكفاح
ويقول في قصيدة أخرى :

نُسخت بأبطال السماء بطولةً في الأرض يوشك ركنها ينهار
هذا زمان لا الأعنة منزلٌ للبأس فيه ولا الأسنة دار
ما البأس إلا من جناحي خاطفٍ في البرِّ والبحر اسمه الطيَّار
كما يدعو إلى تعزيز الأساطيل البحرية :

يا معشر الإسلام في أسطولكم عزلكم ووقاية وسلام
جودوا عليه بمالككم واقضوا له ما توجب الأطلاق والأرحام

ودعامة أخرى من دعائم القوة إن لم تكن أقواها هي الدعامة الاقتصادية :

والملك بالأموال أمنع جانباً وأعز سلطاناً وأصدق مظهرها
ولا يفوتني أن أشير هنا وأنا أتحديث عن التكنولوجيا والعلوم الحديثة إلى أبيات شوقي التي
يقول فيها :

نحن في صورة الممالك ما لم يصبح العلم والمعلم مناً
لا تنادوا الحصون والسفن .. وادعوا العلم ينشئ لكم حصوناً وسفناً
إن ركب الحضارة اخترق الأرض .. وشق السماء ريحاً ومُزناً
وصحبناه كالغبار فلا رحلاً شددنا ولا ركاباً زعماً
دان أبائنا الزمان ملياً وملياً الحوادث الدهر دناً
كم نباهي بلحد ميتٍ وكم نحمل من هادم ولم يبن مناً .. !
قد أنسى أن نقول (نحن) ولا نسمع أبناءنا يقولون (كنّا)
ونأتي بعد ذلك إلى الدعامة السادسة وهي الثقة :

إذا الثقة اضمحلت بين قوم تمزقت الروابط والصلات
فشق فعسى الذين ارتبت فيهم على الأيام أخذان ثقات
لأن الثقة تدفع إلى التعاون الذي هو الدعامة السابعة :

يا أيها الجيل الذي يبني غداً كن في بنائك حازماً مقدماً
واجعل أدواتك في البناء محبةً وتعاوناً وتآلفاً ووئاماً
ويقول :

إن الرجال إذا ما ألجئوا لجأوا إلى التعاون فيما جلّ أو حزبا
ويؤكد هذا المعنى مرة أخرى بقوله :

بوركتما من صاحبين تعاوننا إن التعاون أسّ كل بناء
لولا التعاون في الحضارة لم تظر بعنان أرض أو جناح سماء
ثم عاد فأكدّه من جديد حين قال :

وإذا أراد الله إشقاء القرى جعل الهداة بها دعاة شقاق
وأرى سموم العالمين كثيرة وأرى التعاون أنجع الترياق
والدعامة الثامنة نستطيع أن نتبينها بوضوح من القصائد الإسلامية التي استعرضنا القليل
منها فيما سبق ، وهي غالباً نتيجة الثقة الكاملة والتعاون المخلص ، وهذه الدعامة هي الاتحاد :
وكيف ينال عون الله قوم سراتهم عوامل الانقسام
إذا الأحلام في قوم تولّت أتى الكبراء أفعال الطغام
ولذلك يقول شوقي في قصيدته عن صقر قريش - عبد الرحمن الداخل :

حين في أفريقيا انحلّ الوئام واضمحلت آية الفتح الجليل
ماتت الأمة في غير التئام وكثير ليس يلتام قليل
ويهدف بنا وبكل المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي :

المسلمون اليوم في حاجة إلى ائتلاف .. كائنتلاف الصحاب
هنا قطيعاً هائماً سائماً لو اتحدنا خشيتنا الذئاب
في ظل رايات إمام الهدى وليس في عدل الإمام ارتياب
وهناك دعامة أخرى لصرحنا الشامخ هي تاسعة الدعائم :

التواصي بالحق والتمسك به :

الحق سَهْمٌ لا تَرِثْهُ بباطل ما كان سهم المبتلين سديدا
والعيب بغير سلاحه فلربما قتل الرجال سلاحه مردودا
ويرسم لنا شوقي هذه الصورة الرائعة لغلبة الحق على القوة مهما استبدت وسيطرت واتخذت
من وسائل الإرهاب والتدمير :

يا فاتح القدس خلّ السيف ناحيةً ليس الصليب حديداً كان بل خشبا
إذا نظرت إلى أين انتهت يده وكيف جاوز في سلطانه القطبا
علمت أن وراء الضعف مقدرةً وأن للحق لا للقوة الغلبا
لقد قال شوقي هذه الأبيات حينما كان الصليبية هي التي تحسر عن وجهها البشع وتحاول
القضاء على إسلامنا وعروبنا ، ولم تكن مشكلة الصهيونية تشكل أي خطر سافر على كياننا
ووجودنا كما هي اليوم ، ولكننا نستطيع مع ذلك أن نصفع بهذه الأبيات كل الوجوه البشعة
والأيدي القذرة في فلسطين المغتصبة ونقول لهم إن الغلبة للحق لا للقوة .

لا يزال لدينا بعض الدعائم الأخرى : الإخلاص - اتقان العمل - العدل - الصبر - الإقدام
والعزيمة - التضحية . . . الأبهة والاستعداد - العمل الدائب المستمر ، ولكنني أشعر بأنني قد
أطلت عليكم أكثر مما ينبغي لذلك استمحيكم العذر وأستاذنكم في أن نعيش معاً بعض الوقت
في جزء من قصيدة شوقي : (إلى عرفات) ففي هذه القصيدة تحية عطرة من شوقي لهذه
الساحات المباركة المطهرة وابتهاال صادق انطلق من أعماق قلبه في مثل الأيام الكريمة التي
عشناها منذ شهرين . ولا نزال نستروح شذاها :

لك الدين يا رب الحجيح جمعتهم لبيتٍ ظهورٍ الساح والعرصات
أرى الناس أصنافاً ومن كل بقعة إليك انتهوا من غربةٍ وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوتٌ لديك ولا الأقدار .. مختلفات
عنت لك في التراب المقدس جبهةً يدين لها العاتي من الجبهات
منورةً كالبدر ، شماء كالسها وتُخفض في حقٍّ وعند صلاة

ثم يخاطب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فيقول :

شعوبك في شرق البلاد وغربها كأصحاب كهف في عميق سبات
بأيمانهم نوران ذكر وسنة فما بالهم في حالك الظلمات
وذلك ماضي مجدهم وفخارهم فما ضرهم لو يعملون لأت ؟
وهذا زمان أرضه وسماؤه مجال لمقدام كبير حياة
مشى فيه قوم في السماء وأنشأوا بوارج في الأبراج مرتفعات
فقل: رب وثق للعظام أمتي وزين لها الأفعال والعزمات

وشكراً جزيلاً أيها الأخوة .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

وقد اقتصرنا على إيراد البحوث المقدمة من أعضاء الأسرة ، تاركين المشاركات الشعرية كملحمة
(أمجاد الرياض) التي قدمها محمد العيد الخطراوي ، وكانت من ثلاثمائة وخمسة عشر بيتاً ،
وبقية بحوث أدباء المدينة من خارج الأسرة .

وبقي أن أقول : إن المؤتمر هذا الذي تحدثنا عنه قامت به جامعة الملك عبد العزيز شطر مكة ، من
خلال كلية الآداب ، في الفترة ما بين ١-٥ من ربيع الأول ١٣٩٤ هـ . وأن أقول : إن إسهامات
الأسرة في هذا المؤتمر جاءت تنويعاً لمسيرتها خلال خمسة وعشرين عاماً تقريباً وإنه استقر في
ذهني وذهن أخي عبد الرحيم أبي بكر أمران :

١ - وجوب الحصول على المؤهل الجامعي العالي : (الماجستير ثم الدكتوراه) .

٢ - أن كتاباتنا وبحوثنا يجب أن تنتج إلى خدمة الأدب السعودي ، وذلك لما رأينا من تردي
أغلب بحوث المؤتمر في أسر البحوث التقليدية ذات الصبغة العامة ، والقائمة على شواهد من
خارج الحدود ، وها نحن قد نفذنا ما اعترطنا عليه ، غير أن الطريق شاق والعقبة كؤود ، فالله
المستعان .

الأسرة بين جيلين

تمثل الأسرة جيلاً أدبياً كاملاً ، وذلك إذا أخذنا بتحديد المؤرخين الجيل بخمسة وعشرين سنة ، وبالطبع لم تأت أسرة الوادي المبارك من فراغ ، بل كانت حلقة ضمن حلقات ، ومواصلة لخطوات بدأها من كان قبلها ، ومقدمة لمن جاء بعدها ، وسنحاول فيما يلي الحديث عن الماقبل والمابعد ، علماً بأن الحياة قائمة على التداخل بين الأجيال ، فهناك مجموعة من الجيل السابق لظهور الأسرة ، واصلوا المسير معها وساندوها وتفاعلو معها ، وأثروا جهودها ، كالأخوين الجليلين آل مدني ، والأخوين الفاضلين آل حافظ ، وهناك مجموعة من أسرة الوادي استمر عطاؤهم بعد سنة ١٣٩٥هـ وما يزال ، كالشاعر حسن مصطفى صبري ، ومحمد هاشم رشيد ، والخطراوي .

إذن لا توجد في الدراسات الأدبية الحدود والفواصل الحادة بين الأجيال ، والحدود القاطعة ، وما يصنعه بعض الدارسين إنما يقصد منه إلى تيسير تحقيق دراسة أفضل ، فهو مجرد ذريعة للدرس ، ونحن إذ نتحدث عن الجيل السابق والجيل اللاحق ، إنما نهدف إلى الإقرار بالفضل لأهله ، والتأكيد على مدى التلاحم بين الأجيال ، والتكامل في رحلتها إلى الأفضل ، ونحن إذا أردنا بعد ذلك أن نفاخر لجأنا بعد إنجازاتنا إلى تراث الآباء ، وإلى نجابة الأبناء ، ومنجزات الأحفاد ، إنها حلقات متتابعة في سلسلة واحدة ، ولآلى منتظمة في عقد واحد تحلي به الأيام جيد هذا البلد الطاهر المدينة المنورة ، فيما هي تستمد كل مفاخرها وأمجادها من انتسابها له :

أولاً: الجيل السابق :

إن السمعة العامة التي تجمع الرواد من علماء المدينة المنورة وأدبائها ، أنهم مدينون بفضل تثقيفهم للمسجد النبوي الشريف ، فكلهم أبناء مدرسته ، وكلهم طلبة أروقتة ، وذلك راجع لسبيين :

١- أنه ظل يزخر على مر العصور بنخبة من العلماء والأدباء من أهل المدينة ومن المجاورين والوافدين الذين كانوا يمثلون شريان الحياة المتجدد في دماثة العلمية ، والأمر نفسه يصدق على الحرم المكي ، ولذلك فإن المسجدين ظلا يشعان بالعلم والمعرفة لا على الحجاز وحده ، بل وصل تأثيرهما إلى كثير من أنحاء العالم الإسلامي كإندونيسيا وماليزيا وشبه جزيرة الهند

شرقاً، حيث كان التفاعل معها على أشده ، وكشمال أفريقيا غرباً ، فإن أكثرنا لا يعلم أن ثلاثة من مؤسسي جمعية (العلماء المسلمين الجزائريين) كانوا من طلاب أو أساتذة هذا المسجد ، وهو الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، والشيخ الطيب العقبي ، لذلك كنا نؤكد في كتاباتنا المختلفة على أن مواطن الإشعاع والحياة التي تأتت عن التعقيم العثماني ، وأسهمت بحق في التأسيس لعصر النهضة هي : الحرمان الشريفان ، والأزهر ، والزيتونة ، والقرويين ، والنجف . ولم يخل الحرمان الشريفان من حلقات العلم حتى في أشد العصور ظلاماً وظلاماً ، فلا غرابة أن نجد عامة شعرائنا وأدبائنا الأوائل أشتاخاً وأبناء أشتاخ .

٢- لم تكن توجد مؤسسات في الحجاز لإكمال الدراسة ، مع قلة الثقة بالمؤسسات التركية ، حيث استقر في أذهان الناس أن أبناءهم إذا دخلوها شملهم التتريك ، وربما استولت عليهم الدولة ، وحولتهم إلى خدمتها في مجالات أخرى .

ويمثل هؤلاء الطلاب وأساتذتهم اللبنات الأولى للحركة الأدبية في تلك الآونة ، تماماً كما كان طلاب الأزهر وأساتذته ، وطلاب الزيتونة وأساتذتها ، في يوم من الأيام هم منطلق النهضة ، وعماد المقاومة للاستعمار .

وكانت الاجتماعات المسائية بالمدينة المنورة في منازل الأدباء بمثابة أندية أدبية ، عامرة بالأدباء والعلماء ، وتنوع مجالسها وقاعاتها لإقامة الندوات والمحاضرات ، أشهرها :

١- ندوة البرادة :

وهو الشيخ عبد الجليل برادة ، المتوفى سنة ١٣٢٧هـ ، وهو من شعراء المدينة المعروفين ، الذين تجاوزت شهرتهم الحجاز ، لتصل إلى الأوساط الأدبية في البلاد الإسلامية ، وهو عن التحقوا بالأزهر ودرسوا فيه فترة من الزمن ، وكان يحسن اللغة التركية والفارسية ، ويفيد من آدابهما ، واتخذ الندوة المشار إليها مع مجموعة من علماء المدينة وأدبائها ، في بستانه (الأبارية) الذي دخل في التوسعة الجديدة في المسجد النبوي في الجزء الشمالي الشرقي مما يلي العنابية ، وكانوا يعقدونها كل يوم ثلاثاً وتحفل بالصفوة المختارة من أقطاب الفضل والمعرفة من المدنيين وغير المدنيين ، من الزوار الذين كانوا يدعونهم إليها لتبادل الأفكار ، ومد وشائج الثقافة ، وعلى حد قول الآخر (وكل أديب للأديب نسب) . وذكر عبيد مدني أنه رأى للبرادة مجموعاً خطياً فيه

جملة أشعار . قلت : بحث كثيرا عن تراثه الشعري فلم أعر على هذه المجموعة .

وقد أورد له البيطار في (حلية البشر ٧٨١/٢) مجموعة من الأبيات المفردة ، وقصيدة كتبها بمناسبة انتصار الدولة العثمانية على اليونان سنة ١٣١٣هـ ، وكان الشاعر آنذاك في الأسطوانة :

كذا فليكن ما يحرز المجدُ والفخر كذا فليكن ما يجمع الفتح والنصر
كذا فليكن ما يبلغ السؤلُ والمنى كذا فليكن ما يدرك الثأر والوتر
وفيها يقول عن الأعداء :

سمعنا بأن الجبن فيهم سجيةٌ ولما التقينا صدقَ الخبرُ الخبرُ
لقدر تركوا الأوطان والأهل عنوةً وأجلّاهم القتلُ المبرحَ والأسر
وما وقفوا في مآقِط الحرب لحظةً ولا ثبتوا، كلاً، ولكنهم فروا
ويلاحظ أنه خرج بشعره من نطاق المدح والثناء ، والغزل ونحوها إلى شيء من الشعر السياسي الذي يعايش أحداث عصره ، ويتفاعل معها ، سلبا وإيجابا .

٢- ندوة العشقي :

هو السيد أنور عشقي ، وكان من الشعراء والأدباء البارزين ، وكانت تعقد أيضا في بستانه الذي أنشأه في باب الشامي ، في شمال ثنية الوداع ، في سفح جبل سلع ، وسماه (العشقية) وفيها قال :

وروضيةٍ مارضيت عنها بملك كسرى ، ولا بقصر
وكيف وهي المنى ، و(عشقي) بها ، وزهر الربيع (أنور)
وفي هذا تورية ، فاسم الشاعر أنور ، واسم ابنه الأكبر عشقي .

... وعدا هاتين الندوتين عرف الناس اللقاءات المنزلية الأدبية ، وقد ذكر منها عثمان حافظ في كتابه (صور وذكريات عن المدينة المنورة ص ٩٩) : منزل الشيخ عبدالقادر بري ، والسيد أحمد الصافي ، والسيد عبدالقادر هاشم ، والسيد عبدالجليل مدني وإخوانه : عبدالعزيز ، وزين العابدين ، والشيخ محمد داغستاني ، والشيخ محمد زاهد ، والشيخ إبراهيم الأسكوبي ،

والشيخ يحيى دفتردار ، وغيرهم .

ويتمثل نشاطهم عادة في :

١- قراءة كتاب من كتب الأدب القديمة أو الحديثة ومدارسته ، ومناقشة موضوعاته .

٢- طرح بعض الأبيات لتشطيرها أو تخميسها ، من ذلك الأبيات التالية :

من لي بظبي أهيف خُتِمَ الجمالُ به ، وتم
في فيه ماء حياتنا والموت في جفنيه ثم
إن قلت : صِلني ، قال لي : من رام وصلي مات غم
فقد أخبر السيد عبيد مدني أن لديه سبعين تشطيرا لها .

واشتهر بينهم أيضا تشطير البيتين التاليين :

ظبي جاوى قد سباني وجهه الباهي الأنيس
ثغره كنز اللآلي ريقه (أنقر منيس)
= ومن ذلك تشطير حسن مصطفى بوسنوي لبيتين من شعر شيخ الإسلام أحمد عارف
حكمة وهي :

(في حي ليلى ليليات لنا سلفت) سوادهن لعين الأنس إنسان
كم من وجوه الصفا بتنا بأعينها (نرعى النجوم وطرف العين نعان)
(منها لأوقات عمري منظر حسن) له تطلع ما عمّرت أعيان
ألوانها عين حبات القلوب بدت (كأنهن بوجه الدهر خيلان)
(من مخطوطة ديوان البوسنوي)

ومن تخميسات الشاعر عمر عبدالسلام داغستاني صاحب كتاب (تحفة الدهر) ن المتوفى سنة
(١٢٠٠هـ - ١٧٨٦م) :

قل للذي فتكت أسنة هُذِبِه في قلب عاشقه ، ومهجة صَبِه

كم ذا ترؤع أمنأ في سربه (يا محرقاً بالنار قد مُحِبُّه
مهلاً فإن مدامعي تطفئيه)

يا من صباك سهاً لحظ جارج لا توقد النار بين جوانحي
فإذا أبيت وكنت غير مسامحي (فاحرق بها جسدي وكل جوارحي
واحرص على قلبي فإنك فيه)

هذا هو جيل ما قبل القبل ، أما الجيل السابق مباشرة لجيل أسرة الوادي المبارك ، فهم : محمد العمري ، عمر بري ، وعبيد مدني ، وأمين مدني ، وعبدالحق نقشبندي ، وعلي حافظ ، وعثمان حافظ ، والسيد ماجد عشقي ، وأحمد رضا حوحو ، وغيرهم ممن كانت شهرتهم مرتبطة بدخول البلاد في حكم آل سعود ، وقد نهض الجيل بتأسيس ندوتين أدبيتين ، وتأسيس صحيفتين ، وتأسيس أكثر من مطبعة لتحقيق هذا الغرض :

١- نادي الحفل الأدبي :

ومن أبرز أعضائه عبد القدوس الأنصاري ، وأحمد الخياري ، وأحمد رضا حوحو .

٢- نادي جماعة المحاضرات :

ومن أبرز أعضائها : عبدالحق نقشبندي ، ومحمد عمر توفيق ، وعلي حافظ ، وعثمان حافظ ، وعبد الحميد عنبر ، وماجد عشقي .

وكان بين الجماعتين تنافس شديد أثمر الساحة الأدبية ، وأوجد فيها حالة من التوهج والازدهار، ولكن هذا التنافس لم يصل إلى درجة التصادم ، حيث كانت تعقد الندوات أسبوعياً ، الأولى مساء يوم الجمعة ، والثانية يوم الثلاثاء . أما مقرهما فمنازل الأعضاء ، غير أن جماعة المحاضرات استطاعت أن تجعل من المدرسة الناصرية مقراً لنشاطها ، وذلك لكون عبدالحق نقشبندي وكيلاً لمديرها السيد أحمد صقر .

ومن الشخصيات الإسلامية البارزة التي استقبلها نادي جماعة المحاضرات عام ١٣٥٧هـ

معالي السيد شكري القوتلي حين كان وزيراً للمالية بسورية ، والسيد أمين الحسيني الزعيم الفلسطيني المعروف .

— وحين يقوم عبد القدوس الأنصاري من (الخفل الأدبي) بإصدار أول مجلة أدبية بالمدينة المنورة في شهر القعدة ١٣٥٥هـ هي مجلة المنهل ، لم يلبث أن يصدر آل حافظ جريدة (المدينة المنورة) بعدها بشهرين ، وذلك في ١/٢٦/١٣٥٦هـ .

وقد أدى ظهور هاتين الصحيفتين إلى انفتاح أبواب المشاركة الأدبية أمام ادباء المدينة ، فبرز منهم نخبة ممتازة : منهم (أمين مدني — عبيد مدني — ضياء الدين رجب — محمد حسين زيدان — علي حافظ — محمد عمر توفيق — محمود شويل — السيد أحمد العربي — عبدالحق نقشبندي — عبد الحميد عنبر — عزيز ضياء — عثمان حلمي — محمد سعيد دفتردار — الشيخ محمد العمري) وغيرهم .

وبتكرار النظر في هذه المجموعة من الأسماء يتأكد لنا أن رجال هذه المجموعة قد أدوا واجبهام النهضوي قبل نشأة الأسرة ، واستمر عطاؤهم على المستوى الشخصي قائماً ومستمراً ، وقد فرغوا لمختلف شؤون الحياة .

وفيما يلي نورد بعضاً من تراجمهم:

١- الشاعر محمد العُمري :

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عزيز الواسطي لقبا ، العمرى نسباً (نسبة إلى عمر بن الخطاب) البسكري مولداً ، المدني داراً ، ولد سنة ١٢٨٠هـ ، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ١٣٥٠هـ ، وأرخ عبدالرحيم أبويكر وفاته بسنة ١٣٦٥هـ دون أن يذكر سنة ميلاده ، استقر بالمدينة سنة ١٣٠٠ هجرية ، وأتم دراسته فيها ، وتلمذ على علمائها أمثال عبدالجليل بريدة ، ومفتي المالكية بالمدينة الشيخ العربي بن زروق التونسي ، والشيخ عبدالله القدومي النابلسي ، والشيخ حسن أسكوبي والد الشاعر إبراهيم حسن أسكوبي .

ومن تلاميذه السيد عبيد مدني ، وكان العمرى ذا تأثير علمي وأدبي على جيله بالمدينة المنورة ، ولعل من أهم اتجاهاته الشعرية التي تعطي شعره أهمية خاصة هو الشعر السياسي الذي شارك به في الحرب العالمية ، ووصف بعض معاناة أهل المدينة فيها ، قال العمرى :

دار الهدى خفّ منك الأهل والسكن
عفا المصلى إلى سلع إلى أحد،
أقوى العقيق، إلى الجمّاء، إلى جُشم
منازلُ شبّ فيها الدّين واكتملت
لأي أرض يشد الرحل بعدك يا
أبعد روضتها الفيحاً وقُبَّتْها الخضر
ماغوطة الشام؟ مانهر الفرات؟ وماحم
منازلُ نفحت بالطيب واكتملت
وفزّعت جهدها في ربعك المحن
والحرّتان، ومرأى أرضها الحسن
إلى قباء التي يحيى بها الشجن
آياته ، فاستعارت نورها المدن
دار الرسالة أو يثوى به سكن..؟
راء يحلو بعيني مسلم وطن..؟
راء غرناطة؟ ما مصر؟ ما اليمن..؟
بالنور يأوي لها الفرقان والسنن



ما كنت أعرف ما للشوق من أثر
يا راكبا حملت شوقاً مطيئته
قد أرغم الدهر أنفي إذ أفارقها
كأنني طائرُ قصّت قوادمه
حتى ترحّل بي عن ربعها البدن
نضواً تغوّله الأحزان والشجن
مروعاً قد جفاني النوم والوسن
فراح يحجل ، لا عش ولا وكن



يا أهل طيبة والالام عاصفة
عودوا إلى الله علّ الله يسعفكم
وأخلصوا توبةً لله صادقة
ثم الصلاة على الهادي وعترته
والناعات يُكَيِّن الألى دُفنوا
من فتنة دونها الأهوال والفتن
إن القبول بعفو الله مرتهن
ما قيمت الصلوات الخمس والسنن



وفي عام ١٣٢٥هـ أقيم حفل كبير بالمدينة المنورة بمناسبة تسيير خط الحديد الحجازي ، فألقى
شاعرنا العمري فيه قصيدة منها :

همم الملوك عظيمة الأثار تدني البعيد لنزاح الأقطار
 كم حوَّلت بحر البرِّ واسع والسرُّ بحرًا جائرَ التيار
 وشوامخاً شَمُّ الأنوف تزحزحت لا يستطاع صعودها للساري
 ومفاوزاً لا ماء في أرجائها عادت جناناً جاري الأنهار
 ومنها في وصف القطار :

خطُّ عليه بواخرٌ موقورةٌ مثل الجبال خفيفة التسيار
 جبلٌ عظيمٌ من حديدٍ صامتٍ يجري على عجلٍ بأمر النار
 أضحت دمشق إلى المدينة جارةً تتهاديان لطائف الأثمار
 وبلاقعاً كانت فأضحت مجمعاً ومواردُ البضائع الثُّجار
 ومحاربٌ قطع الطريق بسيفه لا ينثني بالوعظ والتذكار
 صبح القطار بلاده بعساكرٍ طحنه طحن الحبِّ بالأحجار

٢- صالح محسن الحيدري :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٢٦هـ ، وبها نشأ في كنف والده ، وتعلم علوم العربية وآدابها ، والعلوم الدينية والتاريخ على يد علماء المسجد النبوي ، ومن أساتذته فيه : الشيخ عباس بن السيد محمد رضوان ، والشيخ محمد عايش بن محمود ، والشيخ محمد الحبيب الديداوي ، والشيخ محمد العمري ، وقد نال من هؤلاء المشايخ إجازة بالتدريس سنة ١٣٤٤هـ ، والتحق بمدرسة العلوم الشرعية مدرسا بالقسم الابتدائي من سنة ١٣٥٢ حتى جمادى الأولى سنة ١٣٥٩هـ ، وفي سنة ١٣٦١هـ بدأ عمله مدرسا في المدارس الحكومية ، ثم مديرا لإحدى مدارس ينبع الابتدائية حتى نهاية عام ١٣٦٥هـ ، ثم عمل معاوناً لمدرسة النجاح بالمدينة إلى بداية عام ١٣٦٩هـ ، ثم مراقبا بالمدرسة الثانوية ، فمدرسا ، حتى بداية عام ١٣٧٤هـ حيث أسندت إليه وكالة مدرسة طيبة الثانوية حتى عام ١٣٨٦هـ حيث أحيل إلى التقاعد ، وكان يرحمه الله مثالا للجد والنشاط ، وذو سيرة عطرة بين طلابه وأصدقائه ، وقد توفي سنة ١٣٩٥هـ .

وقد كان على صلة بأدباء عصره بالمدينة من الجيل السابق لأسرة الوادي المبارك ، كالشاعر محمد الفهد العيسى ، وأحمد بشناق ، وعبد القدوس الأنصاري ، كما كان على صلة بأسرة الوادي المبارك عن طريق محمد العيد الخطراوي ، وفيما يلي نورد غودجا من كتابته كان قد نشره في مجلة المنهل تحت اسم مستعار هو (تأبط شرا) (مجلة المنهل، ١٣م، ج ١٠، ص ١٣) :

غزو الشخصيات

تحت ستار العلم والأدب

لا ينكر ما للأثر الظاهر والفائدة الملموسة في خدمة الحقائق وتنقيح الآراء ، فلولاً النقد الذي انتصب له منذ القدم كثير من أهل العلم والأدب لما عرف صحيح الروايات من زائفها ، ولما امتاز جيد الآراء وصائبها من سقيمها وساقطها ، وإخال القراءة في حاجة إلى التفلسف في النقد، والإفاضة في ذكر ما له من آثار حسنة وفوائد جمة ، فقد تصدى لذلك كثير من الأدباء والكتاب ، فأجادوا في بحثه وتحليله ، بما لا مطمح له لمستزيد .

والذي يؤلم ويؤسف كل غيور على أدبنا الناشئ ، ما نراه من أذعياء الأدب أطفال العقول ، على كثرتهم بيننا وابتلاء صحفنا بهم وامتلائها بهرائهم ، من الجهل الفاضح ، والخطأ المشين ، في فهم حقيقة النقد والغاية منه ، التي يجب أن يؤديها بكل نزاهة وإخلاص ، فقد اتخذ بعضهم آلة للإعلان عن نفسه ، ولفت انظار القراء إليها ، هوسا بحب الظهور ، وتطبيقاً للمثل المعروف : (خالف تعرف) واتخذ البعض الآخر ستارا ، يهاجم من ورائه الشخصيات ، فينال من كرامتها ويحط من قدرها ، لا دافع إلى ذلك ، سوى الحسد ، وحب التشفي الانتقام ، كل هذا باسم العلم والأدب ، وهما ارفع وأجل من ان يكونا وسيلة لأحط الغايات وأحقرها !

وبجانب هؤلاء فريق آخر ، إذا هاجمت له رأيا ، أو وقفت لمناقشته في تصحيح رواية ، أخذته العزة بالإثم ، وجمت به نفسه عن الاعتراف بالحق ، وحمله الغلو في حب الذات على العناد والمكابرة ، والتعصب لرأيه ، والتعسف في الدفاع عنه ضاربا بفضيلة الإنصاف ، والرجوع إلى الحق عرض الحائط ..

وإن في عمل أولئك وهؤلاء من النتائج السيئة ما لاحمد عقباه .. فهو فضلا عما يتركه من الأثر

السيء في بث روح التباغض والتقاطع والعداء ويقضي على الحقائق ويضيعها ، ويشوه جمالها ويطمس معالمها ، ولا ريب أن أكبر قسط من المسؤولية عن هذه النتائج وما تتركه من الآثار السيئة ملقى على عاتق أصحاب الصحف فهم الذين أفسحوا المجال لأمثال هذه السفاسف ناسين أو متناسين أن الصحافة منبر سيار ، يجب أن تصان عن اتخاذها منبرا للمهاجرة والهديان ، وعن جعلها مسرحاً يمثل فيه الأدب الساقط أسوأ تمثيل ..

وبعد فهذه كلمة عجلى ، أملاها الضمير ، فسجلتها البراعة ، تبصرة وذكرى ، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله ..

٣- عبد الرحمن عثمان: (١)

أديب وشاعر ومربٍّ فاضل، تفتخر المدينة بانتسابه إليها، وتعدُّه من شعرائها في القرن الرابع عشر الهجري، ومن أبرز رجال التربية والتعليم فيها. ينتمي إلى نسب شامخ، وحسب راجع، وخلف ماجد صالح إن شاء الله. وكما أنجب عبد الرحمن عثمان شعراء من صلبه أنجب شعراء وأدباء من تلاميذه أبرزهم: عبد العزيز الربيع، وماجد الحسيني، وحمزة قاسم، وخرج علماء منهم الشيخ عبيد كردي، واشترك في أكثر المناسبات الأدبية والحفلية التي كانت تقام بالمدينة في عصره، وقد كانت فترة نشيطة أثرتها أسرة الوادي المبارك الأدبية، ثم نادي المدينة المنورة الأدبي في دورته الأولى.

ولد عبد الرحمن عثمان حسن عام ١٣٢٨هـ، وتلقى تعليمه الأولي على يد والده وبعض المختصين في الدين واللغة العربية، وقد أبدى منذ صغر سنه حماسة لدراسة الرياضيات وتعلمها وبرز فيها، عمل مدرسا للغة العربية والرياضيات واللغة الإنجليزية في مدرسة الفلاح بجدة، ثم بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة لمدة تزيد عن ثمانية وثلاثين عاما، وكانت المدرستان نموذجا راقيا للمدرسة الشاملة، حيث كانت المناهج تضم أمهات الكتب في اللغة والدين إضافة إلى العلوم الحديثة، قام بالتدريس في المسجد النبوي الشريف في نفس الفترة التي عمل بها بمدرسة العلوم الشرعية، انتقل بعد تحول مدرسة العلوم الشرعية إلى النمط العام، إلى مديرية بريد المدينة المنورة، وعمل فيها مترجماً ثم نائبا للمدير ثم مديرا، وتقاعد عند بلوغه السن القانوني عام ١٣٨٩هـ، وتوفي في ١٠/١٠/١٤٠٠هـ.

(١) أنظر ترجمته بنوع في كتابنا (عبد الرحمن عثمان مبدع الشعر ومنجب الشعراء) .

ولا نستطيع أن نتحدث عن عبد الرحمن عثمان أيضاً منفصلاً عن مجتمعه الصغير (مدرسة العلوم الشرعية)، فقد عاش في عهدها القديم والجديد^(١)، وبرز فيها مدرسا لمجموعة من التخصصات التي تبدو أول وهلة وكأنها متناقضة (رياضيات - لغة إنجليزية - لغة عربية - المواد الدينية) لكنك سرعان ما تنجو من خضم هذا التناقض إذا علمت أنه كان شخصية علمية متعددة المواهب، متعددة التخصصات والمشاركات، هو من هذا النوع الذي اعتدنا أن نراه في علماء السلف من الموسوعيين الذين لهم في كل علم باع، وفي كل فن ضلالة وبراعة. وأستطيع أن أقول إنه كان نموذجي في الإدارة المدرسية من حيث الإخلاص والحزم ورعاية مصالح الطلاب، والنظرة إليهم على أنهم ثروتنا التي نحافظ عليها، وزرعنا الذي نراه ونرقب حصاده.

وأنا إذ أقوم بتقديم هذا الرجل شاعراً، أحب أن أنه بخلقه ودوره التربوي وبعلمه الجم وبمجموعة من جهوده الأخرى وإسهاماته في مجتمع المدينة، وهو دور يدركه كل من تتلمذ على يديه كالأستاذ عبد العزيز الربيع، والأستاذ عبيد كردي، أو من احتك به أو قرأ عنه كالأستاذ أحمد مرشد، والذين حدا بهم حادي الوفاء أن يترجموا له، ويتناولوا جانباً من جوانب حياته، رحمه الله. وقد صدرت له مجموعتان شعريتان في مجال المدائح النبوية الأولى بعنوان "الفتوحات الطبية في تخميس البردة البوصيرية" والثانية بعنوان "المواهب المدنية في تخميس القصيدة الوثرية"، كما كانت له الكثير من المشاركات في المناسبات الرسمية والتعليمية بالمدينة المنورة، وفي مجلة المنهل. ومن شعره قصيدته التالية في رثاء السيد حسين أحمد المدني، رحمه الله:

أصلَى الأسي قلبي النيرانَ، فانصهرا
ولستُ وحدي، فمُثلي كلُّ ذي نَفْسٍ
ليت الأثير عفت أثاره أبداً
فلا يذيع لنا من بعد ذا خبرا
فقد نعى العلم والإرشاد في عَلمٍ
فرد، عدمنا له في عصره نُظرا
جَمُّ الصنائع، موفور المحامد، مَنْ
أعيت مدائحهُ الكُتَّابَ والشُعرا
العالم، العامل، الحَبْر الذي كسفت
أنواره النيرين: الشمس والقمرَا
والسيد، السُّنْد، التَّدْبُّ، الذي شملت
أفضاله الشاكرين: البدو والحضرَا

(١) (انظر كتابنا - مدرسة العلوم الشرعية. والموقع التاريخي الراقد)

الكامل الخلق، إذ فاق البدور سناً
 الزاهد الورع، البرّ المليء تقى
 قضى المجاهد، فالأعلام ناكسة
 قضى الكبير، الذي للفضل تحمله
 قضى الزعيم الذي لو شاء نام على
 قضى الزعيم، الذي - والزهد شيمته -
 أو شاء سيّده قصرًا، وأثّنه
 أو شاء لافترش الديباج مضطجعاً
 أو شاء مدّ خوانات مشكّلة
 لكنه سكن الأكسواح مسكنة
 وعاش مخشوشناً، فالقطن ملبسه
 وظل لا فضة يحوي ولا ذهباً
 مضى حسين إلى الرحمن مرتدياً
 مضى حسين وفي أكفانه كُتب
 مضى حسين فدور العلم عامرة
 وللمبرات أهات ترددها
 فللقضايا عويل بعد فيصلها
 ومن بحكمته كم حل من عقد
 حتى المساجد في قدسية ذرفت
 كم في الحجاز كما في الهند من كبد
 وبالمدينة دار للشريعة لا
 بكت دماء، فأجرت مقلتي دماً
 فصاغ كل رثاء من مدامعه
 والخلق إذ وسعت أخلاقه البشرًا
 والذاكر الله عند النزع محتضراً
 وكل قلب إذاً بالهند منكسراً
 حياً وميتاً على أكتافها الكبرا
 أسرة العاج لولا زهده السرراً
 لو شاء لاكتنز الأموال وأدخراً
 من كل مستحدث يستوقف النظراً
 ولا رتدى لير الناظر الحبراً
 ألوانها تبسط الأصال والبكراً
 ويات مفترشاً في أرضها الحضرًا
 والماء مشرباً، والأكل ما حضرًا
 حتى اغتنى بقاء الله مفتقراً
 جثمانه بالرجا، بالخوف مؤنزراً
 من بينها أذكر التفسير والسيّر
 بكته شيخاً، عليها أوقف العمرا
 لفقد من أيتّم العافين والفُقرا
 من ناصر الحق في فتواه، فانتصراً
 عن حلّها عجز القانون والخبراً
 دموعها فحكى مدارها المطراً
 حرى، وعين عليه تنثر الدرراً...!!
 تنفك تذري عليه الدمع منهراً
 قانياً، وأبكت من دم عُمراً^(١)
 كأنّ أدمعنا المرجان منتثراً

(١) الشاعر عمر بزي.

ويا جبالا رواس ليس يزعجها عظم المصاب الذي قد يزعج الصبرا
أري مصيبتكم فوق المصائب قد عزت عزاء وأسي صبرها صبرا
لكنكم قادة أن تصبروا صبرت هذي الجموع ونلتم أجر من صبرا
واستبشروا فدليل السعد خاتمة للعمر حج الفقيد البيت واعتمرا
والله خير له فالله أكرم من أعطى وأقدر من يعفو ومن غفرا
ثم الصلاة علي المختار أحمد من في لحده اجتمع الإحسان وانحصرا
والآل والصحب ما روح سما صعدا للهور في غرفات الخلد مبتدرا
وما حسين وبادي الفيض أحمد في جنات عدن أجالا الطرف والنظرا
أو ما أسي عابد الرحمن أرخها ولي حسين فقضى العلم واندثرا

٤- أسعد طرايزوني :

ولد بالمدينة المنورة ونشأ بها، وفيها درس على الطريقة التي درس بها أقرانه، فهو من خريجي حلقات المسجد النبوي، وعمل بعد تخرجه في وظائف عديدة، كان من أهمها وظيفة مدير الجوازات والجنسية بالمدينة، ثم مديرا للأحوال المدنية، ومنها تقاعد، توفي بالمدينة سنة ١٤٠٩هـ.

وهو من أعيان المدينة في القرن الرابع عشر الهجري، ومن أدبائها ومؤرخيها، وقد تمثل نشاطه في كتابة بعض المقالات لمجلة المنهل في أعدادها الأولى، وفي تصديده لنشر مجموعة من المخطوطات بعد إعدادها بشكل أوز بأخر للطبع، وما نشره :

- ١- عبث الوليد - لأبي العلاء المعري - في نقد الشاعر البحري، قام بإعداده والتقديم له زميله الأديب محمد عبدالله، وقد تكررت طباعة هذا الكتاب .
- ٢- عمدة الأخبار في مدينة المختار، للعباسي - في تاريخ المدينة، وقد طبع أيضا أكثر من مرة.
- ٣- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة - للإمام السخاوي - وهو في عامته كتاب تراجم من ثلاث مجلدات وصل فيه إلى حرف الميم، وباقي الكتاب مفقود .

٤- التعريف للمطري في تاريخ المدينة .

ومجموعة أخرى من الكتب الهامة .

وفيما يلي نموذج لمقالاته نشر بمجلة المنهل (م ٢، ج ٢، ص ٣٢) بعنوان (الإسلام في حاجة إلى دعاية) :

الإسلام في حاجة إلى دعاية (١)

لم يبق الآن بين الشعوب الأوروبية أثر بالغ لما خلفته لهم الرهايين والقسس ، من المطاعن التي كان أولئك يرسلونها إلى الشريعة المحمدية ، ويوقظون في نشئهم تلك الأفكار الساحقة البائدة ويطبعونها في قلوبهم لتكون محور دعايتهم ، بل يوجد الآن من المفكرين الذين ينشدون الحق من وزنوا بميزان القسط والعدالة ، وقد قرأت عن الكثيرين الذين جاهدوا في سبيل الحق وتصفحوا ما حرره السلف بقلوب ملؤها الصدق والطهر والإيمان .

وهذه نخبة من أفكارهم :

يقول (غولدسين) رئيس المدققين وحجة المستشرقين في كتابه (عقيدة الإسلام وشريعته) : إن محمداً ﷺ كان صادقاً وأميناً ، وكان معتقداً بأن الله بعثه لهداية قومه وإرشاد البشر إلى الدين القيم .

ويقول العلامة (هوار) إن محمداً ﷺ كان المثل الأعلى في الاستقامة ، وإنه لا يوجد في تاريخ العرب كلمة واحدة تدل على أن محمداً كان مرئياً أو مدهائناً ، أو كان يقول ما لا يعتقد .

ويقول (ولز) : إن روح محمد ﷺ ملأى بمكارم الأخلاق وعلو النفس ، وشريعته مفهومة سائغة . ويقول (ماكس) : « إنه مؤمن بالوحي الذي كان ينزل على محمد ﷺ » .

وقال (كاراد دفو) المستشرق الفرنسي : « إن محمداً ﷺ كان متحريراً في رسالته ، مدققاً أشد التدقيق ، كثير الفكر هادئاً ساكناً تقياً حسن الأخلاق .

ومن كتب في هذا العصر في نبوة (محمد) ﷺ المسيوميل درومنگهام أحد مشاهير كتاب

(١) م ٢، ج ٢، ص ٣٢.

فرانسا، ومن أقاموا ببلاد المغرب ، وقد خالط المسلمين هناك وعرف حقائق الدين وتتبّع الشريعة المحمدية ، قال في مؤلفه : إنه لا يوجد أحد في الدنيا ينكر وجود محمد ، ولم يشكل على كل ذي لب أن محمداً ﷺ ما كان مقترئاً .

وما يؤيد ذلك قول العالم الإيطالي (لورافكشبا فاليري) في كتابه المسمى «إظهار محاسن الإسلام» : إنه بما لا شك فيه أن وصف محمد بتلك الأكاذيب التي كانوا يشيعونها قد خف كثيراً في هذا العصر ، وصار الناس ينشدون الحقيقة التاريخية عن محمد وعن الإسلام الذي قلب وجه العالم .

وحيث إن الكتابات في هذا الصدد هي لا شك بحر لا ساحل له تتلاطم أمواجه ، والكل من الكاتبين ملاحون يريدون صيد الحقيقة الناصعة ، ولكثرة الطلاب كاد الجوهر يفقد منهم، لذلك فهل من داعية من المسلمين بدحض ما تبقى في أذهان الغربيين عن الإسلام وبيد الأوهام الباقية ، ياحبذا لو فكر ذو البصيرة ممن يقوم بأعباء هذه الخدمة الشريفة ، وهم يكون هؤلاء المعوثون مزودين بالرعاية ، ومزودين بلوازمهم المادية ليفسح أمامهم المجال ، لو تم ذلك لاهتدى الكثير إلى الإسلام .

والدليل على ذلك أن قبائل (الغولو) من الأحباش إنما أدخلهم في دين الإسلام مسلم واحد يدعى (دبلو) وفي هذا يقول روبل : « أنه في عام ١٨٣٠م كان الإسلام ينمو في الحبشة بقوة حتى إن أمماً من التيجري كانوا في أوائل القرن التاسع عشر نصارى وهم اليوم جميعاً مسلمون» .

والذي أراه واجباً على الصحف الإسلامية أن تبحث وتحرض وتكون داعية للإسلام ، عارضة محاسنه ومزاياه للعالم ، بدل النشر والطبي في هذا الذي يسمونه : الأدب الذي أكل الدهر عليه وشرب ؛ وأخذ دوره من الأفكار والأقلام ، حتى أصبحت الكتابة عنه مكررة مملوءة سمجة لا يستطيع القارئ أن يتلو منها غير العناوين الزائفة . وإنه لما يعاب علينا أن نعنى كل العناية بما لا جدوى فيه ونترك الواجب فهل نحن منتبهون ؟ خصوصاً وإننا حاملون لواء النور والمثالث والألوف مستعدون لتلبية ندائنا الساعة إذا أُرُفت للعمل .

هـ عبدالله سلامة الجهني :

ولد عام ١٣٤٧هـ، وتخرج في كلية دار العلوم بمصر ، وكان من رجال التربية والتعليم المتميزين،

ومن أهم المراكز العلمية التي تولاها في وزارة المعارف توليه الإدارة العامة لإدارة البحوث ، وانتقل بعد ذلك إلى وزارة الخارجية ، فكان ملحقا ثقافيا في لبنان ، وتولى وظائف أخرى كثيرة، ومن مؤلفاته :

١- أفكار بيضاء - طبع سنة ١٣٨٣هـ

٢- نظرة عالمية نحو الإسلام .

٣- علم الأنساب - سنة ١٣٨٠هـ .

٦- عمر كردي الكوراني :

هو خال الشاعر ضياء الدين رجب ، ومن قصائده قصيدة بعنوان (تحية جريدة المدينة) :

نخبة الآداب فينا أوجدت طلعة في النفس تزهو وتميس
أحيت الأفكار في وادي الحمى وأفاضت جهدا الغالي النفيس
وأفاضت بحجازٍ مورياً صافي المجرى سليماً للنفوس
هي ذي طيبة في ترصيفها عمدة الأقوال بالمعنى الرئيس
هي ذي طيبة في أبنائها فرحة للقلب شؤم للدسيس
طافت الأفاق تجلو غيبها لتداني مجدها العالي الرئيس
زودوها بالمعالي إنها حرباً للظعن في قلب الخميس
مظهر الإسلام فيها أبداً وسعودٌ شاهدٌ يعلي الرؤوس
عظموها واطنبوا في فضلها من تحاشى فهو محرومٌ تعيش
هي ذي طيبة من كايدها أو رماها عالية الدهر الشموس
مهبط الوحي إذا ما قدرت ببنيتها طالع السعد النفوس
سادة القوم ياعزّ الألى قد حكمت علياؤهم ضوء الشموس

روضوا الأخلاق علماً وتقى لتزيحوا سطوة الجهل العبوس
وأرونا فكرة وضاءً واسكبوا الفضل زلاً في الكؤوس
وقمين برربوع أخلدت مجدها الرائع ما بين الطروس
فاذكروها روضةً محبوبةً مأرز الإيمان نجم لا يخيس
واقدروها صفحة الشعب الذي زانها عثمان بالفعل القديس
واحذروا الدنيا فتلكم طالما وقفت تتلو على الناس الدروس

ثانياً: الجيل اللاحق :

لاحظنا أن الأجيال الأدبية تتداخل إلى حد يشبه التماهي ، ويشعر التكاثر ، وليس الأمر كذلك ، بل إن أعمارهم تطول وتقصر ، وفقاً لمشيئة الله تعالى ، وقد اعتبرنا الجيل اللاحق لأسرة الوادي المبارك ، كل من جاء من الأدباء في الفترة التالية لتأسيس الأندية الأدبية ١٣٩٥- ١٤٢٥ هـ وسنورد فيما يلي بعض النصوص لأولئك الأدباء :

١- أسامة عبدالرحمن عثمان (١) :

ولد عام ١٩٣٤ بالمدينة المنورة ، ويحمل الدكتوراة في الاقتصاد من الولايات المتحدة الأمريكية ، مارس الشعر منذ نعومة أظافره فولده الشاعر الأستاذ عبدالرحمن عثمان حسن ، ويعد من الشعراء المكثرين فله أكثر من عشرين ديواناً ، ومن شعره القصيدة التالية في رثاء والدته السيدة فاطمة شقيقة الشيخ محمد الحافظ بن موسى :

أبكيك دمعاً.. أم دما إنني سفحت كليهما
عيناي شفقهما الأسمى والـخـزن شق عليهما
الـخـزن مدس دوله وعلى الجوانح خيماً
والصبح لم تشرق به شمس.. فأقبل مظلماً

والأفق بين حدوده مثل اللظى... دمع همى
 والبدر لم يحضر له وعد... وأعلن مأتما
 والمزن ليس بسلسل والمزن أصبح علقماً
 قَدْرُ... وتجهش أضلعي قَدْرُ... وأرضى مرغما
 قَدْرُ رمى لكنما ربُّ لأقـدار رمى
 قَدْرُ... وأسلم رايتي لقضائه... مستملا
 قَسْدْرُ... ومن منه نجا قَدْرُ... ومن منه احتـمى
 ويظل قلبي خاشعاً ويظل قلبي مسلماً
 ويظل حبي دائماً بك شادياً... مترغاً
 يانبع عطفٍ دافقٍ فيه فـؤادي قدنما
 وما لاذ حب صادق في دفئه القلب ارتقى
 مذ كان كمّاً مغلقاً مذ كان يوماً برعما



أماه.. إن مشاعري ضاعت ولم تجد الحمى
 ومن المشاعر كم لظى أصلى الفؤاد وأضرما
 قلبي.. وحطمه الأسى ما كان قبل محطما
 والشعر ضاق معينه ما عاد يجري ملهما
 إن كنت منبع رحمة فالله يبقى الأرحما
 ما أواك في جناته كم قد أجار وأنعمما
 وهو الكريم بعفوه كم قد عفا أو أكرما

أماه.. قلبي قد جرى فيه الأسى.. متألماً
الموت.. لغزٌ مبهمٌ سيظل لغزاً مبهماً
حار الحجي في فهمه ومحالُه أن يفهما
يجتاحنا مهما غفا قدرٌ يجيء محتماً
ويجيء أمراً نافذاً يقضي قضاءً مبرماً



أُمّاه.. ذكرك خالداً لو صرت بعدك معدماً
نبعاتقى ومودة أروي فؤادي منهما
وأحس كل هنيهة أغلى الركاب إليهما
أماه.. تبكي أحرفي وفمي الحزين تلعثما
صهرت حروفي مهجتي وبها اللظى صهر الفما
تبكيك كل جوانحي دمعاً ترقرق أو دما
ولقد بررتك صادقاً حسبي بذلك مغنماً
ويظل برك واجباً ويظل برك بلسماً
ولسوف قلبي دائماً بالبر يبقى مفعماً
أوصيتني بوصيتين ولن أفرط فيهما
صدق.. ونصرة كادح ما حدث يوماً عنهما

٢- حسين العروي :

هو حسين عجيان مسعد العروي ، ولد بالمدينة سنة ١٣٨٣هـ ، تخرج في كلية التربية - لغة عربية بتقدير ممتاز ، وله نشاط متميز في الشعر والتأليف والتحقيق ، وهو من الشعراء المجددين ،

يشهد له بذلك مجموعة من الدارسين ، من أهم دواوينه (لم السفر - نبوة الخيول - بشائر المطر - قصائدي انتظار مالم ينتظر) ومن تحقيقاته (رياضة الأبي في قصيدة الخزرجي) في العروض لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد الشريف الغرناطي (٦٧٩-٧٦٠) .
- وفيما يلي نموذجان من قصائده :

الكلمة حمامة حمراء

الأعمال الكاملة ج ١ ص ١٤١

طارت .. وفي صوتي ضباب مترف وعلى جبيني .. نجمةٌ وتلهف
يا لونها .. أنت الجحيم .. فكُن هنا وطناً خرافياً .. هواه تصوف
جذرٌ على ألم الظلام قصيدةٌ غجريةً الايقاع ، ورداً تذرف
غنّت .. فماست في عيوني نخلة رمليةً .. عشقي الرمال تطرف
يا حلوة العينين .. إن دروبنا موبوءةً .. مختالةً .. تتفلسف
ورحيلنا بعض انتحارٍ فاشلٍ وبقاءنا عمق جريح ينزف
يا طائراً يغفو الحنان على فمي بمجيئه، ويضجُ صوتي المرفف
لغةٌ لهيب شتائها لون الهوى وغناؤها سأمٌ عشيق يشغف
وعصورها مزروعةٌ في لهفتي ووجودها رملٌ أليمٌ يعطف
لحن الصبابة نشوة مأفونةٌ من لشعة الآلام فيها يقطف
لا تتركيني في جليدٍ لاهبٍ نبضي إذا غادرتني يتوقّف
أنياشجوني قصة مهجورة يقات حبكتها غبارٌ أجوف
أسطورةٌ .. بكريةٌ يغتالها تشرين والصمت الذي لا يرأف
أنت النخيل .. أنا مدى لا ينتهي يهوى النخيل ماذنأً تتحنّف

عيناك بحرٌ .. من جحيمي موجه وسفينتي بعض الغضا وتأفف
عمقي مروج موحشات .. والدجى تغفو على لغتي ، وبردي يرجف
وأنا ملي قيشارةً منحورة وتمزقي يا أنت .. لا يوصف
والماء يشرب من جفافي .. والهوى كره رمادي .. ورسمي مؤسف
مائية الشفتين .. إني ظامئٌ ويصب في عينك نبغ مشرف
جذرت في عينك حرفي فاملئي عيني من عينك حرفي مدنف
وتعمقي في كل بعضي إنني حرفي .. وكم سقت الصحارى أحرف

خاتمة الأنهار

تأمل اصفرار اعشيشاب وجه حزين

الحزن طفلٌ نما يلهو على شفتي يكسو بأماله النشوى مضاميني
يمزق الشمس، يخفي دونما سأم عن الذي .. ، كل أسرار العناوين
يضيء بي ... أجتلي الأيام .. أمل أن .. لكن طفلي البريء اللهو يشجيني
يعتق الصيف أسراباً مهاجرة إلى ضفاف غزيرات الدجى دوني



يا سارق النهر ، ما يبكيك يبكيني سيان ، والليل محموم الرياحين
يا وجهه الخلو ، يا بيداً مموسة باللوز ، بالسامقات الغر ، بالتين
بالأمس عذباً ، بأشجار المجاز بهم بالغامض الحرف يغري بي ويغريني
قرأته نازفاً ، والرسم أغنية موشومة .. والأجاج اللون يعروني
وعدت والأسنات السود ، أسئلتي جاذر غصة التكوين تقفوني

يا وجهه القمر العشيُّ ، ما فعلت بنا الليالي التي... قبل الثلاثين
إن يورق الموج في عينيه فاللغة الـ سموبوء الصمت تعوي في شراييني



مسافر، الحزن، كن كالماء مشتعلًا عطرية واجن أشواق البساتين
اعبر إلى الفجر، لألأنهار خاتمة على السرى وانشيلات التأين



٣- أنس عبدالرحمن عثمان (١) :

ولد هذا الشاعر بالمدينة المنورة عام ١٣٦٤هـ، وحصل على الابتدائية في مدرسة العلوم الشرعية،
والثانوية في طيبة الثانوية، وتخرج في كلية التجارة (كلية العلوم الإدارية حاليا) بجامعة الملك
سعود، تقلب في عدد من الوظائف وهو الآن متقاعد مقيم بالمدينة المنورة، وقد صدر له ديوان
بعنوان (الموانئ التي أبجرت) عام ١٤٠٢هـ، ومن شعره قصيدته التالية التي ألّفها على أسماع
والده الأستاذ عبد الرحمن عثمان رحمه الله، حين تخلف لأول مرة عن أداء صلاة عيد الفطر في
المسجد النبوي الشريف، بسبب مرضه..

أَبْعَدَ اللَّهُ الَّذِي قَدْ أَبْعَدَكَ مِنْ مَقَامٍ جَدَّ حَتَّى أَجْهَدَكَ
كُنْتُ فِي الْجَدِّ سُمُوءًا سَامِقًا فَإِذَا صَرَفَ زَمَانٌ بَدَدَكَ
وَإِذَا الْقُوَّةُ وَالْعَزْمُ وَنَى كُلُّ وَرْدٍ مِنْ عَنَاءٍ أَوْرَدَكَ
مَا لِهَذَا الْأَفْسَقِ سَاجٍ مُطَرِّقُ أَيُّ عِيدٍ ذَا الَّذِي مَا شَهِدَكَ
وَالْمُصَلَّى حَائِرٌ مُتَلَفِتٌ وَاجِمُ النُّظْرَةِ أَنْ قَدْ فَقَدَكَ
وَمَقَامٌ طَالَا هَمَّتْ بِهِ كَانَتْ الرُّوضَةُ فِيهِ مَعْبَدَكَ
وَحَمَامٌ كُلَّمَا أَنْشَدَتْهُ نَغَمَ الْحُبِّ حَنِينًا أَنْشَدَكَ
وَلَدَى الْمُخْتَارِ نِبْرَاسِ الْهُدَى تَسْكُبُ الشُّوقَ وَتَلْقَى مَوْعِدَكَ

يَا أَبِي فَاطْرَحْ عَنْكَ الْأَسَى
رَحْمَةً عُسْرُكَ فِيهَا أَيْسَرُ
صَبْرُكَ الْيَوْمَ عَلَى مَا تَكْرَهُهُ
رَغْدُ الْبَعْضِ حُطَامُ زَائِلُ
لَمْ يَكُنْ يُثْنِيكَ عَنْهُ أَمَدُ
وَيَرَاكَ الْفَضْلُ وَالنُّبْلُ أَخَا
وَاحْتَسِبْ فَعَسَى أَنْ تُنَجِّدَكَ
وَنَعِيمٌ فِيهِ رَبِّي خَلَّدَكَ
سُيُوشِي بِسَنَا الْعَفْوِ غَدَكَ
وَيَقْرُبُ اللَّهُ تَلْقَى رَغَدَكَ
فَوْقَ كُلِّ الشُّهْبِ تُغْلِي أَمَدَكَ
إِنْ يَكُنْ دَهْرُكَ يَوْمًا جَحَدَكَ

أنس - المدينة المنورة - ١٣٩٨/١٠/٠٥ هـ

٤- زاهر عبدالرحمن عثمان (١):

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٧٧ هـ ، وأتم دراسته فيها ثم حصل على الدكتوراة في التخطيط من بريطانيا ، تقلب في العديد من الوظائف وهو الآن مدير عام مؤسسة التراث بالرياض ، حاز على جوائز في عديد من المسابقات الشعرية وله العديد من المشاركات ، صدر له حديثاً أول دواوينه (قصائد خضر وباسات) ومنه نختار :

خطَّيْ على الماء حرفاً داعب الشُّفقا
واستكتبي الرمل شعراً ضلَّ قافيةً
وأسدلي شعرك المنساب فوق مدى
ولامسي بمداك المرتقي قمماً
وحدَّثني الدَّهر عن وعدٍ رسمت له
في لفحة الشمس يستدني توجَّسه
عيناه فوق صدى الماضي تهدلَّتَا
تعرِّق الملح في شفتيه تمتمَّا
واستمطري الليل نجماً داعب الأفقا
ولم يزل أبداً مستوحشاً ألقا
مشتَّت الوهم مسلوب الرؤى .. فرقا
تعثَّرت بلهات الشمس معتنقا
ملايحاً .. شدَّت الأقدام والطرقا
ويستبيح سماء الحلم مسترقا
وصوته بعواء البوح قد شرقا
حينا .. وراودتا النطق الذي استبقا

وجفَّ نبض الزمان المرتقي أسفاً على مشارف كفيه .. وما نطقا
يهدد اليأس والأهات ناضبةً والشوق يلتحف التّسهد مرتفقا
مالمّا بهجة الغيم استمال على جوانب الكون مخفورا ومتسقا
محدثاً عن صليل الأمس فرقه على مفاوز .. تغري كل من عشقا
ومنكراً دهشة اليوم التي احتبست لدى رحابك حتى استنفرت شفقا
مفتّشا عن غدٍ ملّكت دورته أوقفت ثورته .. أودعته الأرقا
محوت منه نهايات الدروب إلى شواطئ تترجّى عندك الغرقا



وراء خطوك قد بعثرت أسئلتي أسدلت قافيتي والعذر منطبقا
يجوب خفي رموش همسها قدري وبعدها سفري .. يشتطُّ بي وثقا
أسرّجت أوردتي .. مشطت مهممتي أنبت تأتأتي .. تستلهم القلقا
وأجفلت لوعتي واغتالني قلبي يستنفر اللوح والأفكار والورقا
وخانني خافقي .. وانسلّ مشتملاً بما تفتّت من نوحى وما وسقا
وجئت أحمل ما قدّمت من شجن وأذرف الشجو محتاراً ومحترقا
حتى تهتك ما أبلّيت مقترفاً حتى تشقّق ما أذنبت مفترقا
تجتاحني الريح حيناً .. ثم تمهلني لعلّ عفوك يهمني صيّبا غدقا
وما أزال هنا ما بين معذرتي تقودني .. وفحيح الذنب مستبقا



يا أنت .. أنت زمني المستريح على بقيّتي .. فأميلني منك منطلقا
وأمهليني إلى ما شئت من عمر أو أهمليني إلى ما شئت ملتحقا

يكفي بأن جذوري منك قد بدأت ونحو وهجك يدنو المنتهى طفقاً
إذا عذرت فهذا أنت .. لا عجباً وإن منعت .. فحسبي الأمس مغتبقاً
سلمتكَ الروح لا هانت على مكثٍ تفديك والنفس .. ما أبقيت بي رمقاً
من وجنتيك يدلُّ الكون دورته ومن جبينك يسمو البدر مؤتلقاً
قبَّلت أشارك الخجلي على حذرٍ وجئت ألتمس الأمال منبثقاً
على يميني نديُّ الفجر يشفع لي وفي يساري حملت الصمت والغسقا



٥- عيد الخجلي :

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٨٨هـ، وتخرج في جامعة الملك عبدالعزيز كلية التربية قسم الآداب ،
يعمل مدرسا للغة العربية ، وله العديد من المشاركات الشعرية والنثرية في العديد من الصحف
والمجلات المحلية والعربية ، وهو عضو في هيئة تحرير مجلة (الأطام) الصادرة عن النادي الأدبي
بالمدينة ، صدر له أول دواوينه (قامة تتلعثم) ومنه نختار :

قامة تتلعثم

وفيم التردد
والأمنيات اللواقح بالجدب
تحسو البريقا
وهذي جواهر يملك
تنمات في بطن ليلٍ رجم
شحاح النجوم
تشجن في البيد

يذرو النعيقا
وفي همس عينيك
غيمة حزنٍ
وشهقة عجب تمرغ في ترهات الحكايا
يناهد طيف متاهٍ عريق
ويشرب - والذل مقع -
سراباً صفيقا
وفيم التردد؟
ذا سمتك اليتصور عرياً
يفتش في حانة الوقت عن ظلّه الزئبقي
وهذي مسوح دم أبقي في صريف الأساطير
والساقيات النوازع تغرس في قامة الخدس
رمحاً طليقا
ألست رجيع الرهان المدنس
في ملّة السائمين؟
وأرجوحة يعتليها الضجيج المقامر
بين بخور الوصايا
وقرع الطبول
ففي التردد؟
إن السياط تعربد في «جبة النور»

تسحق غل الرقاب
تمزق جسر النداء المعلق
في همهمات الأبد



وإني اصطفتك أيقونة
صغتها من نبيذ الجنون
وجمر الرقيق المصفد
في رهبوت الجسد
وها إني في الهزيع الأخير من الصمت
ألمح في صوت عينيك
جمر المرائي
وغاشية من كمد

.....

.....

فكوني لهذا المدى المر
عصفورة المن
نهرًا من الضوء
يجفو الزبد



خارطة

مهج الجبال تهشمت
لغة السهول تهدجت
غرقت بأودية الذبول
تلك السروج الشامخات على تضاريس الضنى
لما تزل

تشكو غبار البين
تبحث عن خيول
سئمت أعتتها التموقع في الخواء
وفوق صهوات الرجاء
وبين أنياب الفرق
في حشرجات الفجر
همهمة من الضوء العليل
مصفرة الإفصاح
يعروها الخمول ..
يلوكها الموج العتي
ولا شفاعاة للنزق !



ومضت تسألني
عن الرعد المسجى في تجايف الفتن !

عن جذوة البرق الموشى
بابتهالات الصهيل
هل جالد الريح الوجوم
فغاص في بحر الرماد ؟ !
أم أنه استرخى
وطار على جناح غمامة وسنى
وقد زأر الزمن !
لا تسأليني
إن في رثة الجواب تورماً
وعلى تخوم حقيقة الوجه
المنمق ألف ظن !
إن ضاع جوهر وجهك المغبر
في عصف النداء
وبين اروقة السفن
«فالصيف ضيعت اللين» !



٦- محمد إبراهيم الديبسي :

ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٨ هـ ، وتخرج في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية سنة ١٤١٢ هـ
ثم حصل على دبلوم الدراسات الأمنية من الرياض ، التحق بعدها إلى العمل في الشرطة .
من مؤلفاته :

١- في ذاكرة الصحراء - دراسات في نصوص شعرية معاصرة- عام ١٤١٥هـ

٢- الشعرية المعاصرة في المملكة العربية السعودية

وهو يعد بحق من النقاد الشباب الذين أثبتوا جدارتهم في دنيا النقد والدراسات الأدبية ، واختارته أسرة تحرير الأظام نائبا للرئيس ، كما اختاره مجلس إدارة النادي رئيسا للجنة النشاط المنبري مع كوكبة من الأدباء الشباب وذلك للعام ١٤٢٥هـ .

٧- يوسف فضي سالم الرحيلي :

من مواليد ١٣٩٧هـ في قرية الروحاء التي تبعد مقدار ثمانين كيلا عن المدينة المنورة، وتخرج في قسم اللغة العربية بكلية التربية بالمدينة المنورة عام ١٤١٩هـ ، وهو يعمل مدرسا للغة العربية . وفيما يلي نموذجان من قصائده :

يا أوفى مجاديفي

ستمطر شمسنا حمماً

ويطفو مركب الأشواق

يا أوفى مجاديفي

يقولون السراة تباحثوا في الأمر

حتى ضجَّ مجلسهم

بيادرنا قد انتشرت

أقاصيص الرعاة تلتطَّخت

في ليلنا الأسر

فيا رمحي ويا عطري

أتقوى صولة العشاق
في المستقبل الغابر ؟
أم انتشرت مصائنا ؟
كما انتشرت ببادرنا ؟
سيزيد مجلس الأوباش فاعتمري
زمان اليباس
لا تبقي ولا تذري

تفصيل

ثمَّ عيدُ لا يبالى بالجنائز
يسرق الأسوار
من جيد الكأبة
يمنح الجوهر مسك الفقراء
يحفر الآبار بحثاً
عن مريض بالمهابة
ثم موتُ
لا يبالى بابتهاالات السرائر
أو أناشيد الرعاة
ثم نارُ

تطعم الجوعى
ونور
يقبر البسمة في ثغر الحياة

٨- محمد الصفراني :

هو محمد بن سالم الصفراني الجهني من شعراء المدينة المنورة ، ولد فيها سنة ١٣٨٩م ، وتلقى تعليمه في مدارسها ، تخصص في النقد الحديث ، له مجموعات شعرية هي (المدينة) و(شارب المحو) و(مداخلات جمهور قس بن ساعدة الأيادي) و(أناء الحب وأطراف القفار) .. ونختار له من مجموعة (المدينة) قصيدة بعنوان (المدينة أمانتكم المدينة حبيبتي) :

١

إني عشقتك والأرواح أجناد ورحلة الحب أمجاد وأعياد
وروعة العشق في قلبي قد انغrust أزهارها وليالي العمر أعواد
ورد المدائن في عينيك بعثرتي فلملمي عاشقاً للورد ينحد
أرزت في مهجتي ما لي سواك هوى كأنا في ثراك المسك أصفاد
لا تعتقيني بحق العشق فانتني فعتقك الأسر هل للأسر قُصاد ؟
تغلغلي في عروقي واكتبي بدمي قصيدة الحب والإلهام منقاد
وصفقي شوقي النفوس أدعية ما ينثني في ثنايا الليل عباد

٢

يا طيبة الحب من أين الوصول إلى بر المحبة والأجواء إرعاد ؟

كل اللواتي هواهنَّ استباح دمي مضيّن .. والسيف صولات وإغمار
ما للمدينية الحسناء قد صرفت عنا هواها ؟ وغصن الغيد مِيّاد
كانت تفيض حناناً في مقابلتي وللمحاسن أبعاداً .. وأبعاد
تحت السوارين نقشٌ من مخيلتي وفي السوادين نسرينٌ وكِبَاد
حتى العقيق الذي كان اللقاء به أنشودةً لحنها ليلي وأمجاد
ما عاد يذكرني، أنسي مفاجأتي في كلِّ يوم وما للهو إعداد
ذكرته بالذي قد كان فانبجست منه الحكايات لم يعوزه إسناد
إني المدينيُّ ذو الصبوات تعرفني هذي الظلال وكل الغيد أشهاد
كم في قباء وفي قربان قربني منهنَّ عشقٌ وروى الشوق ميعاد
فقرَّبني شاطئ الأفراح وابتسمي لم يبق إلّاك لي ماءً ولا زاد

٣

يا طيبة الحب ما أبعدت مزدريا أساس أقدارنا قرب وإبعاد
بدأت في الحب يا طيبي مغامرتي مذ كنت طفلاً وشوق الطفل أساد
ما كان منك فما أوفوا وما كادوا وعدت لا شيء غير الوعد أصدقه
هواك أغنيتي ، لاشيء يطربني فكيف ينئيك إتهام وإنجاد
هذي المنائر عاشت في مخيلتي لما ارتحلت فجوف الليل وقّاد
وتلكم الهجرة البيضاء تدخلني عوالم النُور والتنوير صعاد
شمس الحضارات من عينيك مشرقها نورٌ على نور منه الكون يزداد
لك الهوى والرؤى والشوق يا عمري ولي بقربك جنّات وإسعاد

وقطعةً من رياض الشعر تنشدها صوادح الفجر والأنسام إمداد
فبادليني الهوى واستمطري صوراً عفوية الرسم يسري فيه إيقاد

٤

يا طيبة الحب هل لي فيك ملتجأ ؟
ضجرت من وحشة الأيام فاحتضني
من بعد ما طففت دنيا التيه مرتحلاً
أنتيت في خيل شعر جامع لغتي
أنتيت أخطب وداً منك أعرفه
قصيدتي أنت هذي بعض زخرفها
أنتيت أسترجع التاريخ أسأله
عن مسجد فيه خير الخلق قاطبة
عن أمة أرخصت للدين ما ملكت
فهذه بزة التاريخ تلبسني
وجئت أستنشق النعناع تتبعني
وأسأل النخل عن ما علّقوه به
فنسّقيني على عينيك حقل هوى

٥

يا طيبة الحب من أين الوصول إلى
ما للطمأنينة الزرقاء قد بهتت؟
درب السعادة والأحوال أنكاد؟
وللسكينة أمراضٌ وعوداً؟
أين الوداد به الحارات ناعمة؟
وأيّن جيراننا جودٌ وأجواد؟

أين الرواشين والحساء باسمه؟ أين الحمام وأين العم خلاد؟
 أين الشراب وحر الصيف يثلجها؟ وأين يا غيم بعد العصر براد؟
 ورفقة كانت الحارات تجمعهم تهدمت وانطوى قيس وعباد
 كأنهم ما أتوا بطحان في ألقي وقالوا للسد: ما للماء أقياد
 كانوا هم الماء لكن عطشة طرأت على الزمان ، ولأيام إنفاد
 فالهم منتصر، والأنس منكسر والعود منتحر، والدرب أسداد
 والشوق منتشر، والقلب منتظر ما أجمل العيش لو أهل الهوى عادوا

٦

يا طيبة صدتني عبر الورى مهجاً فكيف يسقط في الأفخاخ صياد
 وكيف يتجرأبناء بأهم؟ وكيف يلبس ثوب المال زهاد؟
 تغيرت فنتي ما كدت أعرفها فللفراغ اشتعال وإخماد
 دعوى التطور ألغت جل بهجتها حاد الجمال وأهل العشق ما حادوا
 ردّي إلي بساتيني وعاشقتي أزقتي ، غرفتي ، والأنس يرتاد
 ردّي إلي كرايسي ومدرستي وسورة كنت أتلوها وأزداد
 ردّي إلي نقائي الضاع في زمن تפטّرت فيه أقسام وأكباد
 ليس التطور أن نفتال ماضيها فللحضارات آباء وأجداد
 يا طيبة الحب ما أقساه منقلباً إذا تملك أمر العطر حداد

٩- أبو الفرج عبد الرحيم عسيلان :

من شعراء المدينة المنورة ، تخرج في كلية التربية قسم اللغة العربية فرع جامعة الملك عبدالعزيز
 بالمدينة المنورة ، ويعمل الآن مدرسا للغة العربية بالمعهد العلمي بالمدينة المنورة ، ومن قصائده :

مطر العشق

أمطار صوتك في مسراي تشربني فيهطل الضوء خيراتٍ على مدني
أمطار صوتك ترقيني تائمها بسورة العشب في إدلاجة الدمن
تعيد بالمخصبات الخضر فاتحتي من نافثات الوعود الصفر والعفن
تماشجت بدمي المبتور عافية طهرية تبذر الإيمان في محني
تحفني .. يا كتاباً كنت أقرؤه يؤرخ الضوء في ماضي يقرؤني
أمطار صوتك ما غنت شواطئها لحن الرجوع ولا مرّت على أذني
إلا تناسل في كفي بارقها وعدت منها إليها طيع الرسن
يا رطبة الخير ما في الجذب مؤتلف للمخصبين ولا في الصمت من سكن
الصادحين هواك الشعر يملؤهم عشقاً غزيراً .. وحرماً مترف الشجن
أزرى بهم عشقهم للحرف فاعتسفت بهم دروب النوى المسفوح والحزن
تسامقوا .. عطر الريحان نكهتهم وقاربوا النبع .. واستبقوا خطى الزمن
يا رطبة الخير يا روحي التي عرفت على يدك زمان الطهر والسكن
كوني فضاء عاصفيري التي تهدي إلى مسامعك .. أنشودة الوطن

١٠- فاطمة علي عثمان الجبيلي :

ولدت عام ١٣٨٥ في مدينة جدة .

حاصلة على بكالوريوس في اللغة العربية من كلية التربية بالمدينة فرع جامعة الملك عبدالعزيز
١٤٠٨هـ ، وتعمل مدرسة في إحدى ثانويات المدينة المنورة .

لها عدد من الأبحاث المنشورة منها : المناهل والمياه في الشعر الجاهلي ، الصورة الشعرية عند
إبراهيم ناجي ، حرب الخليج في الشعر السعودي .

حصلت على الجائزة الأولى في مسابقة نادي المدينة المنورة الأدبي عن بحثها الأخير ١٩٩١م
ومن قصائدها :

إنني أغار
ويكاد يصرعني الدُّوار
وتهدُّني لغة الحوار
فأصبح في ألمٍ وقلبٍ مستطار
إنني أغار
يا سيدي إنني أغار
منذ التقينا في المساء
علمتني أن لا أكون من النساء
أن أرسم الكلمات من فمك الصغير
صوراً توشَّيها حكايات من العطر المثير
عن سهد ليلك والنهار
وقصيدة تشدو بها نغم الجمال
أو لا جمال !
عن فتنة أغرتك في جُملٍ قصار
فوهبتها أحلى حكايات الهوى
وسلبتها حق الوقوف على الجدار
عن ثوبها .. تنهيدة مغروسة
في ذلك الركن الوثير

أو همسة عن موعد الأحلام في سحب
الأثير

ماذا يجول بخاطرك

هذا المساء ؟

عمن ستحكي باشتهاء

يا سيدي ..

وهج الحياة يسير فيّ إلى انطفاء

إنني أحس القلب يغزوه الشتاء

أنا من أكون ؟

وسط الحروف التائهة

سمراء أُلقت ظلها في ناظريك ؟

أم شعرها المضفور بين أصابعك ؟

أم زرقة العينين بين جوانحك ؟

أنا من أكون ؟

أأكون آهة شوقها ؟

أأكون صمت غيابها ؟

أم ظلها المنسوج من دمك المراق ؟

ودخان غدر لا يطاق ؟

يا سيدي

أفلا ترق لقلبي الدامي الكسير

ولدمعي الهامي الحزين ؟

هل تشفع الآهات مني والحنين ؟
من صوتي المبحوح تلفحه الظنون ؟

ليقول لك :

إني أغار

يا سيدي

إني أغار .

١١- حكيمة الحربي :

من إنتاجها القصصي مجموعة (حلم في دوامة الانهزام) من إصدارات نادي المدينة الأدبي ،
نختار منها :

ضوء ونار

تعتلي الدهشة قمم ذاتها المعذبة .. وتكتسي سحنتها بألوان من حيرة لم تعهدها من قبل ..
ووقفت متمسرة أمام المرأة لترى ماذا أبقت لها الهموم والأحزان من بقايا وأثار ؟!

هل ملامحها كما هي .. أم عبثت بها رياح الزمن ؟!

لم يعد للاتبسامة طريق إلى شفاها .. ولم يعد قلبها يعرف دربا للفرح بل أصبح مسكنا للعلل
والآلام .. مأوى لفجائع الزمن !

وذاتها كبثر مهجورة .. تئن من الخفاف .. وحمى الحرمان !

شريط عذابها تديره الذاكرة .. لتجوس بها طرقا أيامها المرة .. تحضن حسرتها .. وتتوسد
قهرها .. وتصرخ :

ما أقسى أن تبني أحلامك فوق هضاب المستحيل !

وتتكئ على جدار الإنصات .. صدر اتسع لبوحك كثيرا وتفاعل مع أهتك .. ونثر فوق

مساحتك ابتسامات المشاركة التي تقى إلى معانقتها .. من صديقة .. أعطيتها مفاتيح ذاتك ،
وهجيتها أحرف كتابك .. حتى أصبح منسوجا ومخزوناً بين جدران ذاكرتها .

حتى أصبحت جداراً شفافاً يرى ما بداخله .. أقدم لها على ورق وردي تقارير مطولة عن
تفاصيل عن حياتي ومبعث مشاكل مع نصفي الآخر حتى عرفت عنه ما لم أعرفه !
كلمات المواساة لم تكن إلا تخديراً لأفصي بالمزيد ؟!

وردت رومانسي المعهودة .. وبغاء سافر .. بأنها هي قصيدي التي لا أمل من تردد معانيها
الرائعة .. وزادها بهاء وقفتها الجسورة .. في أشد الأوقات حلوة .. كنت فعلاً مخدرة .. وكنت
فعلاً بلهاء .. كنت أبنتي لها جسراً .. من خلال تقربها مني وإنصاتها لحديثي ..!
لقد ازدادت بعينها جزري المهجورة .. وبريقها الخافت .. في البدء وضعت قدمها على السلم
المؤدي لها من خلالي ، فكانت الزمن الذي خان .. وكانت ابتسامة ليث وإقبال ليل ؟!
ما أكبر الفجعة عندما تطعنك ثقتك العمياء . وتخونك حاستك وفراسك التي تتباهى
فيها...؟!

صديقة عمري من كنت أظنها نورا فتحولت نارا أحرقني ..!!

١٢- وفاء محمد الطيب إدريس :

من مواليد المدينة المنورة عام ١٣٨٠ ، تخرجت عام ١٤١٠هـ في كلية التربية بالمدينة المنورة ،
وهي الآن معيدة فيها ، من مؤلفاتها :

لن أعود إليك - مجموعة قصصية ، من إصدارات نادي المدينة الأدبي ، وفيما يلي نموذج من
إنتاجها :

لن أعود إليك

دقات ساعة الحائط تلتهم أنفاس الهزيع الأخير من الليل في نهم .. شيء من الصمت السابح
في جو الغرفة يقترح على أجفانها مزيداً من الشرود ، تتأهب في صجر .. ثم تنغمس في لعبة

الاستغماية من جديد .. النوم يحلوه أن يداعبها بلعبته الصبيانية تلك .

يختبي خلف النجمات .. وفي طيات خصلة تداعي جبين القمر .. وراء الصورة المعلقة على الجدار .. ثم يتدلى من الثريا المدلاة من سقف الغرفة .. تواصل إغراءه بإغماضة في جفניה المسهردين ..

تحاول بأهدابها المسترسلة اقتناص النوم من دياجير الغرفة .. ثم تؤوب إليها خاوية كسنارة صيد عاثر .. ولا يستجيب النوم لنداء الطعم .. محاولات جديدة .. قد تفلح .. ولا مانع من الشروع فيها (أكرهك .. أكرهك .. أكرهك)

تعبت من العد .. وأخذت تلهث كما لو شرعت تتسلق نخلة سامقة تغزو كبد السماء .. وتواصل العد لتمام .. وفجأة تتوقف عن العد في سهود ..

إن العزف على أوتار قلب حاقدا لا يمنح أبدا نغما هادئا

تترث قليلا تعقد ما بين حاجبيها في استنكار

من قال بانني أووي إلى صدري قلبا حاقدا ؟ أنا لا أحقد على أحد .. هو بالذات لا أستعمل معه هذه العاطفة .. لأنه لا يستحق شيئا .

تواصل الاحتيال على النوم بالعد .. وبأسلوب آخر .. ولكن بنفس الإصرار .. أنت لا شيء .. أنت لا شيء .. أنت لا شيء .. أنت ..

أخطأت العد .. أفاقت مذعورة كطفل ضبطته أمه في حالة تلبس .. ترتجف في غضب .. أعادت الكلمات الأخيرة تحت أسنانها .. تجز عليها بعصبية ، تريد أن تطحن الخطأ المطبوعي الذي أوغر صدرها .. وأيقظ مخاوفها .. تصرخ في الداخل .

إنه ليس شيئا .. إنه ليس شيئا .. لأنه لا يستحق أن يكون شيئا في حياتي .. إنه مجرد حفنة من الماضي .. وأدته تحت التراب .. لا أريد العودة إلى هذا الماضي لأني لا أطيق الوأد تحت التراب ..

كان كل شيء قد انتهى بسرعة .. إنها آخر ليلة تقضيها في ضيافة أختها عفاف بمدينة حقل .. ما كانت تتصور أن الإجازة المدرسية ستمضي بهذه السرعة الخرافية .. قبل أسبوعين بالتحديد

تمكنت من إقناع زوجها بفكرة الرحيل إلى أي بقعة خارج الخبر لوحدها ، وحملها من بيت الزوجية الذي توشك أن تختنق فيه إلى مطار الظهران بعربته .. وفي الطريق خيل إليها أنها تجتاز أطول مشوار في حياتها .. تبادر إليها أن العربة تعتمد التحرش بإشارات المرور والمطبات الصناعية .. وأن العربات أيضا قد تنازلت عن القيادة بالسرعة الفائقة المتعارف عليها في شوارع الخبر ولم تصدق أن الطائرة قد هبطت بسلام في مدرج مطار تبوك .. وانتظرت عفاف وزوجها سهيل بصبر نافذ ولم تصدق أنها ترمي في أحضان عفاف الحبيبة .

- لقد زاد وزنك كثيرا يا عفاف .. وأنت أيضا يا سهيل ؟

كانت القبلات تغمر وجهها .. وأطفال عفاف يتجاذبون أطراف ثوبها في فرح .

- أبله نهى أين الحلوى والهدايا ؟.

وأخذت العربة تلتهم الطريق في نهم .. ورائحة البحر بدأت توقظ إحساسا غافيا في صدرها .. وتكلم منها شعورها الذي كان قد استمرأ الحمول .. وافتقر ثغر البحر عن مدينة حقل عروس البحر البدوية .

حقل يا عروس البحر البدوية .. ما تزال نقوش الحناء تزين فيك ومعصميك .. وما يزال رذاذ بحرك ينعش إحساسي (حقل) يا قطعة غالية سكنت مهجتي .

ما أردت أن ألقاك يا بحر الحكايات الجميلة .. ويا بحر الطفولة .. وأنا بما فيه من ألم .. إنه ألم طاغ بموج بالداخل كأمواجك الصاخبة .. ألم مالح كملوحة مائك يشقق قلبي ووجداني .. لكنها الأقدار قدري أن أعود غليك هكذا ..

ذات مساء جاءتها عفاف بينما تغتسل قدماها بمياه البحر ، بينما الشroud ينتشل قلبها من سواقي الألم والمرارة ، وانتهزت فرصة سكونها وقالت :

- الطفلة تكبر يا نهى وما تزالين طفلة في مشاعرك .. تجهلين أنك امرأة .. والمرأة يا نهى لا تحيا بلا رجل .. تعترضين قساوته .. وتتألين للشاطي حين تجلده أمواج البحر ..

دقات الساعة لا تكف عن تحريض الليل بالرحيل .. وبزوغ الفجر بات وشيكا ..

الرحلة المزمع عليها الساعة الثامنة صباحا تنتزعها من أحلامها .. تسرقها من أوهامها في أن

تبقى مدة أطول في ضيافة عطاف .. تسوقها سلعة رخيصة في سوق الخوف والرفض ..
رنين الهاتف يزيد من اقتناعها بأن النهار قد دحر الليل .. واقتحم قلاعه .. ولكن الوقت ما يزال
مبكرا على اية حال ..
لا .. لا .. لن أعود حتى أطفئ نيران جروحي منك .. ويغتسل صديدها .. وتحفها شمس
البحر الذهبية فتبرأ ..
العمل .. لا يهم ! ما زال قلبي يعرق .. ما زلت بحاجة إلى أن أركض على الرمال .. حتى يجف
عروقي .. وعندها أبدأ العمل من جديد ..
لن أعود ولو ضجت الخبر بأشواقك إلي ..
أغلقت الهاتف بعصبية .. وشرعت تغلق النوافذ .. تحول بشيء من العتمة اقتناص الليل الذي
للم شتاته ورحل .. تعمل على تصفيف أفكارها التي تبعثرت من جديد ..
إنه يطالبني بالعودة ! فظن لهروي منه .. فأخذ يبثني أشواقه التي تخزني كأشواق نبتة صبار ..
أتفرز من أشواقه ولا أشتاقه .. من ذا يتوق إلى مخالف غير مستأنس ؟ من ذا يحن إلى ظلمة
قضببان بلا مفاتيح ؟ طرقات منغمة على باب غرفتها .. لا تطيق التحدث إلى أحد بعد المكالمة
التي أهدرت تفأؤلها وأكدت مخاوفها ..
طرقات سريعة أخرى على الباب .. وغير منغمة .. تدل على أن الطارق في عجلة من أمره ..
رأس عطاف يمتد من شق الباب الموارب .. ونظرة متطفلة تقفز من عيني عطاف .. بعض الخوف
يرتسم على معالم نهى .. وفي حنان جارف تهمس إليها :
اطمئني .. لن ترحلي قبل اسبوع من تاريخه مهما يكن ..
تبتسم في ضراعة .. تقبل عطاف بامتنان .. ترقمي على السرير في إعياء شديد ، ثم تغيب في
نوم عميق .

خاتمة

وبعد ..

فإن أدباء **إثنية اللاذقية** أدوا واجبههم، وأسهموا في إثراء الزمان، الذي شملهم بأحداثه واحتواهم بنوازعه وتوجهاته، ولكنهم لم يكونوا على مستوى واحد، كما أشرنا إلى ذلك في أثناء الدراسة ، وقد حاولوا برغم قلة الوسائل أن يقولوا شيئا ، فقالوا ما أمكنهم القول، وكانوا رمزا للتنوير والتطوير والتحديث، مكملين لمسيرة سابقهم ومهيئين المناخ للاحقهم، ولا يختلف اثنان في أن كل واحد منهم له إضافته التي تذكر فتشكر، ولكن بعضهم استطاع بحول الله أن يفعل الكثير، بحيث لم يعد من الممكن لتاريخ الأدب في المملكة العربية السعودية أن يتخطاهم أو يتناساهم، قال المدني وأل حافظ وعبد القدوس الأنصاري أركان في التقديم للأسرة، ومحمد هاشم رشيد والخطراوي وعبد الرحيم أبوبكر وماجد الحسيني والربيع وغيرهم من أعضاء الأسرة هم أكناف الأسرة وبحبوحاتها بين مجدد ومقلد، ثم يأتي جيل الشباب فيواصل الرحلة ويلتقي تحديثهم بتحديث أسرة الوادي المبارك ، فشعراء المدينة اليوم من المحدثين هم أهل للفرادة، واستطاع عدد منهم أن يكتب الشعر المأمول ويتجاوز المطلوب وسطروا أسماءهم في قائمة المجددين (انظر القوائم التي أوردناها) وفقهم الله وأغنى بهم دنيا عبقر، وحق لهم أن يتغنوا بالمدينة وأن تتغنى بهم، فصففوا معي للأُم والولد والحفيد..

ولا أكتفكم أنني أوتر أن أترك للقراء الحكم على ما في النصوص التي أوردناها من شعرية، وعلى ما في جراب شعرائنا من شاعرية ، وأصارحكم بأنني استمتعت بكل ما عاجلت من نصوص، وأعجبت كثيرا بشعر أولئك الشعراء، وقصص القاصين، ونقد الناقدين، وأتمنى أن تعطوني شيئا من وقتكم لتقرأوا الكتاب بتمامه، ثم تحيوا كل ما ضمه الكتاب من شعر وشعراء..

د. محمد العيد الخطراوي

تمت أعمال الطباعة والتصميم بمؤسسة التراث
المملكة العربية السعودية من. ب. ٦٨٢٠٠ الرياض ١١٥٢٧

هاتف: ٤٨٠٧٧١٠ فاكس: ٤٨٠٧٧٠٨

الموقع الإلكتروني: www.al-turath.com



التراث

